THE VISCOUNT WHO LOVED ME

BRIDGERTON

الفيكونت الذي أحبّني

جوليا كوين

ترجمة: إيمـان سعودي



عصير الكتب

BRIDGERTON

الفيكونت الذي أحبّني

عصير الكتب


mohamed khatab

THE VISCOUNT WHO LOVED ME

BRIDGERTON

الفيكونت الذي أحبَّني

جوليا كوين

ترجمة: إيمان سعودي

NETFLIX
يعرض الآن
على نتفليكس



عصير الكتب

عزيزي القارئ..

دعنا نتحدث بصراحة. نحن نقرأ الروايات الرومانسية لكي نقع في الحب. وتحديدًا في حب البطل -وهذا لا يعني أننا لا نعبأ ببطلات الروايات- الحقّ أنّي لو حدث أن قرأتُ رواية وشعرتُ بأن البطلة لا تصلح لأن تكون إحدى صديقاتي المفضلات، فسوف ألقي بالرواية في أقرب سلّة مهملات.

ولكن الأبطال الرجال أمرهم مختلف. أودُّ الاعتراف قبل كل شيء بأني أعشق زوجي عشقًا مطلقًا لا حدود له -باستثناء تلك المرة حينما «أصلح» حاسوبي-، لكن معذرةً، أعطِني رواية «كبرياء وهوى»، وسوف أقع في غرام السيد دارسي في كل مرة.

ولهذا السبب، عندما جلستُ لأخطّ رواية «الفيكونت الذي أحبَّني»، طار قلبي فرحًا. كنت بصدد قضاء الستة أشهر القادمة في حضرة أنطوني بريدجرتون، الشخصية التي عرفتها بالفعل وأحببتها من رواية «الدوق وأنا». كان وسيمًا وذكيًّا، معتادًا أن يحصل على ما يريد، بعبارة أخرى؛ كان البطل الرومانسي المثالي.

عدا أنني لا أحب لشخصياتي أن تكون مثالية. المثاليون يعيشون حياة مملة بامتياز، ولا يصنعون -في رأيي- روايات رومانسية عظيمة. ومن ثم فقد اتخذتُ قرارًا؛ سأترك لأنطوني وسامته وذكاءه، لكني سأسلبه مثاليته. وهذه المرة ***قطعًا*** لن يحصل على ما يريد.

آمل أن تقضي رحلة ممتعة مع «الفيكونت الذي أحبني». أوه، ولا تنسَ أن تقع في الحب...

مع خالص تحياتي.

Julia Q.

إلى صغيرتي الجميلة..
التي رافقتني طوال رحلة كتابتي هذا الكتاب.
لا أطيق صبرًا حتى ألقاكِ!

وأيضًا إلى بول..
على الرغم من كرهه المزمن للمسرحيات الموسيقية.



شجرة عائلة بريدجرتون

فيوليت ليدجر تزوجت من إدموند
(1766) (1764 - 1803)

- أنطوني (1784)
  الفيكونت الذي أحبني - الكتاب الثاني
- بيندكت (1786)
  الكتاب الثالث
- كولين (1791)
  الكتاب الرابع
- دافني (1792)
  الدوق وأنا
  الكتاب الأول
  يعرض قصة
  سايمون باسيت
  دوق هاستنجز
- إلويز (1796)
  الكتاب الخامس
- فرانشيسكا (1797)
  الكتاب السادس
- جريجوري (1801)
  الكتاب الثامن
- هياسنث (1803)
  الكتاب السابع

مقدمة

لطالما عَلِم أنطوني بريدجرتون أنه سيموت في سنٍ صغيرة.

أوه، ليس منذ كان طفلًا. لم يكن هناك ما يدعو الصغير أنطوني إلى التفكُّر في موته. بل إن سنواته الأولى –بدايةً من يوم مولده– كانت مثل حلم يتعذّر تحقيقه لأي صبي في عمره.

صحيح أن أنطوني هو الوريث الشرعي لفيكونتية[1] عريقة وثرية، لكن زواج أبويه –لورد وليدي بريدجرتون– كان قائمًا على الحب، على العكس من معظم الأزواج الأرستقراطيين. كانا مغرمين ببعضهما، ولم ينظرا إلى مولد ابنهما باعتباره وصولًا لوريث، ولكن وصولًا لمولودهما الأول.

ومن ثم اقتصرت احتفالات وأعياد هذين الأبوين على حدثٍ واحد، ألا وهو التحديق بإعجاب إلى وجه ابنهما.

وُلِد أنطوني وأبواه ما زالا في مقتبل العمر –إدموند لم يتجاوز العشرين عامًا وفيوليت بعدُ في الثامنة عشرة– لكنّ كليهما كان حكيمًا، وقويًا، وأحبَّ ابنه بضراوة وإخلاص قلما يُشهَد لهما مثيل في تلك الدائرة الاجتماعية. أصرَّت فيوليت رغم ارتياع أمها على إرضاع الصبي بنفسها، وأبى إدموند أن يمتثل للتقاليد السائدة التي تفرض على الأب ألا يرى أطفاله أو يسمعهم. كان يأخذ طفله في نزهات طويلة عبر حقول «كِنت»، ويحدِّثه عن الفلسفة والشعر قبل حتى أن يفهم الكلمات، ويقص عليه حكاية قبل النوم في كل ليلة.

ولأن الفيكونت وزوجته كانا شابين وغارقين في الحب، لم يتفاجأ أحد عندما صار لأنطوني، بعد عامين فقط من ولادته، أخٌ صغير يُدعى بنيدكت. ثم

---

(1) رتبة أو لقب فيكونت.

لم يلبث إدموند أن عدَّل روتينه اليومي كي يتسنَّى له اصطحاب كلا ابنيه في نزهاته، وقضى أسبوعًا كاملًا في الإسطبل يعمل مع الدباغ على ابتكار حامل جلدي مصنوع خصيصًا، يسمح له بحمل أنطوني على ظهره بينما يمكث الرضيع بنيدكت بين ذراعيه.

كان يأخذهما عبر الحقول والجداول، ويخبرهما عن مختلف الأعاجيب، عن أزهار مُدهشة، وسماوات زرقاء صافية، عن فرسان يرتدون دروعًا لامعة، وفتياتٍ في خطر. اعتادت فيوليت أن تضحك لدى عودتهم وقد عبثت الرياح بملابسهم وشعرهم ولفحت الشمس وجوههم، فيقول إدموند:

- أترين؟ هي ذي فتاتنا في خطر. من الواضح أن علينا إنقاذها.

فيُلقي أنطوني بنفسه بين ذراعي أمه مقهقهًا ويقسم إنه سيحميها من التنين نافث النار الذي رأوه على بعد ميلين فقط من طريق القرية.

تشهق فيوليت قائلة بصوتٍ حرصت أن يملأه الفزع:

- على بعد ميلين من طريق القرية؟ يا إله السماء! ماذا عساي أفعل لو لم يكن لديَّ ثلاثة رجال أقوياء يحمونني؟

يجيب أنطوني:

- لم يزل بنيدكت طفلًا رضيعًا.

فتعبث بشعره وتردد ما تقوله دائمًا:

- لكنه سيكبر. تمامًا مثلما فعلت أنت. تمامًا مثلما ستفعل.

حرص إدموند على معاملة جميع أطفاله بعدل، مانحًا كلًّا منهم نصيبه من الاهتمام والعطف. ولكن كلما هبط الليل، ضم أنطوني ساعة الجيب الخاصة بآل بريدجرتون إلى صدره -تلك التي تلقَّاها في عيد مولده الثامن من أبيه، وراق له التفكير في أن علاقته بأبيه كانت مختلفة قليلًا. ليس لأن إدموند يحبه أكثر من بقية إخوته؛ الذين بلغ عددهم بحلول هذا الوقت أربعة -فقد وُلِد كولين ثم سرعان ما لحقت به دافني-. فقد كان أنطوني يعلم جيدًا أن أباه يحمل له ولإخوته نفس القدر من المحبة.

كلا، بل راق لأنطوني أن يفكّر في أن علاقته بأبيه مختلفة، لأنه ببساطة عاشره لفترة أطول. ففي النهاية، مهما بلغت الفترة التي عاشها بنيدكت مع أبيهم، سيظل أنطوني متفوقًا عليه بعامين. وعلى كولين بستة أعوام. وبالنسبة إلى دافني، حسنٌ، بخلاف حقيقة أنها فتاة -لك أن تتخيل الرعب!-،

فإنه يتفوق عليها بثماني سنوات كاملة، وراق له أن يذكّر نفسه بأن أحدًا لن يسلبه هذا التفوق أبدًا.

كان إدموند بريدجرتون، ببساطة شديدة، المحور الذي يرتكز عليه عالم أنطوني. كان طويلًا، عريض المنكبين، يمتطي الجياد كما لو أنه وُلِد على سرج. كان يعرف الحل لأي مسألة حسابية -حتى وإن لم يستطع المعلم نفسه حلها-، ولم يرَ سببًا يمنع ابنه من الحصول على بيت الشجرة الذي يريد -بل مضى يبنيه له بنفسه-، أما ضحكته فكانت من النوع الذي يبث دفئًا في قلب كل من يراه.

علَّم إدموند أنطوني ركوب الخيل. علمه الرماية. علمه السباحة. كان يأخذه إلى مدرسة «إتون» بنفسه، بدلًا من إرساله إلى هناك في عربة مع الخدم، مثلما يصل معظم أصدقاء أنطوني، وحينما رأى ابنه الأكبر ينظر بتوتر إلى المدرسة التي من المفترض أن تصبح بيته الجديد، أخذ يحدِّثه حديثًا يفيض بالود واللطف، ويطمئنه بأن كل شيء سيسير على خير ما يرام.

وهو ما حدث. وهو ما كان أنطوني موقنًا أنه سيحدث. ذلك لأن والده، على الرغم من كل شيء، لم يكذب قط.

وقد أحبَّ أنطوني والدته. أحبها لدرجة أن كان مستعدًا لقضم ذراعه كي يبقيها سالمة ومعافاة. ولكن خلال نشأته، كل شيء فعله، كل نجاح، كل هدف، كل أمل وكل حلم؛ كان فقط من أجل والده.

ثم ذات يوم، تغيَّر كل شيء. من الطريف -كما فكَّر لاحقًا- كيف يمكن لحياة المرء أن تتبدل بين ليلة وضحاها، كيف يمكن للأمور كلها أن تسلُك مسارًا معينًا في دقيقة، ثم في الدقيقة التالية وبكل بساطة... تنقلب رأسًا على عقب.

حدث ذلك عندما بلغ أنطوني الثامنة عشرة من عمره. كان قد عاد إلى منزله لقضاء عطلة الصيف، ويستعد لعامه الأول بجامعة أكسفورد. عزم على الالتحاق بكلية «أول سولز»، مثلما فعل والده من قبله، وكان يستمتع بحياة مشرقة وهانئة كما يجدر بأي شاب في سنه. اكتشف النساء، أو بالأحرى هن من اكتشفنه. وكان أبواه ما زالا يتكاثران بسعادة، ضامَّين إلويز، وفرانشيسكا، وجريجوري إلى العائلة، وقد بذل أنطوني قصارى جهده كي لا يشيح بنظره كلما مر بوالدته في الرَّدهة -حبلى بطفلها الثامن!- فمن وجهة نظر أنطوني،

كان من غير اللائق بالمرة أن ينجبا أطفالًا في هذا العمر، لكنه احتفظ بآرائه لنفسه.

ومن عساه يكون ليشكك في حكمة إدموند؟ ربما يرغب هو الآخر أن ينجب مزيدًا من الأطفال عندما يتقدم به العمر هكذا ويبلغ الثامنة والثلاثين.

اكتشف أنطوني ما حدث في وقتٍ متأخر من عصر أحد الأيام. كان عائدًا لتوه من جولة طويلة على ظهر الخيل مع بنيدكت مغطّىً بالرضوض والكدمات. دفع الباب الأمامي لأوبري هول، منزل أسلاف آل بريدجرتون، فإذا به يرى شقيقته ذات العشرة أعوام جالسة على الأرض. كان بنيدكت ما زال بعد في الإسطبل بعد أن خسر رهانًا سخيفًا ضد أنطوني، وحُكِم عليه بفرك كلا الحصانين.

شُلَّتْ حركة أنطوني بمجرد أن رأى دافني. فمن الغريب بما فيه الكفاية أن يرى أخته جالسة في منتصف أرض الرَّدهة الرئيسية. لكن الأغرب أن يراها تبكي.

دافني لا تبكي أبدًا.

- داف...

قالها بتردد، أصغر من أن يعرف كيف يتعامل مع أنثى باكية، ومتسائلًا إن كان سيعرف يومًا.

- ما الذي...

ولكن قبل أن يُكمل سؤاله، رفعت دافني رأسها، وإذا بالألم الذي فاضت به عيناها البنيتان الواسعتان يخترق قلبه كسكينٍ حاد. تراجع خطوة، وقد أدرك أن خطبًا ما وقع، خطبًا مروعًا.

همست دافني:

- لقد مات.. بابا مات.

لوهلة ظن أنطوني أن سمعه قد خانه. محالٌ أن يموت أبوه. يحدث أحيانًا ويفارق البعض الحياة باكرًا، مثلما حدث مع العم هوجو، بيد أن العم هوجو كان ضئيل الحجم واهن الجسم. حسنٌ، على الأقل أصغر حجمًا وأوهن جسدًا من إدموند.

قال لدافني:

- أنتِ مخطئة. لا بد من أنكِ مخطئة.

هزت رأسها قائلة:

- أخبرتني إلويز. لقد كان... لقد كانت....

كان أنطوني يعرف أن عليه ألا يعنِّف أخته وهي تبكي، لكنه لم يتمالك نفسه.

- كانت ماذا يا دافني؟

همست:

- نحلة. لقد لسعته نحلة.

للحظة لم يستطع الإتيان بشيء سوى التحديق إليها. ثم قال أخيرًا، بصوتٍ مبحوح يكاد لا يُسمع:

- المرء لا يموت بلسعة نحلة يا دافني.

لم تنبس بكلمة، فقط جلست على الأرض، يغص حلقها وهي تحاول السيطرة على دموعها.

استطرد أنطوني بصوتٍ أكثر وضوحًا:

- لقد لُسِع من قبل. كنت معه. كلانا لُسِع. تعثرنا في خلية نحل، ولُسِعت في كتفي.

ورفع يده لا إراديًا إلى حيث قرصته النحلة قبل سنوات عديدة. وأضاف هامسًا:

- ولُسع هو في ذراعه.

حدَّقت إليه دافني بتعبير خاوٍ مريب.

أصرّ أنطوني:

- كان بخير.

استطاع أن يسمع الهلع في صوته وعلم أنه قد بدأ يخيف أخته، لكنه عجز عن منع نفسه.

- المرء لا يموت من لسعة نحلة!

هزت دافني رأسها، وقد بدت عيناها الداكنتان فجأة وكأن عمرهما مائة عام. قالت بصوتٍ أجوف:

- كانت نحلة. لقد رأت إلويز ما حدث. في لحظة كان واقفًا ببساطة، ثم في اللحظة التالية كان قد... كان قد...

أحس أنطوني بشيء غريب يعتمل بداخله، وكأن عضلاته على وشك أن تقفز خارج جلده.

- في اللحظة التالية كان قد ماذا يا دافني؟

- كان قد رحل.

بدت مذهولة من وقع الكلمة، وشعر هو بذهول مماثل.

ترك أنطوني أخته جالسة في الرّدهة واندفع يصعد الدّرج ثلاث درجات في المرة متجهًا إلى غرفة نوم أبويه. من المؤكد أن أباه لم يمت. لا يموت المرء بلسعة نحلة. هذا مستحيل. إنه جنون مطبق. كان إدموند بريدجرتون صغيرًا، كان قويًا. كان طويل البنية عريض المنكبين مفتول العضلات، وبحق الرب، لا يمكن لنحلة عسل تافهة أن تُسقطه صريعًا.

ولكن بمجرد أن وصل أنطوني إلى الرَّدهة العلوية، أدرك من الصمت الذي ران على دزينة الخدم الحائمين أن الوضع قاتم.

ونظرات الشفقة التي رمقوه بها... بعمره لن ينسى تلك النظرات.

ظن أنه سيضطر إلى شق طريقه عنوة إلى غرفة والديه، بيد أن الخدم تفرقوا وكأنهم البحر ينفلق لموسى، وبمجرد أن دفع أنطوني باب الغرفة، عَلِم.

كانت أمه جالسة على حافة الفراش، لا تنتحب، لا يصدر عنها صوت، فقط تمسك بيد أبيه وتتمايل ببطء للأمام والخلف.

وكان أبوه ساكنًا. ساكنًا مثل...

رفض أنطوني حتى التفكير في الكلمة.

اختنق صوته قائلًا:

- ماما؟

مرَّت سنوات منذ أن ناداها بتلك الكلمة؛ فقد صارت «أمي» منذ غادر إلى «إتون».

التفتت، ببطء، وكأنما تسمع صوته آتيًا من نفقٍ طويلٍ.. مديد.

همس:

- ماذا حدث؟

هزت رأسها، وقد علقت عيناها بيأس في زمنٍ سحيق. قالت:

- لست أدري.

ثم ظلت شفتاها متباعدتين مسافة البوصة أو نحوها، وكأنها أوشكت على قول شيء آخر ثم نسيت أن تفعل.

خطا أنطوني للأمام بحركات خرقاء مرتبكة.

همست فيوليت أخيرًا:

- لقد رحل. رحل بعد أن... آهٍ يا إلهي، بعد أن...

وضعت يدًا على بطنها المستدير الممتلئ بطفلها.

- لقد قلت له. آهٍ يا أنطوني، لن تتصور ما قلت له.

بدت كما لو كانت على وشك التهشم والتبعثر أرضًا. خنق أنطوني عبراته التي كانت تحرق عينيه وتغص حلقه وجلس إلى جانبها. ثم قال:

- كل شيء على ما يرام يا ماما.

لكنه كان يعرف أن لا شيء على ما يرام.

شهقت وهي تنشج في كتفه قائلة:

- قلت له إن هذا الطفل لا بد أن يكون الأخير. أخبرته أنني لا أستطيع أن أحمل بطفلٍ آخر، وأن علينا توخّي الحذر، و... آهٍ، يا إلهي، لأفعلن أي شيء مقابل أن يعود لي الآن وأمنحه طفلًا آخر يا أنطوني. لستُ أفهم. لا أستطيع أن أفهم...

ضمها أنطوني وهي تبكي. لم ينبس ببنت شفة؛ بدا من العبث أن يحاول التعبير بالكلمات عما حاق بقلبه من دمار.

لم يستطع أن يفهم هو أيضًا...

أتى الأطباء في وقتٍ لاحق من تلك الأمسية وأعلنوا حيرتهم. كانوا قد سمعوا بوفيات شبيهة من قبل، ولكن ليس لشاب قوي مثل إدموند. كان يفيض حيوية ونشاطًا؛ ما كان ليخطر ببال أحد. صحيح أن أخاه هوجو الأصغر سنًا قد مات بشكل مفاجئ إلى حدٍ ما في العام السابق، ولكن مثل هذه الأشياء لا تنتقل بالوراثة، وعلى الرغم من أن هوجو قد مات بمفرده خارج المنزل، فإن أحدًا لم يلحظ لسعة نحلة على جلده.

بيد أن أحدًا لم يبحث عنها كذلك.

ما كان ليخطر ببال أحد، ظل الأطباء يرددون، مرة تلو أخرى حتى كاد أنطوني يخنقهم جميعًا. لكنه استطاع أخيرًا أن يخرجهم من المنزل، ووضع أمه في الفراش. اضطروا أن ينقلوها إلى غرفة أخرى؛ فقد بدت عاجزة عن احتمال فكرة النوم في نفس الفراش الذي تشاركته مع إدموند لسنين عديدة. وتمكّن أنطوني من إرسال جميع إخوته الستة إلى فُرشهم كذلك، بعد أن أخبرهم أن لحديثهم بقية في الصباح، وأن كل الأمور ستسير بخير، وأنه سيعتني بهم مثلما كان أبوهم يفعل.

ثم دلف إلى الغرفة التي ما زال يرقد بها جسد أبيه وأخذ ينظر إليه. ظل ينظر وينظر، ظل يحدّق إليه لساعات، بالكاد يرمش.

وعندما غادر الغرفة، غادر بفلسفة جديدة عن حياته، ومعلومة جديدة عن موته.

تُوفِّي إدموند بريدجرتون في الثامنة والثلاثين من عمره. وأنطوني ببساطة لم يمكنه تخيّل أن يتفوق يومًا على أبيه في أي شيء، ولا حتى في عدد سنين العمر.

الفصل الأول

20 أبريل، 1814 **جريدة المجتمع**

ناقشنا من قبل في هذا العمود موضوع الانحلال الأخلاقي عند الشباب، وقد خلصت كاتبة هذا المقال إلى استنتاجٍ مفاده أن هناك مِن الشباب من هو «منحل أخلاقيًا»، وهناك من هو «متحرر أخلاقيًا».

وأنطوني بريدجرتون من فئة المتحررين أخلاقيًا.

فالشاب المنحل يكون صبيانيًا وغير ناضج. يمضي متباهيًا بمآثره، ويتصرف بمنتهى الحماقة، ويظن نفسه خطرًا على النساء.

أما الشاب المتحرر فواثق من خطورته الحقَّة على النساء.

لا يمضي متباهيًا بمآثره لأنه في غنى عن ذلك. يعلم أنه محل تهامُس كل من الرجال والنساء، والواقع أنه يفضِّل لو أن أحدًا لم يتهامس بشأنه على الإطلاق. يعلم جيدًا من هو وماذا فعل، وإعادة سرد ذلك في نظره لا لزوم لها.

لا يتصرف بحماقة لسبب بسيط، وهو أنه ليس أحمق -ليس بالدرجة التي يجب توقعها بين أوساط الذكور-. صبره تجاه نواقص المجتمع محدود، وبصراحة شديدة، لا تستطيع كاتبة هذا المقال أن تقول إنها تلومه.

وإن لم يكن هذا مثل الوصف الأدق على الإطلاق لفيكونت بريدجرتون -الذي هو دون شك العازب الأكثر كفاءة هذا الموسم- فعلى كاتبة هذا المقال أن تعتزل قلمها فورًا. وسؤالنا الأوحد هو: هل سيكون 1814 هو الموسم الذي يستسلم فيه الفيكونت لنعيم الزوجية الباهر؟

كاتبة هذا المقال...

لا تظن ذلك..

ليدي ويسلداون

صاحت كيت شيفيلد:

- دعيني أحرز، إنها تتحدث عن فيكونت بريدجرتون مرة أخرى.

نظرت إليها أختها غير الشقيقة إدوينا -التي تصغرها بأربعة أعوام تقريبًا- من خلف الجريدة ذات الصفحة الواحدة قائلة:

- كيف عرفتِ؟

- لأنكِ تقهقهين كالمخبولة.

قهقهت إدوينا، فاهتزت الأريكة الدمشقية الزرقاء التي جلست عليها كلتاهما.

قالت كيت وهي تلكز أختها بخفة على ذراعها:

- أرأيتِ؟ إنك دائمًا ما تقهقهين عندما تكتب ليدي ويسلداون عن أحد المخادعين البُغَضَاء.

ثم أعقبت كلامها بابتسامة. فلم يكن هناك ما هو أحب إلى كيت من مضايقة أختها. بغرض المزاح بالطبع.

نظرت إليهما ماري شيفيلد -والدة إدوينا وزوجة والد كيت منذ أكثر من ثمانية عشر عامًا- وقد رفعت عينيها عن التطريز الذي تقوم به وعدَّلت نظارتها فوق أنفها قائلة:

- ما الذي تضحكان عليه أنتما الاثنتان؟

أوضحت إدوينا:

- كيت تشعر بالضيق لأن ليدي ويسلداون عادت لتكتب عن الفيكونت المتحرر مرة أخرى.

قالت كيت:

- لست أشعر بالضيق.

ولكن لم يصغِ إليها أحد.

سألت ماري بشرود:

- بريدجرتون؟

أومأت إدوينا.

- نعم.

- إنها دائمًا ما تكتب عنه.

عقَّبت إدوينا:

- أظنّها تحب الكتابة عن المتحررين لا أكثر.

أجابت كيت بحدة:

- بالطبع إنها تحب الكتابة عن المتحررين. فلو كتبت عن أناس مملين، لن يبتاع أحد جريدتها.

ردَّت إدوينا:

- هذا ليس صحيحًا. قبل أسبوع فقط كتبت عنًّا، والرب وحده يعلم بأننا لسنا بالعائلة الأكثر إثارة للاهتمام في لندن.

ابتسمت كيت من سذاجة أختها. ربما لا تدخل كيت وماري ضمن فئة الأفراد الأكثر إثارة للاهتمام في لندن، لكن إدوينا بشعرها الزبدي وعينيها الزرقاوين المذهلتين، قد نالت بالفعل لقب «جميلة الجميلات» لعام 1814. أما كيت، صاحبة الشعر البني الداكن والعينين البنيتين، فعادةً ما يُشار إليها بلقب «الأخت الكبرى لجميلة الجميلات».

فكَّرت أن هناك ألقابًا أسوأ. على الأقل لم يطلق عليها أحدهم لقب «الأخت العانس لجميلة الجميلات»، الذي كان أقرب للواقع أكثر مما يودُّ آل شيفيلد الاعتراف به. ففي العشرين من عمرها -أو الحادية والعشرين تقريبًا، إن كان للمرء أن يتحرَّى الدقة.. صارت كيت أكبر سنًا بكثير من أن تستمتع بموسمها الأول في لندن.

بيد أنها لم تكن تملك حقًا خيارًا آخر. إن آل شيفيلد لم يكونوا يومًا أثرياء حتى عندما كان والدها على قيد الحياة. ومنذ توفِّي قبل خمس سنوات، أرغِموا على تقليل نفقاتهم أكثر من ذي قبل. لم يصل بهم الحال إلى العيش في الملاجئ بالطبع، ولكن بات عليهم تدبُّر كل قرش، واستثمار كل جنيه.

وفي ظل تلك الأوضاع المالية المتعسرة، لم يستطع آل شيفيلد تحمل كلفة أكثر من رحلة واحدة إلى لندن. إن استئجار منزل -وعربة- وتوظيف أقل قدر من الخدم من أجل الموسم، كل هذه الأشياء تكلِّف مالًا. مال أكثر مما يمكنهم إنفاقه مرَّتين. وهكذا عزموا أمرهم على الادخار لخمس سنوات كاملةٍ كي يستطيعوا تحمُّل تكلفة هذه الرحلة الوحيدة إلى لندن. وإذا شاء القدر ولم تنجح الفتاتان في سوق الزواج... حسنٌ، لن يزج بهما أحد إلى سجن

الغارمات، ولكن سيكون عليهما التطلُّع إلى حياة هادئة من الفقر النبيل في أحد الأكواخ الصغيرة البهيجة بسومرست.

ولهذا السبب اضطرت كلتا الفتاتين إلى القيام بظهورها الأول في العام نفسه. وقد تقرر أن الوقت الأنسب والأكثر منطقية هو عندما تُكمل إدوينا عامها السابع عشر بينما تقارب كيت الحادي والعشرين. ودَّت ماري لو كان بوسعها الانتظار حتى تصبح إدوينا في الثامنة عشر، وأكثر نضجًا بعض الشيء، لكن هذا سيجعل كيت في الثانية والعشرين تقريبًا، ومن عساه يتزوجها بحق السماء حينئذ؟

ابتسمت كيت بمرارة. فهي لم تُرِد حضور أي موسم بالأساس. كانت تعلم منذ البداية أنها ليست النوع الذي يجذب انتباه الوسط الرفيع. لم تكن جميلة بما يكفي لتدارك حقيقة أن أسرتها لا تملك مهرًا، ولم تتعلم يومًا كيف تبتسم بتكلف، وكيف ترفل وتتبختر في مشيتها، وكيف تفعل كل تلك الأشياء التي يبدو أن بقية الفتيات تعلّمن كيف يفعلنها في مهودهن. حتى إدوينا، التي لم تكن لديها ذرة مكر واحدة في جسمها، قد عرفت بشكل ما كيف تقف وتمشي وتتنهد، حتى صار الرجال يتقاتلون من أجل أن يحظوا فقط بشرف مساعدتها في عبور الشارع.

وفي المقابل، تقف كيت دائمًا منتصبة بكتفين مستقيمتين، ولا يسعها أن تجلس ساكنة وإن كانت حياتها مرهونة بذلك، وتمشي كما لو كانت تخوض سباقًا، ولمَ لا؟ لطالما تساءلت. فما دام الشخص ذاهبًا إلى مكانٍ ما، لم عساه يتباطأ في وصوله إلى هنالك؟

أما فيما يخص موسمها الحالي في لندن، فلم تكن حتى شديدة الإعجاب بالمدينة. نعم، حظيتْ بوقت ممتع بما فيه الكفاية، وقابلت قلة من الأشخاص اللطفاء، ولكن قضاء موسم في لندن بدا مضيعة رهيبة للوقت بالنسبة إلى فتاة كانت لترضى كل الرضا بالبقاء في الريف والعثور على رجل حكيم وعاقل تتزوجه هناك.

لكن ماري لم تكن لترضى بأيٍ من هذا. قالت:

- عندما تزوجت والدك، أقسمت أن أحبك وأحيطك بالرعاية والاهتمام تمامًا كما لو كنتِ طفلة من دمي.

تمكنت كيت من التفوه بكلمة «لكن..» قبل أن تقاطعها ماري لتستأنف قائلة:

- لديَّ مسؤولية تجاه أمك المسكينة، رحِمها الله، وجزء من هذه المسؤولية هي أن أراكِ سعيدة وآمنة مع زوجك.

أجابت كيت:

- يمكنني أن أكون سعيدة وآمنة في الريف.

ردت ماري:

- يمكنك الاختيار من بين قاعدة رجال أكبر في لندن.

وفي تلك اللحظة انضمت إدوينا للمحادثة، وأصرَّت على أنها ستكون تعِسة كليًا من دونها، ولأن كيت لا تطيق أن ترى أختها حزينة، فقد حسم ذلك مصيرها.

وها هي ذي؛ تجلس في غرفة استقبال باهتة بعض الشيء في منزل مستأجر بمنطقة راقية نوعًا ما في لندن، ثم...

رفعت راية المشاكسة... وقررت انتزاع الجريدة من قبضة أختها.

صرخت إدوينا:

- كيت!

وجحظت عيناها وهي تنظر إلى المثلث الورقي الصغير الذي بقي بين إبهامها وسبابتها اليمنى.

- لم أكُن قد انتهيت بعد!

قالت كيت بابتسامة عريضة:

- مرَّ زمن طويل وأنتِ تقرئينها. ثم إنني أريد أن أرى ما لدى ليدي ويسلداون لتقوله عن فيكونت بريدجرتون اليوم.

لاحت لمعة خبث في عيني إدوينا، اللتين عادةً ما تُشبهان البحيرات الأسكتلندية الهادئة، وقالت:

- تبدين اهتمامًا مريبًا بالفيكونت يا كيت. هل هناك شيء لا تخبريننا به؟

- لا تكوني سخيفة. إنني حتى لم ألتقِ الرجل وجهًا لوجه. وإن فعلت، فالأرجح أني سأركض في الاتجاه المعاكس. هذا الرجل بالتحديد من

النوع الذي على كلتينا تحاشيه بأي ثمن. إن بمقدوره أن يغوي جبلًا جليديًا.

صاحت ماري:

- كيت!

عبست كيت. كانت قد نسيت أن زوجة أبيها تسمع حديثهما. فاستطردت:

- حسنٌ إنها الحقيقة. لقد سمعت أنه قد حظي بعشيقات أكثر مما حظيت أنا بأعياد ميلاد.

نظرت إليها ماري لبضع ثوانٍ، وكأنها تحاول حسم أمرها فيما إن كانت سترد أم لا، ثم قالت أخيرًا:

- من غير اللائق أن أخبركما بهذا، لكن العديد من الرجال يحظون بعشيقات كُثُر.

- أوه!

توردت وجنتا كيت. فلا أحد يحب أن يُعارَض هكذا بينما يحاول إبداء رأي مهم.

- حسن، إذن فقد حظي هو بضِعف ما حظي به الآخرون. مهما يكن من أمر، فإنه أشدّ انحلالًا من معظم الرجال، وليس من النوع الذي ينبغي أن تسمح له إدوينا بالتودد إليها.

ذكّرتها ماري:

- إنه موسمك أنتِ أيضًا.

حدَّجتها كيت بنظرة سخرية. فجميعهن يعلمن أن الفيكونت لو أراد التودد إلى إحدى فتيات آل شيفيلد، فإنه لن يختار كيت.

قالت إدونيا وهي تهز كتفيها:

- لا أظن أن شيئًا في هذا المقال سيجعلك تغيرين رأيك.

ثم مالت ناحية كيت لتحظى برؤية أوضح للجريدة وتابعت:

- لم تقُل الكثير عن شخصه في الواقع. إنه أشبه بأطروحة عن موضوع التحرر الأخلاقي.

مسحت كيت بعينيها الكلمات المطبوعة. ثم قالت:

- هممم –كلمتها المفضلة للتعبير عن الازدراء– أراهن أنها على حق. على الأغلب لن يجد الفيكونت فتيلًا هذا العام.

تمتمت ماري مبتسمة:

- إنكِ دائمًا ما ترين ليدي ويسلداون على حق.

أجابت كيت:

- عادةً ما تكون كذلك. دعونا نعترف بأنها تتمتع بحسٍ ثاقب وفريد بالنسبة إلى كاتبة نميمة. لقد كانت على حق في تقييمها لكل الأفراد الذين التقيت بهم في لندن حتى الآن.

قالت ماري برفق:

- حريٌ بك أن تصدري أحكامَكِ بنفسك يا كيت. أنت أرقى من أن تبني آراءك على عمود صحفي مختص بالنميمة.

علِمت كيت أن زوجة أبيها محقة لكنها لم تُرد الاعتراف بالأمر، لذا اكتفت بقول «هممم» مرة أخرى، ثم عادت لتنظر إلى الجريدة بين يديها.

كانت ويسلداون دون شك الجريدة الأكثر تشويقًا في لندن قاطبة. لم تكن كيت واثقة متى بدأ عمود النميمة بالضبط –سمعت أنه حدث في وقتٍ ما من العام الفائت– لكنها كانت واثقة من شيء واحد. كائنة من كانت ليدي ويسلداون –التي لا يعرف هويتها الحقيقية أحد– فإنها على صلة وثيقة جدًا بالوسط الرفيع. لا بد أنها كذلك. إذ لا يمكن لمتطفل أو دخيل أن يُحيط علمًا بكل تلك الأقاويل والشائعات التي تكتبها في أعمدتها في كل أيام الإثنين والأربعاء والجمعة.

لطالما كانت ليدي ويسلداون على دراية بآخر المستجدات، وبعكس بقية كُتَّاب الأعمدة، لم تتردد يومًا حيال استخدام أسماء الناس وألقابهم بكل صراحة. فعندما قررت في الأسبوع الماضي مثلًا أن كيت لا تبدو جميلة في الأصفر، كتبت بوضوح الشمس قائلة: «اللون الأصفر يضفي على شعر الآنسة كاترين شيفيلد الداكن مظهر النرجس البري المحروق».

ولم تمانع كيت الإهانة. فقد سمعت أكثر من مرة أن المرء لا يمكن أن يعتبر نفسه قد «وصل» إلا إذا تلقَّى إهانته من ليدي ويسلداون. حتى إن إدوينا، التي حققت نجاحًا اجتماعيًا ساحقًا بكل المقاييس، شعرت بالغيرة لأن كيت وحدها هي من خُصت بالإهانة.

وعلى الرغم من أن كيت لم تحب مجيئها إلى لندن لحضور الموسم، فقد قدّرت أنها ما دامت ملزمة بالمشاركة في تلك الدوامة الاجتماعية، فلن يضيرها إن هي تجنبت الفشل الذريع المطبق. وإذا كان التعرض للإهانة في عمود النميمة هو بادرة نجاحها الوحيدة، حسنٌ، ليكن إذن. ستحصد كيت انتصاراتها بأي أرضٍ كانت.

وبالفعل، عندما تفاخرت بينولبي فيذرنجتون بأنها شُبِّهت بثمرة ليمون عاطبة في ثوبها الحريري البرتقالي، استطاعت كيت أن تلوح بذراعها وتطلق تنهيدة مسرحية قائلة:

- نعم، حسن، أنا نرجس بري محروق.

أعلنت ماري دون سابق إنذار وهي تدفع النظارة بسبابتها مرة أخرى:

- في يومٍ ما، سيكتشف أحدهم هُوية تلك المرأة الحقيقية، وعندها ستقع في ورطة.

نظرت إدوينا إلى أمها باهتمام قائلة:

- هل تعتقدين حقًا أن أحدًا يمكن أن يكشفها؟ لقد استطاعت حفظ سرها لما يزيد على العام الآن.

أجابت ماري:

- لا يمكن لشيء بهذا الحجم أن يبقى سرًا للأبد.

ثم غرست إبرتها في التطريز، وسحبت بها ضفيرة طويلة من الخيط الأصفر عبر النسيج.

- تذكّرا كلماتي. سينكشف السر إن عاجلًا أم آجلًا، وعندما يحدث، ستندلع فضيحة لم تريا لها مثيلًا من قبل في كل أرجاء المدينة.

أعلنت كيت وهي تقلب الجريدة ذات الصفحة الواحدة بين يديها:

- حسن، لو أنّي عرفت من هي، فثمة احتمال كبير أني سأتخذها صديقتي المفضلة. إنها مسلية لدرجة تفوق الوصف. وبغض النظر عما يقوله الآخرون، فإنها غالبًا ما تكون على حق.

في تلك اللحظة هرول نيوتن، كلب كورجي[1] بدين إلى حدٍ ما، داخلًا الغرفة.

---

(1) كلب رعي صغير الحجم يتميز بقامته القصيرة وذكائه الشديد.

سألت ماري:

- أليس من المفترض أن يبقى هذا الكلب بالخارج؟

ثم صرخت: كيت!

إذ انطلق الكلب ليقف عند قدمها ويلهث كأنما ينتظر قُبلة.

قالت كيت بلهجة آمرة:

- نيوتن، تعالَ إلى هنا فورًا.

نظر الكلب إلى ماري بتوق، ثم عاد متهاديًا باتجاه كيت، وقفز إلى الأريكة ووضع كفيه الأماميتين على حجرها.

قالت إدوينا:

- سوف يغطيكِ بالفراء.

هزَّت كيت كتفيها وهي تمسد فراءه الكثيف بلون الكراميل قائلة:

- لا أمانع.

تنهدَّت إدوينا، ثم مدَّت يدها لتعطي نيوتن تربيتة سريعة على أيِّ حال. ثم سألتها وهي تميل للأمام باهتمام:

- ماذا تقول أيضًا؟ فأحدهم لم يسمح لي بقراءة الصفحة الثانية.

ابتسمت كيت إثر تهكُّم أختها، ثم قالت:

ليس الكثير. أخبار عن دوق ودوقة هاستنجز، اللذين وصلا إلى المدينة في وقتٍ ما من بداية هذا الأسبوع على ما يبدو، وقائمة بالأطعمة التي قُدِّمت في حفل ليدي دانبوري الراقص، والتي تقول إنها «كانت لذيذة على غير المتوقع»، ووصف مؤسف لثوب السيدة فيذرنجتون الذي ارتدته يوم الإثنين الماضي.

عبست إدوينا.

- يبدو لي أنها تستمتع بانتقاد آل فيذرنجتون دونًا عن غيرهم.

قالت ماري وهي تضع تطريزها جانبًا لتقف:

- ولا عجب، فتلك المرأة لا تستطيع اختيار لون مناسب لثياب بناتها وإن لف قوس قزح نفسه بإحكام حول رقبتها.

صاحت إدوينا:

- أماه!

وضعت كيت يدًا على فمها وهي تحاول كتم ضحكتها. من النادر أن تطلق ماري مثل هذه التصريحات المتعنتة، لكنها عندما تفعل تُذهِل ابنتيها.

- حسنٌ، إنها الحقيقة. فهي لا تنفك تُلبِس ابنتها الصغرى ثيابًا برتقالية. أي أحد يمكنه أن يرى أن تلك الفتاة المسكينة تحتاج إلى الأزرق أو الأخضر النعناعي.

ذكرتها كيت قائلة:

- لقد ألبستِني ثوبًا أصفر.

- وأنا آسفة أني فعلت. هذا يعلّمني ألا أصغي لفتيات المتاجر. ما كان ينبغي لي التشكيك في حُكمي قط. سوف نحتاج إلى تعديل هذا الثوب ليناسب إدوينا لا أكثر.

ولمّا كانت إدوينا أقصر من كيت بطول رأس كامل وأهدأ منها لونًا بعدة درجات، فلم يكن هذا بمشكلة.

التفتت كيت لأختها وقالت:

- عندما تفعلين، احرصي على إزالة كشكشة الأكمام. فهي مربكة إلى حدٍ مروع. ثم إنها تسبب الحكة. كدت أقتلعها من جذورها هناك في منتصف حفل آشبورن الراقص.

أشاحت ماري بعينيها مغتاظة وهي تقول:

- هذا يعني أنك وجدتِ ذريعة ما لضبط نفسك. وإني من أجل هذا لممتنة ومتفاجئة في آن.

قالت إدوينا بابتسامة خبيثة:

- إنني متفاجئة لكني لست ممتنة. لكِ أن تتخيلي كم المرح الذي كانت ليدي ويسلداون لتحظى به لو فعلتِ.

قالت كيت وقد عادت إليها ابتسامتها:

- آه، نعم. أتخيل هذا بوضوح الآن. «النرجس البري المحروق تقطف بتلاتها».

أعلنت ماري وهي تهز رأسها من سلوكيات ابنتيها:

- سأصعد لأعلى. لا تنسيا أيتها الفتاتان أن ثمة حفلًا علينا حضوره هذا المساء. جديرٌ بكما أن تحصلا على القليل من الراحة قبل أن نخرج، بانتظارنا ليلة طويلة أخرى على الأرجح.

أومأت كيت وإدوينا وأخذتا تتمتمان بالوعود والتطمينات فيما جمعت ماري أدوات تطريزها وغادرت الغرفة. وبمجرد أن ذهبت، التفتت إدوينا إلى كيت وسألتها:

- هل قررتِ أي ثوب سترتدين الليلة؟

- الثوب الحريري الأخضر على ما أظن. أعلم أن عليَّ ارتداء الأبيض، لكني أخشى أنه لن يناسبني.

قالت إدوينا بإخلاص:

- ما دمتِ لن ترتدي الأبيض، فلن أرتديه إذن. سأرتدي ثوبي القطني الأزرق.

أومأت كيت تعبيرًا عن استحسانها، ثم عادت لتنظر إلى الجريدة في يدها، وهي تحاول تعديل وضعية نيوتن، الذي انقلب على ظهره مطالبًا أن تفرك بطنه.

- ظني أن الأزرق يليق بك بسبب تماشيه مع لون عينيك. في الأسبوع الماضي فقط قال السيد بيربروك إنكِ تبدين ملائكية في هذا اللون.

جفلت إدوينا من المفاجأة.

- السيد بيربروك قال ذلك؟ لمن؟ لكِ؟

رفعت كيت عينيها عن الجريدة قائلة:

- بالطبع. فجميع معجبيكِ يحاولون تمرير مغازلاتهم من خلالي.

- أيفعلون؟ لمَ عساهم يفعلون؟

ابتسمت كيت ببطء، ثم قالت:

- حسنٌ، أحسبُ يا إدوينا أن لهذا علاقة باللحظة التي أعلنتِ فيها للحضور جميعًا في حفل سميثي سميث الموسيقي أنكِ لا تنوين الزواج من أي أحد من دون مباركة أختك.

احمرَّت وجنتا إدوينا قليلًا وغمغمت:

- لم يكن للحضور جميعًا.

- بل كان على الأرجح. لقد انتشر الخبر كالنار في الهشيم. لم أكن حتى في الغرفة حينها ولم تكد تمضي دقيقتان حتى سمعت بالأمر.

عقدت إدوينا ذراعيها وقالت: «هممم» مما جعلها تبدو أشبه بأختها الكبرى نوعًا.

- حسن، إنها الحقيقة. ولست أبالي بمن يسمع بالأمر. أعلم أن الجميع ينتظرون مني زيجة رائعة وعظيمة، لكني لا أريد الزواج من رجلٍ يسيء معاملتي. فإذا استطاع رجل أن ينال إعجابك، فلا بد من أن لديه المقومات التي تجعله كُفْئًا لأي امرأة.

- هل يصعُب نيل إعجابي إلى هذا الحد؟

نظرت الأختان لبعضهما ثم أجابتا في صوتٍ واحد:

- نعم.

ولكن بينما ضحكت كيت مع أختها، أحست بوخزة الذنب تعتمل بداخلها. فجميع أفراد آل شيفيلد الثلاثة يعلمون أن إدوينا هي من ستسلب لُب أحد النبلاء، أو تتزوج واحدًا من الأثرياء. إدوينا هي من ستضمن أن أسرتها لن تضطر إلى عيش حياة الفقر النبيل. إدوينا هي صاحبة الجمال، أما كيت... كيت هي مجرد كيت.

وهذا ما كانت تتقبّله بصدرٍ رحب. إن جمال إدوينا ببساطة هو حقيقة واقعة. وثمة حقائق معينة عوَّدت كيت نفسها على تقبّلها منذ أمدٍ طويل. إنها لن تعرف أبدًا كيف ترقص الفالس من دون أن تقود الرقصة؛ وسوف تظل دائمًا وإلى الأبد خائفة من العواصف الرعدية، مهما أخبرت نفسها أن خوفها هذا سانج وسخيف، ومهما وضعت من ثياب، مهما صففت شعرها أو قرصت وجنتيها، فإنها لن تكون أبدًا بجمال إدوينا.

ثم إن كيت ليست متأكدة أن ذلك الاهتمام الذي ينهال كالسيل على إدوينا كان ليروق لها. لا، وما كانت لتستمتع، مثلما تنامى لإدراكها مؤخرًا، بمسؤولية وجوب أن تختار زوجًا ثريًا لتعيل أمها وأختها.

قالت كيت برفق، وقد اتخذت عيناها مظهرًا أكثر جدية:

- إدوينا، أنتِ لستِ مضطرة إلى الزواج من رجلٍ لا تحبينه. أنت تعلمين ذلك، صحيح؟

أومأت إدوينا، وقد بدت فجأة على وشك البكاء. تابعت كيت:

- إذا قررتِ أن ليس في لندن رجل نبيل واحد يناسبك، فليكن. ما علينا إذن سوى الرجوع إلى سومرست والتمتّع بصحبة أنفسنا. ليس لديّ من أحبه أكثر منكما على أي حال.

همست إدوينا:

- ولا أنا لديّ.

- وإن حدث وعثرتِ على رجلٍ تهيمين به عشقًا، فأنا وماري سنكون في منتهى السعادة. ليس عليكِ أن تقلقي بشأن تركك إيانا حتى. سنكون بخير حال بصحبة بعضنا بعضًا.

قالت إدوينا:

- ربما تعثرين على رجلٍ تتزوجينه أنتِ أيضًا.

ابتسمت كيت ابتسامة صغيرة قائلة: «ربما» قالتها على مضض عالمة أن هذا على الأرجح ليس صحيحًا. ليس لأنها تريد البقاء عانسًا طوال عمرها، وإنما لأنها استبعدت احتمالية أن تجد لنفسها زوجًا هنا في لندن. ثم استطردت بخبث:

- ربما يلتفت لي أحد معجبيك الولهانين حال أن يدرك استحالة حصوله عليك.

ضربتها إدوينا ضربة عنيفة بالوسادة قائلة:

- لا تكوني سخيفة.

احتجت كيت:

- لكني لست كذلك!

وهي لم تكن كذلك بالفعل. فبصراحة شديدة، بدا لها أن تلك هي الوسيلة الوحيدة التي يمكنها بها العثور على زوج في هذه المدينة.

سألتها إدوينا بنظرة حالمة:

- أتدرين أي نوع من الرجال أحب الزواج منه؟

هزت كيت رأسها.

- الطالب الجامعي.

- الطالب الجامعي؟

رددت إدوينا بإصرار:

- الطالب الجامعي.

تنحنحت كيت.

- لست واثقة إن كنتِ ستعثرين على العديد من هؤلاء في المدينة هذا الموسم.

ندَّت عن إدوينا تنهيدة صغيرة وقالت:

- أعلم. بيد أن الحقيقة -التي تعرفينها والتي أعلم أن عليَّ إخفاءها عن الملأ- هي أنني مولعة بالكتب. أفضِّل أن أقضي يومي في مكتبة عن أن أقضيه في التنزه جيئة ورواحًا في حديقة هايد بارك. لذا ظني أنّي سأستمتع بالحياة إن شاركتها مع طالب علم.

- صحيح.

ثم انطلق ذهن كيت يفكِّر بشكل محموم. من غير المرجح أنت تعثر إدوينا على طالب علم في سومرست أيضًا. قالت:

- أتدرين يا إدوينا، قد يصعب العثور على طالب علم حقيقي خارج المدن الجامعية. ربما تضطرين إلى الاكتفاء برجل يحب القراءة والتعلم مثلما تحبينهما.

قالت إدوينا بسرور:

- لا بأس بذلك. سأرضى كل الرضا بطالب علم هاوٍ.

تنفست كيت الصعداء. إذ ليس من الصعب العثور في لندن على شخص يحب القراءة.

أضافت إدوينا:

- أتعلمين ماذا أيضًا؟ ليس بإمكان المرء أن يحكم على كتاب من عنوانه. أي أحد يمكنه أن يكون هاويَ علم. ما يدريك، لعل فيكونت بريدجرتون نفسه الذي لا تنفك ليدي ويسلداون تتحدث عنه، لعله هو أيضًا مثقفٌ دون أن ندري.

- احفظي لسانك يا إدوينا. محال أن تربطك أي علاقة بفيكونت بريدجرتون. الكل يعلم أنه منحل. لا.. بل إنه أسوأ المنحلين جميعًا. في لندن بأسرها. في البلاد قاطبة! انتهى النقاش.

- أعي ذلك، أردتُ فقط أن أعطيكِ مثالًا. ثم إن غالب الظن أنه لن يختار عروسًا هذا العام على أي حال. هكذا قالت ليدي ويسلداون، وأنتِ نفسك قلتِ إنها على حق في أغلب الأحيان.

ربتت كيت على ذراع أختها.

- لا تقلقي. سنعثر لكِ على زوج مناسب. أما فيكونت بريدجرتون، فمرفوضٌ مرفوض مرفوض!

في تلك اللحظة بالذات، كان موضوع نقاشهما يستريح في وايت[1] مع اثنين من أشقائه الثلاث الأصغر سنًا منه، ويستمتع بكأسٍ من الشراب في ضوء شمس الأصيل.

استلقى أنطوني بريدجرتون في مقعده الجلدي، وأمعن النظر في كأسه وهو يحركه يمنة ويسرة، ثم أعلن قائلًا:

- أفكّر في الزواج.

بنيدكت بريدجرتون، الذي كان مستغرقًا في عادة تكرهها أمه -وهي النقر بثمالة على ساقي مقعده الخلفيتين- سقط إلى الخلف.

بينما كاد كولين بريدجرتون يختنق بشرابه.

من حسن حظ كولين أن استعاد بنيدكت مقعده بسرعة كافية ليضربه في الموضع الصحيح على ظهره، لتنطلق زيتونة خضراء محلّقة عبر الطاولة.

والتي بالكاد أخطأت أذن أنطوني.

ترك أنطوني تلك المهانة تمر دون تعليق. فقد كان يدرك جيدًا أن ذلك الإعلان المباغت كان كصدمة صغيرة.

حسنٌ، ربما أكثر من صغيرة. *تامة*، *هائلة*، مطبقة.. تلك هي الكلمات التي ترددت في ذهنه.

---

(1) أقدم نادٍ للرجال في لندن.

يعرف أنطوني أنه لم يكن مثالًا للرجل الذي اتخذه قدوة في ذهنه. لقد قضى العقد الأخير من حياته يتصرف بانحلال تام، يفعل ما يحلو له ويجني المتعة أينما ذهب. ذلك أن الحياة قصيرة كما يعلم جيدًا، ولا بد أن ينهل منها قدر المستطاع. آه، كان لديه ميثاق شرف خاص به مع ذلك. وهو أنه لا يعبث أبدًا مع فتاة حسنة التربية. أيّ امرأة يحق لها أن تطالبه بالزواج كانت محظورة عليه حظرًا تامًّا.

بفضل شقيقاته الأربعة الأصغر منه سنًا، ترسّخ لدى أنطوني قدر سليم من الاحترام لسمعة الفتيات المنحدرات من عائلات أصيلة. لقد كاد بالفعل يخوض نزالًا من أجل إحدى شقيقاته، لا لشيء غير إهانة تافهة تخصّ شرفها، الذي لم يمس فعليًا. وبالنسبة إلى شقيقاته الثلاثة الأخريات... فقد أقرَّ بصراحة أنه يرتعد هلعًا من فكرة أن تتورط إحداهن مع رجلٍ سيئ السمعة مثله.

كلا، محال أن يعبث مع شقيقة صغرى لسيد آخر ويسلبها سمعتها الحسنة.

أما بالنسبة إلى النساء الأخريات -الأرامل والممثلات اللاتي يعلمن مأربهن وما هن مقدمات عليه- فقد استمتع بصحبتهن حد الإسراف. فمنذ اليوم الذي غادر فيه أكسفورد واتجه غربًا إلى لندن، لم تخلُ حياته يومًا واحدًا من عشيقة.

بل إنها في بعض الأحيان لم تكن تخلو من عشيقتين، هكذا فكّر بشيء من السخرية.

خاض معظم سباقات الخيل التي أقامها المجتمع، وشارك في بعض مباريات الملاكمة بنادي جون جاكسون، وفاز بأدوار قمار لا تُحصى، -خسر عدة مرات أيضًا، لكنه يحب تناسي ذلك- قضى عشرينياته كلها في سعي دؤوب وراء المُتعة، لا يروّضه سوى حسه الطاغي بالمسؤولية تجاه أسرته.

حلّت وفاة إدموند بريدجرتون مفاجئة وغير متوقعة؛ لذا لم تسنح له فرصة أن يترك لابنه أي وصية قبل أن يهلك. لكنه لو فعل، فأنطوني على يقين من أن أباه كان ليطلب منه أن يعتني بأمه وإخوته، وأن يغدق عليهم من حبه واهتمامه مثلما كان هو نفسه ليفعل.

لذلك، خلال الفترة التي انغمس فيها أنطوني في حفلاته وسباقاته، كان قد أرسل إخوته لإتون وأكسفورد، وذهب إلى عدد مذهل من حفلات البيانو

التي قدمتها أخته -لم يكن ذلك بالمهمة السهلة؛ ثلاثٌ من كل أربع حفلات كانت محض نشاز-، وأبقى عينًا يقظة وحريصة على الوضع المالي للأسرة. فقد رأى أن من واجبه تجاه إخوته السبعة أن يحرص على أن يكون هناك ما يكفي من المال لتأمين مستقبل كل منهم على حدة.

ولكن مع اقترابه من سن الثلاثين، أدرك أنه صار يقضي وقتًا أطول في الاعتناء بإرثه وعائلته ووقتًا أقل في سعيه القديم وراء الترف والمتعة. كما أدرك أن ذلك صار يروق له. كان لم يزل يحتفظ بعشيقة، لكن ليس أكثر من واحدة في المرة، واكتشف أنه لم يعد يشعر بحاجة ملحة لخوض كل سباق خيل، أو للبقاء حتى وقت متأخر في حفل فقط ليفوز بآخر دور قمار.

ظلت سمعته السيئة ملتصقة به بالطبع. ولم يمانع أنطوني ذلك في الواقع. ثمة مزايا معينة تأتي مع كونه المنحل الأبشع على الإطلاق في إنجلترا. على سبيل المثال، كان الجميع يتحاشونه.

أعجبه ذلك إلى حين.

غير أن وقت الزواج قد أزف. صار محتمًا عليه أن يستقر ويحظى بابن من صلبه. ثمة لقب عليه تمريره للأجيال القادمة بالرغم من كل شيء. شعر بوخزة ندم شديدة –وربما لمحة من الذنب أيضًا– إزاء حقيقة أنه على الأرجح لن يحيا ليرى ابنه في سن الرشد. ولكن ماذا عساه أن يفعل؟ إنه سليل آل بريدجرتون والابن الأكبر للأسرة، تمامًا مثلما كان والده، وتمامًا مثلما كان جده وثمانية أجداد من قبله. كانت على عاتقه مسؤولية حفظ السلالة، مسؤولية أن يتكاثر.

بجانب أنه وجد بعض العزاء بمعرفته أنه سيترك من بعده ثلاثة إخوة مقتدرين وعطوفين. سيحرصون على أن ينشأ ابنه على الحب والشرف اللذين حظي بهما كل من أفراد بريدجرتون. أما أمه وشقيقاته فسوف يحملن مسؤولية الإفراط في تدليله.

ابتسم أنطوني بعفوية وهو يفكر في أسرته الكبيرة، الصاخبة في كثير من الأحيان. لن يحتاج ابنه إلى أبٍ كي يحظى بالحب.

ومهما أنجب من أطفال –حسنٌ، الأرجح أنهم لن يتذكروه بعد رحيله-؛ سيكونون صغارًا، لم يكتمل وعيهم بعد. فلم يغب عن ذهن أنطوني أنه من

بين جميع أطفال بريدجرتون، كان هو -أكبرهم- أشدهم حزنًا وتضررًا من وفاة والده.

أخذ أنطوني رشفة أخرى من كأسه واعتدل في جلسته، طاردًا من ذهنه تلك التأملات الموجعة. إنه بحاجة إلى التركيز على المسألة التي بين يديه، ألا وهي البحث عن زوجة.

ولكونه رجلًا ذا رؤية ثاقبة ومولعًا بالنظام إلى حد ما، وضع قائمة ذهنية بكل الشروط الواجب توافرها في فتاة هذا المنصب. أولها، لا بد أن تكون جذابة بدرجة ما. ليس من الضروري أن تكون فاتنة الجمال -ولو أن هذا سيكون لطيفًا-، ولكن ما دام سيضطر إلى مطارحتها الغرام، فقد خمّن أن قليلًا من الجاذبية من شأنه أن يزيد المسألة متعة.

ثانيها، لا يمكن أن تكون غبية. قدّر أنطوني أن هذا هو أصعب شروطه تحقيقًا. لم يكن مبهورًا بصفة عامة بالمهارات الذهنية لفتيات لندن. آخر مرة أخطأ فيها وانخرط في محادثة مع فتاة متعجرفة تخرّجت توًا من المدرسة، لم تستطع مناقشة أي شيء بخلاف الطعام -كانت تمسك حينها بصحن من الفراولة- والطقس، حتى هذا لم توفّق فيه؛ فعندما سألها أنطوني إن كانت تظن أن الجو سيسوء بالخارج، أجابت: وما يدريني؟ لم أسافر قط للخارج.

ربما بإمكانه أن يتفادى الحديث مع زوجة غير ذكية، لكنه لم يُرِد لأطفاله أن يكونوا أغبياء.

ثالثها -والأهم على الإطلاق- لا يمكن أن تكون إنسانة قد يقع يومًا في حبها.

هذه هي القاعدة التي لن يخرقها تحت أي ظرف.

لم يكن صاحب فلسفة تشاؤمية بالكامل؛ كان يعرف أن الحب الحقيقي موجود. أي أحد سبق له أن جلس في نفس الغرفة مع أبويه يعرف أن الحب الحقيقي موجود.

لكن الحب يحمل من التعقيدات ما يفضّل تجنبه. لم يرد لحياته أن تشهد تلك المعجزة بالذات.

ولأن أنطوني اعتاد الحصول على ما يريد، لم يراوده شك في أنه سيعثر على امرأة ذكية وجذابة يمكنه معها ألا يقع في الحب أبدًا. وما الصعب في

ذلك؟ إنه حتى لو راح يبحث عن حب حياته هنا وهناك، فإن احتمالات عثوره عليه ضئيلة جدًا. هذا هو حال أغلب الرجال.

- ربّاه يا أنطوني! لمَ كل هذا العبوس؟ لا تقُل إنها الزيتونة. لقد رأيتها بوضوح ولم تمسَسْك حتى.

أخرجه صوت بنيدكت من خيالاته، فرمش بضع مرات قبل أن يجيبه:

- لا شيء. لا شيء على الإطلاق.

لم يخبر أنطوني أحدًا بأفكاره عن موته المبكر، ولا حتى إخوته. لم يكن هذا مدعاة للفخر أو التباهي. اللعنة، لو أن أحدًا قد أتى إليه ليخبره بالشيء نفسه، ربما كان هو نفسه ليسخر منه ثم يطرده شر طردة.

لكن أحدًا لا يمكنه أن يدرك عُمق الرابطة التي أحس بها مع أبيه. إن أحدًا محال أن يدرك ما يشعر به أنطوني حتى النخاع، وكيف أنه يعلم ببساطة أنه لن يعيش أبدًا أطول مما عاش أبوه. كان إدموند كل شيء بالنسبة إليه. لطالما تمنى أن يكون رجلًا عظيمًا مثله، عالمًا أن هذا غير وارد، لكنه يمضي محاولًا على أي حال. فأن يتفوق على إدموند -بأي شكل- كان هذا بالنسبة إليه مستحيلًا بكل المقاييس.

لقد كان والده، ببساطة شديدة، أعظم رجلٍ قابله في حياته، ربما أعظم رجلٍ عاش يومًا على الأرض. فأن يظن نفسه قادرًا على أن يكون ما هو أكثر، بدا هذا حلمًا مفرطًا في الغرور.

لقد تغيّر فيه شيء ليلة أن مات أبوه، حينما بقي في غرفة والديه بصحبة الجثمان. لقد جلس هناك لساعات، يراقب أباه ويحاول باستماتة تذكّر كل لحظة تشاركاها معًا. كم كان سهلًا أن ينسى التفاصيل الصغيرة، كيف يقرص إدموند ذراع أنطوني كلما احتاج الأخير إلى تشجيع. أو كيف يردد من الذاكرة أغنية بالثازار *Sigh No More* من مسرحية «كثير من اللغط حول لا شيء» لشكسبير ليس لأنه يظن أن لها دلالة خاصة، بل لأنها تُعجبه لا أكثر.

وعندما خرج أنطوني من الغرفة أخيرًا، وبدأت خيوط الفجر تشق السماء، صار موقنًا بطريقة ما أن أيامه في الحياة معدودة، تمامًا مثلما كانت أيام إدموند.

قال بنيدكت، مقتحمًا أفكاره مرة أخرى:

- هات ما عندك. لن أعطيك بنسًا واحدًا مقابل أفكارك، فأنا واثق أنها لا يمكن أن تستحق مثل هذا المبلغ، ولكن بمَ تفكر؟

اعتدل أنطوني في جلسته فجأة، عازمًا أن يعيد انتباهه إلى المسألة التي بين يديه. عليه أن يختار عروسًا، وتلك ليست بالمهمة الهينة. سأل قائلًا:

- من الفتاة التي هي جوهرة الموسم؟

سكت أخواه برهة ليفكّرا في إجابة، ثم قال كولين:

- إدوينا شيفيلد. مؤكّد أنك رأيتها. فتاة قصيرة نوعًا، شقراء، زرقاء العينين. يمكنك في العادة تمييزها من قطيع العُشّاق الولهانين الذين يتبعونها في كل مكان.

تجاهل أنطوني دعابة أخيه وسأل:

- هل هي ذكية؟

جفل كولين، كما لو أن السؤال عن ذكاء امرأة لم يخطر بباله قط.

- نعم، أحسبها كذلك. سمعتها مرة تناقش علم الأساطير مع ميدلثورب، وبدا أن لها رأيًا صائبًا.

قال أنطوني، وهو يضع كأسه على الطاولة بحسم:

- جيد. سأتزوجها إذن.

الفصل الثاني

22 أبريل، 1814 **جريدة المجتمع**

شوهد فيكونت بريدجرتون في حفل هارتسايد الراقص وهو يرقص مع أكثر من ليدي كريمة. وهو سلوك لا يمكن أن نصفه إلا بأنه «عجيب» بالنسبة إلى بريدجرتون، الرجل الذي اعتاد تجنّب الآنسات اللائقات بإصرار كنا لنعده مذهلًا، لولا أنه يسبب إحباطًا شديدًا لكل أم تبحث عن زوجٍ لكريمتها.

هل يعقل أن يكون الفيكونت قد قرأ العمود السابق لكاتبة هذا المقال، وبدافع من ذلك العند المتأصل في كل رجال البشر، قرّر أن يثبت خطأها؟

قد يبدو للقارئ أن كاتبة هذا المقال تنسب لنفسها اهتمامًا أكبر مما تستحق، لكن الرجال يتخذون قراراتهم معتمدين على أشياء أتفه من ذلك بكثير.

ليدي ويسلداون

بحلول الحادية عشرة من ذاك المساء، كانت مخاوف كيت كلها تحققت.

طلب أنطوني بريدجرتون من إدوينا أن تشاركه الرقص.

والأسوأ أن قبِلَت إدوينا.

والأسوأ بعدُ أن أخذت ماري تحدّق إلى الثنائي كما لو أنها تودّ أن تحجز كنيسة من أجل تلك اللحظة.

لكزت كيت زوجة أبيها وهمست بحدّة:

- هلّا كففتِ عن هذا؟

- عن ماذا؟

- النظر إليهما بهذه الطريقة!

جفلت ماري قائلة:

- أي طريقة؟

- كما لو أنك تخططين لإفطار زفافهما.

«أوه!». توردت وجنتا ماري بحمرة الذنب.

- ماري!

اعترفت ماري:

- حسنٌ، ربما فعلت. وهل لي أن أسأل ما الضير في ذلك؟ إنه زوج ممتاز لإدوينا.

- هل سمِعت ما قُلناه هذا الصباح في غرفة الاستقبال؟ يكفي سوء أن إدوينا محل اهتمام العديد من المنحلين والمحتالين. لن تتخيلي كم استغرقتُ وقتًا كي أميّز خطّابها الجيدين من الفاسدين. ولكن بريدجرتون! -ارتعدت كيت- إنه على الأغلب أسوأ المنحلين في لندن بأسرها. لا يمكنك مباركة زواج إدوينا من رجل مثله.

قالت ماري بحدّة:

- كاترين جريس شيفيلد، إياكِ أن تخبريني بما يمكنني أو لا يمكنني فعله.

تصلّب عمودها الفقري فزادها طولًا -لكنها ظلّت مع ذلك أقصر من كيت بطول رأس كامل-. تابعت:

- إنني ما زلت أمك. حسنٌ، ما زلت زوجة أبيكِ. فلتضعي اعتبارًا لهذا.

أحسّت كيت فجأة كما لو كانت حشرة. بحياتها لم تعرف أمًا سوى ماري، ولم تحس يومًا، ولو مرة، أن ماري تكنّ لها حبًا أقل من إدوينا. لقد دثّرتها في الفراش ليلًا، وقصّت عليها الحكايات، وقبّلتها، واحتضنتها، وساعدتها على اجتياز السنوات الحرِجة بين الطفولة والبلوغ. الشيء الوحيد الذي لم تفعله هو أن تطلب من كيت أن تناديها بـ «أمي».

نظرت كيت لقدميها وقد ملأها الخزي، ثم قالت بصوتٍ هادئ:

- إن لهذا اعتبارًا بالفعل. له اعتبار كبير. أنتِ أمي. بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

نظرت ماري إليها مطوّلًا، ثم أخذت تطرف عينيها بغضب. قالت بصوتٍ يختنق بالعبرات، وهي تبحث في حقيبتها عن منديل:

- آه يا إلهي! لن تكفّ دموعي بسببك عن الانهمار الآن.

تمتمت كيت وهي تربّت على زوجة أبيها:

- آسفة. آه، مهلًا، استديري كي لا يراكِ أحدٌ. أحسنتِ.

أخرجت ماري منديلًا أبيض من الكتان ومسحت به عينيها، اللتين تشبهان في زرقتهما عينَي إدوينا. قالت:

- أنا فعلًا أحبّك يا كيت. أنتِ تعلمين ذلك، صحيح؟

أجابت كيت: «بالطبع!» وقد صدمها أن ماري تسأل حتى. «وأنتِ أيضًا تعلمين... تعلمين أنني...».

ربّتت ماري على ذراعها قائلة:

- أعلم. بالطبع أعلم. المشكلة أنكِ إذا قبلتِ بأن تكوني أمًا لطفلة ليست من دمِك، تتضاعف مسؤوليتك نحوها. يتحتّم عليكِ العمل بكدٍ فوق كدّك من أجل أن تضمني سعادة تلك الطفلة وسلامتها.. آه، إنني فعلًا أحبك يا كيت، وأحب إدوينا.

وعند ذِكر إدوينا، التفتت كلتاهما لتنظرا عبر القاعة إليها وهي ترقص ببهاء مع الفيكونت. كالعادة، كانت إدوينا طيفًا من الحُسن الخالص. تدلّى شعرها الأشقر في ذيل حصان تاركًا بعض الخصلات الشاردة لتزين وجهها. تهادَت في رقصتها بخطوات رشيقة وقد تمخّض مظهرها كله عن جمال لا تشوبه شائبة.

لاحظت كيت بحنق أن الفيكونت كان وسيمًا بوضوح. يرتدي حُلة من اللونين الأبيض والأسود الداكن، متجاهلًا بذلك الألوان المبهرجة الدارجة بين الأعضاء الأكثر تأنّقًا في الوسط الرفيع. كان طويل القامة، يقف بشموخٍ وفخر، ذا شعر كستنائي يميل للسقوط من حين لآخر على حاجبه.

كان، في ظاهره على الأقل، كل ما ينبغي أن يكونه الرجل.

غمغمت ماري:

- إنهما يشكّلان ثنائيًا جميلًا، أليسا كذلك؟

عضت كيت على لسانها. عضت عليه حرفيًا. تابعت ماري:

- إنه طويل بعض الشيء مقارنةً بها. لكني لا أظنها عقبة مستعصية، ما رأيك؟

شبكت كيت يديها معًا حتى انغرزت أظفارها في جلدها. قال هذا الكثير عن قوة قبضتها التي أحسّت بها عبر قفازيها.

ابتسمت ماري. لاحظت كيت أن ابتسامتها تحمل شيئًا من الخبث. فأخذت ترمق زوجة أبيها بارتياب.

سألت ماري:

- إنه يرقص ببراعة، ألا تظنين ذلك؟

انفجرت كيت قائلة:

- هو لن يتزوج إدوينا!

وفي الحال اتسعت ابتسامة ماري قائلة:

- كنت أتساءل إلى متى ستستطيعين التزام الصمت.

أجابت كيت وهي تعض حرفيًا على كل كلمة:

- خذلتني قدرتي على الاحتمال.

- نعم، كان هذا واضحًا.

- ماري، أنتِ تعلمين أنه ليس من النوع الذي نريده زوجًا لإدوينا.

أمالت ماري رأسها قليلًا ورفعت حاجبيها قائلة:

- ظنّي أن الأحرى بنا أن نسأل إن كان من النوع الذي تريده (إدوينا) زوجًا لإدوينا.

أجابت كيت بحدة:

- إنه ليس ذلك أيضًا! لقد أخبرتني هذا الصباح أنها تريد الزواج من طالب جامعي. طالب جامعي!

ثم أشارت برأسها نحو الأبله داكن الشعر الذي يرقص مع أختها واستطردت:

- هل يبدو لك هذا طالبًا جامعيًا؟

- لا، ولكن من هذا المنظور أنتِ أيضًا لا تبدين رسّامة ألوان مائية ماهرة، لكنّي أعرف أنك كذلك.

ابتسمت ماري في ظفر -مما أثار حنق كيت بشدة- وانتظرت إجابتها.

قالت كيت من بين أسنانها:

- معكِ حق في أننا لا ينبغي أن نحكم على المرء من مظهره، لكن لا بد أنك تتفقين معي. فمن كل ما سمعناه عنه، لا يبدو الفيكونت من النوع الذي يقضي نهاراته منكبًا على الكتب المغبّرة في المكتبة.

قالت ماري مفكرة:

- ربما لا، لكني حظيت بمحادثة لطيفة مع والدته في وقت سابق هذا المساء.

- والدته؟ (حاولت كيت فهم ما يحدث) ما علاقة ذلك بأي شيء؟

هزت ماري كتفها:

- إنّي لأجد صعوبة في تصديق أن تلك السيدة الكريمة الذكية يمكن أن تربّي رجلًا ثم لا يصبح من خيرة الرجال، بغض النظر عن سمعته.

- ولكن ماري...

قاطعتها ماري بتعالٍ:

- عندما تصبحين أمًا، ستفهمين ما أقصده.

- ولكن...

قاطعتها ماري بحسم هذه المرة وبنبرة مختلفة تمامًا:

- هل سبق وأخبرتك كم تبدين جميلة في هذا الثوب الأخضر؟ يسرّني أن اختيارنا كان موفقًا.

نظرت كيت ببلاهة لأسفل إلى ثوبها، متسائلة لمَ بحق السماء غيرت ماري الموضوع فجأة هكذا.

- هذا اللون يناسبك. لن أسمح أن تدعوكِ ليدي ويسلداون بورقة عُشب محروقة في عمود يوم الجمعة!

حدّقت كيت إلى ماري بارتياع. ربما تشعر زوجة أبيها بالحمّى. كانت قاعة الرقص شديدة الازدحام بالفعل وصار الجو خانقًا.

ثم شعرت بماري تلكزها بإصبعها مباشرةً أسفل كتفها اليسرى فأدركت أن ثمة خطبًا ما.

وفجأة صاحت ماري بجذل وكأنها فتاة صغيرة:

- سيد بريدجرتون!

أدارت كيت رأسها بفزع لترى رجلًا شديد الوسامة يقترب منهما. رجل شديد الوسامة بدا شديد الشبه بالفيكونت الذي يرقص حاليًا مع أختها.

بلعت ريقها. كان إما هذا أو أن تترك فمها مفتوحًا.

قالت ماري مجددًا:

- سيد بريدجرتون! كم هو لطيف أن أراك! هذه ابنتي كاترين.

أخذ يدها الخرقاء في قفّازها ومنحها قبلة هوائية على مفاصل أصابعها. هوائية لدرجة أن أحسّت كيت أنه لم يقبّلها أصلًا.

تمتم:

- آنسة شيفيلد.

استطردت ماري:

- كيت، هذا هو السيد كولين بريدجرتون. التقيته في وقت سابق هذا المساء أثناء حديثي مع والدته، ليدي بريدجرتون.

ثم التفتت إلى كولين وقالت بابتسامة مشرقة:

- إنها سيدة لطيفة حقًا.

أجاب بابتسامة عريضة:

- هذا ما نظنه نحن أيضًا.

انفجرت ماري ضاحكة بشدة لدرجة أن أحسّت كيت أنها ستتقيّأ.

قالت ماري مجددًا:

- كيت، السيد بريدجرتون هو شقيق الفيكونت.

ثم أضافت بلا داع:

- الذي يرقص مع إدوينا.

أجابت كيت:

- نعم، خمّنت ذلك.

حدّجها كولين بريدجرتون بنظرة جانبية، وأدركت على الفور أنه لاحظ السخرية المُبهمة في نبرتها.

قال بأدب:

- من دواعي سروري أن ألتقيكِ أيتها الآنسة شيفيلد. وآمل أن تسمحي لي برقصة هذا المساء.

تنحنحت قائلة:

- أنا! بالطبع. لي الشرف.

قالت ماري وهي تلكزها بخفة:

- أعطيه بطاقة الرقص خاصتك يا كيت.

- أوه! نعم، بالطبع.

اضطربت كيت وهي تخرج بطاقة الرقص المربوطة على معصمها بشريط أخضر أنيق. أزعجها اضطرابها قليلًا، لكنها عزته إلى الظهور المفاجئ وغير المتوقع لهذا الأخ غير المعروف لبريدجرتون. والأهم إلى الحقيقة المؤسفة وهي أنها حتى في أفضل الظروف لم تكن يومًا الفتاة الأكثر رشاقة في الغرفة.

سجّل كولين اسمه لمشاركتها إحدى الرقصات في وقتٍ لاحق هذا المساء، ثم سألها إن كانت تودّ السير معه إلى طاولة شراب الليمون.

قالت ماري قبل أن تستطيع كيت الرد:

- اذهبي، اذهبي. لا تقلقي بشأني. سأكون على خير ما يرام من دونك.

اقترحت كيت قائلة:

- يمكنني أن أحضر لك كوبًا.

وهي تحاول أن ترمي زوجة أبيها بنظرة ساخطة دون أن يلاحظ السيد بريدجرتون.

- لا تتعبي نفسك. الواقع أن عليَّ العودة إلى موقعي بين بقية الأمهات والمرافقين.

ثم أخذت ماري تلتفت يُمنة ويسرة بشكل محموم حتى وقعت عيناها على وجهٍ مألوف.

- آه، انظري، ها هي ذي السيدة فيذرنجتون. لا بد أن أذهب. بورشا! يا بورشا!

راقبت كيت زوجة أبيها وهي تنسحب بسرعة حتى غابت عن الأنظار قبل أن تلتفت إلى السيد بريدجرتون. ثم قالت بجفاء:

- أعتقد أنها لا تريد أيًّا من شراب الليمون.

التمعت عيناه الزمرديتان بمرح وقال:

- إما هذا أو أنها تنوي الركض طوال الطريق إلى إسبانيا لاقتطاف ثمار الليمون بنفسها.

ضحكت كيت رغمًا عنها. أبَت أن تُعجَب بالسيد كولين بريدجرتون. الواقع أنها لا تريد أن تُعجَب بأيٍ من أفراد آل بريدجرتون بعد كل ما قرأته عن الفيكونت في الجريدة. لكنها تعلم في قرارة نفسها أن من غير العدل أن تحكم على رجلٍ بناءً على آثام شقيقه، لذلك أرغمت نفسها على التساهُل قليلًا. سألته:

- أتشعر بالعطش، أم كان اقتراحك من باب الأدب لا أكثر؟

ابتسم بخبث قائلًا:

- وهل كنت يومًا غير مؤدّب؟ لكني أشعر بالعطش أيضًا.

ألقت كيت نظرة على تلك الابتسامة، التي أصبحت أشدّ فتكًا مع عينيه الخضراوين، وكادت تئن. تنهدت قائلة:

- أنت أيضًا منحل.

شرِق كولين، لم تعلم كيت بماذا، لكنه شَرِق على أي حال.

- أستميحك عذرًا؟

احمرّ وجه كيت إذ أدركت بارتياع أن أفكارها خرجت مسموعة.

- كلا، إنني أنا من ألتمس عُذرك. رجاءً سامِحني. كان ذلك وقحًا بشكل لا يُغتفر.

- لا، لا. (قالها بسرعة وقد بدا عليه الاهتمام الشديد، وإن خلا وجهه من الاستمتاع) أكملي من فضلك.

ابتلعت كيت ريقها. لم يعُد أمامها من مخرج الآن. تنحنحت قائلة:

- إنني فقط... إن كان لي أن أكون صريحة...

أومأ برأسه، وقد أخبرتها ابتسامته المتوارية أنه لا يتخيّل منها أي شيء سوى الصراحة.

تنحنحت كيت مرة أخرى. الحق أن تنحنحها قد زاد لدرجة سخيفة. فقد بدَت وكأنها ابتلعت لتوها ضفدعًا. قالت أخيرًا:

- خطر لي أنك مثل أخيك إلى حدٍ ما، هذا كل ما في الأمر.

- أخي؟

قالت:

- الفيكونت.

وهي تفكِّر في مدى بداهة ذلك.

قال موضّحًا:

- لديّ ثلاثة إخوة.

أحسَّت بالغباء. قالت:

- آه. أنا آسفة.

قال بانفعال:

- وأنا أيضًا يؤسفني ذلك. إنهم مزعجون إلى حد مروع في أغلب الأوقات.

اضطرت كيت أن تسعل لتغطّي على شهقة الصدمة.

قال بتنهيدة ارتياح مفتعلة:

- لكنك على الأقل لم تشبّهيني بجريجوري.

ثم رمقها بنظرة جانبية مرحة وتابع:

- إنه في الثالثة عشرة من عمره.

لاحظت كيت ابتسامة عينيه وأدركت أنه يتلاعب بها منذ البداية. هذا ليس رجلًا يتمنى أن يودي بإخوته إلى الجحيم. سألته:

- أنت مُخلص لأسرتك، ألست كذلك؟

اتخذت عيناه، اللتان كانتا تضحكان طوال المحادثة، نظرة شديدة الجدية، وقال من دون حتى أن يرمش:

- حتى النخاع.

فقالت كيت بوضوح:

- وأنا أيضًا.

- وهذا يعني؟

علمت أن الأسلم لها أن تمسك لسانها لكنها أجابت على أي حال:

- يعني أنني لن أسمح لأي أحد بأن يحطِّم قلب أختي.

ظل كولين صامتًا برهة، والتفت ببطء ليراقب أخاه وإدوينا، اللذين أنهيا توًا رقصتهما. ثم تمتم قائلًا:

- فهمت.

- أحقًا فعلت؟

- نعم، بالطبع.

وصلا إلى طاولة شراب الليمون، مدَّ يده ليأخذ كوبين وناولها واحدًا. بلغ عدد الأكواب التي تجرَّعتها كيت هذا المساء ثلاثة بالفعل. وهي الحقيقة التي كانت موقنة بأن ماري تعلمها جيدًا حينما أصرّت على أن تحظى كيت بالمزيد. لكن الجو كان حارًا في قاعة الرقص -دائمًا ما يكون الجو حارًا في قاعات الرقص- وقد عاودها الشعور بالعطش.

أخذ كولين رشفة على مهل، وهو يراقبها من فوق كوبه، ثم قال:

- إن أخي ينوي الاستقرار هذا العام.

يمكن لكليهما أن يلعبا هذه اللعبة، هكذا فكّرت كيت. أخذت رشفة من شراب الليمون -ببطء- قبل أن تتكلم قائلة:

- أهكذا إذن؟

- أنا خير من يعلم.

- الكل يعرف أنه منحلٌّ أخلاقيًا إلى حد بعيد.

نظر إليها كولين بإمعان قائلًا:

- هذا صحيح.

- يصعب عليَّ تخيُّل أن مخادعًا سيئ السمعة مثله يمكن أن يرضى بالاستقرار مع امرأة واحدة وأن يجد السعادة في زواجه بها.

- يبدو أنك أوليتِ هذا السيناريو قدرًا كبيرًا من التفكير أيتها الآنسة شيفيلد.

رمقته بتحدٍ قائلة:

- أخوك ليس أول رجلٍ ذي طابع مشبوه يتودد لأختي أيها السيد بريدجرتون. وكُن على يقين من أنني لا أتهاون في سعادة أختي.

- ما أعلمه يقينًا هو أن أي فتاة ستجد السعادة في زواجها من سيد نبيل صاحب لقب وثراء. أليس هذا الهدف من مواسم الزواج في لندن؟

اعترفت كيت:

- ربما، لكني أخشى أن طريقة التفكير تلك لن تحل المشكلة التي أمامنا.

- أي مشكلة؟

- مشكلة أن انفطار قلب الفتاة مع زوجها يكون أشدَّ وطأة بكثير منه مع مجرد خاطب.

ابتسمت –ابتسامة صغيرة واثقة– ثم تابعت:

- ألا تظن ذلك؟

- لم أتزوج من قبل، لذا لست في موضع يؤهلني للتكهّن.

- يا للعار! خاب أملي فيك يا سيد بريدجرتون! كان ذلك أوهى أنواع المراوغة.

- فعلًا؟ حسبتُ حقًا أنه الأفضل. من الواضح أنّي بدأت أفقد براعتي.

- أخشى أن هذا لن يزعجني أبدًا.

أتت كيت على ما تبقى من شرابها. كان كوبًا صغيرًا؛ فقد اشتُهرَت ليدي هارتسايد –مضيفة الحفل– ببخلها الشديد.

قال:

- طيبة قلبك لا مثيل لها.

ابتسمت، ابتسامة حقيقية هذه المرة. قالت:

- نادرًا ما تُنسب إليَّ هذه التهمة أيها السيد بريدجرتون.

ضحك كولين، بصوتٍ عال وواضح في منتصف قاعة الرقص. وفجأة أدركت كيت بضيق أنهما قد صارا محل العديد من نظرات الفضول.

قال، وما زال يبدو عليه الاستمتاع الصادق:

- أنتِ.. يجب أن تقابلي أخي.

قالت بعدم تصديق:

- الفيكونت؟

اعترف قائلًا:

- حسنٌ، ربما تستمتعين بصحبة جريجوري أيضًا، لكنه كما أخبرتك لم يتجاوز بعد الثالثة عشرة، ومن المرجح أن يضع ضفدعًا على مقعدك.

- وماذا عن الفيكونت؟

قال بجدية شديدة:

- من المستبعد أن يضع ضفدعًا على مقعدك.

لن تعلم كيت أبدًا كيف استطاعت منع نفسها من الضحك. أبقت شفتيها جادتين وقالت:

- فهمت. لديه إذن الكثير من الصفات الحميدة التي تجعله زوجًا جيدًا.

ابتسم كولين قائلًا:

- إنه ليس سيئًا لهذا الحد.

- يا لها من راحة! عليَّ إذن أن أبدأ بتخطيط إفطار الزفاف على الفور.

فغر كولين فمه مشدوهًا.

- لم أقصد أن... عليك ألا... أعني أن هذه الخطوة ربما سابقة لأوانها...

أشفقت كيت عليه وقالت:

- كنت أمزح.

احمرّ وجهه قليلًا.

- أكيد.

- والآن إذا سمحت لي، يجب أن أودّعك.

رفع حاجبيه.

- هل ستغادرين الحفل باكرًا هكذا أيتها الآنسة شيفيلد؟

- كلا، إطلاقًا.

لكنها لم ترد إخباره بأنها مضطرة للذهاب إلى دورة المياه. أحيانًا ما يحدث ذلك لجسم الإنسان بعد تناول أربعة أكواب من شراب الليمون.

- لقد وعدتُ صديقة لي أن أجلس معها قليلًا.

انحنى بأناقة قائلًا:

- لقد سررت بلقائك. هل لي أن أصحبك إلى وجهتك؟

- لا، شكرًا لك. سأكون على ما يرام بمفردي.

وبابتسامة من أعلى كتفها ابتعدت عن قاعة الرقص.

راقبها كولين تبتعد وغرق في تفكير عميق، ثم شقَّ طريقه إلى أخيه، الذي كان يستند بظهره إلى الحائط، عاقدًا ذراعيه بصورة تكاد تكون عدائية.

صاح وهو يخبط على ظهره:

- أنطوني! كيف كانت رقصتك مع الجميلة شيفيلد؟

رد أنطوني باقتضاب:

- ستفي بالغرض.

وقد علم كلاهما ما يعنيه ذلك.

بدت على شفتي كولين ارتعاشة خفيفة وقال:

- حقًا؟ عليك أن تقابل أختها إذن.

- أستميحك عذرًا؟

ردَّد كولين ضاحكًا:

- أختها. ثق بي لا بد أن تقابل أختها.

بعد عشرين دقيقة، تأكَّد أنطوني من سماعه قصة كيت شيفيلد كاملةً من كولين. بدا أن الطريق إلى قلب إدوينا ويدها، يبدأ بوضوح من عند أختها.

لن تتزوج إدوينا شيفيلد دون مباركة أختها الكبرى على ما يبدو. وهي معلومة معروفة للجميع، وفقًا لكولين، منذ أعلنتها إدوينا في حفل سميثي سميث الموسيقي السنوي. لم يكن أي من الإخوة بريدجرتون حاضرًا خلال التصريح الخطير لأنهم كانوا يتحاشون حفلات سميثي سميث الموسيقية كما الطاعون، مثلما يفعل كل من لديه ذرة إعجاب بباخ أو موزارت أو بالموسيقى بأنواعها.

والمفترض أن الأخت الكبرى لإدوينا، كاترين شيفيلد، والمعروفة بـ «كيت»، تقوم بظهورها الأول هي الأخرى هذا العام، مع أن الألسنة تتناقل أنها في الحادية والعشرين من عمرها على الأقل. ومن ثم أيقن أنطوني أن آل شيفيلد لا بد أنهم من الطبقة الأقل ثراءً في الوسط الرفيع، وهي الحقيقة التي

رآها مواتية جدًا. لم يكن بحاجة إلى عروس عظيمة المهر، بل إن عروسًا من دون مهر ستكون حاجتها إليه أشد.

وقد عزم أنطوني على استغلال جميع امتيازاته.

وعلى العكس من إدوينا، لم تعصف الآنسة الكبرى شيفيلد بالوسط الرفيع بين ليلة وضحاها. وفقًا لكولين، كانت محبوبة بوجه عام، لكنها لم تنعم بالجمال الباهر الذي نعمت به إدوينا. كانت طويلة فيما كانت إدوينا قصيرة، سمراء بينما إدوينا بيضاء. كما لم تنعم أيضًا بالرشاقة الأخّاذة التي نعمت بها إدوينا. فمجددًا وفقًا لكولين -الذي رغم وصوله حديثًا إلى لندن لحضور الموسم، كان مصدرًا لا غبار عليه للمعلومات والشائعات- أبلغ أكثر من سيد نبيل عن إصابته بتقرحات في قدميه بعد رقصته مع كاترين شيفيلد.

بدا الوضع كله سخيفًا بعض الشيء لأنطوني. فمن ذا الذي سمع يومًا بفتاة تنشد مباركة أختها وموافقتها على زوج. مباركة أبيها، نعم، أخيها، أو ربما حتى أمها، لكن أختها؟ كان أمرًا يتعذّر عليه فهمه. والأكثر من ذلك أن بدا له غريبًا أن تلتمس إدوينا الحكمة من كاترين، في حين أن من الواضح أن كاترين لا تدري شيئًا عن الوسط الرفيع وآدابه.

لكن أنطوني لم يرغب في معاودة البحث عن مرشّحة أخرى مناسبة ليتودد إليها، لذا قرر ببساطة أن تلك المشكلة ما هي إلا دليل على حبّ إدوينا الشديد لأسرتها. ولمّا كان هو الآخر يحب أسرته، فقد ازداد يقينه بأن اختياره إدوينا زوجة كان ممتازًا.

كل ما عليه فعله إذن هو نيل إعجاب الأخت. وما الصعب في ذلك؟

قال كولين مطمئنًا بابتسامة واثقة تضيء وجهه:

- لن تواجه أي صعوبة في كسبها لصفّك. لا صعوبة على الإطلاق. عانس مسنّة خجول؟ إنها على الأرجح لم تحظَ باهتمام رجل مثلك قط. لن تدرك أبدًا ما حلّ بها.

رد أنطوني بحدّة:

- لا أريدها أن تقع في حبي. أريد منها أن ترشّحني لأختها لا أكثر.

قال كولين:

- لن تخفق. لا مجال للإخفاق ببساطة. صدّقني، لقد تحدّثت معها لبضع دقائق هذا المساء، ولم تكفّ عن الحديث عنك.

- عظيم.

دفع أنطوني نفسه بعيدًا عن الحائط وغمرت عينيه نظرة تصميم قائلًا:

- والآن أين هي؟ أريدك أن تعرِّفني بها.

مسح كولين القاعة بعينيه لدقيقة أو نحوها، ثم قال:

- آه، ها هي ذي. إنها قادمة باتجاهنا في الواقع. يا لها من صدفة عجيبة!

توصل أنطوني إلى اعتقاد مفاده أن لا شيء في نطاق الخمس ياردات من أخيه الأصغر كان يومًا مصادفة. لكنه تبع نظرته على أي حال قائلًا:

- أين هي؟

قال كولين وهو يشير نحوها بإيماءة بالكاد ملحوظة بذقنه:

- تلك في الثوب الأخضر.

أدرك أنطوني بينما يشاهدها تشق طريقها أنها كانت بعيدة كل البعد عمّا توقّعه.

لم تكن عانسًا طويلة مفتولة العضلات بكل تأكيد؛ فقط عندما يقارنها المرء بإدوينا، التي لا تتجاوز الخمسة أقدام طولًا، تبدو أختها طويلة جدًا. في الواقع، كانت الآنسة كاترين شيفيلد حسنة المظهر إلى حدٍ كبير، بشعرها البني الكثيف وعينيها الداكنتين. كانت بشرتها شاحبة، وشفتاها ورديتين، وقد أحاطت نفسها بهالة من الثقة لم يسعه إلا أن يجدها جذابة.

لا يمكن أن تنال لقب جوهرة الموسم مثل أختها بكل تأكيد، لكن أنطوني لم يرَ سببًا يمنعها من العثور على زوج في هذا الموسم. لعلّه يمنحها مهرًا تتزوج به بعد زواجه من إدوينا. بدا أن هذا أقل ما يمكن لأي رجل فعله.

انطلق كولين يشق طريقه عنوة بين الزحام وأخذ يصيح:

- آنسة شيفيلد! أيتها الآنسة شيفيلد!

ومشى أنطوني في أعقاب كولين، وأخذ يعِدّ نفسه ذهنيًا لإبهار الأخت الكبرى لإدوينا. أهي عانس مهمّشة إذن؟ لن يمضي طويلًا حتى تصبح مثل الخاتم في إصبعه.

قال كولين:

- أيتها الآنسة شيفيلد، من الرائع أن أراكِ مجددًا.

بدت عليها الحيرة قليلًا، ولم يَلُمها أنطوني. فقد جعل كولين الأمر يبدو وكأنهما التقيا صدفة، مع أنهم جميعًا يعرفون أنه دهس على الأقل ستة أشخاص كي يصل إليها.

أجابت بسخرية:

- وأنا أيضًا يسرني أن أراكَ مجددًا يا سيدي. يا لها من صدفة بعد فترة وجيزة جدًا من لقائنا الأخير.

كتم أنطوني ابتسامته. إنها أذكى مما قيل له.

ابتسم كولين بانتصار، وتخلَّف لدى أنطوني انطباع مزعج بأنه يخطط لشيء ما. قال كولين للآنسة شيفيلد:

- لست أدري السبب، لكنني فجأة شعرت أن من الضروري أن أعرّفك بأخي.

نظرت دون مقدمات إلى يمين كولين وتصلَّبت إذ استقرَّت نظرتها على أنطوني. في الواقع، بدت كما لو أنها قد ابتلعت لتوها ترياقًا مريرًا.

فكّر أنطوني أن هذا غريب.

تمتمت الآنسة شيفيلد من بين أسنانها:

- كم هو لُطف منك!

استأنف كولين حديثه بسعادة وهو يشير إلى أنطوني:

- آنسة شيفيلد، هذا هو أخي أنطوني، فيكونت بريدجرتون. أنطوني، هذه هي الآنسة كاترين شيفيلد. أظن أنك تعرَّفت بأختها في وقت سابق هذا المساء.

قال أنطوني:

- نعم.

وقد اعترته رغبة عارمة، لا بل حاجة *عارمة* إلى خنق شقيقه.

أبدت الآنسة شيفيلد انحناءة سريعة خرقاء وقالت:

- لورد بريدجرتون، من دواعي شرفي أن أتعرّف بك.

صدرت عن كولين ضوضاء تشبه إلى حدٍ مريب النخير. أو ربما الضحك. أو ربما كليهما.

وفي لمح البصر أدرك أنطوني ما يحدث. نظرة واحدة إلى وجه أخيه فضحت كل شيء. لم تكن تلك الفتاة عانسًا مهمّشة خجولًا منطوية. وأيًا كان ما قالته لكولين سابقًا هذا المساء، فهو لم يحوِ أي ثناء على أنطوني.

قَتْلُ الأخ مشروع في إنجلترا، أليس كذلك؟ إن لم يكن، فجدير به أن يكون بحق الجحيم.

أدرك أنطوني متأخرًا أن الآنسة شيفيلد قد مدَّت له يدها، كما تنصُّ آداب السلوك. أخذها ومسح بقبلة خفيفة على مفاصل أصابعها المقفزة. تمتم بلا تفكير:

- آنسة شيفلد، تبدين جميلة تمامًا كأختك.

إن كانت تبدو منزعجة سابقًا، فقد تحوَّل مظهرها الآن إلى عدائية مطلقة. وأدرك أنطوني بصفعة ذهنية أنه قال أسوأ ما يمكن أن يقال. بالطبع لم يكن ينبغي له أن يقارنها بأختها. هذا هو الإطراء الوحيد الذي لن يسعها تصديقه أبدًا.

ردَّت بنبرة يمكنها أن تجمّد زجاجة شمبانيا:

- وأنت أيضًا أيها اللورد بريدجرتون، تكاد تضاهي أخاك وسامة.

نخر كولين مجددًا، غير أن هذه المرة بدا كأنما يتعرَّض للخنق.

سألته الآنسة شيفيلد:

- هل أنت بخير؟

انفجر أنطوني:

- إنه في أحسن حال.

تجاهلته وأبقت اهتمامها منصبًّا على كولين، قالت:

- هل أنت متأكد؟

أومأ كولين بعنف:

- مجرد حكَّة في حلقي.

اقترح أنطوني:

- أو ربما هو تأنيب الضمير؟

نظر كولين إلى كيت متجاهلًا أخاه عمدًا، وشهق قائلًا:

- أظن أني بحاجة إلى كوب آخر من شراب الليمون.

قال أنطوني:

- أو ربما تحتاج إلى شيء أقوى. سم الشوكران مثلًا؟

غطت الآنسة شيفيلد فمها بيدها، الأرجح كي تكبح ضحكة مدوّية كادت تنفلت منها.

أجاب كولين بهدوء:

- شراب الليمون سيَفي بالغرض.

سألت:

- أتحب أن أحضر لك كوبًا؟

لاحظ أنطوني أنها خطت بإحدى قدميها مستعدة للرحيل بالفعل، باحثة عن أي عذرٍ لتهرب.

هزّ كولين رأسه قائلًا:

- لا، لا، سأحضره بنفسي. لكنني على ما أظن قد حجزت الرقصة التالية معك أيتها الآنسة شيفيلد.

لوَّحت بيدها قائلة:

- لن أُلزمك بها.

ردَّ قائلًا:

- أوه، لكنني لن أسامح نفسي أبدًا لو تركتك هكذا دون رفيق.

رأى أنطوني قلق الآنسة شيفيلد يتزايد من اللمعة الشيطانية التي غمرت عيني كولين. وقد وجد متعة مجحِفة إلى حدٍ ما في ذلك. أدرك أن شعوره مبالغ فيه بعض المبالغة. لكن شيئًا في الآنسة شيفيلد هذه أشعل حماسه، وجعله متلهّفًا لخوض معركة معها.

والخروج منتصرًا بالطبع، غير أن هذا الجزء كان غنيًا عن البيان.

قال كولين، وقد بدا في غاية البراءة والصدق لدرجة أن أنطوني منع نفسه بالكاد من إسقاطه صريعًا في مكانه:

- أنطوني، أنت لست محجوزًا لهذه الرقصة، صحيح؟

لم ينبس أنطوني بكلمة، فقط نظر إلى أخيه بعينين تقدحان شررًا. فتابع الأخير:

- ممتاز. فلترقص أنت إذن مع الآنسة شيفيلد.

اندفعت الآنسة المعنية قائلة:

- لا داعي لهذا مُطلقًا.

نظر أنطوني إلى أخيه بغضب، ثم إلى الآنسة شيفيلد، التي كانت تنظر إليه وكأنه اغتصب عشر عذارى توًّا في حضورها.

قال كولين بانفعال، متجاهلًا الخناجر البصرية الطائرة بين ثلاثتهم:

- لكن هذا واجب عليّ. لا يمكنني التخلّي عن امرأة في ساعة العسرة. يا له... -وبدا متأثرًا بشدة- يا له من تصرّف غير نبيل!

فكّر أنطوني بجدية أن يقوم بتصرف غير نبيل هو الآخر. أن يغرس قبضته في وجه كولين مثلًا.

قالت الآنسة شيفيلد بسرعة:

- أؤكّد لك أن تركي وشأني هو أفضل كثيرًا من الرقـ...

طفح الكيل، هكذا فكّر أنطوني وقد اعتراه شعور همجيّ. لقد تلاعب به شقيقه وجعله يبدو كالأحمق؛ لم يكن ليقف مكتوف اليدين يستمع لإهانات أخت إدوينا العانس سليطة اللسان تلك. أمسك بذراع الآنسة شيفيلد بعنف قائلًا:

- اسمحي لي أيتها الآنسة شيفيلد أن أمنعك من ارتكاب خطأ فادح.

شعر بجسمها يتصلّب. لم يدرِ كيف، فقد كان ظهرها منتصبًا بقوة بالفعل. قالت:

- أستميحك عذرًا؟

قال برفق:

- ظني أنكِ على وشك أن تقولي شيئًا ستندمين عليه لاحقًا.

قالت بتأمّل مقصود:

- كلا، لا أظن أن مستقبلي يحوي أي مشاعر ندم.

قال مُنذرًا:

- سيحوي.

ثم قبض على ذراعها وجرَّها حرفيًا إلى قاعة الرقص.



الفصل الثالث

22 أبريل، 1814 **جريدة المجتمع**

وقد شوهد فيكونت بريدجرتون يرقص أيضًا مع الآنسة كاترين شيفيلد، الأخت الكبرى للجميلة إدوينا. وهذا يعني شيئًا واحدًا، فلم يغب عن كاتبة هذا المقال أن الآنسة الكبرى شيفيلد قد صارت مطلوبة بشكلٍ متزايد في قاعات الرقص منذ قامت الآنسة الصغرى شيفيلد بتصريحها الغريب وغير المسبوق في حفل سميثي سميث الموسيقي.

من ذا الذي سبق له أن سمع بفتاة تلتمس الإذن من أختها في اختيار الزوج؟

بل والأهم من ذلك، من ذا الذي قرر أن كلمتي «سميثي سميث» و«حفل موسيقي» يُمكن أن تجمعهما عبارة واحدة؟ فقد ذهبت كاتبة هذا المقال إلى واحدة من هذه السهرات في الماضي، ولم تسمع شيئًا يمكن أن يُطلق عليه لفظ «موسيقى».

ليدي ويسلداون

أدركت كيت بارتياع مدى عجزها. كان فيكونت، بينما هي مجرد نكرة من سومرست، وكان كلاهما في منتصف قاعة رقص مكتظة. حقيقة أنها كرهته من أول نظرة لم تكُن مهمة. فقد تحتَّم عليها أن ترقص معه.

همست بصوتٍ كالفحيح:

- لا داعي لأن تجرّني هكذا.

أرخى قبضته بحركة هزلية.

صرَّت كيت على أسنانها وأقسمت لنفسها إن هذا الرجل لن يتخذ أختها عروسًا أبدًا. كان سلوكه شديد البرود، شديد التعالي. وفكّرت أنه شديد الوسامة أيضًا بشكل طاغٍ إلى حد ما، بعينيه البنيتين المخمليتين، اللتين يتماشى لونهما مع شعره حد الكمال. كان طويل القامة، طوله يزيد على الستة أقدام ولا شك، وإن لم يكن بأكثر من بوصة. أما فمه، فبالرغم من جماله الكلاسيكي -درست كيت من الفن ما يكفي ليؤهلها لإصدار حكمٍ كهذا- فقد كان مزمومًا عند كلتا زاويتيه، وكأن صاحبه لا يعرف كيف يبتسم.

بمجرد أن بدأت أقدامهما تتحرك في خطوات الرقصة المعتادة قال:

- والآن هلا أخبرتِني عن سبب كرهك لي.

وطئت كيت قدمه. كأنه صريح أكثر من اللازم. سألته:

- ماذا قلت؟

- لا داعي لأن تسببي لي عاهة أيتها الآنسة شيفيلد.

- أؤكّد لك أنني لم أقصد.

وهي الحقيقة، ولو أنها لم تمانع، فإن هذا المثال بالذات دليلٌ على افتقارها للرشاقة.

قال مفكّرًا:

- لمَ أجد صعوبة في تصديقك؟

قررت كيت بسرعة أن تتخذ الصدق مسلكًا. إن كان يمكنه أن يكون صريحًا، حسنٌ إذن، هي أيضًا يمكنها ذلك. أجابت بابتسامة مكر:

- ربما لأنك تعلم أنه لو خطر لي أن أدوس قدمك عن عمد، لفعلت.

ألقى رأسه إلى الوراء وضحك. لم تكن الاستجابة التي توقّعتها أو تمنّتها. الحق أنها لم تكن تعلم نوع الاستجابة الذي تتمنّى، لكن ذلك لم يكن قطعًا ما توقّعته.

همست بإلحاح:

- هلّا كففت يا سيدي؟ لقد بدأ الناس يحدّقون إلينا.

أجابها قائلًا:

- إنهم يحدّقون إلينا منذ دقيقتين. فمن غير الشائع أن يرقص رجل مثلي مع امرأة مثلك.

كان ذلك السهم اللاذع مصوَّبًا بعناية، لكن لسوء حظه، لم يكن دقيقًا. قالت بمرح:

- غير صحيح. أنت لست الأول من بين المعاتيه مسلوبي العقل بإدوينا الذي يحاول استمالتها من خلالي.

ابتسم ابتسامة عريضة قائلًا:

- هل جميع خطَّاب إدوينا معاتيه إذن؟

تلاقت نظراتهما وفوجئت لرؤيتها استمتاعًا حقيقيًا في عينيه. قالت:

- مؤكّد أنك لا تقصد منحي طُعمًا لذيذًا كهذا يا سيدي.

قال مفكّرًا:

- ولكنك مع ذلك لم تلتقطيه!

نظرت كيت لأسفل لترى إن كان ثمة طريقة يمكنها بها أن تطأ قدمه مجددًا من دون قصد.

قال:

- لديَّ حذاء سميك جدًا أيتها الآنسة شيفيلد.

رفعت رأسها بسرعة في دهشة.

تقوَّست إحدى زاويتي فمه في ابتسامة ساخرة واستطرد:

- وعينان ثاقبتان أيضًا.

- يبدو ذلك. حريٌ بي أن آخذ حذري معك إذن.

قال متشدقًا:

- يا إلهي! كأني بك تمدحينني! أكاد أموت من فرط الصدمة.

قالت بخفة:

- إن أردت اعتبار ما قلته مديحًا فليكن. ذلك أنّك لن تتلقى المزيد منه على الأرجح.

- أنتِ تجرحينني أيتها الآنسة شيفيلد.

- هل تقصد أن جلدك ليس سميكًا كحذائك؟

- أوه، لا وجه للمقارنة.

شعرت بنفسها تضحك قبل أن تدرك حتى مدى استمتاعها. قالت:

- يصعب عليّ تصديق ذلك.

انتظر حتى ذوت ابتسامتها، ثم قال:

- لم تجيبي عن سؤالي. ما سبب كُرهك لي؟

تسللت شهقة خافتة من بين شفتي كيت. لم تتوقع منه أن يكرر سؤاله. أو أمِلَت على الأقل ألا يفعل. قالت وهي تنتقي كلماتها بحرص:

- لستُ أكرهك أيها اللورد. إنني حتى لا أعرفك.

قال برفق وقد استقرّت عيناه على عينيها بثباتٍ مميت:

- إن المعرفة نادرًا ما تكون شرطًا أساسيًا لحصول الكراهية. كفى مراوغة أيتها الآنسة شيفيلد، فإني لا أخالك جبانة. أجيبي عن السؤال.

صمتت كيت وأرتج عليها لدقيقة كاملة. صحيح أنها لم تكن ميّالة لاستلطاف هذا الرجل. وقطعًا لم تكن بصدد منح مباركتها لتودده لإدوينا. فهي لم تؤمن ولو لثانية واحدة أن المنحلّين التائبين يمكن أن يصبحوا أزواجًا لائقين. لم تكن حتى متأكدة إن كان للمنحلّ أن يتوب كما ينبغي في المقام الأول.

لكنه كان على وشك أن ينجح في دحر تصوراتها المُسبقة عنه. لقد أوشكت أن تراه فاتنًا وصادقًا وصريحًا؛ أوشك أن يقنعها بأن قصص ويسلداون عنه مبالغ فيها؛ أنه ليس أسوأ مُحتال مخادع رأته لندن منذ مطلع القرن. ربما كان ليقنعها حتى بأنه ملتزم بميثاق شرف، بأنه رجل نزيه ذو مبادئ وقيم...

لو لم يتهوّر ويقارنها بإدوينا.

فما من كذبة أكثر بداهة من هذه. كانت تعلم أنها ليست مقيتة؛ كانت حسنة الوجه والهيئة بصورة أو بأخرى. لكن محال أن تخوض هي وإدوينا مقارنة في هذا الصدد وأن تخرجا منها متساويتين. كانت إدوينا جوهرة حقيقية، بينما لن تكون كيت أبدًا أكثر من فتاة عادية وغير ملحوظة.

فلئن عمد هذا الرجل إلى قول شيء مغاير، فذلك إنما لهدف خفي يروم تحقيقه. إنه ليس أعمى.

كان بوسعه أن يثني عليها بأي مجاملة فارغة، وكانت لتقبلها بعدّها حديثًا وديًا من رجل نبيل. وربما كانت حتى لتشعر بالإطراء لو لمست كلماته ظل الحقيقة. ولكن أن يقارنها بإدوينا...

كانت كيت تعشق أختها. بكل ما للكلمة من معنى. وكانت تعلم أكثر من أي أحد أن قلب إدوينا جميل وبهي كوجهها. لم تكن لتغار من أختها، ومع ذلك لسببٍ أو لآخر... لدغتها تلك المقارنة في صميم قلبها.

أجابت أخيرًا:

- لست أكرهك.

كانت عيناها مثبتتين على ذقنه، ثم ضاقت ذرعًا بجُبنها فأرغمت نفسها على النظر في عينيه قبل أن تستطرد قائلة:

- لكني لا أشعر بارتياحٍ تجاهك.

وشت عيناه بأنه يقدّر صراحتها المُطلقة. سألها برفق:

- ولمَ ذلك؟

- هل لي أن أتحدث بصراحة؟

اختلجت شفتاه قائلًا:

- أرجوكِ افعلي.

- أنتَ ترقص معي الآن لأنك تريد التقرّب من أختي. وهذا لا يزعجني.

ثم سارعت إلى التوضيح قائلة:

- لقد اعتدتُ تلقّي الاهتمام من خُطّاب إدوينا.

من الواضح أن ذهنها كان بعيدًا كل البعد عن قدميها. سحب أنطوني قدمه قبل أن تطأها مجددًا. ولاحظ باهتمام أنها عادت لوصفهم خُطابًا بدلًا من معاتيه. تمتم قائلًا:

- أكملي رجاءً.

كان أسلوبها مباشرًا، ولم تفلت عيناها البنيتان الذكيتان لحظة عينيه. قالت ببساطة:

- أنت لست من نوع الرجال الذي أريده زوجًا لأختي. أنت منحل لا أخلاق لك. أنت مخادع ومحتال. بل إنك في الواقع مشهور بكونك كل هذه الأشياء. ولن أسمح لأختي بالاقتراب مسافة 10 أقدام منك.

قال بابتسامة صغيرة عابثة:

- عدا أنني كنت أرقص معها الفالس قبل قليل هذا المساء.

- وهو ما لن يتكرر أبدًا، ثق بي.

- ومن خوّلك حق تقرير مصير إدوينا؟

قالت باقتضاب:

- إدوينا تثق في حكمي.

قال بنبرة أراد لها أن تكون شديدة الغموض:

- فهمت. هذا الأمر يدعو للاهتمام حقًا. كنت أظن إدوينا امرأة بالغة.

- إدوينا لم تتجاوز بعد السابعة عشرة!

- وأنتِ عجوز جدًا، في... ماذا، العشرين من عمرك؟

قالت باستياء:

- الحادية والعشرين.

- آه، هذا يجعلك خبيرة حقيقية بالرجال، وبالأزواج على وجه التحديد. خصوصًا بعد أن خضتِ تجربة الزواج بنفسك، أليس كذلك؟

أجابت من بين أسنانها:

- أنتَ تعلم أنّي عزباء.

منع أنطوني نفسه من الابتسام. ربّاه، كم هو ممتع استفزاز الآنسة الكبرى شيفيلد. قال بكلمات بطيئة ومتأنية:

- ظني أنك وجدتِ سهولة شديدة في التخلص من معظم الرجال الذين أتوا يطرقون باب أختك. أليس هذا صحيحًا؟

لم تنبس بكلمة.

- أليس صحيحًا؟

أخيرًا منحته إيماءة مقتضبة.

تمتم قائلًا:

- هكذا ظننت. تبدين من النوع الذي يقدر على ذلك.

حدّجته بعينين تقدحان شررًا لدرجة أن منع نفسه بالكاد من الانفجار ضحكًا. لولا أنه يرقص، لكان قد أخذ يمسّد ذقنه متظاهرًا بالتفكير العميق. ولكن نظرًا لأن يديه كانتا إلى حدٍ ما مشغولتين، اضطر إلى الاكتفاء بإمالة رأسه ببطء ورفع حاجبيه، ثم استطرد:

- لكني أيضًا أظنك ارتكبتِ خطأً وخيمًا لاعتقادك أن بإمكانك التخلص مني أنا.

كان فم كيت متجهمًا مزمومًا، لكنها استطاعت أن تقول:

- لست أسعى للتخلص منك أيها اللورد بريدجرتون. إنما أسعى فقط إلى إبعادك عن أختي.

- وهو ما يثبت أيتها الآنسة شيفيلد ضحالة ما تعرفينه عن الرجال. أو على الأقل عن المنحلين المخادعين منهم.

ثم مال تجاهها، تاركًا أنفاسه الدافئة ترف على وجنتها.

ارتجفت. كان موقنًا أنها سترتجف.

ابتسم بعبث قائلًا:

- فما من شيء أحب إلينا من التحدّي.

شارفت المقطوعة الموسيقية على الانتهاء، تاركة كليهما واقفين في منتصف ساحة الرقص يواجهان بعضهما. أخذ أنطوني ذراعها تحت إبطه، وقبل أن يتجه بها بعيدًا عن الساحة، قرَّب شفتيه من أذنها وهمس:

- وها أنتِ أيتها الآنسة شيفيلد تعرضين عليَّ ألذ أنواع التحديات.

دهست كيت قدمه، بكل قوتها. فأفلتت منه أنةٌ قصيرة لا تمتُّ للمنحلّين المخادعين بصلة.

حدَّق إليها بغضب فهزَّت كتفيها باستخفاف قائلة:

- لم يكن بيدي حيلة.

أظلمت عيناه قائلًا:

- أنتِ أيتها الآنسة شيفيلد شر يمشي على قدمين.

- وأنت أيها اللورد بريدجرتون بحاجة إلى حذاءٍ أكثر سماكة.

أحكم قبضته على ذراعها قائلًا:

- قبل أن أعيدك إلى مأوى الوصيفات والعوانس، ثمة شيء يتحتَّم أن نرسيه واضحًا.

حبست كيت أنفاسها. لم ترُق لها النبرة القاسية في صوته.

- لقد عقدتُ عزمي على التعرُّف بأختك والتودد لها. فإذا ارتأيت أنها تليق بلقب الليدي بريدجرتون، فلسوف أجعلها زوجتي.

رفعت رأسها بقوة لتواجهه، بعينين تتأججان غيظًا، وقالت:

- أحسب إذن أنك تظن أن لك الحق في تقرير مصير إدوينا. لا تنسَ يا سيدي أنك حتى إذا ارتأيت أن إدوينا تليق بلقب –أكمَلت شزرًا– الليدي بريدجرتون، فقد ترتأي هي غير ذلك.

نظر إليها لأسفل بثقة رجل لم يسبق أن وقف في طريقه شيء. قال:

- إن أنا قررت أن أطلب يد إدوينا، فلن ترفض.

- أتريد أن تقول لي إنك لم تلتقِ يومًا بامرأة قادرة على مقاومتك؟

لم يحِر جوابًا، فقط رفع حاجبه بغطرسة وتركها تخلص إلى الإجابة وحدها.

انتزعت كيت ذراعها من قبضته واندفعت عائدة إلى زوجة أبيها، تنتفض حنقًا وسخطًا ويتملَّكها قدر ليس بقليل من الخوف.

ذلك لأنها أحسَّت على نحو مروّع أنه لا يكذب. وإذا حدث فعلًا وتبيَّن أنه لا يُقاوم...

اقشعر بدن كيت. ستقع هي وإدوينا في ورطة كبيرة جدًا.

كان نهار اليوم التالي شبيهًا بأي نهار يتبع حفلات الرقص الكبرى. امتلأت غرفة الاستقبال بمنزل آل شيفيلد عن آخرها بباقات الزهور، كل باقة مصحوبة ببطاقة بيضاء لامعة تحمل اسم «إدوينا شيفيلد».

فكَّرت كيت بمرارة أن «الآنسة شيفيلد» كانت لتفي بالغرض، ولكن لا يملك المرء أن يلوم خطَّاب إدوينا على رغبتهم في التأكد من وصول زهورهم إلى الآنسة شيفيلد الصحيحة.

ليس كأن أحدًا من أهل البيت كان ليخطئ في هذا الشأن. فباقات الزهور غالبًا ما تذهب إلى إدوينا. لا.. ليس غالبًا، بل إن كل باقة وصلت إلى مقر آل شيفيلد في الشهر الفائت كانت لإدوينا.

ولكن راق لكيت أن تفكّر أنها هي من تضحك أخيرًا هنا. فمعظم الزهور تجعل إدوينا تعطس، لذا ينتهي بها المطاف بغرفة كيت على أي حال.

قالت بحب وهي تمس بأصابعها زهرة أوركيد يانعة:

- أنتِ أيتها الجميلة، أظن أن مكانك على الصُّوان الصغير بجانب سريري. وأنتِ -مالت لتشم باقة متقنة من الورود البيضاء- ستبدين فاتنة على طاولة الزينة.

- هل تخاطبين الزهور دائمًا؟

دارت كيت بسرعة لدى سماعها صوتًا رجاليًا عميقًا. ربَّاه! إنه لورد بريدجرتون، واقفًا بوسامته المذهلة في معطفه الصباحي الأزرق. ما الذي يفعله هنا بحق الجحيم؟

لا مفر من السؤال.

- ما الذي بحق الـ...

تداركت نفسها قبل فوات الأوان. لن تدع هذا الرجل يهبط بها إلى مستوى السبّ علنًا، حتى وإن سبَّته مرارًا في سرّها. قالت:

- ما الذي تفعله هنا؟

رفع حاجبه وهو يعدّل باقة الزهور العملاقة المدسوسة تحت ذراعه. لاحظت كيت أنها زهور وردية. براعم اختير كل منها بعناية شديدة. كانت جميلة. بسيطة وأنيقة. من النوع الذي كانت لتختاره لنفسها تمامًا.

تمتم قائلًا:

- أعتقد أن المتعارف عليه أن يزور الخطَّاب الجميلات من الآنسات، أليس كذلك؟ أم أنني أخطأت فهم كتاب آداب السلوك خاصتي؟

هدرت قائلة:

- أقصد كيف دخلت؟ لم ينبهني أحد بوصولك.

أشار برأسه ناحية الرّدهة قائلًا:

- الطريقة المعتادة. طرقت على الباب الأمامي.

سخط كيت من سخريته لم يمنعه من استئناف حديثه، محافظًا على نبرة غطرسة مثيرة للإعجاب نوعًا. قال:

- والمدهش أن خادمكم قد فتح لي. أعطيته بطاقتي، نظر فيها، وقادني إلى غرفة الاستقبال. وددت لو أحكي لك عن مكيدة خفية شريرة، لكن كل شيء كان شرعيًا ومباشرًا.

غمغمت كيت:

- الخادم اللعين! يفترض به أن يتأكَّد من وجودنا في المنزل قبل أن يقودك للداخل.

- لعل لديه تعليمات مسبقة بأنك ستكونين في المنزل من أجلي تحت أي ظرف.

قالت بغيظ:

- لم أعطِه تعليمات كهذه.

قال لورد بريدجرتون بضحكة مكتومة:

- لا، لست أخالك فعلتِ.

- وأعلم أن إدوينا لم تفعل.

ابتسم قائلًا:

- ربما فعلت أمك؟

بالطبع. همست بحسرة: «ماري!» وقد كالت الكلمة بألف اتهام واتهام.

سأل بأدب:

- هل تنادينها باسمها الأول؟

أومأت قائلة:

- إنها زوجة أبي في الواقع، لكني لم أعرف أمًا غيرها. تزوجَت من أبي عندما كنت في الثالثة من عمري ولست أعلم لِمَ ما زلت أدعوها ماري.

هزت رأسها وكتفيها في حيرة واستطردت:

- هكذا أفعل وحسب.

ظلت عيناه البنيتان مثبتتين على وجهها، وأدركت هي أنها سمحت لهذا الرجل –الذي هو عدوُّها في الواقع– بدخول ركن خاص جدًا في حياتها. شعرت بكلمة «آسفة» على طرف لسانها، رد فعل لا إرادي، كما افترضت، لأنها تكلَّمت بحرية أكثر من اللازم. لكنها لم ترد الاعتذار لهذا الرجل على أي شيء، لذا عوضًا عن ذلك قالت:

- إدوينا بالخارج. أخشى أن زيارتك كانت بلا جدوى.

رد قائلًا:

- أوه، لست متأكدًا من ذلك.

أمسك باقة الزهور -التي كانت متأبّطة ذراعه اليمنى- بيده الأخرى، وإذ قرّبها منها، رأت كيت أنها لم تكن باقة واحدة كبيرة، بل ثلاث باقات صغيرة.

قال وهو يضع إحداها على الطاولة الجانبية:

- هذه لإدوينا. وهذه -ووضع الثانية- لأمك.

ما زالت الباقة الثالثة في يده بعد. وقفت كيت وقد جمَّدتها الصدمة، عاجزة عن تحويل عينيها بعيدًا عن البراعم الوردية اليانعة. كانت تعرف مأربه، وأن السبب الوحيد في أن لها دورًا في تلك البادرة هو أن ينال إعجاب إدوينا، لكن من يبالي! لم يهدِها أحدٌ زهورًا من قبل، ولم تدرِ كم كانت تريد من أحدهم أن يفعل حتى تلك اللحظة بالذات.

قال أخيرًا وهو يمد يده إليها بآخر باقة من الزهور الوردية:

- وهذه.. لك.

قالت بتردد وهي تأخذها بين ذراعيها:

- شكرًا. إنها جميلة.

مالت عليها لتشمَّها، ثم تنهدت بسرور وقد غمر أنفها الأريج الفوّاح. رفعت عينيها إليه مجددًا واستطردت:

- لطفٌ بالغ منك أن تفكّر فيّ أنا وماري.

أومأ بلباقة قائلًا:

- ذلك من دواعي سروري. عليَّ أن أعترف بأن أحد خطّاب شقيقتي فعل الشيء نفسه ذات مرة مع أمي، وكانت في قمة سعادتها.

- أمك أم شقيقتك؟

ابتسم من جرأتها قائلًا:

- كلتاهما.

سألت كيت:

- وما الذي حدث لهذا الخاطب؟

صارت ابتسامة أنطوني ماكرة لأبعد الحدود وهو يجيب:

- تزوَّج شقيقتي.

- هممم. لا أظن التاريخ سيعيد نفسه. ولكن...

سعلت كيت، الحق أنها لا تريد أن تكون صادقة مع هذا الرجل إلا أنها عاجزة كليًا عن الإتيان بأي شيء آخر. تابعت:

- لكن الزهور جميلة حقًا. و... وهي لفتة طيبة منك.

ابتلعت ريقها. لم يكن هذا سهلًا عليها. أكملت:

- وإنّي لأقدّر هديتك.

انحنى بأدب وقد ذابت عيناه الداكنتان. قال بتأثّر:

- عبارة لطيفة. وموجَّهة لي أنا دونًا عن الجميع! ما رأيك إذن هل كان ذلك صعبًا؟

انتقلت كيت من انحنائها بحُب على الزهور إلى الوقوف منتصبة بتوتّر. قالت:

- يبدو أن لديك موهبة في قول الشيء الخاطئ تمامًا.

- فقط عندما أحادثك أيتها الآنسة العزيزة شيفيلد. أما النساء الأخريات فأؤكد لكِ أنهن يزددن ولهًا بي مع كل كلمة.

تمتمت قائلة:

- هكذا قرأت.

التمعت عيناه. قال:

- هل ذلك مصدر آرائك السيئة عني؟ بالطبع! ليدي ويسلداون المحترمة. كان حريًا بي أن أعرف. ربّاه، كم أود أن أخنق تلك المرأة.

قالت كيت بترفّع:

- أجدها ذكية وعلى حق في أغلب الأحيان.

قال:

- الطيور على أشكالها...

قالت بفتور:

- لورد بريدجرتون، أحسب أنك لم تأتِ إلى هنا لإهانتي. هل ترغب في ترك رسالة لإدوينا؟

- أفضّل ألا أفعل. لستُ واثقًا من أنها ستصل إليها كما تركتُها.

لم يبق في قوس الصبر منزع. استطاعت كيت بطريقة ما أن تقول:

- لا يمكن أبدًا أن أنحدر لمستوى التدخل في مراسلات الآخرين.

كان جسمها كله يرتجف غضبًا، لولا أنها تستطيع السيطرة على نفسها قليلًا، لكانت يداها الآن ملفوفتين حول عنقه بكل تأكيد.

- كيف تجرؤ على التلميح بغير ذلك؟

قال بهدوءٍ مستفز:

- إن كان لنا أن نتحدث بصراحة أيتها الآنسة شيفيلد، فالحق أني لا أعرفك جيدًا. ما أعرفه هو إقرارك المحموم بأنّي لن أقترب مسافة عشرة أقدام من الهالة المقدسة لأختك. أخبريني لو أنّك مكاني، هل كنتِ لتتركي رسالتك معي بتلك الثقة وذاك اليقين؟

أجابت كيت ببرود:

- إذا كان هدفك أن تكسب قلب أختي من خلالي، فلست تبلي حسنًا في ذلك.

قال:

- أعلم ذلك. لا يجدر بي حقًا أن أستفزّك. هذا ليس تصرفًا ذكيًا من جانبي، صحيح؟ لكنني أخشى أنّي لا أستطيع السيطرة على نفسي.

ثم ابتسم بخبث ورفع يديه كأنما يقول إنه ليست بيده حيلة.

- ماذا عساي أقول؟ هذا ما تفعلينه بي أيتها الآنسة شيفيلد.

أدركت كيت بارتياع أن ابتسامته كانت حقًا لا تُقهر. شعرت فجأة بالدوار. مقعد... نعم، إن ما تحتاج إليه هو أن تجلس. قالت:

- تفضّل بالجلوس.

وأشارت إلى الأريكة الدمشقية الزرقاء فيما مضت تترنّح عبر الغرفة حتى وصلت إلى المقعد. لم تكن تريد منه أن يبقى حقًا، لكنها لم تستطع الجلوس من دون أن تعرض عليه مقعدًا هو الآخر، فقد أحسّت بساقيها واهنتين إلى حد مروع.

إذا كان الفيكونت قد استغرب تلك النوبة المفاجئة من الكياسة، فإنه لم يقل شيئًا. بل حمل الحقيبة السوداء الطويلة التي على الأريكة ووضعها على الطاولة، ثم جلس مكانها. تساءل مشيرًا إلى الحقيبة:

- هل هذه أداة موسيقية؟

أومأت كيت قائلة:

- إنه فلوت.

- هل تعزفين؟

هزّت رأسها، ثم مالت برأسها قليلًا وأومأت قائلة:

- أحاول تعلّم العزف عليه. بدأت هذا العام.

أومأ ردًا على كلامها وكان ذلك على ما يبدو نهاية الموضوع، لأنه سأل بأدب بعدها قائلًا:

- متى تتوقعين أن تعود إدوينا؟

- ليس قبل ساعة على الأقل، كما أظن. فقد أخذها السيد بيربروك في نزهة بعربته.

كاد يغص بالاسم قائلًا:

- نايجل بيربروك؟

- نعم، لماذا؟

- هذا الرجل شعر رأسه يزن أكثر مما يزن عقله، أكثر مما يمكنك تخيّله.

لم تستطع مقاومة التوضيح قائلة:

- لكنه تقريبًا أصلع.

عبس قائلًا:

- ذلك يزيد وجهة نظري تأكيدًا لا أكثر.

كانت كيت قد توصلت إلى الاستنتاج نفسه عن ذكاء السيد بيربروك -أو انعدام ذكائه بالأحرى-، لكنها قالت:

- أليس عيبًا أن يسيء المرء لزملائه من الخطّاب؟

زفر أنطوني قائلًا:

- تلك لم تكن إساءة. إنها الحقيقة. لقد تودد لشقيقتي العام الفائت. أو حاول أن يفعل. بذلت دافني قصارى جهدها لإحباطه. إنه زميل جيد ولا شك، أضمن لكِ هذا، لكنه ليس بالشخص الذي تريدين منه أن يبني لك قاربًا لو علقتِ في جزيرة مهجورة.

داعبت مخيلة كيت صورة غريبة ومزعجة للفيكونت عالقًا في جزيرة مهجورة، بثيابٍ ممزقة مهلهلة، وقد سفعت الشمس بشرته. تركتها تلك الصورة شاعرة بدفء غير مريح.

أمال أنطوني رأسه وهو يرمقها بنظرة فضولية. سألها:

- هل أنتِ على ما يرام أيتها آنسة شيفيلد؟

أجابت بصوت أقرب للهاث قائلة:

- طبعًا! بأحسن حال. ماذا كنا نقول؟

مال ناحيتها يراقبها من كثب قائلًا:

- تبدين متورّدة قليلًا.

لم تكن تبدو بخير فعلًا.

هوت كيت بيدها وقالت:

- الجو حار بعض الشيء هنا، ألا تظن ذلك؟

هز أنطوني رأسه ببطء:

- إطلاقًا.

تطلّعت إلى الباب بتوق قائلة:

- تُرى أين ماري!

- هل تتوقعين مجيئها؟

أوضحت قائلة:

- ليس من شيمها أن تتركني مع رجل غريب دون رفقة كل هذا الوقت.

دون رفقة؟ أخافته الكلمة وتفرعاتها. تراءت لأنطوني فجأة صورة له وقد أجبر على الزواج بالآنسة شيفيلد الكبرى. جعلته تلك الرؤيا يتصبب عرقًا. لم تشبه كيت أي فتاة مبتدئة التقى بها من قبل لدرجة أنه نسي أنهما يحتاجان إلى رفقة حتى. قال بسرعة:

- لعلّها لا تعلم بأنني هنا.

- نعم، الأمر هكذا ولا بد.

هبت واقفة وقطعت الغرفة وصولًا إلى الجرس. ضغطت عليه بقوة وقالت:

- سأستدعي فقط أحدهم كي ينبّهها. إنني موقنة أنها تريد رؤيتك.

- عظيم. لعلَّ بإمكانها أن ترافقنا بينما ننتظر عودة أختك.

تجمدت كيت في منتصف طريقها إلى المعقد.

- هل تنوي انتظار إدوينا؟

هز كتفيه مستمتعًا بانزعاجها.

- ليس لديَّ خطط أخرى لفترة ما بعد الظهر.

- لكنها قد تتأخَّر لساعات!

- بل ساعة واحدة على الأكثر، أنا واثق من ذلك، ثم إنني...

قطع كلامه صوت وصول الخادمة عند مدخل الباب.

سألت الخادمة:

- هل قرعتِ الجرس يا آنسة؟

أجابت كيت:

- نعم، شكرًا لكِ يا آني. هلّا أخطرتِ السيدة شيفيلد بأن لدينا ضيفًا؟

انحنت الخادمة ورحلت.

قالت كيت:

- ستنزل ماري في أي لحظة الآن دون ريب -غير قادرة على الكف عن الطرق بقدمها- في أي لحظة الآن. أنا متأكدة.

اكتفى أنطوني بالابتسام بنفس الطريقة المُزعجة، وقد بدا مسترخيًا ومرتاحًا بشدة في جلسته على الأريكة.

خيَّم صمت غير مريح على الغرفة. منحته كيت ابتسامة مطبقة. وردَّ هو برفع حاجبه.

- أنا متأكدة أنها ستصل...

- في أي لحظة الآن.

أكمل أنطوني جملتها، وقد بدا عليه استمتاع حقيقي.

غاصت كيت في مقعدها مجددًا، وهي تحاول ألا تعبس. على الأرجح لم تنجح في ذلك.

وفجأة تناهت إليهما ضجة آتية من الرّدهة -أشبه بنباح كلب- تبعها صياح مجلجل يقول:

- نيوتن! نيوتن! كُفَّ عن ذلك فورًا!

تساءل الفيكونت:

- نيوتن؟

أوضحت كيت:

- إنه كلبي.

ثم هبّت واقفة وهي تتنهد قائلة:

- أخشى أنه...

- نــيييوووتن!

- ليس على وفاق مع ماري.

سارت كيت إلى الباب.

- ماري؟ ماري؟

نهض أنطوني، مجفلًا لدى سماعه ثلاث نبحات أخريات تصم الأذن، والتي تبعتها على الفور صرخةٌ مروّعة أخرى من ماري. غمغم قائلًا:

- ما نوعه؟ درواس؟[1]

لا بد أنه درواس. فالآنسة شيفيلد الكبرى تبدو تمامًا من النوع الذي يحتفظ بكلب درواس مفترس رهن إشارتها.

اندفعت كيت إلى الرّدهة بينما أطلقت ماري صرخة أخرى، وقالت:

- لا، إنه...

لم يميّز أنطوني ما قالته. لم يعد هذا مهمًا على أي حال، لأنه بعد ثانية واحدة، دخل الغرفة راكضًا كلب كورجي من أكثر الكلاب التي رآها أنطوني ألفة، بفروه الكثيف بلون الكراميل وبطنه الذي كاد يلمس الأرض.

تجمّد أنطوني من الدهشة. هل هذا هو نفس الكائن المخيف الذي سمع نباحه توًا في الرّدهة؟ قال بحزم:

- نهارك سعيد أيها الكلب.

وقف الكلب في منتصف الغرفة، وجلس في مكانه، و...

ابتسم؟

---

(1) كلب تيبتي ضخم كثيف الشعر يُعرف باسم «أسد الكلاب» نظرًا لحجمه الهائل وقوته وعادةً ما يُستخدم في الحراسة. (المترجمة)



الفصل الرابع

25 أبريل 1814 **جريدة المجتمع**

لم تستطع كاتبة هذا المقال لسوء الحظ التحقق من جميع التفاصيل، إلا أن يوم الخميس الفائت قد شهد عراكًا هائلًا بالقرب من بحيرة السيربنتين بحديقة هايد بارك، وقد تضمّن العراك كلًا من الفيكونت بريدجرتون، والسيد نايجل بيربروك، والأختين شيفيلد، وكلبًا مجهولًا من سلالة غير محددة.

لم تكن كاتبة هذا المقال شاهدة عيان على ما حدث، بيد أن الروايات كلها تفيد بأن الكلب المجهول كان هو المنتصر.

ليدي ويسلداون

عادت كيت إلى غرفة الاستقبال متعثرة، حيث اصطدمت ذراعها بذراع ماري إذ حاولت كلتاهما حشر نفسها في المدخل في الوقت نفسه. جلس نيوتن بسعادة في منتصف الغرفة، ناثرًا فراءه على البساط الأزرق والأبيض وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة عريضة للفيكونت.

قالت ماري، بنبرة تحمل شيئًا من الاتهام:

- يبدو لي أنه يحبك.

قالت كيت:

- إنه يحبك أنتِ أيضًا يا ماري. المشكلة أنكِ لا تبادلينه الحب.

- سأفعل إن هو توقف عن محاصرتي والهجوم عليَّ كلما مررت عبر الرّدهة.

قال لورد بريدجرتون:

- ظننتك قلتِ إن السيدة شيفيلد والكلب ليسا على وفاق.

أجابت كيت:

- هذا صحيح. حسن، ليس تمامًا. حسنٌ، هذا صحيح وغير صحيح في آنٍ واحد.

غمغم قائلًا:

- ذلك يوضّح الكثير.

تجاهلت كيت سخريته الخافتة وأوضحت قائلة:

- نيوتن يعشق ماري، لكن ماري لا تعشق نيوتن.

قاطعتها ماري قائلة:

- سيزداد عشقي له إن هو قلّل من عشقه لي.

واصلت كيت بإصرار:

- لذا فإن نيوتن المسكين يعتبر ماري شيئًا من قبيل التحدي. وهكذا كلما رآها...

هزت كيت كتفيها بيأس واستطردت:

- حسنٌ، أخشى أنه يضطر ببساطة إلى إظهار عشقه بطريقة أقوى وأشد إلحاحًا.

وفي نفس اللحظة، وقع نظر الكلب على ماري فقفز على الفور إلى قدميها.

صاحت ماري:

- كيت!

اندفعت كيت إلى زوجة أبيها، بينما وقف نيوتن على ساقيه الخلفيتين ونشب مخالبه الأمامية فوق ركبتَيْ ماري تمامًا. زجرته قائلة:

- نيوتن، اهبط! كلب سيئ. كلب سيئ.

عاود الكلب الجلوس بنبحة خافتة.

قالت ماري بنبرة شديدة الجدية:

- كيت، لا بد أن يؤخذ هذا الكلب للتمشية. فورًا.

أجابت كيت:

- كنت على وشك أن أفعل قبل أن يصل الفيكونت.

وأشارت إلى الرجل الواقف أمامهما. في الحقيقة، كان من المذهل كم الأشياء التي يمكنها أن تلوم عليها الرجل ثقيل الظل إن هي عزمت أمرها على ذلك.

صاحت ماري:

- أوه! أستميحك عذرًا أيها اللورد. يا لها من فظاظة منّي ألا أحييك.

قال برفق:

- لا عليك. لقد انهمكتِ قليلًا لدى وصولك.

قالت ماري بتبرّم:

- نعم. ذلك الكلب الوحشي... آه، ولكن أين أخلاقي؟ هل ترغب في كوبٍ من الشاي؟ أو في شيءٍ تأكله؟ لطف بالغ منك أن تزورنا.

- لا، شكرًا لك. كنت فقط أستمتع بصحبة ابنتك المنعشة فيما أنتظر عودة إدوينا.

أجابت ماري:

- آه، نعم. إدوينا في نزهة مع السيد بيربروك كما أعتقد. أليس هذا صحيحًا يا كيت؟

أومأت كيت بجمود، ليست واثقة من أن لفظ «منعشة» قد راق لها.

سألت ماري:

- هل تعرف السيد بيربروك أيها اللورد بريدجرتون؟

- آه، نعم.

قالها بتحفظ فكّرت كيت في أنه مفاجئ إلى حد بعيد.

- نعم، أعرفه.

- لم أكن واثقة إن كان صوابًا مني أن أسمح لإدوينا بالذهاب معه في جولة. ليس من السهل أبدًا قيادة تلك العربات التي تجرّها الخيول، صحيح؟

أجاب أنطوني:

- أنا واثق أن السيد بيربروك يملك يدين ثابتتين مع خيله.

قالت ماري بتنهيدة ارتياح:

- أوه، عظيم. لقد أرحت ذهني دون ريب.

أطلق نيوتن نباحًا متقطعًا، فقط ليذكّر الجميع بحضوره.

قالت كيت بعجالة:

- جديرٌ بي أن أعثر على سلسلته وأن آخذه للتمشية.

مؤكّد أنها بحاجة إلى بعض الهواء النقي. ثم إنه سيكون لطيفًا أن تتملّص أخيرًا من رفقة الفيكونت الشيطانية تلك.

- بعد إذنكما...

صاحت ماري:

- انتظري يا كيت! لا يمكنك ترك لورد بريدجرتون هنا معي. أنا واثقة أنني سأضجره حتى البكاء.

استدارت كيت ببطء، خائفة من كلمات ماري التالية.

قال الفيكونت:

- محال أن تضجريني أبدًا أيتها السيدة شيفيلد.

تمامًا كما يجدر بمنحلٍ أنيق مثله.

أكّدت له قائلة:

- أوه، لكني سأفعل. لم تعلَق قط في حديثٍ معي لمدة ساعة كاملة. وهي تقريبًا المدة التي ستستغرقها إدوينا حتى تعود.

حدّقت كيت إلى زوجة أبيها، وقد سقط فكها السفلي مفتوحًا في ذهول. ماذا تظن ماري نفسها فاعلة بحق السماء؟

اقترحت ماري:

- لمَ لا تذهب مع كيت لتمشية نيوتن؟

سارعت كيت قائلة:

- أوه، لا يمكنني أبدًا أن أطلب من لورد بريدجرتون أن يرافقني في هذه المهمة الرتيبة. ستكون تلك وقاحة ما بعدها وقاحة، إنه ضيفنا المبجّل بعد كل شيء.

أجابت ماري، قبل أن يتمكن الفيكونت من التفوه بنصف كلمة حتى:

- لا تكوني سخيفة. مؤكّد أنه لن يعتبرها مهمة رتيبة كما تقولين. أليس كذلك أيها اللورد؟

تمتم قائلًا:

- بلى بالطبع.

وقد بدا صادقًا تمامًا، ولكن ماذا عساه يقول غير ذلك؟

قالت ماري:

- هاك. هذا يحسم الأمر.

وقد بدت مزهوة جدًا بنفسها قبل أن تتابع:

- ومن يدري؟ لعلكما تصادفان إدوينا في طريقكما. أولن يكون هذا لطيفًا؟

قالت كيت من بين أسنانها:

- بلى.

اللطيف حقًا هو أن تتخلص من الفيكونت. أما آخر ما أرادت فعله فهو أن تضع إدوينا تحت براثنه. إن أختها ما زالت صغيرة وسريعة التأثر. ماذا لو لم تستطع مقاومة واحدة من ابتساماته تلك؟ أو مقاومة لسانه الطليق؟

حتى كيت نفسها كانت مستعدة للاعتراف بأن لورد بريدجرتون ينضح بسحر لا يستهان به، هي التي تبغضه أصلًا! مؤكّد أن إدوينا، بطبيعتها الأقل ريبة في بني الإنسان، ستنسحق تحت وطأة سحره.

التفتت إلى الفيكونت قائلة:

- عليك ألا تشعر بأنك مجبر على مرافقتي في تمشية نيوتن يا سيدي.

قال بابتسامة شريرة:

- بل يسعدني ذلك.

وتخلّف لدى كيت انطباع بأنه لا يوافق على الذهاب إلا لأجل إغاظتها. استطرد قائلًا:

- ثم إننا قد نلتقي بإدوينا كما قالت أمك، أولن تكون تلك صدفة رائعة؟

أجابت كيت بفتور:

- بالتأكيد. وأي روعة.

قالت ماري:

- ممتاز!

وقد استخفها الفرح وأخذت تصفق بيديها.

- لقد رأيت سلسلة نيوتن على طاولة الرّدهة. انتظرا، سأذهب وأحضرها لكما.

راقب أنطوني ماري تغادر، ثم التفت إلى كيت وقال:

- لقد حدث ذلك بسلاسة شديدة.

غمغمت كيت:

- معك حق.

همس وهو يميل ناحيتها:

- برأيك، هل تحاول الجمع بيني وبين إدوينا أم بيني وبينك؟

- أنا؟ (قالتها كيت بصوت أشبه بالنعيق) لا بد أنك تمزح.

فرك أنطوني ذقنه بتفكّر، وهو ينظر إلى المدخل الذي خرجت منه ماري لتوها. قال مفكّرًا:

- لست واثقًا، لكن...

ثم أغلق فمه لدى سماعه خطوات ماري تقترب عائدة.

قالت ماري وهي تمد يدها بالسلسلة لكيت: «ها هي ذي». أخذ نيوتن ينبح بحماس وشدّ نفسه للخلف وكأنما يستعد للوثب على ماري –ليمطرها ولا شك بكل أنواع الحب غير المستساغ– لكن كيت قبضت على طوقه بقوة.

ناولت ماري السلسلة لأنطوني بسرعة قائلة:

- ها هي ذي، هلا أعطيتها لكيت. أفضل ألّا أقترب كثيرًا.

نبح نيوتن وتطلّع بتوق إلى ماري، التي أخذت خطوة صغيرة للوراء.

قال أنطوني بحزم للكلب:

- أنت! اجلس وابقَ هادئًا.

ولدهشة كيت أطاعه نيوتن، واضعًا مؤخرته الممتلئة على البساط بسرعة تكاد تكون مضحكة.

«هاك». قالها أنطوني وقد بدا مزهوًا بنفسه إلى حد ما. ثم مدَّ يده بالسلسلة إلى كيت قائلًا:

- هل تتولّين شرف ربطها أم أفعل أنا؟

أجابت:

- أوه، بل تفضَّل واربطها. يبدو أن بينك وبين الكلاب تآلفًا من نوع خاص.

قال وقد خفض صوته كي لا تسمعه ماري:

- بالتأكيد. فلا فارق كبير بين الكلاب والنساء. كلتا السلالتين تزداد افتتانًا بي مع كل كلمة.

دهست كيت يده وهو منحنٍ لربط السلسلة بطوق نيوتن وقالت بتصنُّع:

- ويحي! إنني في غاية الأسف.

ردَّ وهو يعاود الوقوف:

- تعاطُفك الرقيق يحل عزيمتي فعلًا. يكاد الدمع يفر من عيني.

أخذت رأس ماري تنتقل ذهابًا وإيابًا بين كيت وأنطوني. لم تستطع سماع ما يقولانه بيد أنها كانت مذهولة. تساءلت:

- هل ثمة خطب ما؟

أجابها أنطوني: «إطلاقًا». بينما قالت كيت بحزم في الوقت نفسه: «لا».

قالت ماري بنشاط:

- عظيم. إذن سأصطحبكما إلى الباب.

ثم أضافت لدى سماعها نباح نيوتن المتحمّس:

- ولكني أفضّل ألا أفعل. الحق أني لا أريد الاقتراب مسافة عشرة أقدام من ذلك الكلب. سأكتفي بالتلويح لكما من بعيد.

قالت كيت لماري وهي تمر بجوارها:

- كيف كنت لأعيش من دون تلويحك لي من بعيد؟

كتمت ماري ابتسامتها قائلة:

- لست أدري حقًا يا كيت. لست أدري حقًا.

اضطربت معدة كيت وراودها شك غامض في أن يكون لورد بريدجرتون على حق. ربما كانت ماري تلعب دور الخاطبة لها هي وليس لإدوينا هذه المرّة.

كانت فكرة مرعبة.

وقفت ماري في الرّدهة بينما خرجت كيت مع أنطوني واتجها غربًا إلى شارع ميلنر. فكّرت كيت في أن الفيكونت قد لا يكون على دراية تامة بهذه المنطقة من المدينة، فأوضحت قائلة:

- اعتدتُ أن ألتزم بالشوارع الضيقة وأن أشق طريقي حتى شارع برومتون، ثم منه إلى حديقة هايد بارك. لكن يمكننا السير مباشرة عبر شارع سلون، إن أردت.

اعترض قائلًا:

- بل سنسلك الطريق الذي تريدين. وسوف أتبع توجيهاتك.

قالت كيت: «حسنٌ إذن». وسارت بحزم نحو شارع ميلنر باتجاه حدائق لينوكس. ربما إن أبقت عينيها إلى الأمام وتحرّكت بنشاط، قد تثنيه وتثبط همته عن الحديث. كان يفترض بنزهاتها اليومية مع نيوتن أن تكون فترات للتأمُّل خاصة بها وحدها. لم يرق لها أن عليها الآن أن تسحبه معها.

نجحت استراتيجيتها لعدة دقائق. سارا بصمت طوال الطريق حتى تقاطع شارعي هانز كرسنت وبرومتون، ثم قال فجأة:

- لقد تلاعب بنا أخي الليلة الماضية.

استوقفتها الجملة وجمدت في مكانها. قالت:

- أستميحك عذرًا؟

- هل تعلمين ما أخبرني به عنكِ قبل أن يعرّفنا ببعضنا؟

تعثّرت كيت خطوة للأمام وهي تهز رأسها نفيًا. فالجملة لم تستوقف نيوتن وأخذ يجذب السلسلة كالمحموم.

- أخبرني أنك لم تكفّي عن الحديث عني.

قالت كيت ببطء:

- حسنٌ، إن كان للمرء أن يتحرّى الصدق، فهو لم يجانبه الصواب تمامًا.

أضاف أنطوني:

- كان يلمّح بأنك لم تكفّي عن الثناء عليّ.

ما كان عليها أن تبتسم.

- ها قد جانبه الصواب.

ربما ما كان عليه هو الآخر أن يبتسم، وإن كان ذلك قد أسعد كيت. أجاب قائلًا:

- هكذا ظننت.

اتجها إلى شارع برومتون باتجاه مقاطعة نايتسبريدج وحديقة هايد بارك، وسألت كيت:

- ولمَ عساه يفعل شيئًا كهذا؟

رمقها أنطوني بنظرة جانبية قائلًا:

- ليس لديك إخوة صبيان إذن؟

- لا، إدوينا فقط، وأخشى أنها قطعًا فتاة.

أوضح أنطوني:

- لقد فعل فعلته فقط من أجل إغاظتي.

همست كيت وكأنما تحدث نفسها:

- هدف سامٍ.

- سمعت ذلك.

أضافت:

- ظننتُ إلى حدٍ كبير أنك ستفعل.

استطرد قائلًا:

- وأحسب أنه كان يريد إغاظتِك أنتِ أيضًا.

هتفت:

- أنا؟ لمَ عساه يفعل؟ هل آذيته قط؟

اقترح قائلًا:

- ربما استفززته قليلًا بتشويهك سُمعة أخيه الحبيب.

قطّبت حاجبيها:

- الحبيب؟

حاول:

- الموقر؟

هزّت رأسها نفيًا قائلة:

- لست أصدّق تلك أيضًا.

ابتسم أنطوني. فالآنسة شيفيلد الكبرى، رغم أساليبها المتسلّطة المزعجة، كانت تتمتع بسرعة بديهة جديرة بالإعجاب. بلغا نايتسبريدج، فالتقط أنطوني ذراعها وعبرا الشارع الرئيسي ثم سلكا أحد الممرات الصغيرة التي تؤدي إلى طريق ساوث كاريدج الذي يمر عبر هايد بارك. كان من الواضح أن نيوتن كلب ريفي حتى النخاع، فبمجرد أن دخلا المساحة الخضراء حتى زاد من سرعته، وإن كان يصعب تصوّر أن ذاك الكلب البدين قد يتحرّك بأي خطىً يمكن وصفها حقًا بالسريعة.

ومع ذلك بدا الكلب إلى حدٍ ما مبتهجًا وقطعًا مفتونًا بكل زهرة وكل حيوان صغير وكل مار في طريقهما. تداخلت أشعة الشمس الدافئة مع هواء الربيع المنعش وغطّت السماء زرقة صافية، كان صفاؤها غريبًا مقارنةً بأيام المطر السابقة بلندن. ورغم أن المرأة التي تأبّطت ذراعه لم تكن المرأة التي ينوي الزواج بها، ولا هي المرأة التي ينوي فعل أي شيء معها في الواقع، فقد غمر أنطوني إحساس عفوي بالاطمئنان والرضا.

سأل كيت:

- هل نُكمل مسيرنا حتى مضمار روتن رو[1]؟

- هممم؟

هكذا أجابته بذهنٍ شارد. كانت قد رفعت وجهها باتجاه الشمس تتحمم بدفء أشعتها. وللحظة مبلبلة جدًا أحسّ أنطوني بوخزة حادة من... شيء ما.

شيء ما؟ هز أنطوني رأسه هزة خفيفة. محال أن يكون اشتهاءً. ليس نحو تلك المرأة.

---

(1) روتن رو هو مسار عريض يمتد لمسافة 1384 مترًا على طول الجانب الجنوبي من هايد بارك في لندن. وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كان روتن رو مضمارًا عصريًا لفروسية الطبقة العليا في لندن.

تمتمت قائلة:

- هل قلت شيئًا؟

تنحنح وأخذ نفسًا عميقًا، آملًا أن يصفي ذهنه. لكنه التقط بدلًا من ذلك نفحة مُسكِرة من رائحتها، التي كانت مزيجًا غريبًا من الزنبق البري وعطر الصابون. قال:

- تبدين مستمتعة بالشمس.

ابتسمت، وأدارت وجهها له بعينين صافيتين قائلة:

- أعلم أن هذا ليس ما قلته، ولكن أجل، أنا مستمتعة بها. كان الجو ممطرًا لحد مرعب في الآونة الأخيرة.

أغاظها قائلًا:

- ظننت أن الآنسات الصغيرات لا يفترض بهن ترك أشعة الشمس تسقط على وجوههن.

هزت كتفيها بلا أثر من خجلٍ يُذكر وقالت:

- لا يفترض بهن. أو بالأحرى لا يفترض بنا. لكن ذلك ليس ممتعًا.

تنهدت ولاحت نظرة حنين على وجهها قوية لدرجة كادت توجع أنطوني. قالت بحزن:

- أتمنى لو أن بإمكاني خلع قلنسوتي.

أومأ أنطوني موافقًا، فقد أحسّ نفس الشعور تجاه قبعته. اقترح قائلًا:

- ربما يمكنك إرجاعها للخلف قليلًا من دون أن يلاحظ أحد.

- أتظن ذلك؟

وقد أضاءت الفكرة وجهها كله، فإذا بتلك الوخزة الغريبة تخترق أحشاءه مرة أخرى.

تمتم قائلًا:

- بالطبع.

ومد يده ليضبط حافة القلنسوة. كانت واحدة من تلك القبعات النسوية الأنيقة التي يبدو أن النساء يفضلنها، تغطيها الأشرطة الدانتيل، ومربوطة بطريقة لا يمكن لرجل طبيعي فهمها.

- ابقيْ ثابتة لدقيقة.. سأعدل وضعها.

التزمت كيت مكانها، تمامًا كما طلب منها برفق، ولكن عندما لمست أصابعه دون قصد جبينها، توقفت عن التنفس هي أيضًا. كان قريبًا جدًا، وكان في ذلك شيء شديد الغرابة. كانت تشعر بحرارة جسمه، ورائحة عطره الصابوني النظيف.

وقد رماها ذلك بسهمٍ من الإدراك.

إنها تكرهه، أو على الأقل لا تحبه أو تتقبّله بحال، ومع ذلك أحسّت برغبة غريبة ملحة بالميل للأمام قليلًا، حتى تنكمش المسافة بين جسميهما إلى لا شيء، و...

ابتلعت ريقها وأرغمت نفسها على التراجع. ربّاه، هل أصابتها جنّة؟

قال:

- انتظري هنيهة. لم أنتهِ بعد.

مدّت كيت يدها بأصابع محمومة وعدّلت قلنسوتها قائلة:

- أنا متأكدة أنها بخير. لا داعي... لا داعي لأن تزعج نفسك.

سألها:

- هل تشعرين بالشمس أكثر؟

أومأت، رغم أنها كانت مشتتة لحدٍ لم تعرف معه إن كان هذا فعلًا صحيحًا.

- نعم، أشكرك. هذا لطيف. إنني... أوه!

أطلق نيوتن سيلًا صاخبًا من النباح وشدّ السلسلة بقوة.

صاحت ويدها مشدودة مع السلسلة: «نيوتن!». بيد أن بصر الكلب كان قد وقع بالفعل على شيء ما –لم تدرِ كيت ما هو– وأخذ يتقافز بحماس للأمام، جاذبًا إياها معه حتى كادت تتعثر وتقع. كان جسمها كله منكفئًا للأمام وكتفاها تسبقان بقيتها. صاحت مجددًا: «نيوتن!»، ثم بيأس نوعًا ما: «نيوتن! توقّف!».

راقب أنطوني مستمتعًا إذ انطلق الكلب بسرعة لم يكن ليخمّن قط أن أرجله القصيرة المكتنزة قادرة عليها. بذلت كيت جهدًا جهيدًا لتظل ممسكة بالسلسلة، بينما أخذ نيوتن ينبح كالمخبول ويركض بعنفوان مكافئ.

هرول أنطوني لمساعدتها قائلًا:

- آنسة شيفيلد، اسمحي لي بأخذ السلسلة.

لم تكن تلك الطريقة الأروع للعب دور البطل، إلا أن أي شيء سيفي بالغرض عندما يحاول المرء نيل إعجاب أخت عروسه المقبلة.

ولكن لم يكد أنطوني يلحق بها، حتى جذب نيوتن السلسلة جذبة ضارية، فانفلتت متحررة على الفور من قبضتها. صرخت كيت واندفعت للأمام بضع خطوات، بينما أطلق الكلب سيقانه للريح، والسلسلة تشق طريقها خلفه على العشب.

لم يدرِ أنطوني هل يضحك أم يزمجر. من الواضح أن نيوتن لا يريد لأحدٍ أن يمسكه.

جمدت كيت للحظة، وقد غطت فمها بإحدى يديها. ثم التقت عيناها بعيني أنطوني، وسرعان ما أدرك ما تنوي فعله.

سارع بقوله:

- آنسة شيفيلد، أنا متأكد...

لكنها أطلقت ساقيها للريح مع افتقار شديد الوضوح للياقة، وصرخت: «نيوتن!». تنهّد أنطوني بتبرّم وانطلق يركض خلفها. لم يكن ليتركها تطارد الكلب بمفردها ثم يظل يصف نفسه بالنُبل في الوقت ذاته.

كانت تسبقه بمسافة كبيرة مع ذلك، وعندما تمكّن من اللحاق بها عند الزاوية، كانت قد توقّفت. كانت تتنفس بصعوبة، وقد وضعت يديها على خصرها وأخذت تمسح المشهد بعينيها باحثة عن نيوتن.

سألها أنطوني:

- أين ذهب؟

وهو يحاول تناسي حقيقة أن ثمة شيئًا مثيرًا إلى حدٍ ما في سماعه امرأة تلهث.

«لا أدري»، ثم توقّفت لالتقاط أنفاسها قبل أن تُكمل: «أظنه يطارد أرنبًا».

قال:

- أوه، يا إلهي، حسن، هذا يسهّل علينا الإمساك به. فالأرانب عادةً ما تبقى على الطرق الممهّدة.

قابلت سخريته بالعبوس قائلة:

- ماذا سنفعل؟

كاد أنطوني أن يجيبها قائلًا: «عودي إلى منزلك واحصلي على كلب حقيقي».

لكنها بدت قلقة لدرجةٍ ألجم معها لسانه. الحق أنه عند النظر بتمعّن وقُرب، فإن كيت كانت تبدو مغتاظة أكثر منها قلقة، لكن كان ثمة بعض القلق في هذا المزيج بالقطع.

لذا بدلًا من ذلك قال:

- أقترح أن ننتظر حتى نسمع صرخة من إحداهن. فمن المؤكد أنه في أي لحظة الآن سيقفز على قدمي إحدى الفتيات، فتفقد صوابها هلعًا.

لم يبدُ عليها الاقتناع، قالت:

- أتظن ذلك حقًا؟ إنه لا يبدو كلبًا مثيرًا للهلع. ربما يظن نفسه كذلك، وهو أمر طريف للغاية في الواقع لكن الحقيقة أنه...

ثم تناهى إلى سمعهما صوت صرخة مطوّلة.

قال أنطوني بجفاء:

- أظن أننا قد حصلنا على الإجابة.

وانطلق في اتجاه صرخة الفتاة المجهولة.

انطلقت كيت في عقبه تشق طريقها على العشب مباشرة باتجاه مضمار روتن رو. كان الفيكونت يركض أمامها، وكل ما استطاعت التفكير فيه هو أن رغبته في الزواج بإدوينا لا بد أن تكون صادقة، لأنه على الرغم من حقيقة أنه رياضي بارع بوضوح، فقد بدا غير وقور بالمرة وهو يركض قاطعًا الحديقة خلف كلب كورجي سمين. والأسوأ من ذلك أنهما كانا على وشك الركض عبر مضمار روتن رو، ساحة القيادة وركوب الخيل المفضلة لأعضاء الوسط الرفيع أجمعين.

كان الجميع على وشك رؤيتهما. إن رجلًا أقل عزمًا كان ليستسلم منذ وقتٍ طويل.

ظلت كيت تركض في عقبه، لكن المسافة بينهما كانت لا تنفك تزداد. لم تجرّب السراويل كثيرًا، لكنها كانت على أتم يقين من أن الركض بها أسهل منه بالتنانير. ولا سيّما عندما تكون في مكانٍ عام لا يمكنها فيه رفع تنورتها فوق الكاحل.

مرقت عبر مضمار روتن رو، رافضة النظر إلى أيٍ من الفتيات والفتيان المتأنّقين الذين يتنزهون بخيولهم. فلا تزال هناك فرصة في ألا يتعرّف عليها

أحد كآنسة مستهترة تسابق الريح عبر الحديقة وكأن أحدًا قد أطلق النار على حذائها. لم تكن فرصة كبيرة، لكنها فرصة على أي حال.

عندما وصلا إلى العشب مرة أخرى، تعثرت للحظة واضطرت إلى التوقف لالتقاط أنفاسها. ثم تراءى لها الرعب مجسدًا. لقد كادا يبلغان بحيرة السيربنتين.

- أوه، لا.

لم يكن شيئًا أحب إلى نيوتن من القفز إلى البحيرات. كانت الشمس دافئة بما يكفي لتبدو البحيرة مغرية، خاصة بالنسبة إلى كائن مغطىً بالفراء الكثيف الثقيل، كائن كان يركض بسرعة جنونية لخمس دقائق. حسن، جنونية بالنسبة إلى كورجي بدين.

فقد كانت سرعته كافية لإبقاء فيكونت يبلغ طوله ستة أقدام على مسافة بعيدة، كما لاحظت كيت باهتمام.

رفعت كيت تنورتها بوصة أو نحوها -اللعنة على المتفرجين، لا يمكنها الاهتمام بآداب السلوك الآن- وتابعت الركض. كان من المستحيل أن تلحق بنيوتن، لكن لعل بمقدورها اللحاق بلورد بريدجرتون قبل أن يقتل نيوتن.

لا بد أن القتل يدور بخلده الآن. أي رجل مكانه كان ليريد قتل هذا الكلب الآن، اللهم إلا لو كان قديسًا.

وإذا كان واحد بالمائة مما كُتب عنه في عمود ويسلداون صحيحًا، فإنه أبعد ما يكون عن القديسين.

ابتلعت كيت ريقها. نادت:

- لورد بريدجرتون!

وقد عزمت على إخباره بأن يوقف المطاردة. ليس عليها ببساطة سوى أن تنتظر من نيوتن أن يُنهك نفسه. وبأرجله التي يبلغ طول الواحدة منها أربع بوصات، فسوف يحدث هذا عاجلًا لا آجلًا.

- لورد بريدجرتون! يمكننا فقط...

ثم توقّفت كيت فجأة. هل تلك الفتاة الواقفة قرب بحيرة السيربنتين إدوينا؟ ضيّقت عينيها. إنها إدوينا فعلًا، تقف بأناقة وقد شبكت يديها أمامها. ويبدو أن السيد بيربروك التعِس كان منكبًّا على إصلاح شيء ما في عربته.

توقّف نيوتن للحظة واحدة، وقد وقع بصره على إدوينا في نفس اللحظة التي رصدتها فيها كيت، فغيّر مساره بسرعة وأخذ ينبح بسعادة راكضًا تجاه محبوبته.

نادت كيت مرة أخرى:

- لورد بريدجرتون! تعال، انظر! هناك...

تلفّت أنطوني حوله لدى سماعه صوتها، ثم تبع إصبعها المشير باتجاه إدوينا. إذن هذا هو ما جعل الكلب اللعين يدور على كعبه ويغير مساره فجأة تسعين درجة. كاد أنطوني ينزلق على الوحل ويسقط على مؤخرته وهو يحاول محاكاة تلك الالتفافة البهلوانية.

سوف يقتل ذلك الكلب.

لا، بل سيقتل كيت شيفيلد.

لا، بل...

قطعت أفكار أنطوني البهيجة عن الاقتصاص صرخة إدوينا المفاجئة:

- نيوتن!

كان يروق لأنطوني اعتبار نفسه رجلًا سريع البديهة والتصرف، ولكن حينما رأى الكلب يلقي بنفسه في الهواء مندفعًا باتجاه إدوينا، جمّدته الصدمة تمامًا. لم يكن شكسبير نفسه ليقدر على الإتيان بنهاية أنسب لهذه المهزلة، حدث كل شيء أمام عينَيْ أنطوني مباشرةً كأنما بالتصوير البطيء.

ولم يكن بوسعه فعل شيء حياله.

كان الكلب على وشك الاصطدام مباشرة بصدر إدوينا. كانت إدوينا على وشك التعثر للخلف.

لتسقط مباشرة في البحيرة.

صاح:

- لااااااا!

ثم اندفع للأمام رغم معرفته أن كل محاولاته البطولية الآن لن تكون مجدية. وبالفعل لم يكد يقطع نصف المسافة حتى سقطت إدوينا للخلف وارتطمت بسطح الماء.

صاح بيربروك:

- يا إلهي المجيد! لقد ابتلّت تمامًا!

انفجر أنطوني:

- حسن، لا تكتفِ بالوقوف. افعل شيئًا للمساعدة!

فيما وصل إلى مشهد الحادث واندفع نحو البحيرة.

من الواضح أن بيربروك لم يفهم ما يعنيه ذلك تمامًا، فقد ظل واقفًا هناك بعينين جاحظتين، بينما مدّ أنطوني يده وأمسك بيد إدوينا ساحبًا إياها لتقف على قدميها.

سأل بصوتٍ أجش:

- هل أنتِ بخير؟

اكتفت إدوينا بالإيماء، فقد أخذت تتفل وتعطس بشدة لم تستطع معها الرد.

زأر أنطوني:

- آنسة شيفيلد.

لدى رؤيته كيت تنزلق واقفة عند الشط. ثم أردف:

«لا ليس أنتِ». عندما شعر بإدوينا تلتفت نحوه. «بل أختك».

سألت وهي تطرف لطرد المياه القذرة من عينيها:

- كيت؟ أين كيت؟

تمتم قائلًا:

- ها هي ذي جافة كالعظام على الضفة.

ثم صرخ باتجاهها قائلًا:

- سيطري على كلبك اللعين!

كان نيوتن قد خرج من البحيرة ناثرًا المياه حوله، ثم استقر بابتهاج على العشب، وقد تدلّى لسانه بسعادة خارج فمه. أسرعت كيت إليه وأمسكت بالسلسلة. لاحظ أنطوني أنها لا تملك ردًا لاذعًا على طلبه الهادر. جيد، فكّر مغتاظًا. لم يتصوّر أن تلك المرأة اللعينة لديها من ضبط النفس ما يكفيها لإبقاء فمها مغلقًا.

التفت مجددًا إلى إدوينا، التي لدهشته لم تزل تستطيع أن تبدو جميلة حتى ومياه البركة العفنة تتقاطر منها. قال بصوت أجش:

- دعيني أخرجك من هنا.

وقبل أن تسنح لها الفرصة للرد، كان قد لفّ ذراعيه حولها وحملها إلى أرضٍ جافة.

قال بيربروك وهو يهز رأسه:

- لم أرَ قط شيئًا كهذا.

لم يحر أنطوني ردًا. لم يتصوّر إمكانية أن يتحدّث دون أن يلقي بهذا الأحمق في المياه. فيمَ كان يفكر وهو يقف هكذا بلا حراك تاركًا إدوينا تغرق بسبب المخلوق المثير للشفقة شبيه الكلاب هذا.

تقدّمت كيت بضع خطوات بقدر ما تسمح لها سلسلة نيوتن وسألت:

- إدوينا؟ هل أنتِ بخير؟

قال أنطوني من بين أسنانه:

- أظنك فعلتِ ما يكفي.

بينما اقترب منها حتى صارا على مسافة قدم واحدة من بعضهما بعضًا.

شهقت قائلة:

- أنا؟

انفجر وهو يشير بإصبعه بعنف نحو إدوينا بينما قد أبقى انتباهه بالكامل منصبًا على كيت:

- انظري إليها. فلتنظري إليها فقط!

- لكنه كان حادثًا!

صاحت إدوينا، وقد بدت مذعورة قليلًا من مستوى الغضب المحتدم بين أختها والفيكونت:

- أنا حقًا بخير. أشعر بالبرد، لكنّي بخير!

ردّت كيت:

- أرأيت؟

وابتلعت ريقها بصعوبة لدى مرأى أختها المشعثة قبل أن تردف: «كان حادثًا».

اكتفى بعقد ذراعيه ورفع حاجبه.

جفلت قائلة:

- ألا تصدّقني؟ لا أصدّق أنك لا تصدّقني.

لم ينبس أنطوني بكلمة. كان من غير المعقول بالنسبة إليه أنّ كيت شيفيلد، بكل ما تملك من ذكاء ودهاء، لا تغار من أختها. وحتى لو لم تملك من أمرها شيئًا للحيلولة دون وقوع هذا الحادث المؤسف، فلا بد من أنها قد استمتعت قليلًا بحقيقة أنها جافة ومرتاحة بينما تبدو إدوينا كالفأر المنقوع. فأر جميل دون شك، لكنه منقوع بكل تأكيد.

لكن من الواضح أن كيت لم تكن أنهت حديثها بعد. قالت بازدراء:

- بصرف النظر عن حقيقة أنني من المُحال أن أفعل شيئًا يؤذي إدوينا، ولكن كيف استطعت برأيك أن أدبّر مثل هذه المفخرة المُدهشة؟

ثم صفقت بيدها الحرة على خدّها تعبيرًا عن اكتشاف وهمي.

- أوه، نعم، لا بد من أنّي أتحدث بلغة كلاب الكورجي السرّية. فطلبت من الكلب انتزاع السلسلة من يدي ثم، نظرًا لأني أمتلك قوة الاستبصار الخارق، فقد علمت أن إدوينا كانت تقف هنا أمام السيربنتين، لذا فقد طلبت من الكلب -عبر التخاطر الذهني بيننا، نظرًا لأنّي كنت بعيدة عنه لدرجة لن يسعه معها سماع صوتي في ذلك الحين- أن يغير وجهته، أن يندفع نحو إدوينا، أن يُسقطها في البحيرة.

- السخرية لا تليق بك أيتها الآنسة شيفيلد.

- لا شيء يليق بك أيها اللورد بريدجرتون.

مال أنطوني للأمام بذقنٍ بارز يشي بالوعيد قائلًا:

- لا يجدر بالنساء الاحتفاظ بحيوانات أليفة ما دمن لا يستطعن السيطرة عليها.

اندفعت قائلة:

- ولا يجدر بالرجال اصطحاب النساء بحيواناتهن الأليفة للتمشية في الحديقة ما داموا لا يستطيعون السيطرة أيضًا.

شعر أنطوني حرفيًا بطرفي أذنيه يحمرّان بغضب عارم يكاد ينفلت من عقاله، قال:

- أنتِ، أيتها السيدة، آفة من آفات المجتمع.

فتحت فمها كأنما لتردّ الإهانة، ولكن بدلًا من ذلك منحته ابتسامة شيطانية مخيفة والتفتت إلى الكلب وقالت:

- نيوتن، انفض نفسك.

نظر نيوتن إلى إصبعها المشير باتجاه أنطوني، ثم هرول في طاعة بضع خطوات للاقتراب قبل أن يبدأ في الاهتزاز بعنف نافضًا الماء عن جسمه، وناثرًا ماء البركة في كل مكان.

زأر أنطوني وقد امتدت يده مستهدفة حلقها:

- أقسم... إنّي... سأقتلك!

تفادت كيت يده بخفة وانتقلت إلى جانب إدوينا. قالت بتهكّم وقد وجدت الأمان خلف هيئة أختها التي تقطر ماءً:

- مهلًا، مهلًا أيها اللورد بريدجرتون. لن يفيدك أن تفقد أعصابك أمام الجميلة إدوينا.

همست إدوينا بإلحاح:

- كيت؟ ما الذي يحدث؟ لماذا تعاملينه بهذا اللؤم؟

هسهست كيت:

- لماذا يعاملني هو بهذا اللؤم؟

قال السيد بيربروك فجأة:

- يا إلهي، لقد بللني هذا الكلب.

أجابته كيت: «لقد بللنا جميعًا». بمن فيهم نفسها. ولكن كان الأمر يستحق. أوه، ما دامت قد رأت نظرة الصدمة والغضب تلك على وجه ذلك الأرستقراطي المتعجرف، فلم يذهب الأمر عبثًا.

زأر أنطوني مشهرًا سبابته الحانقة نحو كيت:

- أنتِ! اصمتي.

التزمت كيت صمتها. لم تستطع استجماع ما يكفي من التهوّر لتستفزه أكثر من ذلك. بدا كأن رأسه قد ينفجر في أي لحظة. وقد خسر دون ريب كل حق في الكرامة كان له في بداية اليوم. كان كمه الأيمن يقطر ماءً منذ سحب إدوينا خارج البحيرة، وبدا أن حذاءه قد خرب للأبد، وتناثرت بقع المياه على ثيابه كلها، بفضل براعة نيوتن الاحترافية في نفض المياه عن جسمه.

استطرد بصوت خفيض متوعد:

- إليكم ما سنفعله.

قال السيد بيربروك بمرح، غافلًا تمامًا عن حقيقة أن لورد بريدجرتون سيقتل على الأرجح أول من يفتح فمه:

- ما أحتاج إلى فعله هو أن أكمل تصليح عربتي. ثم أصطحب الآنسة شيفيلد إلى بيتها.

وأشار إلى إدوينا، تحسبًا أن أحدًا من الواقفين لم يفهم أي آنسة شيفيلد يقصد.

قال أنطوني من بين أسنانه:

- أيها السيد بيربروك، هل تعرف كيف تصلح عربة؟

رمش السيد بيربروك بضع مرات.

- هل تعرف حتى ما المشكلة في عربتك؟

فتح بيربروك فمه وأغلقه عدة مرات، ثم قال:

- لديّ بعض الأفكار. لن أستغرق طويلًا حتى أكتشف المشكلة الفعلية.

حدّقت كيت إلى أنطوني، وقد أذهلها العِرق النافر في عنقه. لم ترَ قط رجلًا خارجًا عن السيطرة بهذا الوضوح. توجست خيفة من الانفجار الوشيك وعادت بحذر نصف خطوة خلف إدوينا.

لم تحب أن ترى نفسها جبانة، بيد أن الدفاع عن النفس كان مسألة مختلفة تمامًا.

لكن الفيكونت استطاع بطريقة ما أن يتمالك نفسه، وكان صوته هادئًا بشكل مخيف حينما قال:

- إليكم ما سنفعله.

اتسعت ثلاثة أزواج من الأعين في انتظار ما سيقول.

- سوف أمشي إلى هناك (وأشار إلى ليدي وجنتلمان على مسافة عشرين ياردة كانا يحاولان عدم التحديق ولكن باءت محاولتهما بالفشل) وأطلب من مونتروس أن يعيرني عربته لبضع دقائق.

قال بيربروك وهو يمد رقبته:

- عجبًا، أذلك جوفري مونتروس؟ لم أرَهُ منذ زمن.

بدأ عرق ثانٍ ينفر، من صدغ لورد بريدجرتون هذه المرة. قبضت كيت على يدِ إدوينا من أجل الدعم المعنوي وأحكمت قبضتها.

بيد أن بريدجرتون، وهو ما يُحسب له في الواقع، قد تجاهل مداخلات بيربروك غير اللائقة بشكل متزايد وأردف:

- ونظرًا لأنه سيوافق...

اندفعت كيت قائلة:

- هل أنت متأكد؟

بدت عيناه البنيتان بصورة ما أشبه برقائق الثلج، وقال من بين أسنانه:

- هل أنا متأكد من ماذا؟

همهمت وقد باتت على استعداد لركل نفسها:

- لا شيء. أكمل من فضلك.

قال محدّقًا إلى كيت بغضب:

- كما كنت أقول، نظرًا إلى أنه صديق نبيل ومحترم ولن يرفض، فسوف أصحب الآنسة شيفيلد إلى منزلها، ثم سأعود أنا إلى منزلي وأطلب من أحد رجالي إعادة عربة مونتروس.

لم يزعج أحدٌ نفسه بالسؤال عن أي آنسة شيفيلد يتحدث.

تساءلت إدوينا:

- ماذا عن كيت؟

فالعربة تسع شخصين فقط بعد كل شيء.

اعتصرت كيت يدها. «أيتها العزيزة الحلوة إدوينا».

نظر أنطوني مباشرةً إلى إدوينا وقال:

- السيد بيربروك سيرافق أختك إلى منزلها.

قال بيربروك:

- لكنّي لا أستطيع. عليَّ الانتهاء من إصلاح العربة كما تعرف.

انفجر أنطوني:

- أين تسكن؟

جفل بيربروك من المفاجأة لكنه أعطاه العنوان.

- سأمر على منزلك وأحضر خادمًا لينتظر مع عربتك بينما ترافق الآنسة شيفيلد إلى منزلها. هل هذا واضح؟

توقَّف وأخذ ينقل بصره بينهم جميعًا -بمن فيهم الكلب- بتعبير قاسٍ نوعًا. فيما عدا إدوينا بالطبع، إذ كانت الشخص الوحيد الحاضر الذي لم يشعِل فتيلًا تحت أعصابه مباشرةً.

كرر:

- هل هذا واضح؟

أومأ الجميع، وبدأوا جميعًا في تنفيذ الخطة. بعد بضع دقائق وجدت كيت نفسها تراقب لورد بريدجرتون وهو يبتعد بالعربة بصحبة إدوينا؛ الشخصين نفسهما اللذين أقسمت إنها لن تسمح لهما حتى بالوجود في نفس الغرفة معًا.

الأسوأ من ذلك أنهما قد تركاها بمفردها مع السيد بيربروك ونيوتن.

ولم تكد تمضي دقيقتان حتى أدركت أن من بين هذين المخلوقين، كان نيوتن هو المحاور الأكثر لباقة وذكاءً.



الفصل الخامس

27 أبريل 1814 **جريدة المجتمع**

تنامى إلى علم كاتبة هذا المقال أن الآنسة كاترين شيفيلد قد ساءها ما وصفنا به محبوبها الأليف: «كلب مجهول من سلالة غير محددة».

وقد امتلأت نفس كاتبة هذا المقال خجلًا من هذا الخطأ الفادح الجسيم، وترجو منك أيها القارئ العزيز أن تتقبل هذا الاعتذار البائس وأن تقرأ بإمعان أول تصحيح يُنشر في تاريخ هذا العمود.

إن كلب الآنسة كاترين شيفيلد هو كلب كورجي، ويُدعى نيوتن، وإن كان صعبًا تصوّر أن مخترع وعالم فيزياء إنجلترا العظيم كان ليروق له أن يُخلّد اسمه في صورة كلب قصير بدين سيئ الخُلُق.

ليدي ويسلداون

بحلول ذلك المساء، اتضح أن إدوينا لم تمر بتجربتها المروعة -على قِصرها- مرور الكرام من دون أن تُصاب بأذى. فقد استحال أنفها أحمر، وبدأت عيناها تدمعان، وبدا جليًا لأي أحد يلقي نظرة على وجهها المنتفخ ولو لثانية واحدة أنها بالرغم من حالتها غير الخطيرة، فقد أصيبت بنزلة برد سيئة.

ولكن حتى بينما كانت إدوينا مدثّرة في الفراش مع زجاجة مياه دافئة بين قدميها ومشروب علاجي أعده الطاهي في كوب على المنضدة التي بجانب الفراش، عزمت كيت على الحديث معها.

قالت بلهجة آمرة وهي جاثمة على حافة فراش أختها:

- ما الذي قاله لكِ في طريقكما إلى المنزل؟

أجابت إدوينا:

- من؟

ثم استنشقت الدواء بخوف وقالت وهي تقرّبه من أختها قائلة:

- انظري إلى هذا. إنه يطلق غازات مريبة.

قالت كيت مغتاظة:

- الفيكونت. من غيره تحدّث معكِ في طريقكما إلى المنزل. ثم لا تكوني سخيفة. إنه لا يطلق غازات مريبة. هذا بخار ليس إلا.

- أوه. (استنشقت إدوينا مرة أخرى وعبست) إن رائحته لا تبدو كالبخار.

- إنــه بخــار. (أجابت كيت بأسنان مطبقة وقد أحكمت قبضتها على الفراش حتى آلمتها مفاصل أصابعها) ما الذي قاله؟

- لورد بريدجرتون؟ (سألت إدوينا بلا مبالاة) أوه، الأشياء المعتادة لا أكثر. تعلمين أنني أقصد حديثًا مهذبًا وما إلى ذلك.

سألتها كيت بارتياب:

- أجرى معك حديثًا مهذبًا بينما يتقاطر الماء من ثيابه؟

أخذت إدوينا رشفة مترددة، ثم كادت تتقيأ.

- ما الذي وضعتموه في هذا الشيء؟

مالت كيت وأخذت تتشمم المحتويات.

- تفوح منه رائحة شبيهة بالعرقسوس. وأظن أنّي أرى زبيبًا في القاع.

ولكن بينما تتشمم، خُيّل إليها أنها تسمع قطرات المطر تطقطق على زجاج النافذة، فاعتدلت في جلستها مجددًا قبل أن تسأل:

- هل تمطر بالخارج؟

قالت إدوينا:

- لا أدري. ربما. كان الجو غائمًا إلى حد ما عند المغيب اليوم.

ألقت نظرة أخرى مرتابة على الكوب، ثم وضعته مرة أخرى على المنضدة. اعترفت:

- إذا شربت هذا الشيء، فإنّي لموقنة بأنه سيزيدني مرضًا فوق مرضي.

ألحّت كيت قائلة:

- ولكن عمّ تحدّث أيضًا؟

وقد نهضت لتفقّد النافذة. دفعت بالستائر جانبًا وألقت نظرة على الخارج. كانت تمطر بالفعل، لكنه مطر خفيف، ولم يحن الوقت بعد لمعرفة إن كان سيصاحب هطول الأمطار أي رعدٍ أو برق.

- من؟ الفيكونت؟

فكّرت كيت أنها قديسة دون ريب لأنها تمالكت نفسها ولم تمضِ وتهز أختها حد فقدان الوعي.

- نعم، الفيكونت.

هزت إدوينا كتفيها، وقد بدت غير مهتمة بالمحادثة قدر اهتمام كيت.

- ليس كثيرًا. سألني عن حالي بالطبع. وهو منطقي جدًا بالنظر إلى أنني كنت قد غطست توًا في بحيرة السيربنتين. والتي كانت –كما أود أن أضيف– مزرية بكل معنى الكلمة. ففضلًا عن برودتها، لم تكن مياهها قطعًا نظيفة.

تنحنحت كيت وجلست مجددًا، بينما تعدّ نفسها لطرح سؤالها السافر، الذي كان في رأيها سؤالًا لا بد أن يُطرح ببساطة. حاولت أن تحافظ على صوتها مجرّدًا من الهوس الكامل المُطبق الذي أخذ يجوب أوردتها، وسألت:

- هل قام بأي محاولات شائنة؟

سقطت إدوينا للخلف وقد اتسعت عيناها من الصدمة. صاحت:

- بالطبع لا! كان نبيلًا بكل معنى الكلمة. حقًا لست أفهم سبب اهتمامك الزائد. محادثتنا لم تكن مشوقة بأي شكل. إنني حتى لا أستطيع تذكّر نصف ما قيل فيها.

اكتفت كيت بالتحديق إلى أختها، غير قادرة على استيعاب فكرة أن تعلق في محادثة مع ذاك المنحل البغيض لعشر دقائق كاملة وألا تترك فيها المحادثة انطباعًا لا يُمحى. فما أثار ارتياعها لحدٍ لا يوصف هو أن كل كلمة مروّعة قالها كانت وكأنما نُقشت للأبد في ذهنها.

أردفت إدوينا:

- بالمناسبة، كيف سار وقتك مع السيد بيربروك؟ لقد استغرق الأمر منكِ ساعة تقريبًا حتى تعودي.

ارتعدت كيت بطريقة درامية.

- هل كان بهذا السوء؟

- أنا واثقة أنه سيصبح زوجًا طيبًا لامرأة ما. شريطة ألا يكون لديها عقل.

أطلقت إدوينا ضحكة صغيرة وقالت:

- أوه، أنتِ فظيعة يا كيت.

تنهدت كيت قائلة:

- أعلم. أعلم. كانت تلك قسوة رهيبة مني؛ فالرجل المسكين لا يملك ذرة واحدة من اللؤم في جسمه. المشكلة فقط...

أكملت إدوينا:

- أنه لا يملك ذرة واحدة من الذكاء أيضًا.

رفعت كيت حاجبيها. لم يكن من شيم إدوينا أن تبدي مثل هذه التعليقات الانتقادية.

قالت إدوينا بابتسامة خجولة:

- أعلم. ها قد صرت الآن الطرف اللئيم. لم يكن ينبغي لي أن أقول شيئًا لكنّي ظننت حقًا أني سأهلك في جولتنا بعربته تلك.

انتصبت كيت بقلق:

- هل هو سائق طائش؟

- على الإطلاق. المشكلة كانت في حديثه.

- ممل؟

أومأت إدوينا وقد تبدّت الحيرة في عينيها الزرقاوين:

- كان من الصعب تتبّع كلامه لدرجة أنّي أحسست بالدوار وأنا أحاول فهم الطريقة التي يعمل بها مخه.

أطلقت سيلًا من السعال وأردفت:

- لكن ذهني آلمني بسببه.

قالت كيت بابتسامة لطيفة:

- هو لن يصبح إذن زوجك محب العلم المثالي؟

سعلت إدوينا مجددًا قائلة:

- أخشى ذلك.

اقترحت كيت:

- ربما يجدر بك أن تمنحي هذا المشروب فرصة أخرى.

وأشارت إلى الكوب الوحيد على منضدة إدوينا الجانبية.

- فالطاهي يقسم به.

هزّت إدوينا رأسها بعنف قائلة:

- إن له مذاق الموت.

انتظرت كيت برهة ثم كان عليها أن تسأل:

- هل قال الفيكونت أي شيء عني؟

- عنكِ أنتِ؟

انفجرت كيت حرفيًا:

- لا، عن أنا الأخرى. بالطبع عني أنا. كم عدد الأشخاص الذين يمكنني الإشارة إليهم بكلمة «عني»؟

- لا داعي لكل هذا الانزعاج.

- لست منزعجة...

- في الواقع، لا، لم يذكرك.

فجأة شعرت كيت بالانزعاج.

- قال الكثير عن نيوتن مع ذلك.

فتحت كيت فمها بجزع. لم يكن مُطريًا أبدًا أن يحظى الكلب باهتمامٍ أكثر منها.

- لقد أكّدت له أن نيوتن حيوان مهذّب بحق، وأنني لم أكن بأي شكل غاضبة منه. لكنه ظل منزعجًا نيابةً عني بطريقة لطيفة نوعًا.

تمتمت كيت:

- وأي لُطف!

التقطت إدوينا منديلًا ونفخت أنفها. قالت:

- ربّاه يا كيت، تبدين مهتمة بالفيكونت نوعًا ما.

أجابت كيت:

- لقد أمضيت فترة بعد الظهر كلها تقريبًا عالقة في حديث معه.

وكأن ذلك يعطي تفسيرًا لكل شيء.

- جيد. إذن فقد تسنّت لك رؤية كم يمكنه أن يكون مهذبًا ولطيفًا. إنه ثري أيضًا.

عطست إدوينا بعنف، ثم أخذت تبحث حولها عن منديل نظيف.

- وفي حين أنّي لا أؤيد اختيار الزوج بناءً على وضعه المالي فحسب، لكن بالنظر إلى شح المال في أسرتنا، فسوف يكون تقصيرًا منّي إن لم آخذ وضعه المالي في الاعتبار، ألا ترين ذلك؟

قالت كيت بحذر: «حسنٌ...»، وقد أدركت أن إدوينا محقّة لكنها لم تُرِد قول شيء يمكن أن يُفسّر على أنه موافقة على لورد بريدجرتون.

قرّبت إدوينا المنديل من وجهها ونفخت أنفها بطريقة بعيدة نوعًا ما عن الأنوثة. قالت وهي تشهق بين الكلمات:

- أعتقد أن علينا إضافته إلى قائمتنا.

رددت كيت بصوت مختنق:

- قائمتنا.

- نعم، تلك الخاصة بالعزّاب المحتملين. أعتقد أننا مناسبان لبعضنا جدًا.

- لكني ظننتك تريدين محبًا للعلم!

- هذا صحيح. وما زلت. لكنك أكّدت بنفسك ضعف احتمالية أن أجد طالب علم حقيقيًّا في المدينة. ولورد بريدجرتون يبدو ذكيًا بما يكفي. ما عليّ سوى ابتكار خطة لمعرفة ما إذا كان يحب القراءة أو لا.

تمتمت كيت:

- سأندهش إن كان ذلك الجلف يستطيع حتى أن يقرأ.

صاحت إدوينا ضاحكة:

- كيت شيفيلد! هل قلتِ لتوّك ما أظنك قُلتِه؟

قالت كيت بجرأة:

- لا.

فالفيكونت يستطيع القراءة بالطبع، لكنه كان بغيضًا شديد البغض في كل النواحي الأخرى.

اتهمتها إدوينا:

- لقد فعلتِ. أنتِ شريرة يا كيت.

ثم ابتسمت قبل أن تتابع:

- غير أنك تجعلينني أضحك.

تنامى إلى سمعهما دمدمة خافتة لرعدٍ بعيد يتردد صداه في عتمة الليل، فرسمت كيت ابتسامة على وجهها وهي تحاول ألا تجفل. كانت في العادة لا تشعر بسوء عندما يكون الرعد والبرق بعيدين عنها. ولكن عندما بدآ يتسابقان الواحد فوق الآخر، وأصبح كلاهما على ما يبدو فوق منزلها مباشرةً، شعرت بأنها على وشك أن تنفجر من الداخل.

أحسّت كيت أن عليها خوض هذا النقاش مع أختها وعليها في الوقت ذاته أن تقول شيئًا لصرف ذهنها عن العاصفة المُقبلة. قالت:

- إدوينا، عليك أن تُخرجي الفيكونت من ذهنك. فهو قطعًا ليس الزوج الذي سيجعلك سعيدة. ناهيك بحقيقة أنه أسوأ المنحلّين جميعًا وعلى الأرجح سيتبجّح بعشرات العشيقات أمام ناظريك.

وما إن لمحت كيت عبوس إدوينا، قطعت بقية عبارتها وقررت التوسّع في هذه النقطة تحديدًا. قالت بأسلوب درامي:

- مؤكّد سيفعل! ألم تقرئي جريدة ويسلداون؟ أو تسمعي أيًا من أحاديث أمهات الفتيات الأخريات؟ أولئك اللاتي كنّ جزءًا من الدائرة الاجتماعية منذ سنوات، ويعلمن مجريات الأمور. جميعهن يقُلن إنه منحلّ أخلاقيًا

لحدٍ مروع. وأن فضيلته الوحيدة هي لطفه الشديد في التعامل مع أسرته.

أوضحت إدوينا:

- حسن، تلك نقطة في صالحه. حيث إن زوجته ستكون جزءًا من أسرته، أليس كذلك؟

صاحت كيت:

- الزوجة لن تحظى بنفس مكانة أقرباء الدم. إن الرجال الذين لا يجرؤون أبدًا على التفوه بكلمة مسيئة أمام أمهاتهم يدهسون مشاعر زوجاتهم تحت الأقدام كل يوم.

سألت إدوينا:

- كيف عرفتِ؟

سقط فم كيت مفتوحًا. لم يسعها تذكّر آخر مرة شككت إدوينا في حُكمها على مسألة مهمة، ولسوء الحظ، لم تستطع في تلك المهلة الصغيرة الإتيان بإجابة سوى:

- هكذا أعرف وحسب.

والتي، كما أقرَّت هي لنفسها، لم تفِ حقًا بالغرض.

قررت أن تغيّر اتجاه الموضوع وقالت بنبرة استرضائية:

- إدوينا، بغض النظر عن كل شيء، فإنّي لا أظنك حتى ستُحبين الفيكونت إذا تعرّفت به من كثب.

- لقد بدا لطيفًا بما فيه الكفاية حينما صحبني للمنزل.

ألحَّت كيت:

- ولكنه كان يحسن التصرّف عمدًا! بالطبع بدا لطيفًا. فهو يريدك أن تقعي في حبّه.

طرفت إدوينا بعينيها قائلة:

- تعتقدين إذن أنه كان يستعرض لا أكثر.

صاحت كيت مُنقضّة على الفكرة:

- بالضبط! إدوينا، لقد أمضيت عدة ساعات في صحبته ليلة أمس وبعد ظهر اليوم، وأؤكّد لك أنه لم يكن يحسن التصرف معي.

شهقت إدوينا بفزع وربما بشيء من الحماسة. ثم همست:

- هل قبّلك؟

عوت كيت:

- لا! بالطبع لا! كيف بحق السماء أتتك تلك الفكرة؟

- أنت مَن قلتِ إنه لم يحسن التصرّف معك.

قالت كيت بحنق:

- ما قصدته هو أنه لم يكن مهذبًا. ولم يكن لطيفًا أيضًا. في الواقع كان متعجرفًا بشكل لا يُطاق ووقحًا وفظًا لدرجة مروعة.

غمغمت إدوينا:

- هذا طريف.

- لم يكن طريفًا بأي شكل. كان بشعًا!

- لا، ليس هذا ما قصدته.

ثم تابعت وهي تحك ذقنها بتفكّر:

- إنما أجد غرابة شديدة في تصرّفه الوقح معك. فلا بد أنه سمع أنّي سآخذ برأيك عندما أختار زوجًا. قد يظن المرء أنه سيبذل قصارى جهده ليكون لطيفًا معك. لمَ عساه إذن يتصرّف بلؤم؟

صعدت حُمرة خفيفة على وجه كيت –لم تكن ملحوظة لحسن الحظ في ضوء الشموع– ثم تمتمت:

- قال إنه لم يستطع تمالُك نفسه.

سقط فم إدوينا مفتوحًا، ولوهلة جلست جامدة تمامًا، وكأن الزمن توقّف بها. ثم سقطت مرة أخرى على وسائدها، وغرقت في نوبة ضحك. قالت:

- أوه يا كيت! هذا بديع! أوه، يا لها منَ فوضى! أوه، لكم أحب ذلك!

حدّقت إليها كيت بغضب.

- هذا ليس مضحكًا.

مسحت إدوينا عينيها.

- بل ربما هو أكثر الأشياء التي سمعتها طيلة الشهر إضحاكًا. لا.. بل طوال العام! آه، يا إلهي!

وأطلقت سيلًا قصيرًا من السعال الذي سببته نوبة ضحكها.

- أوه يا كيت، أظن حقًا أنك قد نظّفتِ أنفي.

- إدوينا، هذا مقرف.

قرّبت إدوينا منديلها من وجهها ونفخت أنفها، ثم قالت بانتصار:

- لكنه حقيقي.

غمغمت كيت:

- لكنه لن يدوم طويلًا. سوف تزدادين مرضًا بحلول الصباح.

وافقتها إدوينا:

- أنتِ محقة على الأرجح. ولكن أوه، يا له من أمرٍ مضحك! هل قال إنه لم يستطع تمالُك نفسه؟ أوه يا كيت، هذا دسم للغاية.

قالت كيت بتبرّم:

- لا داعي للإسهاب في الأمر.

- ولكن هل تعلمين، قد يكون هو الرجل الوحيد فيمن قابلناهم طوال الموسم الذي تعجزين عن التخلّص منه.

زمّت كيت شفتيها. استخدم الفيكونت الكلمات نفسها، وكلاهما محق. فقد أمضت وقتها منذ بدأ الموسم في التخلّص من الرجال وإزاحتهم عن طريق إدوينا. وفجأة لم تعُد متأكدة من حبها لدور الدجاجة الأم هذا الذي أقحموها فيه. أو ربما هي من أقحمت نفسها فيه.

رأت إدوينا الانفعال الذي لاح على وجه أختها فاعتراها على الفور أسف بالغ. غمغمت:

- أوه، ربّاه. أنا آسفة يا كيت. لم أقصد استفزازك.

رفعت كيت حاجبها.

- حسنٌ، لقد قصدت استفزازك، ولكن ليس أبدًا لجرح مشاعرك. لم يكن لديّ فكرة أن لورد بريدجرتون قد أزعجك حتى.

- إنني لا أحب ذلك الرجل يا إدوينا لا أكثر. ولا أظن أن عليكِ حتى أن تفكّري في الزواج منه. ولست أبالي بمدى الحماس أو الإصرار الذي يُطاردك به. فهو لن يكون زوجًا طيبًا.

سكتت إدوينا برهة، وغمرت اليقَظة عينيها المُذهلتين. ثم قالت:

- حسنٌ، ما دمتِ تقولين ذلك، فلا بد أنه حقيقي. لم يضيعني حُكمك أو يضللني من قبل قط. ثم إنك -كما قلتِ- قضيت وقتًا بصحبته أكثر مما فعلت أنا، وعليه لا بد أنك تعرفينه أفضل.

أطلقت كيت تنهيدة ارتياح طويلة لم تستطع إخفاءها جيدًا. قالت بحزم:

- عظيم. وعندما تصبحين أفضل حالًا، سننظر بين خُطّابك الحاليين ونعثر لك على زوجٍ أفضل.

اقترحت إدوينا:

- ويمكنك البحث عن زوج لك أنتِ أيضًا.

أكّدت كيت:

- إنني أبحث طوال الوقت ولا شك. ما جدوى موسمنا في لندن إن كنت لا أبحث؟

بدت إدوينا مرتابة.

- لا أظنك تبحثين يا كيت. أظن أن كل ما تفعلينه هو دراسة الفرص المتاحة لي. ما من سبب يمنعك من العثور على زوج أنتِ أيضًا. أنتِ بحاجة إلى أسرة خاصة بك. فلست أتخيل حقًا امرأة يمكنها أن تصبح أمًا أفضل منك.

عضت كيت شفتها، رافضة الرد على وجهة نظر إدوينا بشكل مباشر. ذلك لأنه خلف هاتين العينين الزرقاوين الجميلتين وذلك الوجه المثالي، تمكث إدوينا، الفتاة الأكثر فطنة بكل المقاييس من أي أحدٍ تعرفه. وقد كانت إدوينا محقة. لم تكن كيت تبحث عن زوج. ولمَ عساها تفعل؟ لم يفكّر أحد في الزواج بها أيضًا.

تنهّدت وهي تتطلّع إلى النافذة. يبدو أن العاصفة قد مرّت دون أن تضرب المنطقة التي تسكن بها في لندن. فكّرت أنه يجدر بها أن تكون شاكرة للنعم الصغيرة.

قالت كيت أخيرًا:

- لمَ لا ننظر في أمرك أولًا، بما أن كلتينا كما أظن متفقتان على أن احتمالية حصولك على عرض زواج قبلي أكبر، وبعدها نفكر في الفرص المتاحة أمامي؟

هزّت إدوينا كتفيها، وأدركت كيت من صمتها المقصود أنها ليست موافقة.

- حسنٌ إذن. (قالتها كيت وهبت واقفة) سأتركك ترتاحين، أنا واثقة أنك بحاجة إلى ذلك.

ردّت إدوينا بالسعال.

قالت كيت ضاحكة وهي تغادر الغرفة:

- واشربي هذا الدواء!

ثم أغلقت الباب خلفها بينما سمعت إدوينا تتمتم:

- بل أفضّل أن أموت.

بعد مضيّ أربعة أيام، وافقت إدوينا على احتساء دواء الطاهي طواعية، وإن لم يخلُ ذلك من التذمّر والشكوى. تحسّنت صحتها، وإن لم تستعِد عافيتها تمامًا. كانت ما زالت طريحة الفراش، ما زالت تسعل، وشديدة العصبية.

أعلنت ماري أن إدوينا لن تستطيع حضور أي فعاليات مجتمعية حتى يوم الثلاثاء على أقل تقدير. وقد فهمت كيت من ذلك أن ثلاثتهن سيأخذن استراحة -فما المغزى من حضور حفل راقص من دون إدوينا؟-، ولكن بعد أن قضت الجمعة والسبت والأحد أيامًا هادئة خالية من الأحداث لا تملؤها سوى بالقراءة واصطحاب نيوتن في جولات التمشية، أعلنت ماري فجأة أن كلتيهما ستذهبان إلى حفل ليدي بريدجرتون الموسيقي في مساء يوم الاثنين، و...

حاولت كيت أن تقاطعها بنقاشٍ أهوج حول مدى سوء الفكرة في هذا التوقيت تحديدًا.

- إنَّ ذلك قرار نهائي.

استسلمت كيت بسرعة إلى حدٍ ما. الحق أن لا فائدة تُرجى من الجدال أكثر من ذلك، ولا سيّما بعد أن استدارت ماري على عقبيها وابتعدت مباشرةً بعد نطقها بكلمة «نهائي».

كان لدى كيت مبادئ معينة، ومن ضمنها عدم المجادلة مع الأبواب الموصدة.

وهكذا وجدت نفسها في مساء يوم الاثنين وقد ارتدت ثوبًا حريريًا باللون الأزرق الثلجي، وبيدها مروحة، ثم مضت هي وماري تجوبان شوارع لندن بعربتهما الزهيدة، في طريقهما إلى منزل آل بريدجرتون في ميدان جروسفينور.

قالت كيت وهي تعبث بيسراها في الشريط الأسود لعباءتها:

- سيتفاجأ الجميع بشدة إذا رأونا من دون إدوينا.

أجابت ماري:

- أنتِ أيضًا تبحثين عن عريس.

سكتت كيت برهة. لم يكن باستطاعتها الاعتراض على هذه النقطة، لأن من المفترض أن تكون صحيحة بالأخير.

أردفت ماري:

- وكُفّي عن العبث بعباءتك. ستظلّ مجعدة طوال المساء.

أرخَت كيت يدها. ثم أخذت تنقر بيمناها على المقعد بشكلٍ متناغم لبضع ثوانٍ، حتى انفجرت ماري قائلة:

- بحق السماء يا كيت، ألا تستطيعين الجلوس بهدوء؟

- تعلمين أنّي لا أستطيع.

اكتفت ماري بالتنهّد.

وبعد فترة أخرى من الصمت الطويل، الذي لا يقطعه سوى صوت قدمها وهي تطرق أرض العربة، أضافت كيت:

- ستشعر إدوينا بالوحدة من دوننا.

لم تكلّف ماري نفسها عناء النظر إليها حتى وقالت:

- لدى إدوينا رواية تقرؤها. أحدث ما ألّفته تلك الكاتبة المدعوّة أوستن. إنها لن تلحظ رحيلنا حتى.

كانت هذه النقطة صحيحة أيضًا. فإذا كانت إدوينا تقرأ، فالأرجح أنها لن تلحظ ولو اندلعت النيران في فراشها نفسه.

لذا قالت كيت:

- ستكون الموسيقى مريعة على الأرجح. فبعد حفل سميثي سميث...

قاطعتها ماري وقد بدا من صوتها أنها على شفا نفاد الصبر:

- لقد أقام حفل سميثي سميث الموسيقي فتيات آل سميثي سميث. أما ليدي بريدجرتون فقد أجّرت مغنية أوبرا محترفة جاءت من إيطاليا خصيصًا لإحياء الحفل. إن لنا الشرف أننا حصلنا على دعوة أساسًا.

كانت كيت على يقين لا يدع مجالًا للشك أن الدعوة كانت لإدوينا؛ لقد شملتهما الدعوة هي وماري من باب الأدب لا أكثر. بيد أن أسنان ماري بدأت تصطك ببعضها، لذا نذرت كيت أن تمسك لسانها لبقية الطريق.

وهو ما لن يكون صعبًا على أي حال، فقد انزلقت العربة في نفس اللحظة أمام منزل بريدجرتون.

سقط فم كيت مفتوحًا وهي تنظر من النافذة. قالت ببلاهة:

- يا له من منزل ضخم!

أجابت ماري وهي تجمع أشياءها:

- نعم. لقد عرفت أن لورد بريدجرتون لا يعيش هنا. فعلى الرغم من أن هذا المنزل ملك له، فإنه يبقى في مسكن العزوبية خاصته حتى يتسنّى لأمه وإخوته العيش في منزل بريدجرتون. أليس هذا كرمًا منه؟

فكّرت كيت أن كلمتي «كرم» و«لورد بريدجرتون» لا تصلحان جنبًا إلى جنب في عبارة واحدة، لكنها أومأت مع ذلك، شاعرة بالرهبة من ضخامة وأناقة هذا المبنى الحجري إلى حدٍّ لم تستطع معه التفكير في إجابة ذكية.

توقّفت العربة، وترجّلت ماري وكيت بمساعدة أحد خدم آل بريدجرتون، الذي سارع بفتح الباب. التقط أحد كبار الخدم دعوتهما وسمح لهما بالدخول،

ثم أخذ معطفيهما وأشار لهما باتجاه قاعة الموسيقى، التي احتلت موقعها في نهاية الرّدهة.

دخلت كيت ما يكفي من المنازل اللندنية الفخمة بحيث تعلّمت ألا تقف مشدوهة أمام البذخ الظاهر وجمال المفروشات، لكنها في هذا المنزل أُغرَمت حتى بالديكور الداخلي، المصمم بأناقة وإتقان على طراز آدم.[1] حتى الأسقف كانت تحفًا فنية ملوّنة بدرجات باهتة من الأخضر والأزرق، حيث تفصل بين الألوان زخارف جصية بيضاء منمّقة لدرجة كانت تبدو معها أشبه بنوع صلب من الدانتيل.

ولم تكن غرفة الموسيقى بأقل جمالًا، حيث دهنت جدرانها بلون أصفر ليموني دافئ، ووضعت صفوف المقاعد بانتظار الحضور. قادت كيت زوجة أبيها بسرعة نحو الصف الخلفي. الحق أن لا سبب يجعلها ترغب في الجلوس في مكانٍ ظاهر. مؤكّد أن لورد بريدجرتون سيكون ضمن الحضور –ذلك إذا كانت كلّ القصص حول إخلاصه لأسرته حقيقية– وإن حالف الحظ كيت، فربما لن يلحظ حتى وجودها.

ولكن على عكس المتوقّع، عرف أنطوني بالضبط اللحظة التي ترجّلت فيها كيت من العربة ودخلت منزل أسرته. كان حينها في مكتبه يستمتع بكأسٍ من الشراب بمفرده قبل النزول للحفل الموسيقي السنوي الذي أقامته أمه. في محاولة منه للتمتّع بخصوصيته، كان قد اختار عدم العيش في منزل بريدجرتون رغم كونه لم يزل عازبًا، بيد أنه احتفظ بغرفة مكتبه هنا. باعتباره رب أسرة بريدجرتون كان يحمل مسؤوليات جِسام، وقد رأى أنطوني بصفة عامة أن من الأسهل الاهتمام بهذه المسؤوليات وهو على مقربة من بقية أفراد أسرته.

كانت نوافذ غرفة المكتب تطلّ على ميدان جروسفينور، لذا سلّى أنطوني نفسه بمراقبة وصول العربات وترجّل الضيوف. عندما هبطت كيت شيفيلد من العربة، نظرت لأعلى إلى واجهة منزل بريدجرتون، ورفعت وجهها تمامًا

---

(1) طراز كلاسيكي في العمارة والتصميم الداخلي يعود إلى القرن الثامن عشر ويُنسب إلى الإخوة آدم. (المترجمة)

مثلما فعلت حينما كانت تستمتع بدفء الشمس في حديقة هايد بارك. تسرّب ضوء الشمعدانات على جانبي الباب الأمامي إلى وجهها غامرًا إياه بوهجٍ وامض.

وأفرغ صدر أنطوني من كل ذرة هواء على الفور.

وضع كأسه بقوة على عتبة النافذة العريضة. أصبح الأمر سخيفًا. إنه ليس موهومًا بما يكفي حتى يعزو انقباض عضلاته لأي شيء سوى الرغبة.

اللعنة. إنه حتى لا يطيق الفتاة. كانت متسلطة أكثر من اللازم، عنيدة أكثر من اللازم، ومتسرعة أكثر من اللازم في الحُكم على الآخرين. إنها حتى ليست جميلة، على الأقل مقارنةً بعدد لا بأس به من الآنسات اللاتي يجُبن أنحاء لندن منذ بداية الموسم، بمن فيهن أختها على الأخص.

كان وجه كيت طويلًا أكثر من اللازم قليلًا، وذقنها بارز أكثر من اللازم قليلًا، وعيناها واسعتين أكثر من اللازم قليلًا. كل شيء فيها كان أكثر من اللازم. حتى فمها، الذي أغاظه بوابل لا نهائي من الإهانات والآراء، كان ممتلئًا أكثر من اللازم. كان حدثًا نادرًا حينما أغلقت فمها فعلًا ووهبته لحظة من الصمت البديع، ولكن إذا كان قد صادف ونظر إليها في ذاك الجزء من الثانية –ذلك أنها لا تستطيع البقاء صامتة لفترة أطول دون شك– فإن كل ما رآه كان شفتيها، مكتنزتين وبارزتين و –لو افترضنا أن بوسعها أن تبقيهما مغلقتين دون حديث فعلًا– فقد كانتا جديرتين بالتقبيل.

تقبيل؟

ارتعد أنطوني. فكرة تقبيل كيت شيفيلد كانت مرعبة. الحق أن مجرّد حقيقة أنه فكّر فيها حتى ينبغي أن تكون كافية لاحتجازه في مصحّة الأمراض العقلية.

ومع ذلك...

انهار أنطوني في مقعده.

ومع ذلك فقد حلم بها.

حدث ذلك بعد مهزلة السيربنتين. كان حنقه الشديد منها قد أعجزه عن الكلام. وقد اعتبرها أعجوبة أن استطاع قول أي شيء على الإطلاق لإدوينا في طريق عودتهما إلى منزلها. كل ما استطاع التفوه به كان حديثًا مهذبًا، بضع

كلمات خرقاء مألوفة لحد أنها كانت تنزلق من لسانه وكأنما تُتلى عن ظهر قلب.

كان ذلك من حسن حظه في الواقع، لأن ذهنه لم يكن بكل تأكيد حيث يفترض به أن يكون؛ مع إدوينا، زوجته المستقبلية.

آه، إنها لم توافق على الزواج منه بعد. فهو لم يطلب منها بعد حتى. لكنها كانت تناسب شروطه من جميع النواحي الممكنة لدرجة أنه قرر بالفعل أن تلك هي الفتاة التي سيعرض عليها الزواج في النهاية. كانت جميلة، وذكية، ومعتدلة المزاج. جذابة لكنها لا تجعل الدم يندفع في عروقه. كانا ليمضيا أعوامًا ممتعة مع بعضهما بعضًا، لكنه لن يقع أبدًا في حبها.

كانت بالضبط ما يحتاج إليه.

ومع ذلك...

مدّ أنطوني يده وأمسك بالكأس وتجرع ما تبقى من محتوياتها في رشفة واحدة لاهثة.

ومع ذلك فقد حلم بأختها.

حاول ألا يتذكر. حاول ألا يتذكر تفاصيل حلمه -بحرارته وعرقه- لكنه لم يحظَ إلا بكأسٍ واحدة هذا المساء، وهي ليست كافية بكل تأكيد لعرقلة ذاكرته. ورغم أنه لم ينتوِ تناول أكثر من هذه الكأس الواحدة، فإن فكرة الانسلال إلى غياهب نسيان طائش قد بدأت تروق له.

إن أي شيء قد يمنعه من التذكّر يبدو مُغريًا الآن.

لكنه لم يشعر برغبة في شُرب مزيد من الخمر. لم يدع نفسه يثمل منذ سنوات. بدا ذاك الطيش مثل لعبة فتيان صغار، وليس مغريًا بالمرة لرجل يشارف الثلاثين. ثم إنه حتى لو قرر شراء نسيان مؤقت بزجاجة خمر، فهو لن يأتي سريعًا بما يكفي لصرف ذكراها عنه.

ذكراها؟ هه. لم تكن حتى ذكرى حقيقية. مجرد حلم، ذكّر نفسه. مجرد حلم.

كان قد غط في النوم سريعًا بعد عودته للمنزل ذاك المساء. تجرّد من ملابسه ونقع نفسه في حمامٍ دافئ قرابة الساعة، في محاولة منه لنزع البرودة من عظامه. لم يكن قد غطس بكامل جسمه في السيربنتين مثل إدوينا، بيد

أن ساقيه تبللتا، وكذلك أحد كمّيه، ثم ضمنت نفضة نيوتن الاستراتيجية ألا تبقى بوصة واحدة في جسمه دافئة خلال رحلة العودة العاصفة في العربة المستعارة.

زحف بعد حمّامه إلى الفراش، غير عابئ بأن النهار لم يغب بعد، ولن يغيب قبل ساعة كاملة. كان منهكًا، وعزم من صميم قلبه على السقوط في نومٍ عميق بلا أحلام، وألا يستيقظ قبل أن تشق السماء أول خطوط الفجر.

ولكن في وقتٍ ما من الليل، بدأ جسمه يتململ ويضطرب ويجوع. وامتلأ ذهنه الخائن بأكثر الصور فظاعة. كان يرى الحلم وكأنه طافٍ قرب السقف، ومع ذلك فقد شعر بكل شيء -جسمه بصحبة هيئة أنثوية نحيلة؛ يديه وهما تلامسان بشرتها الدافئة. التشابك اللذيذ للأذرع، والرائحة العطرة لجسدين عاشقين- كل الصور كانت حيّة وواضحة في ذهنه.

ثم تحرّك. بمقدار ضئيل جدًا، ربما ليقبّل أذن الفتاة المجهولة. عدا أنه عندما تحرّك، لم تعد مجهولة. ظهرت أولًا خصلة كثيفة من الشعر البني الداكن، مموجة بنعومة وتداعب كتفه. ثم اقترب أكثر بعد...

ورآها.

كيت شيفيلد.

استيقظ في لمح البصر، وجلس منتصبًا في الفراش جافلًا يرتعد من هول ما رأى. كان حلمًا هو الأشد وضوحًا من بين كل الأحلام الغرامية التي شهد.

وهو الأسوأ من بين كل كوابيسه.

أخذ يتحسس الملاءة بيده بجنون، مرعوبًا من أن يجد دليل عاطفته. ليكن الرب في عونه إن وجده إثر حلمه بأبغض امرأة عرفها يومًا.

لحسن الحظ كانت ملاءته نظيفة، لذا استلقى على وسادته مجددًا بقلبٍ خافق وأنفاس ثقيلة، يتحرك بحذرٍ وبطء وكأن ذلك سيحول بطريقة ما دون عودة الحلم.

ظل يحدّق ليلتها إلى السقف لساعات، بدأ بتصريف الأفعال اللاتينية، ثم العد إلى ألفٍ، في محاولة لملء ذهنه بأي شيء سوى كيت شيفيلد.

واستطاع بأعجوبة أن يطرد صورتها من ذهنه ويغطّ في النوم.

ولكن ها هي الآن قد عادت. هنا. في منزله.

كانت الفكرة مخيفة.

وأين إدوينا بحق الجحيم؟ لماذا لم تأتِ مع أمها وأختها؟

تسلل صوت رباعية وترية من تحت باب غرفته صاخبة ومشوشة، مؤكّد أنها تحمية الموسيقيين الذين أجّرتهم أمه لمرافقة ماريا روسو، أحدث مغنية سوبرانو تشعل لندن بصوتها.

لم يخبر أنطوني أمه بالطبع، لكنه هو وماريا كانا قد استمتعا بعُطلة بهيجة في آخر زيارة لها للمدينة. ربما حريٌ به أن يفكّر في تجديد صداقته معها. إذا لم يصلح هذا الجمال الإيطالي المتقد ما أصابه من عطب، فلا شيء سيفعل.

وقف أنطوني وفرد كتفيه، وأدرك أنه يبدو كمن يجهز نفسه لخوض معركة. هكذا يشعر بحق السماء! ربما يمكنه إذا حالفه الحظ أن يتجنّب كيت شيفيلد تمامًا. فهو لا يتصور أن تبذل جهدًا خاصًا لخوض حديثٍ معه. لقد أعلنت بوضوح شديد أنها تكن له من الاحترام قدر ما يكن لها.

نعم، هذا بالضبط هو ما سيفعله. سيتجنبها. وما الصعب في ذلك؟



الفصل السادس

27 أبريل 1814 **جريدة المجتمع**

اتضح أن حفل ليدي بريدجرتون الموسيقي كان حدثًا موسيقيًا حقيقيًا -وهي ليست الظاهرة المعتادة في حفلات الموسيقى، كما تؤكّد لكم كاتبة هذا المقال-. لم تكن ضيفة الحفل سوى مغنية السوبرانو الإيطالية، ماريا روسّو، التي ظهرت لأول مرة في لندن منذ عامين وعادت توًا من جولة قصيرة على مسارح فيينا.

لقد أثبتت الآنسة روسّو، بشعرها الأسود الكثيف وعينيها الداكنتين البرّاقتين، أن وجهها فاتن مثل صوتها، إذ واجه أكثر من سيد نبيل واحد -في الواقع أكثر من دزينة- من سادة المجتمع صعوبة حقيقية في الإشاحة بعينيه عنها، حتى بعد انتهاء فقرتها.

ليدي ويسلداون

رأته كيت في اللحظة التي دخل فيها القاعة.

حاولت أن تقنع نفسها بأن هذا لا علاقة له بوعيها المتزايد به. كان وسيمًا لحدٍ لا يوصف، تلك كانت حقيقة واقعة وليس رأيها الخاص. لم تتصور كيف يمكن لفتاة واحدة ألا تلاحظه على الفور.

وصل متأخرًا. ليس كثيرًا؛ فقد كانت مغنية السوبرانو لا تزال بعد في مطلع أغنيتها. ولكن متأخرًا بما يكفي بحيث حاول التزام الهدوء وهو ينسل في أحد مقاعد الصفوف الأمامية قُرب أسرته. ظلّت كيت ساكنة دون حراك في مقعدها الخلفي، متيقنة تمامًا من أنه لم يرَها أثناء استقراره في مقعده.

لم ينظر باتجاهها، كما أن عددًا من الشموع كان قد انطفأ، تاركًا القاعة تسبح في ضوء رومانسي خافت. مؤكّد أن الظلال حجبت وجهها.

حاولت كيت أن تُبقي عينيها على الآنسة روسّو خلال فقرتها الموسيقية. ولكن فشلت خطتها أمام حقيقة أن المغنية لم تستطع إبعاد عينيها عن لورد بريدجرتون. في البداية ظنّت كيت أنها تتخيل إعجاب الآنسة روسّو بالفيكونت، ولكن مع اقتراب مغنية السوبرانو من الانتهاء، لم يعُد ثمة مجال للشك. كانت ماريا روسّو ترشق الفيكونت بنظراتٍ متقدة.

لم تدرِ كيت لمَ أزعجها الأمر كثيرًا. فبعد كل شيء، لم يكن ذلك سوى دليل آخر على أنه تمامًا مثلما عرفته، منحل متحرر فاسق. كان حريًا بها أن تشعر بالزهو. كان حريًا بها أن تشعر بساحتها قد بُرِّئت.

بدلًا من ذلك لم تشعر إلا بخيبة الأمل. كان شعورًا ثقيلًا مزعجًا وأحاط بقلبها، شعورًا تركها متهاوية قليلًا في مقعدها.

عندما انتهت الفقرة لم تستطع منع نفسها من مراقبة مغنية السوبرانو، التي بعد أن انحنت بأناقة لتصفيق الحضور واستحسانه، سارت بتبجّح إلى الفيكونت ومنحته واحدة من تلك الابتسامات المغوية؛ ابتسامة من النوع الذي لن تتعلم كيت أبدًا كيفية منحه، حتى وإن حظيت بدزينة من مغنيات الأوبرا يعلّمنها. وما عنته المغنية بتلك الابتسامة كان واضحًا كالشمس في كبد السماء.

بحق السماء إن هذا الرجل ليس مضطرًا حتى لمطاردة النساء. كنّ ببساطة يرتمين عند أقدامه.

كان هذا مثيرًا للاشمئزاز. كان مثيرًا للاشمئزاز حقًا.

ومع ذلك لم تستطع كيت التوقف عن مراقبتهما.

قابل لورد بريدجرتون ابتسامة مغنية الأوبرا بنصف ابتسامة غامضة من جانبه. ثم مدّ يده فعليًا ودس خصلة شاردة من شعرها الأسود خلف أذنها.

ارتجفت كيت.

والآن كان يميل نحوها ويهمس بشيء ما في أذنها. أحسّت كيت بأذنيها تحلّقان باتجاههما، وإن كان من الواضح تمامًا استحالة أن تسمع حرفًا من هذه المسافة.

ولكن هل ارتكبت جرمًا بفضولها النهم إزاءهما حقًا؟ وهل...

يا إله السماوات، هل قبّل رقبتها لتوه؟ مؤكّد أنه لم يكن ليفعل ذلك في منزل أمه. حسن، فكّرت كيت أن منزل بريدجرتون هو منزله من الناحية العملية، بيد أن أمه تعيش هنا، وكذلك العديد من إخوته. الحق أنها حسبته أكثر حكمة من ذلك. إن قلة الاحتشام تلك في صحبة عائلته مستحيل أن تمر بسلام.

- كيت؟ كيت؟

ربما كانت قُبلة صغيرة، مجرّد مسحة من شفتيه بخفّة الريشة على رقبة مغنية الأوبرا، لكنها لا تزال قُبلة.

- كيت!

- صحيح! نعم؟

وثبت كيت نصف قدم تقريبًا وهي تستدير لمواجهة ماري، التي كانت تراقبها بتعبير حانق لا جدال فيه.

هسهست ماري:

- كُفّي عن مراقبة الفيكونت.

همست كيت بإلحاح:

- لم أكن أراقبه، حسنٌ، لا بأس، كنت أراقبه، ولكن هل رأيتِه؟ إنه لا يعرف الحياء.

عاودت النظر إليه. كان ما زال يغازل ماريا روسّو، ومن الواضح أنه لا يعبأ بمن يراهما.

زمّت ماري شفتيها في خطٍ مستقيم قبل أن تقول:

- أنا واثقة أن لا شأن لنا بتصرّفاته.

- بالطبع لنا شأن. إنه يريد الزواج بإدوينا.

- لسنا متأكدين من ذلك.

فكّرت كيت في أحاديثها مع لورد بريدجرتون وقالت:

- بل أرى أن ذلك احتمال وارد جدًا، جدًا.

- حسن، كفّي عن مراقبته. أنا واثقة أنه لا يريد أي شيء يربطه بك بعد مهزلة هايد بارك. ثم إن القاعة ملأى بالسادة النبلاء اللائقين. حريٌ بك أن تكفّي عن التفكير في إدوينا طوال الوقت وأن تبدئي البحث لنفسك.

شعرت كيت بكتفيها تتهدّلان. مجرّد التفكير في محاولات الإيقاع بخاطب كانت مُنهِكة. كل الخطّاب مهتمّين بإدوينا على أي حال. ورغم أنها لا تريد أن يربطها بالفيكونت شيء، فقد وخزها قول ماري بأنها «واثقة» أن الفيكونت لا يريد أي شيء يربطه بها.

قبضت ماري على ذراعها بقبضة لا تحتمل أي اعتراضات وقالت بهدوء:

- هلمّي الآن يا كيت. لنلقِ السلام على مضيفتنا.

ابتلعت كيت ريقها. ليدي بريدجرتون؟ هل عليها أن تلتقي بليدي بريدجرتون؟ والدة الفيكونت؟ كان صعبًا بما يكفي أن تصدّق أن مخلوقًا مثله لديه أم حتى.

لكن لا شيء يعلو فوق حُسن الخلق، لا يهم كم أرادت كيت أن تتسلل خارجة إلى الرّدهة وترحل، فقد علمت أن عليها أن تشكر مضيفتها على تنظيمها هذا العرض الجميل.

وقد كان جميلًا. بقدر ما كرهت كيت أن تعترف -خصوصًا في الوقت الذي تحوم فيه بطلة العرض حول الفيكونت- فإن ماريا روسّو تمتلك بالفعل صوتًا ملائكيًا.

ضغطت ماري على ذراع كيت بحزم تقودها حتى وصلت إلى مقدمة الغرفة، وانتظرت دورهما لمقابلة الفيكونتيسة. كانت سيدة جميلة لها شعر أشقر وعينان فاتحتان، وصغيرة الحجم إلى حدٍ ما على إنجاب مثل هؤلاء الأبناء الضخام. فكّرت كيت أن الفيكونت الراحل كان طويلَ القامة دون ريب.

وصلتا أخيرًا إلى مقدمة الحشد الصغير، وأمسكت الفيكونتيسة بيد ماري. قالت بدفء:

- كم هو جميل أن أراكِ مجددًا، أيتها السيدة شيفيلد. لقد استمتعت كثيرًا بلقائنا في حفل هارتسايد الراقص الأسبوع الفائت. يسرّني حقًا أنك قررتِ قبول دعوتي.

أجابت ماري:

- ما كنا لنحلم بقضاء الأمسية في أي مكانٍ آخر. هل لي أن أقدّم لكِ ابنتي؟

ثم أشارت لكيت التي تقدّمت وانحنت بأدب.

قالت ليدي بريدجرتون:

- يسرّني لقاؤك أيتها الآنسة شيفيلد.

أجابت كيت:

- إنه من دواعي شرفي.

أشارت ليدي بريدجرتون إلى الفتاة بجوارها وقالت:

- وهذه ابنتي، إلويز.

ابتسمت كيت بدفء للفتاة التي بدت تقريبًا في نفس عمر إدوينا. كان لإلويز بريدجرتون نفس لون شعر إخوتها الصبيان، وقد أضاءت وجهها ابتسامة واسعة ودودة. أحبّتها كيت على الفور.

قالت كيت:

- كيف حالك أيتها الآنسة بريدجرتون؟ هل هذا موسمك الأول؟

أومأت إلويز قائلة:

- لن أظهر بصورة رسمية قبل العام المقبل، لكن أمي تسمح لي بحضور الفعاليات التي تقام هنا في منزل بريدجرتون.

أجابت كيت:

- كم أنت محظوظة! كنت لأحب فكرة أن أحضر بضع حفلات في العام الماضي. كل شيء كان جديدًا عليّ عند مجيئي إلى لندن هذا الربيع. يتبلبل عقلي كلما حاولت ببساطة تذكّر اسم أحدهم.

ابتسمت إلويز.

- لقد قامت شقيقتي دافني في الواقع بظهورها الأول منذ عامين، وكانت كثيرًا ما تحكي لي عن شخصيات المجتمع وتفاصيله الدقيقة، لذا أشعر أنّي أعرف الجميع تقريبًا بالفعل.

وجّهت ماري سؤالها لليدي بريدجرتون قائلة:

- هل دافني هي أكبر بناتك؟

أومأت الفيكونتيسة:

- لقد تزوّجت من دوق هاستنجز العام الفائت.

ابتسمت ماري:

- لا بد أن ذلك أسعدك كثيرًا.

- بكل تأكيد. إنه دوق، لكن الأهم أنه رجل طيّب ويحب ابنتي. أتمنّى فقط أن يُرزق بقية أبنائي وبناتي بزيجات سعيدة كهذه.

ثم أمالت ليدي بريدجرتون رأسها قليلًا والتفتت إلى كيت قبل أن تُكمل:

- لم تستطع أختك حضور هذا الحفل إذن يا آنسة شيفيلد.

كبحت كيت تأفّفها. مؤكّد أن ليدي بريدجرتون قد أعدّت بالفعل مسيرة أنطوني وإدوينا نحو المذبح. قالت:

- للأسف أصابتها نزلة برد الأسبوع الفائت.

قالت الفيكونتيسة لماري بتلك النبرة القلِقة التي تتشاركها الأمهات:

- آمل أنه ليس بالشيء الخطير؟

ردّت ماري:

- لا، على الإطلاق. إنها على مشارف استعادة صحتها بالكامل في الواقع. لكنّي رأيت أن من الأفضل لها أن تحظى بيوم آخر من النقاهة قبل أن تغامر بالخروج. لا أريد لها أن تنتكس.

- لا، بالطبع لا.

توقفت ليدي بريدجرتون قليلًا، ثم ابتسمت قائلة:

- حسنٌ، ذلك مؤسف جدًا. كنت أتطلّع لمقابلتها. اسمها إدوينا، أليس كذلك؟

أومأت كيت وماري في آنٍ واحد.

- سمعتُ أنها جميلة.

ولكن في نفس اللحظة التي قالت فيها ليدي بريدجرتون تلك الكلمات، لمحت ابنها -الذي كان يغازل مغنية الأوبرا الإيطالية بجنون- وعبست.

شعرت كيت بمعدتها تضطرب قلقًا. بحسب ما ورد في العدد الأخير من جريدة ويسلداون، كانت ليدي بريدجرتون تخطط لتزويج ابنها. ورغم أن الفيكونت لم يبدُ من نوعية الرجال الذين ينصاعون لإرادة أمهاتهم -أو إرادة أي أحد بالمناسبة-، فقد راود كيت انطباعٌ بأن ليدي بريدجرتون قادرة على ممارسة قدر كبير من الضغط إن هي أرادت.

بعد عدة دقائق أخرى من الحديث المهذّب، انسحبت ماري وكيت وتركتا ليدي بريدجرتون ترحّب ببقية ضيوفها. ولم تلبث أن حاصرتهما السيدة فيذرنجتون، وهي أم لثلاث فتيات غير متزوجات، ولديها على الدوام الكثير لتخبر به ماري في مختلف أنواع المواضيع. ولكن حينما شقّت تلك السيدة البدينة طريقها نحوهما، كانت عيناها مستقرتين بثبات على كيت.

بدأت كيت على الفور في البحث عن طرق الهروب المحتملة.

صاحت السيدة فيذرنجتون:

- كيت! (كانت قد رفعت الكُلفة بينها وبين آل شيفيلد منذ فترة طويلة) يا لها من مفاجأة أن ألتقيكِ هنا!

سألت كيت محتارة:

- ولمَ هي مفاجأة أيتها السيدة فيذرنجتون؟

- لا بد أنك قرأتِ جريدة ويسلداون هذا الصباح.

ابتسمت كيت بوهن. كان إمّا هذا أو أن تجفل. قالت:

- آه، تقصدين ذاك الحادث الصغير الذي يخص كلبي؟

رفعت السيدة فيذرنجتون حاجبيها نصف بوصة كاملة:

- بحسب ما سمعت، ما حدث كان أكثر من مجرّد «حادث صغير».

قالت كيت بحزم:

- كان حدثًا تافهًا.

لكنها والحق يُقال كانت تواجه صعوبة في منع نفسها من الصراخ في وجه تلك المرأة المتطفلة. أردفت:

- ولا بد لي من القول إني أرفض وصف ليدي ويسلداون لنيوتن على أنه كلب من سلالة غير محددة. أحيطك علمًا بأنه كلب كورجي نقي.

قالت ماري وقد هبّت أخيرًا للدفاع عن كيت:

- لم يكن حقًا شيئًا ذا بال. يدهشني أنه استحق ذكرًا في العمود حتى.

منحت كيت السيدة فيذرنجتون أشد ابتساماتها صفارًا، وقد أدركت تمامًا أنها هي وماري تكذبان ملء فميهما. إن غطس إدوينا -وشبه غطس لورد بريدجرتون- في بحيرة السيربنتين لم يكن بالحدث التافه، ولكن ما دامت

ليدي ويسلداون لا ترى أن من المناسب سرد التفاصيل كاملة، فمن المؤكّد أن كيت لن تتطوّع لملء الثغرات.

فتحت السيدة فيذرنجتون فمها، وأخذت شهيقًا حادًا أنبأ كيت بأنها تستعد لبدء مونولوج مطوّل عن أهمية السلوك الحسن -أو الأخلاق الحسنة، أو التربية الحسنة، أو أي شيء حسن يحمله موضوع اليوم-، لذا سارعت كيت بقول:

- هل أحضر لكما بعضًا من شراب الليمون؟

وافقت كلتا السيدتين المبجّلتين وشكرتاها، وانسلّت كيت بعيدًا. لكنها بمجرد أن عادت ابتسمت لهما ببراءة وقالت:

- لكنّي لا أملك سوى يدين اثنتين، لذا عليّ الآن أن أعود وأجلب كوبًا لنفسي.

وهكذا أفلتت من عقالها.

وقفت برهة عند طاولة شراب الليمون، تحسبًا أن تكون ماري لا تزال تراقبها، ثم اندفعت خارج القاعة إلى الرّدهة حيث غاصت في مقعد مريح على مسافة عشر ياردات من قاعة الموسيقى. تاقت إلى تنفّس بعض الهواء النقي. كانت ليدي بريدجرتون قد تركت الأبواب الفرنسية لقاعة الموسيقى مفتوحة على الحديقة الصغيرة الواقعة خلف المنزل، لكن الزحام جعل الجو خانقًا بالرغم من كل النسيم الآتي من الخارج.

جلست حيث هي لعدة دقائق، وقد أسعدها بشدة أن أحدًا من الضيوف الآخرين لم يقرر التسلل إلى الرّدهة. لكنها فجأة سمعت صوتًا مميزًا يعلو على دمدمة الحضور الخافتة، متبوعًا بضحكة موسيقية بوضوح، وأدركت كيت بفزع أن لورد بريدجرتون وعشيقته المنتظرة كانا يغادران قاعة الموسيقى باتجاه الرّدهة.

أنّت بصوتٍ حاولت ألا يسمعه أحد غيرها:

- أوه، لا.

آخر شيء تريده هو أن يراها الفيكونت جالسة بمفردها في الرّدهة. كانت تعرف أنها اختارت تلك العزلة بإرادتها، لكنه على الأرجح سيظن أنها لاذت بالفرار من الجمع بسبب فشلها الاجتماعي وأن الوسط الرفيع بأكمله يشاركه نفس رأيه فيها؛ أنها وقحة وقبيحة وآفة من آفات المجتمع.

آفة من آفات المجتمع؟ كزّت كيت على أسنانها. ستستغرق وقتًا طويلًا جدًا قبل أن تغفر له تلك الإهانة.

لكنها كانت متعبة مع ذلك، ولا تشعر برغبة في مواجهته بعد، لذا رفعت تنورتها بضع بوصات كي لا تتعثر وتوارت في أقرب غرفة من مقعدها. إذا حالفها الحظ، سيتجاوزها هو وعشيقته، وتتسلل هي عائدة إلى قاعة الموسيقى دون أن يشعر أحد.

نظرت كيت حولها بسرعة وهي تغلق الباب. كان ثمة مصباح موقد على المكتب، وبينما اعتادت عيناها الظُلمة، أدركت أنها في غرفة مكتب من نوعٍ ما. اصطفت الكتب على جدران الغرفة، وإن لم تكن بالضخامة التي تجعلها مكتبة آل بريدجرتون الأساسية. واحتل منتصف الغرفة مكتب عملاق من خشب السنديان وضعت عليه الأوراق في أكوام مرتّبة، وبجوار الأوراق كانت الريشة والمحبرة مستقرّتين على نشّافة الحبر.

من الواضح أن هذا المكتب ليس للعرض فقط. أحدهم يعمل هنا بالفعل.

سارت كيت باتجاه المكتب، وقد نال الفضول منها كل منال، ومرّت بأصابعها بتراخٍ على طول الحافة الخشبية. كان الهواء ما زال عابقًا برائحة الحبر، وربما بأثر طفيف من دخان الغليون.

فكّرت أنها كانت غرفة جميلة في المجمل. مريحة وعملية. يمكن للمرء أن يقضي ساعات هنا في تأمّل كسول.

ولكن بينما اتكأت كيت على المكتب، مستمتعة بعزلتها الهادئة، سمعت صوت مروعًا.

تكّة مقبض الباب.

هبطت بسرعة أسفل المكتب بشهقة محمومة، واعتصرت نفسها في المكعب الفارغ حامدة ربها أن المكتب مصمت من الأمام، وليس من النوع الذي يستقر على أربع سيقان نحيلة.

أصاخت السمع وهي بالكاد تتنفس.

أتاها صوت أنثوي طروب يقول:

- لكني سمعت بأن هذا هو العام الذي سنرى فيه أخيرًا لورد بريدجرتون الشهير واقعًا في مصيدة الزوجية.

عضّت كيت شفتها. كان صوتًا أنثويًا طروبًا بلكنة إيطالية.

أتى صوت الفيكونت الذي لا تخطئه أذن:

- وأين سمعتِ بذلك؟

ثم أتبع سؤاله بتكّة أخرى مروّعة لمقبض الباب.

أغلقت كيت عينيها في ألم. كانت عالقة في المكتب مع زوج من العشّاق. لا يمكن للحياة أن تزداد سوءًا ببساطة.

حسنٌ، يمكن أن يكتشفا وجودها. هكذا ستزداد سوءًا. الطريف أن ذلك لم يحسّن كثيرًا من شعورها حيال مأزقها الحالي بالرغم من كل شيء.

أجابت ماريا:

- لقد انتشر الخبر في جميع أنحاء المدينة أيها اللورد. يقولون إنك قررت أن تستقر وتختار عروسًا.

حلّ صمت مُطبق، لكن كيت كادت تُجزم أنها سمعته يهزّ كتفيه.

ثم صوت خطوات أقدام، على الأرجح أقدام العاشقين إذ يقترب أحدهما من الآخر، ثم غمغم بريدجرتون:

- لعلّ وقت الاستقرار قد أزف.

- إنك تفطر قلبي، هل تعلم ذلك؟

أحسّت كيت برغبة في التقيؤ.

- مهلًا مهلًا أيتها السنيوريتا الحُلوة -صوت شفتين على بشرة- كلانا يعلم أن قلبك محصّن ضد جميع مناوراتي ومكائدي.

ثم أتى صوت حفيف، أدركت كيت منه أن ماريا كانت تنسحب مبتعدة بخجل، ثم أعقبه صوتها تقول:

- لكنّي لا أميل إلى خوض علاقة عابرة أيها اللورد. لست أرجو زواجًا بالطبع؛ فذلك إنما هو أكثر حماقة. لكنّي عندما أختار حاميّ المقبل، فإني أريد لعلاقتي به... لنقل إني أريد لها أن تكون طويلة المدى.

صوت خطوات. ربما يحاول بريدجرتون تقليص المسافة بينهما مجددًا؟

تحدّث بصوتٍ خفيض أجش قائلًا:

- لست أفهم ما المشكلة.

- ربما ترى زوجتك مشكلة.

ضحك بريدجرتون قائلًا:

- السبب الوحيد الذي قد يدفع المرء إلى التخلّي عن عشيقته هو أن يحب زوجته. وبما أني لا أنوي اختيار زوجة قد أقع يومًا في حبها، فلست أرى سببًا يضطرني إلى حرمان نفسي من صُحبة امرأة جميلة مثلك.

وتريد أن تتزوج إدوينا؟ استطاعت كيت منع نفسها من الصراخ بأعجوبة. الحق أنها لو لم تكن جاثية كالضفدع بكلتا يديها ملفوفتين حول كاحليها، فإنها على الأغلب كانت لتخرج مثل الروح الشريرة وتحاول قتل الرجل.

ثم تلا ذلك عدة أصوات مبهمة، والتي أخذت كيت تدعو من كل قلبها ألا تكون توطئة لشيء أكثر حميمية. ولكن بعد لحظة ظهر صوت الفيكونت بوضوح قائلًا:

- أترغبين في كأس من الشراب؟

غمغمت ماريا بالموافقة، وتردد وقع خطوات بريدجرتون الحثيثة على الأرض، آخذًا في الاقتراب شيئًا فشيئًا حتى...

أوه، لا.

وقعت عينا كيت على الزجاجة الموضوعة على حافة النافذة، مقابل مخبئها تحت المكتب مباشرةً. إن هو أبقى عينيه فقط باتجاه النافذة بينما يصبّ النبيذ، فربما لا يلاحظ وجودها، ولكنه لو استدار، ولو نصف استدارة فقط...

تجمّدت. تجمّدت تمامًا. توقّفت عن التنفس كليًا.

فتحت عينيها على وسعهما لا ترمش -هل تصدر الجفون صوتًا؟- وراقبت برعب تام ومطبق بينما ظهر الفيكونت أمامها، وقد بدت هيئته الرياضية في أبهى صورها من موقعها على الأرض.

اصطكت الكأسان ببعضهما مُصدِرتين رنينًا خافتًا وهو يضعهما أمامه، ثم سحب سدادة الزجاجة وصب مقدار إصبعين من سائل كهرماني اللون في كل كأس.

لا تلتفت. لا تلتفت.

نادت ماريا:

- هل كل شيء على ما يرام؟

أجاب بريدجرتون:

- عظيم.

وإن بدا مشتتًا لسبب غامض. رفع الكأسين وأخذ يدندن لنفسه بينما بدأ جسمه يستدير ببطء.

استمرّ في المشي. لا تقف. إن سار مبتعدًا في نفس اللحظة التي يستدير فيها، فسوف يعود إلى ماريا ولن يقبض عليها. أما إذا استدار أولًا، ثم بدأ السير، فسوف تصبح كيت في عداد الموتى لا محالة.

ولم يراودها أدنى شك في أنه سيقتلها. الحق أنه فاجأها عندما لم يُقدم على ذلك في الأسبوع الماضي عند بحيرة السيربنتين.

بدأ يستدير ببطء. ويستدير. ولم يسِر مبتعدًا.

وحاولت كيت أن تحصي جميع الأسباب التي تجعل الموت في عمر الحادية والعشرين أمرًا غير سيئ لهذه الدرجة.

كان أنطوني يعلم جيدًا لمَ دعا ماريا روسّو إلى غرفة مكتبه. فلم يسلم من سحرها رجل ذو دمٍ حار قط. كان قوامها غضًّا وصوتها مسكِرًا وقد أدرك من واقع خبرته أن لمستها لا تقل فعالية.

ولكن حتى وهو يلمس شعرها الأسود الحريري، ويتطلع إلى شفتيها المكتنزتين الممتلئتين، حتى بينما تصلّبت عضلاته بمجرد أن تذكّر جميع المناطق المكتنزة الممتلئة الأخرى في جسمها، كان يعلم أنه يستغلّها.

لم يشعر بأي ذنب حيال استغلالها لمتعته الخاصة. فقد كانت تستغله هي الأخرى. ثم إنها على الأقل ستأخذ تعويضًا، بينما هو سيُسلَب كثيرًا من الحُلي والمجوهرات، وعلاوة ربع سنوية، وإيجارًا لمنزل أنيق في منطقة أنيقة -على الرغم من أنها لن تكون شديدة الأناقة- من المدينة.

لا، إذا كان يشعر بالاضطراب، إذا كان يشعر بالإحباط، إذا كان يشعر برغبة في لكم أحد الجدران الأسمنتية بقبضته اللعينة، فذلك لأنه يستغل ماريا لطرد الكابوس المدعو كيت شيفيلد من ذهنه. لا يريد أن يستيقظ معذّبًا هكذا مرة أخرى، عالمًا أن كيت شيفيلد هي السبب. أراد أن يغرق نفسه في امرأة أخرى حتى تتبدد ذكرى الحلم وتتلاشى في العدم.

ذلك لأن الرب يعلم أنه لن يأخذ أبدًا ذاك الحلم الغرامي على محمل الجد. إنه لا يطيق كيت شيفيلد حتى. مجرّد فكرة مطارحتها الغرام جعلته يتفصّد عرقًا، حتى وإن أحدثت تموّجات من الرغبة في أحشائه.

كلا، لن يصبح هذا الحلم حقيقة إلا لو كان يهذي من فرط الحمى... وربما لا بد أن تغرق هي الأخرى في حالة هذيان كي يحدث ذلك... وربما لا بد أن يكون كلاهما عالقًا في جزيرة مهجورة، أو محكومًا عليه بالإعدام في الصباح التالي، أو...

ارتجف أنطوني. محال أن يتحقق هذا الحلم ببساطة.

ولكن اللعنة! هذه المرأة قد سحرت له دون ريب. ليس هناك تفسير آخر لحلمه –لا بل لكابوسه– بل إنه يكاد يقسم إن بإمكانه شم رائحتها. كانت ذلك المزيج المثير للجنون من الزنبق والصابون، ذاك العطر المغوي الذي غمره يوم كانا في حديقة هايد بارك الأسبوع الماضي.

ها هو ذا يصبّ كأسًا من أرقى أنواع الويسكي لماريا روسّو، إحدى النساء القلائل اللائي يعرفن كيف يقدّرن كلًا من الويسكي الراقي والسُكر الشيطاني الذي يتبعه، ومع ذلك كل ما استطاع شمّه هو عِطر كيت شيفيلد اللعين. كان يعرف أنها في المنزل –وكان شبه مستعد لقتل أمه بسبب دعوتها إياها– ومع ذلك بدا له الأمر سخيفًا.

صاحت ماريا:

- هل كل شيء على ما يرام؟

قال أنطوني:

- ممتاز.

وقد بدا صوته متوترًا في أذنيه. بدأ يدندن، وهو أمر اعتاد فعله لطمأنة نفسه.

استدار وبدأ يخطو للأمام. كانت ماريا تنتظره بعد كل شيء.

ولكن ها هو ذاك العطر اللعين مرة أخرى. الزنبق. يكاد يقسم إنه زنبق. والصابون. كانت رائحة الزنبق آسرة وغريبة، أما الصابون فمنطقي. إن امرأة عملية مثل كيت شيفيلد طبيعي أن تفرك نفسها بالصابون على سبيل النظافة.

ترددت قدمه في الهواء، فاضطر إلى اتخاذ خطوة صغيرة مقارنة بخطاه المعتادة الواسعة. لم يسعه التملّص من الرائحة، ظل يتلفّت حوله، وأجبرت

أنفه عينيه على النظر إلى بقعة كان يعلم بكل تأكيد أنها لا تحوي أي زنبق، ومع ذلك فقد كانت الرائحة، لسببٍ مستحيل، تنبعث من هناك.

ثم رآها.

تحت مكتبه.

هذا مستحيل.

هذا كابوس دون ريب. إذا أغمض عينيه وفتحهما مجددًا ستختفي بكل تأكيد.

طرف بعينيه. ما زالت هناك.

كيت شيفيلد، المرأة الأكثر شيطانية واستفزازًا وإثارة للجنون في إنجلترا بأكملها، كانت جاثية كالضفدع تحت مكتبه.

تمالك نفسه قبل أن يُسقط كأسيْ الويسكي بأعجوبة.

تلاقت نظراتهما، ورأى عينيها تتسعان في ذعر وخوف. جيد، فكّر بوحشية. جديرٌ بها أن تخاف. فإنه على وشك أن يلقّنها درسًا داميًا لعينًا حتى يتضرّج مخبؤها اللعين بالدم.

ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم؟ ألم يكفِها أن أغرقته بمياه السيربنتين القذرة أم أن روحها المتعطّشة للدماء لم تنل كفايتها بعد؟ ألم تقنع بمحاولاتها إحباط أي مسعى منه للتودد لأختها؟ هل تحتّم عليها أن تتجسس عليه أيضًا؟

قال بنعومة: «ماريا». وتقدّم باتجاه المكتب حتى خطا على يد كيت. لم يدُسها بقوة، لكنه سمعها تئن.

منحه ذلك شعورًا هائلًا بالرضا.

كرر قائلًا:

- ماريا، لقد تذكّرت فجأة مسألة عمل طارئة لا بد من التعامل معها في الحال.

سألته:

- هذه الليلة بالذات؟

وقد بدا عليها الارتياب الشديد.

- أخشى ذلك. يوف!

طرفت ماري بعينيها:

- هل نخرت لتوّك؟

كذب أنطوني: «لا». وهو يحاول ألا يغصّ بالكلمة. كانت كيت قد نزعت قفازها ولفّت يدها حول ركبته، وغرزت أظفارها –التي اخترقت سرواله– في جلده بقوة.

على الأقل كان يأمل أنها أظفارها. فربما هي أسنانها.

تساءلت ماريا:

- هل أنت متأكد أنك بخير؟

- نعم.. بكل... -أيًا كان العضو الذي تغرزه كيت في ساقه فقد غاص أكثر بعد- تأكيد!

خرجت الكلمة الأخيرة أشبه بالعواء، ورفس بقدمه للأمام، فاصطدمت بشيء راوده شك خفي أنه معدتها.

في الظروف الطبيعية، كان أنطوني ليفضّل الموت على أن يضرب امرأة، بيد أن هذه المرة بدت حقًا حالة استثنائية. الحقّ أنه وجد متعة ليست بقليلة في ركلها وهي جاثية.

فقد كانت تعض ساقه بعد كل شيء.

قال لماريا وهو ينفض كيت عن كاحله:

- اسمحي لي بأن أرافقك إلى الباب.

لكن الفضول لاح في عينَيْ ماريا وتقدّمت بضع خطوات قائلة:

- أنطوني، هل ثمة حيوان ما تحت مكتبك؟

انفجر أنطوني ضاحكًا ثم قال:

- يمكنك قول ذلك.

دهست قبضة كيت على قدمه.

- هل هو كلب؟

فكّر أنطوني بجدية أن يرد عليها بالإيجاب، ولكن حتى هو لم يكن بهذه القسوة. والواضح أن كيت قدّرت لباقته غير المعهودة، وحررت ساقه.

استغل أنطوني إخلاءها سبيله وخطا بسرعة من وراء مكتبه. وصل إلى ماريا والتقط ذراعها قائلًا:

- هل ستكون وقاحة مني لا تُغتفر إن رافقتك إلى الباب فقط وليس طول الطريق إلى قاعة الموسيقى؟

ضحكت بصوتٍ خفيض مثير كان جديرًا به أن يغريه. قالت:

- إنني امرأة راشدة، أيها اللورد. أعتقد أن بإمكاني قطع تلك المسافة القصيرة وحدي.

- هل تغفرين لي؟

خطت عبر الباب الذي فتحه لها وقالت:

- أشك أن هناك امرأة حية يمكن أن ترى تلك الابتسامة ثم تنكر عليك مغفرتها.

- أنتِ امرأة نادرة يا ماريا روسّو.

ضحكت مجددًا قائلة:

- ولكني لست نادرة بما فيه الكفاية على ما يبدو.

بعد أن سارت مبتعدة، أغلق أنطوني الباب بتكّة حاسمة. ثم بتحريضٍ من شيطانه دون ريب، أدار المفتاح في القفل ودسّه في جيبه.

هدر قائلًا:

- أنتِ! (قطع المسافة إلى المكتب في أربع خطوات واسعة) أظهري نفسك.

وعندما لم تزحف كيت خارجة بالسرعة الكافية، مدّ يده، وقبض على ذراعها ساحبًا إياها لتقف على قدميها.

قال بصوتٍ كالفحيح:

- برري ما فعلتِه.

تهاوت ساقا كيت بمجرد أن اندفع الدم عائدًا إلى ركبتيها، اللتين كانتا مثنيتَين قرابة ربع الساعة. قالت:

- لقد كان حادثًا.

وهي تقبض على حافة المكتب طلبًا للدعم.

- طريف كم تنبثق تلك الكلمات من فمك بهذه الوتيرة المذهلة.

احتجّت قائلة:

- إنها الحقيقة! كنت أجلس في الرّدهة، و...

ابتلعت ريقها. وخطا أنطوني للأمام حتى صار على مسافة قريبة جدًا جدًا. فكررت وقد بدا صوتها مهزوزًا أجش:

- كنت أجلس في الرّدهة، وسمعتك قادمًا. كنت أحاول تجنّبك ليس إلا.

- لذا قررتِ اقتحام مكتبي الخاص.

- لم أكن أعلم أنه مكتبك. إنني...

حبست كيت أنفاسها. كان قد تحرّك أقرب بعد، وصارت ياقة سترته العريضة اللامعة على بُعد بوصات قليلة من صدار فستانها. كانت تعلم أنه يقترب منها متعمّدًا، وأنه يريد ترهيبها لا إغواءها، بيد أن هذه الأفكار لم تحرّك ساكنًا لتهدئة خفقان قلبها المحموم.

غمغم قائلًا:

- أظنك ربما كنتِ تعلمين أنه مكتبي. (وترك سبابته تمرّ على جانب خدها) ربما لم تكوني تريدين تجنّبي من الأساس.

ابتلعت كيت ريقها بصوتٍ واضح، وقد كفّت منذ فترة طويلة عن محاولة الحفاظ على رباطة جأشها.

مرّر إصبعه على خط فكّها.

- ما قولِك في ذلك؟

باعدت كيت شفتيها، لكنها لم تكن لتقدر على التفوه بكلمة حتى لو كانت حياتها مرهونة بذلك. لم يكن يرتدي قفازيه -لا بد أنه نزعهما أثناء مغازلته ماريا- وكان ملمس أصابعه على بشرتها قويًا لدرجة بدا معها أنه قد سيطر على جسدها. كانت تتنفّس حين يقف، وتحبس أنفاسها كلما تحرّك. لم يراودها شك أن قلبها كان يخفق حتى بالتزامن مع نبضه.

همس:

- ربما (وقد بات الآن قريبًا لدرجة أن قبّلت أنفاسه شفتيها) كنتِ تنشدين شيئًا آخر تمامًا.

حاولت كيت هزّ رأسها لكن عضلاتها أبت أن تطاوعها.

- هل أنتِ متأكدة؟

هذه المرة، خانها رأسها وأبدى هزّة صغيرة.

ابتسم. وأدرك كلاهما أنه انتصر.



الفصل السابع

27 أبريل 1814 **جريدة المجتمع**

وكان أيضًا من بين الحضور في حفل ليدي بريدجرتون: السيدة فيذرنجتون وثلاثة من بنات فيذرنجتون -برودنيس، وفيليبا، وبينولبي، واللاتي لم ترتدِ أي منهنّ ألوانًا تليق ببشرتها-؛ والسيد نايجل بيربروك -والذي كان لديه الكثير ليقوله كالعادة، وإن لم يبدُ أن أحدًا يعيره اهتمامًا سوى فيليبا-؛ وبالطبع السيدة شيفيلد والآنسة كاترين شيفيلد.

تعتقد كاتبة هذا المقال أن دعوة آل شيفيلد كانت تشمل أيضًا الآنسة إدوينا شيفيلد، بيد أنها لم تحضر. وقد بدا لورد بريدجرتون في حالة معنوية جيدة رغم غياب الآنسة شيفيلد الصغرى، في حين بدت والدته مُحبطة.

ذلك أن ليدي بريدجرتون تتملّكها رغبة خرافية في تزويج أبنائها، ومن المؤكّد أنها الآن تدور في حلقة مفرغة لا تدري ما ينبغي لها فعله بعد أن زوّجت ابنتها لدوق هاستنجز.

ليدي ويسلداون

أيقن أنطوني أنه قد جن جنونه دون شك.

ليس لديه تفسير آخر. كان يقصد إخافتها، إثارة فزعها، كان يريد منها أن تفهم أنها لن تستطيع أبدًا التدخل في شؤونه والخروج منتصرة، لكنه بدلًا من ذلك...

قبّلها.

كان الترهيب مقصده، لذا أخذ يقترب شيئًا فشيئًا حتى لم يسع تلك الفتاة البريئة إلا الاستسلام لحضوره. لم تختبر من قبل شعور الوقوف أمام رجل قريبًا منها لدرجة أن حرارة جسمه تغلغلت عبر ثيابها، قريبًا لدرجة لم تستطع معها تحديد أين تنتهي أنفاسه وتبدأ أنفاسها.

لم تكن لتتعرف شرارة الرغبة الأولى، ولا لتفهم ما هي تلك الحرارة المتأججة ببطء في أعماق كيانها.

ولا أن تلك الحرارة المتأججة ببطء كانت ظاهرة. كان يستطيع رؤيتها في وجهها.

لكن تلك الفتاة البريئة كليًا لم تكن لتستوعب قط ما يستطيع هو أن يكتشفه بنظرة واحدة من عينيه المتمرّستين. كلّ ما يمكنها أن تعرفه هو أنه يقف أمامها ملقيًا بظله عليها، وأنه يفوقها قوة وطولًا، وأنها قد ارتكبت خطأً فادحًا باقتحامها حرَمه وملاذه الخاص.

كان ينوي التوقّف عند هذا الحد وأن يتركها منزعجة مبهورة الأنفاس. ولكن عندما تقلّصت المسافة بينهما إلى بوصة أو نحوها، اشتدت قوة الجذب كثيرًا. كان عطرها مسكرًا أكثر مما ينبغي، صوت أنفاسها مثيرًا أكثر مما ينبغي. شرارة الرغبة التي أراد إطلاقها بداخلها تأججت على حين غرة بداخله هو، وبثت وهجًا دافئًا من الاحتياج من رأسه حتى أخمص قدميه. والإصبع التي كان يمررها على وجنتها –فقط ليعذبها بها، كما أخبر نفسه– فجأة أصبح يدًا تحتضن رأسها بينما التقط شفتيها في انفجار من الغضب والرغبة.

كان يعلم أن عليه التوقف، يعلم حق العلم أنه لم يكن عليه أن يبدأ، لكن طغى عليه الاحتياج، ومنحته هي شعورًا غامرًا بـــــــ...

الروعة.

شيء ما فيها كان يتناغم معه، وهو ما لم يحسّ به مع أي امرأة أخرى قط. وكأن جسده اكتشف الشيء الذي يرفض عقله تمامًا أن يصدّقه.

شيء ما فيها كان... صائبًا.

خطر لأنطوني أن كيت شيفيلد عندما لا تجادله، فقد يحقّ لها فعلًا أن تحمل لقب أجمل امرأة في إنجلترا.

وببطء، ارتفعت ذراعاها، اللتان كانتا حبيستي أحضانه، حتى استقرّت يداها بتردد على ظهره. ثم تحرّكت شفتاها. كانت شيئًا طفيفًا حقًا، حركة بالكاد شعر بها، لكنها كانت قطعًا تبادله قُبلته.

ثم قالت بصوت مرتجف:

- بريدجرتون؟

خرجت الكلمة أشبه بسؤال أكثر من أي شيء آخر.

همس:

- لا تقولي شيئًا. مهما فعلتِ، لا تقولي شيئًا.

- ولكن...

ضغط بإصبعه على شفتيها مقاطعًا إياها وقال:

- ولا كلمة.

آخر ما يريده منها هو أن تفسِد عليه هذه اللحظة المثالية وأن تفتح فمها وتجادل.

- لكنّي...

وضعت يدها على صدره وأبعدت نفسها، تاركة إياه يلهث بتوازن مختلّ.

أطلق أنطوني سبابًا. ولم يكن سبابًا مهذبًا.

وهرعت كيت مبتعدة، ليس إلى آخر الغرفة، ولكن نحو مقعد جلدي طويل كان بعيدًا بما يكفي لئلا تصل إليها ذراعاه. قبضت على ظهر المقعد الصلب، ثم دارت من حوله لتقف خلفه، فقد خطر لها أن من الحكمة أن تحظى بقطعة أثاث صلبة لطيفة بينهما.

لم يبدُ الفيكونت في أفضل حالاته المزاجية.

قالت بصوت خافت حد الهمس:

- لماذا فعلت ذلك؟

هز كتفيه، وبدا فجأة أقل غضبًا واكتراثًا. قال:

- لأنني أردت ذلك.

نظرت كيت إليه فاغرة فاهها لبرهة، عاجزة عن تصديق أنه منحها هذا الردّ البسيط على سؤالها المُعقّد، على الرغم من صيغته البسيطة. وأخيرًا اندفعت قائلة:

- ولكن هذا غير ممكن.

ابتسم ببطء.

- لكنه حدث.

- لكنك لا تحبّني!

اعترف قائلًا:

- صحيح.

- وأنا لا أحبّك.

قال برفق:

- هذا ما تقولينه. سأضطر إلى الاكتفاء بكلمتك دليلًا، بما أن هذا لم يكن واضحًا بصفة خاصة منذ بضع ثوانٍ.

شعرت كيت بحمرة الخزي تتصاعد إلى وجهها. كانت قد استجابت لقُبلته الشريرة، وقد كرهت نفسها لذلك، تمامًا مثلما كرهته لبدء اللحظة الحميمية.

لكنه لم يكن جديرًا به أن يستهزئ بها. كان ذلك تصرّف شخص وغد. أمسكت بظهر المقعد حتى تلوّنت مفاصل أصابعها باللون الأبيض، ولم تعد متأكدة هل تستخدمه درعًا ضد بريدجرتون أم وسيلة لمنع نفسها من الانقضاض عليه وخنقه.

قالت بصوت خافت جدًا:

- إنني لن أدَعك تتزوج إدوينا.

تمتم قائلًا:

- لا. (وخطا للأمام ببطء حتى صار على الجانب الآخر من المقعد) لا أظنك ستفعلين.

ارتفع ذقنها قليلًا قبل أن تجيب:

- وأنا أيضًا قطعًا لن أتزوجك.

وضع يديه على ذراعي المقعد ومال للأمام حتى أصبح وجهه على بعد بضع بوصات فقط من وجهها وقال:

- لا أتذكّر أنّي طلبت.

انحنت كيت للخلف قائلةً:

- لكنك قبّلتني لتوّك!

ضحك قائلًا:

- لو أنّي عرضت الزواج على كل امرأة قبّلتها، لزُج بي في السجن بجريمة تعدد الزوجات منذ زمن.

شعرت كيت بنفسها وقد بدأت ترتجف غضبًا، وأمسكت بظهر المقعد وكأنها تتشبث بحياتها. قالت بازدراء شديد:

- أنتَ أيها السيد لا تملك أي شرف.

اتقدت عيناه واندفعت إحدى يديه للإمساك بذقنها. ظل على هذا الوضع عدة ثوان، مرغمًا إياها على أن تبادله النظر. ثم قال بصوت مخيف:

- هذا ليس صحيحًا، ولو كنتِ رجلًا، لبارزتك بسبب تلك الكلمة

ظلّت كيت ساكنة لما بدا وكأنه زمن طويل جدًا، وعيناها مثبتتان على عينيه، وقد شعرت بوجهها يشتعل في البقعة حيث قيّدها بأصابعه القوية. وأخيرًا فعلت الشيء الوحيد الذي أقسمت ألا تفعله أبدًا مع هذا الرجل.

توسّلت.

همست قائلة:

- أرجوك. دعني أذهب.

وقد فعل. حررتها يده بسرعة مذهلة. قال:

- أستميحك عذرًا.

وقد بدا بصورة ما... متفاجئًا؟

لا، هذا مستحيل. لا شيء يمكن أن يفاجئ هذا الرجل.

أضاف برفق:

- لم أقصد إيذاءك.

- أحقًا هذا؟

أومأ برأسه إيماءة صغيرة.

- نعم. أن أخيفك ربما. ولكن ليس أن أوذيكِ.

خطت كيت للخلف بساقين ترتجفان وقالت:

- أنت لست سوى رجل منحلّ.

وقد ودّت لو أن صوتها قد خرج بنبرة أكثر احتقارًا وأقل ارتعاشًا.

قال وهو يهز كتفيه: «أعرف». ثم خفَت الشرر المُتقد في عينيه وحلّ مكانه استمتاعٌ خفيف. «هذه هي طبيعتي».

أخذت كيت خطوة أخرى للخلف. لم تقوَ على مجاراة تغيراته المزاجية السريعة. قالت:

- سأغادر الآن.

قال بعذوبة ملوّحًا نحو الباب:

- تفضّلي.

- لا يمكنك منعي.

ابتسم.

- لست أجرؤ على ذلك.

بدأت تبتعد بخطىً بطيئة للخلف، وقد تملّكها خوف من أنها لو أشاحت بنظرها عنه لثانية واحدة فإنه قد ينقضّ. قالت مجددًا بلا داع:

- سأغادر الآن.

ولكن عندما صارت يدها على بعد بوصة واحدة من مقبض الباب، قال:

- أحسب أنني سأراكِ في المرة المقبلة عندما أزور إدوينا.

امتقعت كيت. لم يكن باستطاعتها أن ترى وجهها بالطبع، لكنها للمرة الأولى في حياتها، شعرت بالدم ينسحب حرفيًا من جلدها. قالت بنبرة اتهام:

- لقد قلتَ إنك ستتركها وشأنها.

اتكأ على جانب المقعد بوقاحة نوعًا ما وأجاب:

- لا. لقد قلت إنني لا أظنك تنوين «تركي» أتزوّج إدوينا. وهو ما لا يعني بالضرورة أنّي أنوي السماح لك بالسيطرة على حياتي.

شعرت كيت فجأة بقذيفة مدفعية تستقر في حلقها.

- ولكن كيف عساك تريد الزواج بها بعد أن... بعد أن...

أخذ بضع خطوات باتجاهها، بحركات بطيئة وأنيقة كما القط.

- بعد تقبيلِك لي؟

- أنا لم...

بيد أن الكلمات أحرقت حلقها، إذ أدركت بكل وضوح أنها كذبة. لم تكن قد بدأت القُبلة، لكنها شاركت فيها في النهاية.

قال وهو يقف منتصبًا ويعقد ذراعيه:

- أوه، على رسلك، أيتها الآنسة شيفيلد. دعينا لا نسلك هذا الطريق. إننا لا نحب بعضنا، تلك هي الحقيقة، لكني أحترمك بشكلٍ ما منحرف غريب، وأعلم أنك لست بكاذبة.

لم تنبس ببنت شفة. ماذا عساها أن تقول حقًا؟ كيف يمكن للمرء أن يردّ على عبارة تضم كلمتي «احترام» و«منحرف» جنبًا إلى جنب؟

قال بابتسامة صغيرة راضية:

- لقد بادلتني القُبلة. ليس بحماس كبير، أعترف بذلك، ولكن تلك كانت مسألة وقت لا أكثر.

هزت رأسها، عاجزة عن تصديق ما تسمعه.

- كيف تخوض في مثل هذه الأمور بعد أقل من دقيقة من إعلانك عن نيتك في التودد لأختي؟

- هذا يضع عقبة صغيرة أمام مخططاتي، صدقتِ.

قالها بخفة متأمّلًا، كما لو كان يفكّر في شراء حصانٍ جديد، أو ربما يقرر أي ربطة عنق سيرتديها.

ربما هي وقفته المسترخية، ربما هي الطريقة التي أخذ يمسّد بها ذقنه وكأنه يتظاهر بأنه يدرس المسألة. ولكن شيئًا ما أشعل فتيلًا بداخل كيت، فإذا بها تندفع للأمام لا تلوي على شيء وقد اجتمعت كل شرور العالم في روحها وهي تلقي بنفسها عليه، وتقصف صدره بقبضاتها. صرخت قائلة:

- لن تتزوجها أبدًا! أبدًا! هل تسمعني؟

رفع ذراعه ليصدّ ضربة استهدفت وجهه.

- عليّ أن أكون أصم حتى لا أسمعك.

ثم قبض على معصميها بمهارة، وثبّت ذراعيها فيما أخذ جسدها ينتفض ويرتجف غضبًا.

قالت وهي تغصّ بالكلمات:

- لن أدَعك تسلبها سعادتها. لن أسمح لك بتدمير حياتها. إن كل ما فيها طيب ونبيل ونقي. إنها تستحق من هو أفضل منك.

راقبها أنطوني من كثب، مركّزًا أنظاره على وجهها، الذي زادته ثورة غضبها جمالًا بطريقة ما. اندفعت الدماء إلى وجنتيها، واغرورقت عيناها بالدموع التي كافحت بقوة كي تُبقيها بعيدة عن وجهها، وبدأ أنطوني يشعر أنه ربما هو أسوأ الأوغاد جميعًا.

قال برفق:

- عجبًا أيتها الآنسة شيفيلد. أظنك حقًا تحبّين أختك بصدق.

انفجرت قائلة:

- بالطبع أحبها! لماذا برأيك بذلت كل هذا الجهد لإبقائها على مبعدة منك؟ أتظن أنّي فعلت ذلك من أجل التسلية؟ أؤكّد لك أيها اللورد أن بإمكاني التفكير في العديد من الأشياء التي هي أكثر إمتاعًا من الاحتجاز أسيرة في غرفة مكتبك.

أفلت أنطوني معصميها بسرعة.

فركت جلدها المنتهك المحمرّ ونشقت قائلة:

- ظننت أن حبي لإدوينا هو الشيء الوحيد الذي يمكنك فهمه عنّي بوضوحٍ كامل. أنت الذي يفترض بك أن تكون مخلصًا كل الإخلاص لأسرتك.

لم يحر أنطوني جوابًا واكتفى بمراقبتها، متسائلًا إن كان ثمة ما هو أكثر تعقيدًا في تلك الفتاة ممّا قدّر هو في البداية.

قالت كيت بدقّة متناهية:

- لو كانت إدوينا أختك، هل كنت لتسمح لها بالزواج من رجلٍ مثلك؟

لم يتكلّم لفترة طويلة جدًا، طويلة بما يكفي ليعلو رنين الصمت المُحرج في أذنيه. وأخيرًا قال:

- هذا ليس موضوعنا.

يُحسَب لها أنها لم تبتسم. لم تتبجح، ولم تسخر منه. عندما تحدّثت خرجت كلماتها هادئة وصادقة.

- أعتقد أنّي سمعت إجابة سؤالي.

ثم استدارت على عقبيها وبدأت تسير بعيدًا.

- شقيقتي. (قال بصوت كان عاليًا بما يكفي لوقف تقدمها نحو الباب) تزوجت من دوق هاستنجز. هل أنت على دراية بسمعته؟

توقّفت دون أن تستدير.

- إنه مشهور بإخلاصه الشديد لزوجته.

ضحك أنطوني.

- إذن لستِ على دراية بسُمعته. على الأقل سُمعته كما كانت قبل زواجه.

استدارت كيت ببطء.

- إن كنت تحاول إقناعي بأن المنحلّين التائبين يُمكن أن يصلحوا أزواجًا، فلن تكلل محاولاتك بنجاح. إنه في هذه الغرفة تحديدًا، وقبل خمس عشرة دقيقة فقط، أخبرت الآنسة روسّو أنك لا ترى سببًا يجعل المرء يتخلّى عن عشيقته من أجل زوجة.

- أحسب أنّي قلت إن ذلك في حالة كان المرء لا يحب زوجته.

خرج صوت خافت غريب من أنفها، ليس نخيرًا بالضبط، لكنه أكثر من زفير، وقد بدا جليًا للغاية، في تلك اللحظة على الأقل، أنها لا تكنّ له ذرّة واحدة من الاحترام. سألته وقد لاح في عينيها استمتاع شديد:

- وهل تحب أختي أيها اللورد بريدجرتون؟

أجاب قائلًا:

- بالطبع لا. ولن أجرؤ على إهانة ذكائك بقول العكس. ولكن (ثم أردف بصوتٍ عالٍ لدرء المقاطعة التي كان يعرف أنها آتية لا محالة) لقد التقيت أختك من أسبوعٍ واحد فقط. ولست أرى سببًا يمنعني من حُبها لو جمعنا الرباط المقدّس وقضينا معًا سنين عدّة.

عقدت ذراعيها.

- لماذا لا أستطيع أن أصدّق كلمة مما قلت؟

هزّ كتفيه.

- من المؤكّد أنّي لا أدري.

لكنه كان يدري. فالسبب الحقيقي وراء اختياره إدوينا زوجة هو علمه بأنه لن يأتي عليه يومٌ ويقع في حبها. هي تروق له، ويحترمها، وكان واثقًا من أنها ستكون أمًا ممتازة لورثته، لكنه لن يحبّها أبدًا. ذلك أن الشرارة لم تكن موجودة ببساطة.

هزّت كيت رأسها وقد لاحت خيبة الأمل في عينيها. خيبة أمل جعلته يشعر بنقصٍ في رجولته لسببٍ ما. قالت برفق:

- لم أَخَلْكَ كذابًا أيضًا. منحلّ ومخادع، وربما حفنة من الخصال الأخرى، ولكن ليس كذابًا.

شعر أنطوني بكلماتها كما اللكمات. واعتصر إحساس بشع قلبه؛ إحساس جعله يريد أن يثور، أن يجرحها، أو على الأقل أن يُثبت لها أنها لا تملك القوة لجرحه. صاح بصوتٍ متشدّق قاسٍ إلى حد ما:

- أوه أيتها الآنسة شيفيلد. لن تستطيعي الهرب من دون هذا.

وقبل أن تحظى بفرصة للاستجابة، أدخل يده في جيبه وأخرج مفتاح غرفة مكتبه، وقذف به في اتجاهها، مصوبًا إياه عن عمد نحو قدميها. من دون سابق إنذار أتى رد فعلها أخرق، وعندما مدّت يديها للإمساك بالمفتاح، أخطأته كليًا. صدر عن يديها صوت تصفيق مجوّف تبعه صوت ارتطام مكتوم للمفتاح وهو يستقرّ على السجادة.

وقفت هنالك هنيهة تحدّق إلى المفتاح، واستطاع هو تمييز اللحظة التي أدركت فيها أنه لم يكن يريد منها أن تمسكه. ظلّت ساكنة دون حراك، ثم رفعت عينيها إلى عينيه. كانتا تشتعلان بالكره، وبشيء أسوأ؛ الاحتقار.

شعر أنطوني كمن تلقّى لكمة في أحشائه. قاوم رغبة سخيفة في أن يثب للأمام ويلتقط المفتاح من السجادة، وأن يهبط على إحدى ركبتيه ويناوله لها، وأن يعتذر عن تصرّفه ويطلب منها الصفح.

لكنه لم يكن ليفعل أيًا من هذه الأمور. لم يكن يريد إصلاح هذا الخرق؛ لم يكن يريد منها أن ترضى عنه.

ذلك لأن تلك الشرارة المراوغة –الشرارة التي هي غائبة بشكل ملحوظ جدًا مع أختها، التي كان ينوي الزواج بها– كانت تتوهّج وتستعر بقوة لدرجة أن الغرفة بدت كأنما تسبح في ضوء النهار.

وما كان لشيء أن يرعبه أكثر.

ظلّت كيت ساكتة لفترة أطول مما كان يتوقّع، وقد اعتراها اشمئزازٌ واضح من الركوع أمامه، حتى وإن كان لذلك لالتقاط المفتاح الذي سيمنحها الفرار الذي اشتهته بوضوح.

أجبر أنطوني نفسه على الابتسام، ناظرًا إلى الأرض ثم إلى وجهها مرة أخرى. قال برقة أكثر من اللازم:

- ألا تريدين الرحيل أيتها الآنسة شيفيلد؟

راقب اختلاجة ذقنها، وغصة حلقها وهي تبتلع ريقها. ثم انخفضت بسرعة والتقطت المفتاح. أقسمت قائلة:

«لن تتزوّج أختي أبدًا». وبثّ صوتها الخفيض المحتدم القشعريرة في عظامه. «أبدًا».

ثم، وبعد تكة حاسمة للقفل، كانت قد رحلت.

بعد مضيّ يومين، كانت كيت لا تزال حانقة. وما زاد الطين بلة هو وصول باقة زهور ضخمة لإدوينا في الظهيرة التي تلت الحفل الموسيقي، ومعها بطاقة تقول:

«مع تمنياتي بالشفاء العاجل. ليلة أمس كانت مملة حقًا دون حضورك المشرق». - بريدجرتون.

أبدت ماري إعجابًا مفرطًا بالرسالة، وتنهّدت تقول إنها شاعرية جدًا، جميلة جدًا، كلمات لا تخرج إلا من رجل مغرم بحق. بيد أن كيت كانت تعلم الحقيقة. أن الرسالة كانت إهانة لها أكثر منها إطراءً لإدوينا.

مملة حقًا، احتدمت غيظًا وهي ترمق الرسالة -التي احتلّت الآن موضعًا مقدّسًا على طاولة غرفة الجلوس- وتساءلت إن كان بإمكانها أن تمزّق الرسالة إربًا وأن تجعل الأمر يبدو كحادث. ربما هي لا تعرف الكثير عن أمور الحب والعلاقات العاطفية بين الرجال والنساء، لكنها مستعدة لأن تراهن بحياتها على أن أيًا كان ما شعر به الفيكونت تلك الليلة في غرفة مكتبه، فإنه لم يكن مللًا.

ولكنه لم يأت للزيارة مع ذلك. لم تستطع كيت تخيّل السبب، حيث إن اصطحاب إدوينا في جولة كان ليترك صفعة أكبر على الوجه من تلك الرسالة. في خيالاتها الأكثر جموحًا، راق لها أن تتملّق نفسها بأنه لم يأتِ للزيارة بسبب خوفه من مواجهتها، لكنها كانت تعرف أن ذلك محض خرافات.

ذلك الرجل لا يخشى أحدًا. ناهيك بعانس عجوز قبيحة كان تقبيله لها نابعًا على الأغلب من شعوره بمزيج من الفضول والغضب والشفقة.

قطعت كيت الغرفة إلى النافذة، وحدّقت خارجها نحو شارع ميلنر؛ وهو ليس الإطلالة الأكثر جمالًا في لندن، لكنه على الأقل منعها من التحديق في الرسالة. إنها الشفقة أكثر ما يزعجها. أخذت تدعو بأن أيًا كان ما أطلق شرارة تلك القُبلة، أن يكون الفضول والغضب ذوي اليد العُليا وليس الشفقة.

لا تظن أن باستطاعتها تحمّل فكرة أنه أشفق عليها.

ولكن لم يكن أمام كيت متسعٌ من الوقت للقلق بشأن القُبلة وما يمكن أن تعنيه أو لا تعنيه، لأنه في تلك الظهيرة –الظهيرة التي تلَت وصول باقة الزهور– وصلتهم دعوة أكثر إرباكًا من أي شيء أرسله لورد بريدجرتون بنفسه. كان حضور آل شيفيلد مرجوًا في حفل ريفي قررت ليدي بريدجرتون بشكلٍ عفوي نوعًا ما أن تقيمه بعد أسبوع من الآن.

أمُّ الشيطان بنفسها.

ولم يكن ثمة مفرّ من ذهاب كيت. لا شيء أقلّ من هزّة أرضية مقرونة بعاصفة مقرونة بإعصار، وليس من بينها شيء يُحتمل حدوثه في بريطانيا العُظمى، ومع ذلك ظلّت كيت متشبثة بأمل في أن يحدث إعصار –ما دام لن يصاحبه رعدٌ أو برق– وأن يمنع ماري من الظهور على العتبة الريفية لباب منزل آل بريدجرتون بصحبة إدوينا. ومن المؤكد أن ماري لا تنوي السماح لكيت بالبقاء وحدها في لندن. ناهيك عن أنه لا سبيل لأن تسمح كيت لإدوينا بالذهاب من دونها بأي حال.

إن الفيكونت رجل عديم المبادئ. على الأرجح سيقبّل إدوينا مثلما قبّل كيت، ولا تتصوّر كيت أن لدى إدوينا القدرة على مقاومة بادرة كهذه. بل غالب الظن أنها ستراها رومانسية لأبعد الحدود وتقع في غرامه من فورها.

حتى كيت لاقت صعوبة في الحفاظ على رباطة جأشها عندما لامست شفتاه شفتيها. في تلك اللحظة الهانئة كانت قد نسيت كل شيء. كل ما شعرت به كان ذلك الإحساس الآسر بأنها محبوبة ومرغوب فيها –لا، بل بأن ثمّة من هو بحاجة إليها– وقد كان إحساسًا مسكرًا بحق.

يكاد يكون كافيًا لأن تنسى أي ليدي أن الرجل الذي يقبّلها ما هو إلا وغد عديم القيمة.

يكاد... لكنه لا يكفي تمامًا.

الفصل الثامن

29 أبريل 1814 **جريدة المجتمع**

كما يعلم أي قارئ منتظم لهذا العمود، فإن في لندن طائفتين ستبقيان دومًا وإلى الأبد على طرفي نقيض: الأمهات الطامحات والعُزّاب المُختارون.

الأمهات الطامحات لديهنّ فتيات في سن الزواج. والعُزاب المُختارون لا ينشدون زواجًا. إن جوهر الصراع ينبغي أن يكون بديهيًا حتى لأنصاف العقول، أو بتعبيرٍ آخر، لنحو خمسين بالمائة من قرّاء كاتبة هذا المقال.

لم ترَ كاتبة هذا المقال بعد قائمة المدعوّين إلى حفل ليدي بريدجرتون الريفي، لكن المصادر المطّلعة تشير إلى أن جميع الآنسات المؤهلات اللاتي بلغن سن الزواج تقريبًا سيجتمعن في كِنت الأسبوع القادم.

ولا غرو. فالليدي بريدجرتون لم تُخفِ قط رغبتها في أن ترى أبناءها في زيجة سعيدة. وهذه الرغبة جعلتها محبوبة جميع الأمهات الطامحات، اللائي يرين أن الإخوة بريدجرتون هم لسوء الحظ الأصعب مراسًا بين العُزّاب المختارين.

إن كـان للمـرء الوثـوق بكُتب المراهنة، فإنّ واحدًا على الأقل من الإخوة بريدجرتون سيشهد قبل نهاية هذا العام أجراس زفافه.

وبقدر ما يؤلم كاتبة هذا المقال الاتفاق مع كتب المراهنة -إذ إن مؤلفيها جميعًا من الرجال، مما يجعلها معيبة بطبيعتها-، فإن كاتبة هذا المقال مضطرة إلى تأييد هذه النبوءة.

ستحظى ليدي بريدجرتون بزوجة ابن عمّا قريب. ولكن مَن ستكون -وبأي من الإخوة بريدجرتون ستتزوّج- آه، يا عزيزي القارئ، ذلك ما لا يمكن لأحد أن يخمّنه بعد.

ليدي ويسلداون

وبعد مرور أسبوع، كان أنطوني في كِنت –في جناحه المكتبي الخاص على وجه التحديد– بانتظار بدء الحفل الريفي الذي ستقيمه والدته.

لقد رأى قائمة المدعوّين. وليس ثمة شك أن أمه قررت إقامة ذلك الحفل لسببٍ واحد ولا سواه: أن تجد عروسًا لأحد أبنائها، والأرجح أنها تحبّذ أن يكون هو ذلك الابن. من المتوقّع أن يمتلئ قصر أوبري هول، مقرّ أجداد آل بريدجرتون، عن آخره بالآنسات المؤهّلات، كل منهنّ أجمل وأشد غباءً من الأخرى. ولكي تتساوى الأعداد، كان على الليدي بريدجرتون دعوة عدد من السادة النبلاء أيضًا، بيد أن أيًا منهم لم يكن يمتلك من الثراء أو المعارف ما لدى أبنائها، اللهم إلا قلة قليلة من المتزوجين.

فكّر أنطوني بأسى أن أمه لم تُعرف قط لدهائها. على الأقل ليس عندما تكون سلامة –أي تعريفها هي لسلامة– أطفالها على المحكّ.

لم يتفاجأ عندما رأى أن الدعوة امتدت لتشمل الآنستين شيفيلد. فقد ذكرت أمه –مرات عديدة– مدى إعجابها بالسيدة شيفيلد. ولمرّات لا تُحصى اضطر أنطوني إلى الاستماع لنظرية أمه القائلة بأن «الآباء الطيبين ينشئون أطفالًا طيبين» بحيث فهم على الفور ما عنته أمه بذلك.

الحقّ أنه شعر برضا المستسلم لقدره عندما لمح اسم إدوينا في القائمة. أراد أن يطلب يدها وينتهي من الأمر. كان يشعر بقدرٍ من الضيق بسبب ما حدث مع كيت، لكن بدا أن ليس باليد حيلة الآن، إلا لو كان يريد تكبّد عناء البحث عن عروسٍ أخرى محتملة.

وهو لا يريد ذلك. فما إن يتخذ أنطوني قرارًا –في هذه الحالة بأن يتزوّج أخيرًا– لا يعود يرى سببًا لتأخير التعارُف. المماطلة تصلُح فقط لأولئك الذين يملكون متسعًا من الوقت لعيش حياتهم. ربما تفادى أنطوني مصيدة الزوجية لعقدٍ كامل تقريبًا، ولكن بما أنه الآن قد قرر أن الوقت قد حان لعروسه، لم يعُد ثمة دافع منطقي للفرار.

الزواج، الإنجاب، ثم الموت. تلك هي حياة الرجل البريطاني النبيل، حتى ذلك الذي لم يمُت أبوه وعمه فجأة في عمري الثامنة والثلاثين والرابعة والثلاثين، على التوالي.

من الواضح أن كل ما عليه فعله في هذه المرحلة هو تجنّب كيت شيفيلد. وقد يأتي الاعتذار أيضًا تباعًا. لن يكون ذلك سهلًا، فآخر شيء يريده هو أن

يذل نفسه لتلك المرأة، غير أن همسات ضميره كانت قد ارتفعت وصارت كالزئير الخافت، وكان يعلم أنها تستحق هاتين الكلمتين: «إنّي آسف».

ربما هي تستحق أكثر أيضًا، لكن أنطوني لم يكن مستعدًا للتفكير فيما قد يعنيه ذلك.

ناهيك بأنه ما لم يذهب ويعتذر لها، فإنها على الأغلب ستظلّ تقطع أي حبلٍ يصله بإدوينا إلى أن تلفظ رمقها الأخير.

من الواضح أن أوان العمل قد حان. وإن كانت هناك بقعة رومانسية للتقدّم لخطبة أو لزواج، فأوبري هول هو تلك البقعة. ذاك القصر الذي بني في بدايات القرن السابع عشر من الحجر الأصفر الدافئ، واستقرّ برحابة على المرج الأخضر الواسع، حيث يحيط به ستون فدانًا من المساحات الخضراء منها عشرة فدادين كاملة من الحدائق المُزهرة. في وقتٍ لاحق من الصيف ستتفتّح الورود، لكن الآن كانت الأراضي مفروشة بزهور الهياسنث والتيوليب الزاهية التي جلبتها والدته من هولاندا.

نظر أنطوني عبر الغرفة خارج النافذة، حيث ترتفع أشجار الدردار العتيقة بجلال حول القصر. كانت تلقي بظلها على الممر، وقد راق له أن يفكّر أن ذلك كان يجعل القصر يبدو أكثر شبهًا بالطبيعة وأقل شبها بالمنازل الريفية النموذجية للطبقة الأرستقراطية، التي لم تكن سوى صروح من صنع البشر لاستعراض الثراء والجاه والسلطة. كانت هناك أيضًا عدة برك، وجدول مائي، وعدد لا يحصى من التلال والروابي، كل منها يجلب معه ذكريات لطفولة أنطوني.

ولأبيه.

أغلق أنطوني عينيه وزفر. كان يحب العودة لقصر أوبري هول، بيد أن المشاهد والروائح المألوفة لا تفتأ تعيد ذكرى أبيه إلى ذهنه بوضوح يكاد يكون مؤلمًا. حتى الآن، وبعد مرور ما يقرب من اثني عشر عامًا منذ وفاة إدموند بريدجرتون، لا يزال أنطوني يتوقّع أن يراه قادمًا يركض من خلف الزاوية، فيصرخ أصغر أطفال بريدجرتون من فرط السرور ويثب على كتفي أبيه.

جعلت الصورة أنطوني يبتسم. قد يكون الطفل على كتفيه صبيًا أو فتاة؛ فإدموند لم يفرّق أبدًا بين أطفاله في لعبة الحصان. ولكن أيًا كان الحائز

على تلك البقعة المرغوبة على قمة العالم، فمن المؤكد أن إحدى المربّيات ستطارده بعدها وتصرّ على أن يوقف هذه الحماقة على الفور، وأن مكان الطفل في غرفته وليس على كتفي أبيه.

همس أنطوني وهو يتطلّع إلى صورة إدموند المعلّقة فوق المدفأة:

- أوه يا أبتاه! كيف عساي بحق السماء أرقى يومًا لإنجازاتك؟

ولا بد أن ذلك كان أعظم إنجازات إدموند بريدجرتون؛ إنشاء أسرة تفيض بالحب والضحك وكل الأشياء التي كثيرًا ما تكون غائبة في الحياة الأرستقراطية.

ابتعد أنطوني عن صورة أبيه واتجه إلى النافذة، وأخذ يراقب العربات وهي تنزل على الممر. جلبت فترة ما بعد الظُهر تيارًا ثابتًا من الوافدين، وبدا أن كل عربة تحمل معها فتاة أخرى بوجه عذب، وجه يشع سعادة لأن صاحبته اختصّت بدعوة لحضور حفل بريدجرتون الريفي.

لا تخطط ليدي بريدجرتون لملء بيتها الريفي بالضيوف مرّاتٍ كثيرة. لكنها حينما تفعل، فإن ذلك دائمًا ما يكون حدث الموسم.

على الرغم من أن آل بريدجرتون والحق يُقال لم يعودوا يقضون كثير وقتٍ في قصر أوبري هول. شكّ أنطوني في أن أمّه تعاني نفس الداء الذي أصابه؛ ذكريات إدموند في كل ركن. أما الأطفال الذين كانوا أصغر سنًا آنذاك، فذكرياتهم عن المكان لم تكُن تُذكر، إذ نشأوا وترعرعوا في لندن بالأساس. إنهم قطعًا لا يتذكرون الجولات الطويلة على ظهور الخيل عبر الحقول، أو صيد السمك، أو بيت الشجرة.

هياسنث التي لم تتجاوز بعد الحادية عشرة الآن، لم يحدث قط أن حملها أبوها بين ذراعيه. حاول أنطوني سدّ النقص بأحسن ما يستطيع، لكنه يعلم أنه ليس سوى بديل ذابل وباهت.

بتنهيدة متعبة، اتكأ أنطوني بثقله على عتبة النافذة، فيما حاول أن يقرر إن كان يريد سكب كأسٍ من الشراب لنفسه أو لا. كان يحدّق اتجاه المرج دون أن يرى بعينٍ واعية أيًّا مما يدور بالأسفل، حينما انزلقت عربة أكثر رثاثة بوضوح من بقية العربات. لم يكن فيها شيء بالٍ أو ما شابه؛ بل بدت متقنة الصُنع ومتينة. ولكن كان ينقصها الأطر الذهبية التي زيّنت بقية العربات،

كما بدا أنها تترجرج في سيرها أكثر قليلًا من البقية، وكأنها لم تُزوّد بأنظمة تعليق كافية لراحة راكبيها.

أدرك أنطوني أن هذه ستكون عربة آل شيفيلد. فكل من عداهم في قائمة المدعوّين كان يحوز ثروة محترمة. وحدهم آل شيفيلد من سيضطرون إلى استئجار عربة من أجل الموسم.

وبالفعل، عندما وثب أحد خدم بريدجرتون في حُلته الأنيقة الزرقاء ليفتح الباب، كانت إدوينا شيفيلد أوّل من ترجّل من العربة. بدت كطيفٍ حقيقي في ثوب السفر خاصتها ذي اللون الأصفر الشاحب وقلنسوتها التي هي باللون نفسه. لم يكن أنطوني قريبًا بما يكفي ليرى وجهها بوضوح، لكن من السهل عليه جدًا أن يتخيّله. ستكون وجنتاها ناعمتين وورديتين، وعيناها الفاتنتان ستحاكيان السماء الصافية.

ثاني من خرج من العربة كان السيدة شيفيلد. وما إن اتخذت مكانها بجوار إدوينا حتى أدرك أنطوني كم تشبه إحداهما الأخرى. كلتاهما كانت تتمتّع ببهاءٍ جذاب، كلتاهما صغيرة الحجم، وكلما تحدثتا استطاع أنطوني أن يلاحظ أنهما تحتضنان نفسيهما بالطريقة ذاتها. إمالة الرأس كانت متطابقة، مثلما كانت هيئتهما والوقفة.

لن يخفت جمال إدوينا بمرور العمر. هذه إحدى السمات الجيدة في زوجته المستقبلية دون ريب، على الرغم من أنه –ألقى أنطوني نظرة أسى سريعة على صورة أبيه– على الأرجح لن يكون حاضرًا ليشاهدها تشيخ.

وأخيرًا، هبطت كيت.

وأدرك أنطوني أنه كان يحبس أنفاسه.

لم تكن تتحرك مثل امرأتي آل شيفيلد الأخريين. اللتين كانتا تتحرّكان برقّة، وتستندان على الخادم، وتضعان يديهما في يده بانحناءة رشيقة من رسغيهما.

أما كيت، فقد قفزت مباشرةً من العربة. وضعت يدها في يد الخادم الممدودة، لكنها قطعًا لم تبدُ بحاجة إلى مساعدته. وبمجرد أن مسّت قدماها الأرض، وقفت منتصبة ورفعت وجهها لتنظر إلى واجهة قصر أوبري هول. كل شيء فيها كان مباشرًا وصريحًا، ولم يراود أنطوني أدنى شك في أنه لو كان قريبًا بما يكفي ليحدّق إلى عينيها، لوجد فيهما صدقًا مطبقًا.

ولكن عينيها بمجرد أن تقعا عليه مع ذلك، ستمتلئان ازدراءً، وربما يلوح فيهما شيء من الكره أيضًا.

وهو ما يستحقه بجدارة في الواقع. فلا يمكن لسيد نبيل أن يعامِل ليدي مثلما فعل هو مع كيت شيفيلد ثم ينتظر منها أن تظل على وفاق.

التفتت كيت إلى أمها وأختها وقالت شيئًا، مما جعل إدوينا تضحك وماري تبتسم بتساهل. أدرك أنطوني أن الفرصة لم تتح له ليرى ثلاثتهن يتفاعلن من قبل. بَدَون مثل عائلة حقيقية، مرتاحات في صحبة بعضهن بعضًا، وكان ثمة دفء يمكن للمرء أن يحسّه في وجوههن كلّما تحدّثن. أذهله ذلك بصفة خاصة لأنه يعلم أن ماري وكيت لا تربطهما قرابة دم.

أدرك أنطوني أن ثمة روابطَ أقوى من الدم. روابط لا مكان لها في حياته.

ولهذا السبب عندما يحين زواجه، فإن الوجه خلف الطرحة لا بد أن يكون لإدوينا شيفيلد.

توقّعت كيت أن تنبهر بقصر أوبري هول لكنها لم تتوقع أن يسلبها لُبها.

كان أصغر مما توقّعت. ومع ذلك كان أكبر كثيرًا جدًا من أي شيء حظيت بشرف أن تدعوه منزلها. بيد أن القصر الريفي لم يكن عملاقًا ضخمًا يبزغ من الأرض مثل قلعة من القرون الوسطى مبنيّة في غير محلها كما تخيّلت.

بدلًا من ذلك بدا أوبري هول دافئًا إلى حدٍ كبير. وعلى الرغم من أن كلمة «دافئ» تُعد غريبة لوصف قصرٍ يحوي دون ريب أكثر من خمسين غرفة، فإن أبراجه وجدرانه الأسطورية جعلته يبدو كشيء خرج توًا من قصة خيالية، لا سيما وقد أغرقت شمس الأصيل أحجاره الصفراء ببريق يكاد يكون أحمر. لم يكن في قصر أوبري هول شيء بسيط أو متقشف، وقد أعجبت به كيت على الفور.

همست إدوينا:

- أوليس جميلًا؟

أومأت كيت.

- جميل بما يكفي لجعل الأسبوع الذي سينقضي بصحبة ذلك الرجل المريع محتملًا بصورة ما.

ضحكت إدوينا ووبختها ماري، ولكن حتى ماري لم يسعها مقاومة ابتسامة متساهلة. إلا أنها قالت وهي ترمق الخادم الذي اتجه إلى مؤخرة العربة لتفريغ حمولتهن:

- لا يجدر بك أن تقولي أشياء كهذه يا كيت. لا يمكن للمرء أبدًا أن يعرف مَن يتنصت عليه، ومن غير اللائق أن تتكلّمي عن مضيفنا بهذا الشكل.

أجابت كيت:

- لا تخشي شيئًا فهو لم يسمعني. ثم إنّي ظننت أن ليدي بريدجرتون هي مضيفتنا. لقد جاءت الدعوة باسمها.

أجابت ماري:

- الفيكونت هو مالك البيت.

وافقت كيت: «حسنٌ جدًا». ولوّحت بذراعها نحو أوبري هول بطريقة درامية مفتعلة قائلة: «لحظة أن أخطو داخل هذه الأروقة المهيبة، لن يصدر عني إلا كل ما هو عذوبة وضياء».

زفرت إدوينا بسخرية:

- لا بد أن ذلك سيكون مشهدًا لا يُفوّت.

حدّجت ماري كيت بنظرة عارفة وقالت:

- ينبغي الالتزام بعذوبتك وضيائك في الحديقة أيضًا.

ابتسمت كيت.

- صدقيني يا ماري سأحسن التصرّف. أعدك بذلك.

- حاولي قدر الإمكان فقط تجنّب الفيكونت.

وعدتها كيت:

- سأفعل.

ما دام سيحاول هو قدر الإمكان تجنّب إدوينا.

ظهر خادم بجوارهن وأشار بذراعه باتجاه الرّدهة بانحناءة بديعة. قال:

- هلا تتفضّلن بالدخول. ليدي بريدجرتون تتطلّع إلى الترحيب بضيوفها.

التفت آل شيفيلد الثلاثة على الفور وشققن طريقهن إلى الباب الأمامي. وبينما يصعدن الدّرجات القصيرة، نظرت إدوينا إلى كيت وبابتسامة خبيثة همست لها قائلة:

- هنا تبدأ العذوبة والضياء يا أختي العزيزة.

قالت كيت بصوتٍ خافت:

- لو لم نكن أمام الناس لضربتك.

كانت ليدي بريدجرتون في الرّدهة الرئيسية عندما دخلن، ورأت كيت أعلى الدّرج حواشي الفساتين المزركشة لراكبات العربة السابقة وهن يتجهن إلى غُرفهن.

صاحت ليدي بريدجرتون وهي تقطع الرّدهة متجهة إليهن:

- السيدة شيفيلد! كم هو جميل أن أراكِ.

ثم التفتت إلى كيت وأكملت:

- وأنت أيتها الآنسة شيفيلد، لشد ما يسرّني أنكِ استطعتِ المجيء.

ردّت كيت:

- كان لطفًا منك دعوتك لنا. كم هو جميل حقًا أن نهرب من المدينة لأسبوع.

ابتسمت ليدي بريدجرتون.

- لا تزالين فتاة ريفية حتى النخاع إذن؟

- أخشى ذلك. لندن مدينة مثيرة وتستحق الزيارة دائمًا، لكني أفضّل حقول الريف الخضراء وهواءه المنعش.

قالت ليدي بريدجرتون:

- ابني نفس الشيء. أوه، إنه يقضي جل وقته في المدينة بيد أن والدته تعرف الحقيقة.

سألت كيت بارتياب:

- الفيكونت؟

فقد بدا منحلًا من الطراز الأول، والكل يعرف أن موطن المنحلّين الطبيعي هو المدينة.

- نعم، أنطوني. لقد عشنا هنا بصورة تكاد تكون حصرية وقت أن كان طفلًا. كنا نسافر إلى لندن خلال المواسم بالطبع، بما إنني أحب حقًا حضور السهرات وحفلات الرقص، لكن هذا لم يكن يمتدّ قط لأكثر من أسابيع قليلة. فقط بعد أن توفّي زوجي نقلنا مقرّ إقامتنا الأساسي إلى المدينة.

غمغمت كيت:

- آسفة لخسارتكم.

نظرت الفيكونتيسة إليها وقد لاحت في عينيها الزرقاوين كآبة.

- هذا لطف بالغ منك. لقد رحل منذ سنين عدة، لكنّي ما زلت أفتقده كل يوم.

شعرت كيت بغصة تتكوّن في حلقها. تذكّرت كم كان أبوها وماري يحبان بعضهما بعضًا، وأدركت أنها الآن في حضرة امرأة أخرى شهدت الحب الحقيقي وعرفته. وفجأة اعتراها حزن عميق. لأن ماري فقدت زوجها ولأن الفيكونتيسة أيضًا فقدت زوجها و... وربما الأهم من ذلك لأنها على الأغلب لن تعرف قط نعمة الحب الحقيقي بنفسها.

قالت ليدي بريدجرتون فجأة:

- ما بال هذا الجيَشان العاطفي.

ثم ابتسمت بإشراق أكثر من اللازم قليلًا بينما عاودت النظر إلى ماري قائلة:

- وهأنذا لم أتعرّف حتى بابنتك الأخرى بعد.

سألت ماري بجبين متغضن:

- ألم تفعلي؟ أحسب أن ذلك صحيح. فإدوينا لم تستطع حضور حفلك الموسيقي.

منحت ليدي بريدجرتون إدوينا ابتسامة باهرة وقالت لها:

- رأيتك كثيرًا من بعيد بالطبع.

عرّفتهما ماري ببعضهما، ولم يسع كيت إلا أن تلاحظ النظرة التقييمية التي أغرقت بها ليدي بريدجرتون إدوينا. لم يكن ثمة مجال للشك في ذلك. لقد قررت أن إدوينا ستكون بمثابة إضافة ممتازة لعائلتها.

وبعد عدة دقائق أخرى من الدردشة الخفيفة، عرضت ليدي بريدجرتون عليهن أن يشربن بعض الشاي بينما يحمل الخدم حقائبهن إلى غرفهن، لكنهن رفضن لأن ماري كانت مُتعبة وتريد الاستلقاء والراحة.

قالت ليدي بريدجرتون: «كما تشائين». وأشارت إلى إحدى الخادمات قبل أن تردف:

- سآمر روز بأن ترشدكنّ إلى غرفكنّ. العشاء سيصير جاهزًا في الثامنة. هل هناك أي شيء آخر تردن منّي فعله قبل أن تذهبن؟

هزّت ماري وإدوينا رأسيهما نفيًا، وأوشكت كيت على فعل المثل، لكن في اللحظة الأخيرة اندفعت قائلة:

- في الواقع هل لي أن أطرح سؤالًا.

ابتسمت ليدي بريدجرتون بدفء.

- بالطبع.

- لاحظت لدى وصولي أن لديك حديقة أزهار واسعة. هل لي أن أستكشفها؟

تساءلت ليدي بريدجرتون:

- إذن أنتِ أيضًا بستانية؟

اعترفت كيت:

- ليس بالمعنى الأدقّ للكلمة، بيد أني أقدّر ما تصنعه أيدي الخُبراء.

تورّدت الفيكونتيسة خجلًا.

- من دواعي شرفي أن تستكشفي الحديقة. إنها مصدر فخري وبهجتي. لم أعد أعمل فيها بيديّ كثيرًا الآن، لكن عندما كان إدموند حيــــــــــ... -توقفّت وتنحنحت- عندما كنت أقضي وقتًا أطول هنا، كنت متّسخة بالوحل حتى مرفقيّ طيلة الوقت. لطالما جن جنون أمي بسبب ذلك.

قالت كيت:

- وجنون البستاني أيضًا على ما أظن.

تحولت ابتسامة ليدي بريدجرتون إلى ضحك وقالت:

- أوه. بكل تأكيد! لقد كان فظيعًا. كان دومًا يقول بأن الشيء الوحيد الذي تعرفه المرأة عن الزهور هو كيفية قبولها هدية. لكنه كان أمهر بستاني عرفته، لذا تعلّمت التعايش معه.

- مثلما تعلم هو التعايش معك؟

ابتسمت ليدي بريدجرتون بتآمر وقالت:

- لا، لم يتعلّم ذلك قط في الواقع. لكنني لم أدَع ذلك يوقفني.

ابتسمت كيت، وقد شعرت بألفة غريزية تجاه تلك العجوز.

قالت ليدي بريدجرتون:

- ولكن لن أطيل عليكن كثيرًا. سترافقكن روز للأعلى وتساعدكن في إفراغ الحقائب -والتفتت إلى كيت- وأنتِ أيتها الآنسة شيفيلد، إن أحببت سيسعدني أن أصحبك في جولة في الحديقة لاحقًا هذا الأسبوع. أخشى أنّي الآن منشغلة كثيرًا في الترحيب بضيوفي، ولكن سيسرّني أن أخصص لك وقتًا في موعد لاحق.

قالت كيت:

- كم أودّ ذلك. شكرًا لك.

ثم تبعت هي وماري وإدوينا الخادمةَ لأعلى الدّرج.

خرج أنطوني من موقعه خلف الباب الموارب -بأقل درجة ممكنة- وقطع الرّدهة بخطى واسعة ذاهبًا إلى أمه. سألها:

- هل آل شيفيلد هنّ من رأيتِكِ تحيين الآن؟

بالرغم من علمه التام بالإجابة مسبقًا. لكن غرفة مكتبه كانت بعيدة جدًا ليسمع أي شيء مما قالته النساء الأربع، لذا قرر أن الموعد قد حان لاستجواب مقتضب.

أجابت فيوليت:

- صدقت. يا لها من أسرة جميلة، ألا تظن ذلك؟

اكتفى أنطوني بأن زفر حنقًا.

- إنني سعيدة جدًا لدعوتي إياهن.

لم ينبس أنطوني بكلمة، وإن فكّر أن يزفر حنقًا مجددًا.

- لقد نسيت إضافتهن إلى قائمة المدعوّين حتى اللحظة الأخيرة.

غمغم أنطوني:

- لم أكن أعلم.

أومأت فيوليت.

- اضطررت إلى استعارة ثلاثة سادة آخرين من القرية لموازنة العدد.

- قد نتوقع إذن رؤية الكاهن على العشاء الليلة؟

- هو وأخوه، القادم في زيارة قصيرة، وابنه.

- أليس جون الصغير في السادسة عشرة لم يتجاوزها بعد؟

هزّت فيوليت كتفيها.

- لم يكن بيدي حيلة.

تفكّر أنطوني في هذا. لا بد أن أمه أرادت حقًا قدوم آل شيفيلد إلى حفلها المنزلي، ما دامت قد اضطرت في سبيل ذلك إلى دعوة فتىً في السادسة عشرة لم يختفِ بعد حبّ الشباب من وجهه. لم يكن أنطوني ليستغرب دعوته لو كان الأمر مقتصرًا على وجبة عائلية؛ ففي المناسبات غير الرسمية، اعتاد آل بريدجرتون أن يكسروا القواعد المتعارف عليها، وأن يدعوا جميع الأطفال للأكل في قاعة الطعام، بغض النظر عن سنهم. حتى إن أنطوني قد صُدم ذات مرة عندما زار أحد أصدقائه وطُلِب منه أن يذهب بطعامه إلى غرفة الأطفال.

لكن الحفل المنزلي أمره مختلف، وحتى فيوليت بريدجرتون نفسها لم تكن لتسمح للأطفال بالجلوس على المائدة.

قالت فيوليت:

- أعلم أنك سبق وتعرّفت بكلتا الآنستين شيفيلد.

أومأ أنطوني.

استطردت قائلة:

- عن نفسي أرى أن كلتيهما بهيجتان. ليستا واسعتي الثراء، بيد أنّي لن أملّ أبدًا من القول بأن المرء لدى اختيار عروسه حريٌّ به أن ينظر إلى شخصيتها وليس إلى ثرائها، شريطة بالطبع ألا يكون هذا المرء محطّمًا بالأساس.

تشدّق أنطوني قائلًا:

- أعلم من تقصدينه بكلامك وأؤكّد لك أنني لست كذلك.

نفخت فيوليت بأنفها ورمقته بنظرة متعجرفة قائلة:

- لم أكن لأسارع بالتهكّم لو كنت مكانك يا بنيّ. فلست ألمّح إلا للحقائق. الأحرى بك أن تخرّ ساجدًا وتشكر خالقك كل يوم لأنك لست مضطرًا للزواج من وريثة عائلة عريقة. معظم الرجال لا يملكون ترف الإرادة الحُرة عندما يتعلّق الأمر بزواجهم، هل تدري ذلك؟

ابتسم أنطوني.

- هل حريٌ بي أن أشكر خالقي؟ أم أمي؟

- أنت وحش.

مسّ ذقنها برقة قائلًا:

- وحشك الذي ربّيتِه.

غمغمت:

- لم تكن بالمهمّة السهلة. ثق بي.

مال ناحيتها ووضع قُبلة على وجنتها.

- آمل أن تستمتعي بتحية ضيوفك يا أمي.

عبَست ولكن بدا جليًا أن ذلك من وراء قلبها. بدأ يسير مبتعدًا فسألته:

- إلى أين أنت ذاهب؟

- سأتمشّى قليلًا.

- حقًا؟

التفت إليها وقد حيّره اهتمامها المفاجئ.

- نعم. حقًا. هل ثمة مشكلة في ذلك؟

أجابت:

- مُطلقًا. كل ما في الأمر أنك لم تتمشّ هنا –لمجرد التمشية– منذ زمن.

قال:

- لم آتِ إلى الريف منذ زمن.

اعترفت قائلة:

- معك حق. جديرٌ بك إذن أن تقصد الحديقة فإن براعم الربيع قد بدأت تتفتّح وصار المشهد خلابًا بحق. لن يسعك أبدًا أن ترى مثيلًا له في لندن.

أومأ أنطوني.

- أراكِ على العشاء.

ابتسمت فيوليت ولوّحت له مودّعة، ثم راقبته بينما اختفى مرة أخرى في جناحه المكتبي، الذي احتل زاوية قصر أوبري هول، واحتلّت أحد جدرانه بوابة فرنسية تُفتَح على المرج الجانبي مباشرةً.

أكثر ما أثار فضولها هو اهتمام ابنها الأكبر بالأختين شيفيلد. والآن لو أن بإمكانها فقط أن تعرف بمن منهما تحديدًا ينشغل ذهنه...

بعد مضيّ نحو ربع الساعة، كان أنطوني يتجوّل في حديقة أمه، ويستمتع بالمعركة القائمة بين أشعة الشمس الدافئة والنسيم البارد، عندما سمع الصوت الخافت لوقع خطوات أحدٍ غيره في ممرٍ قريب. أشعل هذا فضوله. فالضيوف كانوا يرتاحون كلٌّ في غرفته، واليوم هو عُطلة البستاني. لقد ظن أنه سيحظى بخلوة في الواقع.

استدار ناحية صوت وقع الأقدام، وبدأ يتحرّك بصمت حتى بلغ نهاية ممره. نظر إلى يمينه، ثم إلى شماله، ثم رآها...

هي.

تُرى لماذا كان متفاجئًا؟

كيت شيفيلد، ترتدي ثوبًا باللون الأرجواني الباهت، الذي امتزج في انسجامٍ فاتن مع زهور السوسن والهياسنث. كانت تقف بجوار قوس خشبي مزخرف، والذي في وقتٍ لاحق من العام سيُغطّى بالورود البيضاء والوردية المتسلّقة.

ظل يراقبها برهة بينما تمرر أناملها على نبتة زغباء لم يسعه قط تذكّر اسمها، ثم انحنت لأسفل لاستنشاق زهرة تيوليب هولندية.

نادى قائلًا:

- ليس لتلك الزهور رائحة.

وشق طريقه ببطء نحوها.

انتصبت كيت واقفة على الفور، وقد تصلّب جسمها كله قبل أن تلتفت لتراه. أيقن أنطوني أنها تعرّفت صوته، وهو ما تركه شاعرًا برضًا غريب نوعًا ما.

اقترب ليقف بجوارها، وأشار إلى البرعم الأحمر الزاهي وقال:

- إنها جميلة ونادرًا ما ترينها في الحدائق الإنجليزية، لكنها بلا عبير للأسف.

ظلّت صامتة لوقتٍ أطول مما توقّع قبل أن ترد قائلة:

- لم أرَ زهرة تيوليب من قبل.

شيء في تلك العبارة جعله يبتسم.

- ولا مرة؟

أوضحت قائلة:

- حسن، لم أرَها قط في بستانها. تلقّت إدوينا الكثير من الباقات، والزهور الحمراء هي موضة هذا الوقت من العام. ولكن لم يسبق لي أن رأيت إحداها تنمو في الواقع.

قال أنطوني:

- إنها المفضّلة لدى أمي -ومدّ يده ليقطف واحدة- تلك إلى جانب زهور الهياسنث بالطبع.

ابتسمت بفضول وكررت:

- بالطبع؟

ناولها الزهرة قائلًا:

- أختي الصُغرى اسمها هياسنث. أولا تعرفين ذلك؟

هزّت رأسها.

- لم أكن أعرف.

غمغم:

- فهمت. لقد اشتُهرنا بأن أسماءنا اختيرت وفقًا لترتيب الحروف الأبجدية، بدءًا من أنطوني وصولًا إلى هياسنث. ولكن إن فكّرنا في الأمر، فإنّي على الأغلب أعرف عنكِ أكثر بكثير مما تعرفينه عنّي.

اتسعت عينا كيت في دهشة من تصريحه الغامض، ولكن كل ما قالته كان:

- الأغلب أن هذا صحيح فعلًا.

رفع أنطوني أحد حاجبيه.

- لقد صدمتني أيتها الآنسة شيفيلد. لقد عددت العُدة ووضعت دروعي كلها وتوقّعت منك أن تقولي شيئًا من قبيل: «أعلم ما يكفي ويفيض».

حاولت كيت ألا تنظر إليه شزرًا خلال محاكاته لصوتها. ولكن غطّى وجهها تعبير ساخر لأقصى الحدود وهي تقول:

- وعدت ماري أني سألتزم بأفضل سلوكياتي.

انفجر أنطوني في نوبة من الضحك.

تمتمت كيت:

- الغريب أن رد إدوينا كان مشابهًا.

اتكأ بإحدى يديه على القوس، وهو يتحاشى بحذر أشواك غصن الورود المتسلّقة. قال:

- إني لأجد في نفسي فضولًا شديدًا تجاه الأفعال التي هي أفضل سلوكياتك.

هزّت كتفيها وعبثت في التيوليب التي في يدها قائلة:

- أتوقّع أن تكتشف ذلك خلال فترة بقائي هنا.

- ولكن لا يفترض بك الجدال مع مُضيفك، صحيح؟

حدّجته كيت بنظرة جانبية وقالت:

- دار بعض النقاش حول ما إذا كانت تنطبق عليك صفة مُضيفنا أيها اللورد. فوالدتك هي التي أرسلت الدعوة بعد كل شيء.

اعترف قائلًا:

- صحيح. لكنّي مالك هذا المنزل.

تمتمت:

- نعم. هذا ما قالته ماري.

ابتسم ابتسامة عريضة وقال:

- هذا يقتلك، أليس كذلك؟

- أن أعاملك بلُطف؟

أومأ.

- ليس أسهل شيء اضطررت لفعله.

تغيّر تعبير وجهه قليلًا، كما لو أنه قرر الكفّ عن إغاظتها. كما لو أن فكرة مختلفة كليًا داهمت ذهنه. تمتم قائلًا:

- لكنه ليس أصعب شيء أيضًا، صحيح؟

اندفعت قائلة:

- أنتَ لا تعجبني أيها اللورد.

قال بابتسامة مستمتعة:

- لا، لم أخَلْكِ تفعلين.

بدأ شعورٌ غريب يعتمل بداخل كيت، شعور شبيه بذلك الذي اعتراها في غرفة مكتبه، قبل أن يقبّلها أنطوني مباشرةً. أحسّت بحلقها فجأة يضيق قليلًا، وبراحتي يديها تزدادان دفئًا. وفي أحشائها؛ حسنٌ لا شيء حقًا يمكنه وصف إحساس الوخز المتوتر الذي أحكم قبضته على معدتها. ومن غير أن تشعر، حفظًا للذات ربما، تراجعت خطوة للوراء.

بدا مستمتعًا، وكأنه يعرف بالضبط ما تفكّر فيه.

راحت تعبث بالزهرة مرة أخرى، ثم اندفعت قائلة:

- ما كان عليك قطفها.

قال بموضوعية:

- من المفترض أن تحظي بزهرة تيوليب. ليس عدلًا أن تتلقّى إدوينا كل الزهور.

انقبضت معدة كيت، التي سادها بالفعل التوتر والوخز. استطاعت أن تقول:

- لكن البستاني لن يقدّر قطعًا أعمال التشويه تلك.

ابتسم بخبث.

- سيلقي اللوم على أحد إخوتي الأصغر سنًا.

لم يسعها أن تقاوم الابتسام. قالت:

- خدعة كهذه جديرة بأن تقلل من احترامي لك.

- لكنها لم تفعل؟

هزّت رأسها، قبل أن تقول:

- إن فكّرنا مليًا، فرأيي فيك لا يمكن أن يصبح أحطّ مما هو عليه بالفعل.

هز إصبعه أمام وجهها قائلًا:

- يا إلهي! ظننت أن المفترض بك أن تلتزمي بأفضل سلوكياتك.

نظرت كيت حولها.

- هذا لا يُحتسب إذا كان لا أحد بالجوار يمكنه سماعي، صحيح؟

- يمكنني أنا سماعك.

- أنت قطعًا لا تُحتسب.

مال برأسه نحوها قليلًا وقال:

- أعتقد أن لا أحد يُحتسب سواي.

لم تقُل كيت شيئًا، لا تريد حتى أن تبادله النظر. فكلما سمحت لنفسها بلمحة خاطفة إلى تلك الأعماق المخملية، تبدأ معدتها في الانقباض مجددًا.

تمتم قائلًا:

- أيتها الآنسة شيفيلد؟

نظرت لأعلى. خطأ جسيم. ها قد انقبضت معدتها مرة أخرى.

سألته قائلة:

- لماذا تبعتني؟

دفع أنطوني نفسه بعيدًا عن القوس الخشبي ووقف معتدلًا.

- لم أفعل، في الواقع. لقد تفاجأت برؤيتك تمامًا مثلما تفاجأتِ أنتِ برؤيتي.

وإن أخذ يفكّر بسخرية أنه ما كان يجدر به أن يتفاجأ. كان عليه أن يدرك أن أمه تحيك شيئًا ما خفيًا في اللحظة التي اقترحت فيها فعلًا أين عليه أن يتمشّى.

ولكن هل يُعقل أنها تسعى لتسييره نحو الآنسة شيفيلد *الخطأ*؟ مؤكّد أنها لم تكن لتفضّل كيت على إدوينا في اختيارها زوجة ابنها المنتظرة.

قال:

- ولكن الآن وقد عثرتُ عليك، فإن لديّ شيئًا أريد قوله.

قالت بسخرية:

- شيء لم تقله بعد؟ تعجز مخيّلتي عن تصور ذلك.

تجاهل تهكّمها وقال:

- أردت الاعتذار.

استحوذت العبارة على انتباهها. افترقت شفتاها في صدمة واتسعت عيناها. قالت:

- أستميحك عذرًا؟

فكّر أنطوني أن صوتها بدا أقرب إلى الضفدع.

قال:

- إني مدين لك باعتذار على سلوكي في تلك الليلة. لقد عاملتك بوقاحة لا تُغتفر.

قالت وما زالت تبدو مذهولة نوعًا:

- هل تعتذر عن القُبلة؟

القُبلة؟ لم يكن قد خطر له حتى أن يعتذر عن القُبلة. لم يحدث قط أن اعتذر عن قُبلة، لم يسبق له أن قبّل أحدًا واضطر بعدها إلى الاعتذار منه. كان تفكيره في الواقع منصبًا بكامله على الأشياء البغيضة التي قالها لها بعد القُبلة. كذب قائلًا:

- هه، نعم، القُبلة. وأيضًا على ما قُلته لك.

غمغمت قائلة:

- فهمت. لم أكن أظن أن المنحلّين يعتذرون.

انثنت يده وتحوّلت إلى قبضة محكمة. كانت مزعجة حقًا عادتها تلك في القفز إلى فرضيات عنه. غصّ صوته بالكلمات قليلًا وهو يقول:

- هذا المنحلّ الذي أمامك يفعل.

أخذت نفسًا عميقًا ثم أطلقته في زفير ثابت طويل وقالت:

- إذن فقد قبلت اعتذارك.

قال بابتسامة ظافرة:

- ممتاز. هل لي أن أرافقك في طريق العودة إلى المنزل؟

أومأت قبل أن تقول:

- ولكن لا تظن أن ذلك يعني أنّي سأغير رأيي فجأة عن خطبتك لإدوينا.

قال بصدق تام:

- ما كنت لأجرؤ على أن أظنك سهلة التذبذب هكذا.

التفتت إليه وقد لاحت في عينيها صراحة مذهلة، حتى بالنسبة إليها. قالت بلا مواربة:

- ذلك لأن حقيقة أنك قبّلتني ما زالت قائمة.

- وحقيقة أنكِ قبّلتِني.

لم يستطع منع نفسه من الرد.

احمرّت وجنتاها بظلٍ وردي محبب. وكررت بحسم:

- تبقى حقيقة أن ذلك قد حدث. ولو افترضنا أنك ستتزوج إدوينا، بغض النظر عن سمعتك، التي لا أعتبرها أمرًا يمكن التغاضي عنه بالأساس...

قاطعها بنبرة هادئة رقيقة:

- لا، لا أظنك تفعلين.

نظرت إليه بغيظ وأردفت:

- بغض النظر عن سمعتك، سوف يظل ذلك الأمر دومًا بيننا. بمجرد أن يحدث أمر، لا يعود ممكنًا الرجوع فيه.

كاد الشيطان الذي بداخل أنطوني يدفعه إلى التشدّق بكلمة «أمر» ليجبرها على تكرار كلمة «القُبلة»، لكنه أشفق عليها بدلًا من ذلك وسكت. ثم إن معها حقًا فيما قالته. ستظل تلك القُبلة دومًا بينهما. حتى الآن، وهو ينظر إلى

وجنتيها المتوردتين حرجًا وشفتيها المطبقتين ضيقًا، وجد نفسه يتساءل كيف سيشعر إن جذبها بين ذراعيه.

هل ستكون رائحتها كالحديقة؟ أم أن ذاك العطر المثير للجنون الذي هو مزيج من الزنبق والصابون ما زال عالقًا ببشرتها؟

هل ستذوب في أحضانه؟ أم ستدفعه بعيدًا وتركض نحو المنزل؟

ثمة طريقة وحيدة لاكتشاف ذلك، وتنفيذها سيدمر فرصته مع إدوينا للأبد.

ولكن مثلما أوضحت كيت، ربما يجلب زواجه بإدوينا تعقيدات لا قِبل له بها. لن يجدي نفعًا أن يتزوّج المرء من فتاة ثم يشتهي أختها بعد كل شيء.

ربما آن الأوان لكي يبحث عن عروس جديدة، على الرغم مما قد تحمله تلك المهمة من صعوبة.

ربما آن الأوان لكي يقبّل كيت شيفيلد مجددًا، هنا في الجمال الكامل لحديقة أوبري هول، حيث تدغدغ الزهور ساقيهما ويتضوع الهواء بعطر الليلك.

ربما...

ربما...



الفصل التاسع

29 أبريل 1814 **جريدة المجتمع**

الرجل مخلوق متناقض. لا يمكن لعقله وقلبه أن يتفقا أبدًا. وكما تعرف النساء جيدًا، فإن أفعال الرجل عادةً ما يحكمها شيء ثالث تمامًا.

ليدي ويسلداون

أو ربما لا.

في اللحظة التي بدأ أنطوني يخطط فيها لأفضل طريق لشفتيها، سمع الصوت المزعج لأخيه الأصغر.

صاح كولين:

- أنطوني! ها أنت ذا.

التفتت الآنسة شيفيلد، غير مدركة لحسن الحظ كم كانت قريبة من قُبلة أخرى لا مبرر لها على الإطلاق، ونظرت إلى كولين القادم نحوهما.

تمتم أنطوني:

- في يوم من الأيام سأضطر إلى قتله.

استدارت كيت إليه مجددًا.

- هل قلت شيئًا أيها اللورد؟

تجاهلها أنطوني. كان هذا خياره الأفضل على الأرجح، حيث إن عدم تجاهلها غالبًا ما يتركه راغبًا فيها باستماتة، وهو ما يعلم جيدًا أنه طريق مختصر مرصوف يؤدي لكارثة مطلقة.

في الحقيقة، ربما عليه أن يشكر كولين مقاطعته المفاجئة. فلو أنه تأخّر بضع ثوانٍ إضافية، لكان قد قبّل كيت شيفيلد، مرتكبًا بذلك أعظم خطأ في حياته.

يمكن لقبلة واحدة مع كيت أن تمرّ مرور الكرام، ولا سيما بالنظر إلى مدى تماديها في استفزازه تلك الليلة في غرفة مكتبه. ولكن قُبلتين... حسنٌ، عندها سيضطر أي رجل ذي شرف أن يسحب فكرة تودده لإدوينا شيفيلد.

وأنطوني لم يكن مستعدًا بعد للتخلّي عن الشرف.

لم يستطع أن يصدق كم كان قريبًا من تدمير خطة زواجه بإدوينا. ما الذي دهاه؟ إنها العروس المُثلى لجميع غاياته. فقط عندما يكون برفقة أختها المتطفّلة يصبح ذهنه مشوشًا.

قال كولين مجددًا وهو يقترب: «أنطوني والآنسة شيفيلد». أخذ ينقل بصره بينهما بفضول؛ فقد كان يعلم جيدًا أنهما ليسا على وفاق. «يا لها من مفاجأة!».

قالت كيت:

- كنت أستكشف بستان والدتك لا أكثر. وصادف أن التقيت بأخيك.

أومأ أنطوني برأسه مرة واحدة.

قال كولين:

- دافني وسايمون هنا.

التفت أنطوني إلى كيت وأوضح:

- شقيقتي وزوجها.

تساءلت بأدب:

- الدوق؟

عبس قائلًا:

- بشحمه ولحمه.

ضحك كولين من غيرة أخيه. قال لكيت:

- كان أنطوني معارضًا للزيجة. إن سعادتهما تقتله.

انفجر أنطوني قائلًا: «أوه، بحق الـ...»، ثم أمسك لسانه قبل أن يسبّ أمام كيت. «إنني في غاية السعادة لأن شقيقتي سعيدة». قال من بين أسنانه، في حين لم تبدُ عليه أي سعادة. «كل ما في الأمر أنني لم أحظ بفرصة أن أوسع ذلك اللقيـــ... ذلك المحتال ضربًا قبل أن يبدآ رحلة سعادتهما الأبدية».

كتمت كيت ضحكتها وقالت: «فهمت». وقد أيقنت تمامًا أن وجهها لم يلزم الجدية التي كانت تهدف إليها.

بادلها كولين النظر بابتسامة قبل أن يلتفت مجددًا إلى أخيه.

- اقترحت داف أن نلعب مباراة بولمول[1]. ما قولك؟ لم نلعب منذ زمن. وإذا أسرعنا في البدء، يمكننا أن نفلت من رؤية الآنسات المتأنثات اللاتي دعتهن أمي من أجلنا.

ثم التفت إلى كيت بابتسامة عريضة قادرة على نيل الغفران عن أي شيء كان:

- باستثناء صحبتنا الحالية بالطبع.

غمغمت:

- بالطبع.

مال كولين للأمام، والتمعت عيناه الخضراوان بالشر. استطرد قائلًا:

- ما من أحد يجرؤ على ارتكاب خطأ وصفك بالآنسة المتأنثة.

سألت بتهكم:

- هل هذا إطراء؟

- من دون ريب.

- إذن فإني أقبله بكل امتنان ورضًا.

ضحك كولين وقال لأنطوني:

- إنها تعجبني.

لم يبدُ أنطوني مستمتعًا.

سأل كولين:

- هل سبق ولعبتِ البولمول، أيتها الآنسة شيفيلد؟

(1) لعبة ملكية من القرن الثامن عشر أشبه بلعبتي الغولف والكروكيت في عصرنا الحالي.

- للأسف لا. لست حتى متأكدة أي لعبة هي.

- إنها لعبة عُشب. مسلية لدرجة استثنائية. تحظى بشعبية أكبر في فرنسا عن هنا، ولو أنهم يطلقون عليها هناك اسم «بايماي».

سألت كيت:

- كيف تلعبونها؟

أوضح كولين:

- نضع بوابات صغيرة في مسار محدد ثم نضرب الكرات الخشبية بالمطرقة بحيث تمرّ عبرها.

قالت متأملة:

- يبدو هذا بسيطًا بما يكفي.

قال ضاحكًا:

- ليس إذا كنتِ تلعبين مع آل بريدجرتون.

- وما الذي يعنيه ذلك؟

قاطعهما أنطوني:

- يعني أننا لا نرى قط ضرورة لوضع مسار محدد. يضع كولين البوابات على جذوع الأشجار...

قاطعه كولين:

- ثم سددت أنتَ الكرة باتجاه البحيرة. لم نعثر قط على الكرة الحمراء بعد أن أغرقتها دافني.

كانت كيت تعلم أنها لا يجدر بها أن تلزم نفسها بنهارٍ كامل في صحبة فيكونت بريدجرتون، ولكن تبًا لكل شيء، البولمول تبدو ممتعة. تساءلت:

- هل ثمة متسع للاعب إضافي؟ بما أنه قد تم استبعادي بالفعل من صفوف المتأنثات؟

قال كولين:

- بالطبع! أظنك ستندمجين فورًا مع بقيتنا من المخادعين والمحتالين.

قالت كيت ضاحكة:

- ما دمت أنت القائل، فأنا واثقة أن ذلك إطراء.

- أوه، بكل تأكيد. للشرف والأمانة وقتهما ومكانهما، ولكن ليس في مباراة بولمول.

قاطعهما أنطوني بتعبير متعجرف على وجهه:

- وعلينا أن ندعو أختك أيضًا.

جفلت كيت: «إدوينا؟». اللعنة. لقد أوقعت نفسها في الشرك مباشرةً. كانت تبذل كل جهدها لإبعاد كليهما عن الآخر، وها هي قد نظّمت حرفيًا موعدهما النهاري الأول. لا سبيل أمامها لاستبعاد إدوينا الآن بعد أن قامت بدعوة نفسها إلى المباراة.

سأل برفق:

- هل لديك أخت أخرى؟

عبست في وجهه.

- قد لا ترغب في اللعب. ظني أنها تستريح في غرفتها.

قال أنطوني كاذبًا بوضوح:

- سأطلب من الخادمة أن تطرق بابها بخفة شديدة.

قال كولين ببهجة:

- ممتاز! بذلك يكون الفريقان متعادلين. ثلاثة رجال وثلاث نساء.

سألت كيت:

- هل نلعب في فريق؟

أجاب قائلًا:

- لا، لكن أمي تصرّ دائمًا على أن يكون فريقا الرجال والنساء متعادلين في كل شيء. ستنزعج بشدة إن بدأنا اللعب بعدد فردي.

لم تستطع كيت تخيّل السيدة اللطيفة الجميلة التي كانت تتحدّث معها قبل ساعة فقط وقد انزعجت بسبب مباراة بولمول، ولكنها قدّرت أنه ليس من شأنها أن تردّ.

غمغم أنطوني وقد بدا متغطرسًا بشكل لا يطاق:

- سأحرص على إحضار الآنسة شيفيلد. كولين، هلّا رافقت هذه الآنسة شيفيلد إلى الملعب بالأسفل وسأوافيك إلى هناك خلال نصف ساعة؟

فتحت كيت فمها للاعتراض على الخطة التي ستترك إدوينا وحيدة بصحبة الفيكونت، حتى وإن كان ذلك لفترة قصيرة لا تتجاوز مسافة السير إلى الملعب، لكنها التزمت الصمت في النهاية. ما من ذريعة منطقية يمكنها التذرّع بها للحيلولة دون تنفيذ خطته، وقد أدركت ذلك.

لمح أنطوني تأتأتها المضحكة ولوى إحدى زاويتي فمه بطريقة هي الأكثر بغضًا قبل أن يقول:

- يسرّني أن أراكِ متفقة معي أيتها الآنسة شيفيلد.

اكتفت بالتجهّم. فأي كلمات ستخرج من فمها لن تكون مهذبة.

قال كولين:

- عظيم. سنلقاكما هناك.

ثم مرر ذراعه ليُمسك بذراعها ويقودها بعيدًا، تاركين أنطوني يبتسم بسخرية من خلفهما.

سار كولين وكيت قُرابة النصف ميل من المنزل إلى ساحة وعرة نوعًا ما تحدّها من أحد جانبيها بحيرة.

تساءلت كيت وهي تشير إلى المياه:

- موطن الكرة الحمراء الضالة، كما أفترض؟

ضحك كولين وأومأ.

- حادث مؤسف. فقد اعتدنا أن أدواتنا تكفي ثمانية لاعبين؛ حيث أصرّت أمي على شراء مجموعة تكفي كل أطفالها.

لم تعد كيت واثقة هل تبتسم أم تعبس.

- أنتم عائلة مقرّبة جدًا، صحيح؟

- الأفضل على الإطلاق.

قالها كولين ببساطة بينما اتجه نحو كوخٍ قريب.

سارت كيت في عقبه، وهي تطرق بيدها بصمت على ساقها. صاحت:

- هل تعلم كم الساعة الآن؟

توقّف ثم أخرج ساعة جيبه وفتحها.

- الثالثة وعشر دقائق.

أجابت كيت: «أشكرك». ودوّنت ملاحظة ذهنية في عقلها. لقد تركا أنطوني في نحو الثالثة إلا خمس دقائق، وقد تعهّد هو بإيصال إدوينا إلى ملعب البولمول خلال نصف الساعة، لذا من المفترض أن يصلا في الثالثة وخمس وعشرين دقيقة.

أو في الثالثة والنصف على أقصى تقدير. كانت كيت مستعدة لأن تكون سخية وأن تسمح ببعض التأخيرات التي لا مناص منها. إذا وصل الفيكونت مع إدوينا في الثالثة والنصف، فلن تعترض.

استأنف كولين طريقه إلى الكوخ، وراقبته كيت باهتمام بينما يفتح الباب. قالت:

- يبدو صدئًا.

قال:

- مرّ زمن طويل منذ جئنا إلى هنا للعب.

- حقًا؟ لو أنّ لي بيتًا مثل أوبري هول، ما كنت لأذهب إلى لندن أبدًا.

التفت كولين، ويده ما زالت على باب الكوخ الموارب.

- أنتِ تشبهين أنطوني كثيرًا، هل تعلمين ذلك؟

شهقت كيت.

- مؤكّد أنك تمزح.

هزّ رأسه، بينما ارتسمت ابتسامة صغيرة غريبة على شفتيه.

- ربما لأن كليكما الأكبر بين إخوته. الرب يعلم كم أشعر بالامتنان كل يوم لأني لم أولد مكان أنطوني.

- ماذا تعني؟

هزّ كولين كتفيه.

- ما كنت لأرغب في تحمّل ما يتحمّله هو من مسؤوليات، هذا كل ما في الأمر. اللقب، العائلة، الثروة؛ إنه حِمل ثقيل على عاتق رجل واحد.

لم ترغب كيت حقًا في معرفة كم أحسن الفيكونت في تحمّل مسؤوليات لقبه؛ لم ترغب في معرفة أي شيء قد يغير رأيها عنه، وإن كان عليها أن تقرّ بأن إخلاصه الواضح في اعتذاره منذ قليل قد أعجبها. سألت:

- ما علاقة ذلك بأوبري هول؟

حدّق كولين إليها ببلاهة للحظات، وكأنه نسي أن محادثتهما قد بدأت بملاحظة بريئة منها عن مدى جمال منزلهم الريفي. ثم قال أخيرًا:

- لا شيء على ما أظن. وكل شيء أيضًا. إن أنطوني عاشق لهذا المكان.

قالت كيت:

- لكنه يقضي كل وقته في لندن، أليس كذلك؟

هزّ كولين كتفيه:

- أعلم. غريب، أليس كذلك؟

لم تحر كيت جوابًا، واكتفت بمراقبته وهو يسحب باب الكوخ ليفتحه على مصراعيه. قال: «ها نحن أولاء». وسحب عربة بأربع عجلات بُنيت خصيصًا لتسع ثماني عِصِيّ وثماني كرات خشبية. «مغبرة قليلًا، ولكن حالتها ليست سيئة مقارنةً بطول استخدامها».

قالت كيت بابتسامة:

- باستثناء فقدان الكرة الحمراء.

أجاب كولين:

- كان ذلك خطأ دافني بالكامل. لكم أحبُ إلقاء اللوم على دافني في كل شيء. هكذا تصبح الحياة أسهل كثيرًا.

- قد سمعتك!

التفتت كيت لترى زوجين شابين جذابين يقتربان. كان الرجل شديد الوسامة، ذا شعر داكن جدًا وعينين فاتحتين جدًا. أما المرأة فلا مجال للشك في أنها إحدى أفراد عائلة بريدجرتون، بشعرها الكستنائي الذي يشاركها فيه كل من أنطوني وكولين. ناهيك بأنها تملك نفس استدارة الوجه والابتسامة. كانت كيت قد سمعت أن جميع أفراد عائلة بريدجرتون يشبهون بعضهم إلى حد ما، لكنها لم تصدّق ذلك تمامًا حتى الآن.

صاح كولين:

- داف! لقد جئتِ في الوقت المناسب كي تساعدينا في وضع البوابات.

منحته ابتسامة خبيثة وقالت:

- هل ظننت أنّي سأدعك تضع المسار وحدك؟

ثم التفتت إلى زوجها وأكملت:

- إني لا أثق به إطلاقًا.

قال كولين لكيت:

- لا تستمعي إليها. إنها قوية جدًا. أراهن أن باستطاعتها أن تلقي بي في البحيرة بكل سهولة.

أدارت دافني عينيها والتفتت إلى كيت.

- بما أني واثقة أن أخي التعِس لن يتولّى هذا الشرف، فسوف أعرّفك بنفسي. أنا دافني، دوقة هاستنجز، وهذا زوجي سايمون.

انحنت كيت بأدب وغمغمت: «سموك». ثم التفتت إلى الدوق وكررت: «سموك».

لوّح كولين بيده نحوها بينما انحنى لالتقاط البوابات الصغيرة من عربة البولمول. «هذه هي الآنسة شيفيلد».

بدت دافني متحيرة.

- لقد مررت توًا بأنطوني عند المنزل. وأحسبه قال إنه في طريقه لإحضار الآنسة شيفيلد.

أوضحت كيت:

- يقصد أختي. إدوينا. أنا كاترين. يناديني أصدقائي كيت.

قالت دافني بابتسامة واسعة:

- حسنٌ، إن كنت شجاعة بما يكفي للعب البولمول مع آل بريدجرتون، فأنا حتمًا أريدك أن تكوني صديقتي. ومن ثم، عليك أن تناديني بدافني. وزوجي بسايمون. سايمون؟

قال:

- أوه، بكل تأكيد.

وتخلّف لدى كيت انطباع قوي بأنه كان ليقول نفس الشيء لو أن دافني أعلنت لتوها أن السماء برتقالية. ليس لأنه لم يسمعها، ولكن ببساطة لأن من الواضح أنه يعشقها حد الوله.

فكّرت كيت أن هذا بالضبط ما كانت تريده لإدوينا.

قالت دافني: «دعني آخذ نصف هذه». ومدّت يدها إلى البوابات الصغيرة في يد أخيها. «الآنسة شيفيلد وأنا ... أقصد كيت وأنا» منحت كيت ابتسامة دافئة. «سنضع ثلاثًا منها، وأنت وسايمون ستضعان البقية».

وقبل أن يتسنى لكيت حتى أن تبدي رأيها، أمسكت دافني بذراعها وقادتها نحو البحيرة.

قالت دافني بصوتٍ خافت:

- علينا أن نحرص بشدة على أن يفقد أنطوني كرته في المياه. لم أغفر له قط ما فعله في المرة الماضية. ظننتُ أن بنيدكت وكولين سيموتان من فرط الضحك. أما أنطوني فكان الأسوأ. اكتفى بالوقوف في مكانه مبتسمًا بسخرية. بسخرية!

التفتت إلى كيت بحنق شديد.

- لا أحد يجيد الابتسام بسخرية مثل أخي الكبير.

تمتمت كيت في سرّها:

- أعلم.

لحسن الحظ لم تسمعها الدوقة.

- لو كان باستطاعتي قتله لفعلت، أقسم لك.

لم يسع كيت إلا أن تسأل:

- ماذا سيحدث إن ضاعت كل الكرات في البحيرة؟ لم أعتد اللعب معكم بعد، لكنكم تبدون محبين للمنافسة نوعًا ما، ويبدو...

- أن ذلك لا مفر منه؟

أنهت دافني العبارة. ثم ابتسمت قبل أن تردف:

- أنتِ محقة على الأغلب. فنحن لا نتمتع بأي روح رياضية عندما يتعلّق الأمر بالبولمول. عندما يلتقط أحد أفراد بريدجرتون الكرة، يصبح أسوأ المخادعين والكاذبين جميعًا. إن لعبنا في الحقيقة لا يهدف إلى الفوز بقدر ما يهدف إلى الحرص على خسارة بقية اللاعبين.

حاربت كيت لتعثر على الكلمة المناسبة.

- يبدو ذلك...

ابتسمت دافني:

- مروعًا؟ على العكس. ستستمتعين أكثر من أي وقت مضى، ثقي بي. ولكن بالمعدّل الذي نلعب به، سينتهي الأمر بطقم الكرات كله في البحيرة عمّا قريب. أحسب أننا سنضطر إلى الإرسال في طلب طقم جديد من فرنسا.

غرزت إحدى البوابات في الأرض وتابعت:

يبدو الأمر كأنه مضيعة للوقت، أعلم، لكن إذلال إخوتي يستحق العناء.

حاولت كيت ألا تضحك، لكنها أخفقت.

سألت دافني:

- هل لديك إخوة صبيان أيتها الآنسة شيفيلد؟

بما أن الدوقة قد نسيت استخدام اسمها الأول، قدّرت كيت أن الأفضل الرجوع إلى الألقاب الرسمية. أجابت:

- لا، سموك. إدوينا هي أختي الوحيدة.

ظللت دافني عينيها بيدها ومسحت المنطقة بحثًا عن موقع شرير للبوابة التالية. عندما رصدت واحدًا –فوق جذر إحدى الأشجار مباشرةً– انطلقت نحوه، تاركة كيت بلا خيار سوى أن تتبعها.

قالت دافني وهي تدفع بالبوابة في الأرض:

- لديّ أربعة إخوة صبيان، ذلك يعطي المرء تثقيفًا مذهلًا بحق.

قالت كيت بانبهار:

- أراهن أنك تعلّمت الكثير! هل تستطيعين لكم رجل؟ إيقاعه على الأرض؟

ابتسمت دافني بخبث.

- لمَ لا تسألين زوجي.

- تسألني عن ماذا؟

صاح الدوق من البقعة التي كان يضع فيها هو وكولين بوابة على جذر شجرة على الجانب الآخر.

صاحت الدوقة ببراءة:

- لا شيء.

ثم همست إلى كيت:

- تعلّمت أيضًا متى ينبغي للمرء أن يُبقي فمه مغلقًا وحسب. تصبح السيطرة على الرجال أسهل كثيرًا بمجرد أن تفهمي بضع حقائق أساسية عن طبيعتهم.

سألتها كيت:

- أي حقائق؟

مالت دافني نحوها وهمست من خلف كفّها المجوفة:

- إنهم ليسوا أذكياء مثلنا، ولا يتمتعون بسرعة بديهتنا، وهم قطعًا لا يحتاجون إلى معرفة خمسين بالمائة مما نفعله. -نظرت حولها- إنه لم يسمع ذلك، صحيح؟

خطا سايمون من خلف الشجرة قائلًا:

- كل كلمة.

كتمت كيت ضحكتها وقفزت دافني من المفاجأة. قالت بتحدٍّ:

- لكنها الحقيقة.

عقد سايمون ذراعيه قائلًا:

- سأدعك تظنين ذلك. -ثم التفت إلى كيت قائلًا- لقد تعلّمت شيئًا أو اثنين عن النساء على مر السنين.

سألت كيت بانبهار:

- حقًا؟

أومأ ومال ناحيتها، وكأنما يشي بسرٍ خطير من أسرار البلاد.

- تصبح السيطرة على النساء أسهل كثيرًا بمجرد أن يسمح لهن المرء باعتقاد أنهن أذكى وأسرع بديهة من الرجال. ليس هذا وحسب... (أضاف بنظرة متعالية إلى زوجته) بل إن حياتنا تصبح أهدأ كثيرًا إذا ادّعينا أننا لا نعلم سوى خمسين بالمائة مما يفعلنه.

اقترب كولين، وهو يؤرجح مطرقته في قوس منخفض. سأل كيت:

- هل يتشاجران؟

صححت دافني:

- بل يتناقشان.

تمتم كولين:

- ليحفظني الرب من مثل هذه النقاشات. لنختر الألوان.

تبعته كيت إلى عربة البولمول، بينما أخذت تطرق بأصابعها على فخذها. سألته:

- هل تعلم كم الساعة الآن؟

أخرج كولين ساعة جيبه.

- بعد الثالثة والنصف بقليل، لماذا؟

قالت وهي تحاول ألا تبدو قلقة أكثر من اللازم:

- ظننت فقط أن إدوينا والفيكونت سيكونان قد وصلا بحلول هذا الوقت... ليس إلا.

هز كولين كتفيه. «يُفترض بهما ذلك». ثم في غفلة تامة عن مدى توتّرها أشار إلى عدة البولمول قائلًا: «هاكِ. أنتِ ضيفتنا. فلتختاري أولًا. ما اللون الذي تريدينه؟»

لم تُعر كيت الأمر كثير تفكير، مدّت يدها والتقطت إحدى المطارق. فقط حينما صارت المطرقة في يدها أدركت أنها سوداء.

قال كولين باستحسان:

- مطرقة الموت. كنت أعلم أنها لاعبة ذكية.

قالت دافني وهي تلتقط المطرقة الخضراء:

- احجز الوردية لأنطوني.

سحب الدوق المطرقة البرتقالية من العربة، والتفت إلى كيت قائلًا:

- أنتِ شاهدتِ على أن لا دخل لي بحجز المطرقة الوردية لبريدجرتون، اتفقنا؟

ابتسمت كيت بخبث:

- لكنّي لاحظت أنك *امتنعت* عن اختيار المطرقة الوردية.

أجاب بابتسامة أشد خبثًا من ابتسامتها:

- بالطبع فعلت. لقد اختارتها زوجتي له بالفعل. لا يمكنني أن أعارضها الآن، وهل أجرؤ؟

قال كولين:

- الصفراء لي، والزرقاء للآنسة إدوينا، ما رأيك؟

أجابت كيت:

- أوه، نعم. إدوينا تحب الأزرق.

وحدّق أربعتهم إلى المطرقتين المتبقيتين: الوردية والأرجوانية.

قالت دافني:

- لن يحب أيًّا منهما.

أومأ كولين.

- لكنه سيكره الوردية أكثر.

ثم التقط المطرقة الأرجوانية وألقى بها في الكوخ، ثم مدّ يده وأرسل الكرة الأرجوانية في عقبها.

قال الدوق:

- ربّاه، أين أنطوني؟

تمتمت كيت وهي تطرق بيدها على ساقها:

- هذا سؤال جيد جدًا.

قال كولين بمكر:

- يخيّل إليّ أنك تريدين معرفة الساعة.

تورّدت كيت. كانت قد طلبت منه النظر في ساعة جيبه مرتين بالفعل. لمّا لم تجد ردًا ذكيًا، أجابت:

- أنا بخير، شكرًا.

- حسن جدًا. كل ما في الأمر أنّي تعلّمت أنك بمجرد أن تحرّكي يدك بهذه الطريقة...

تجمّدت يد كيت.

- ...فأنت عادةً ما تكونين على وشك سؤالي عن الساعة.

قالت كيت بجفاء:

- لقد تعلّمتَ الكثير عني خلال الساعة الماضية.

ابتسم.

- إنني رجل قوي الملاحظة.

تمتمت:

- هذا واضح.

- ولكن للعلم بالشيء، الساعة الآن الرابعة إلا ربع.

قالت كيت:

- لقد تأخرا كثيرًا.

مال كولين للأمام وهمس:

- أراهن أن أخي قد اختطف أختك.

مالت كيت للوراء.

- أيها السيد بريدجرتون!

سألت دافني:

- عمّ تتحدثان أنتما الاثنان؟

ابتسم كولين.

- تخشى الآنسة شيفيلد أن يكون أنطوني قد افترس الآنسة شيفيلد الأخرى.

صاحت دافني:

- كولين! ليس هذا بالأمر المضحك على الإطلاق.

احتجت كيت:

- وهو قطعًا ليس بحقيقي أيضًا.

حسنٌ، ليس تمامًا. فهي لم تظن أن الفيكونت يفترس إدوينا، لكنه على الأرجح يبذل قصارى جهده ليفتنها حتى النخاع. وهذا أمر خطير في حد ذاته.

تأمّلت كيت المطرقة التي في يدها وحاولت التفكير في طريقة يمكنها بها أن تنزل بها على رأس الفيكونت وتجعل الأمر يبدو كحادث.

مطرقة الموت، هي حقًا.

نظر أنطوني إلى الساعة على رفّ الموقد في غرفة مكتبه. الثالثة والنصف تقريبًا. سيتأخران.

ابتسم ابتسامة عريضة. أوه، حسن، ما باليد حيلة.

إنه في العادة شديد الالتزام بالمواعيد، ولكن ما دام سيتسبب تأخيره في عذاب الآنسة شيفيلد، فلا مانع لديه من وصولٍ متأخّر.

لا ريب أن كيت شيفيلد تعاني الأمرين الآن، تروّعها فكرة أن أختها الصغيرة الغالية قد وقعت بين براثنه الشريرة.

نظر أنطوني لأسفل إلى براثنه الشريرة –يديه، ذكّر نفسه، إنها يديه– ثم ابتسم مجددًا. لم يحظَ بكل هذا المرح منذ زمن طويل، وكل ما عليه فعله هو التلكؤ في مكتبه، وتخيّل كيت شيفيلد بفكيها المطبقين، والدخان يتصاعد من أذنيها.

كانت صورة مسلّية حقًا.

والطريف أن التأخير لم يكن حتى ذنبه. كان ليصل في الموعد المحدد لو لم يضطر إلى انتظار إدوينا. هي من بعثت مع الخادمة رسالة مفادها أنها ستهبط إليه خلال عشر دقائق. وكان هذا منذ عشرين دقيقة مضت. ماذا عساه يفعل إن كانت هي من تأخّرت؟

خطرت لأنطوني صورة مفاجئة لما تبقّى من حياته؛ وقد أمضاه منتظرًا إدوينا. هل يُعقل أن تكون مصابة بمرض التأخّر المزمن؟ قد يُصبح ذلك مُزعجًا بعد فترة.

وفي نفس اللحظة سمع حفيف وقع أقدام في الرّدهة، وعندما نظر لأعلى، رأى هيئة إدوينا الفاتنة وقد أطّرها الباب.

فكّر بحيادية أنها تبدو كطيفٍ أو رؤيا. كان جمالها مُطلقًا من جميع النواحي. وجهها صورة للكمال، وقفتها رمزٌ للبهاء، وعيناها أكثر درجات الأزرق تألقًا، متوهّجتان لدرجة لم يسعه معها إلا أن يتفاجأ بظلّهما كلما طرفت بعينيها.

انتظر أنطوني أن تُثار بداخله أي استجابة من أي نوع. من المؤكد أن لا رجل محصّن ضد جمالها.

لا شيء. ولا حتى أدنى رغبة في تقبيلها. أحسّ كأنه يرتكب جرمًا في حق الطبيعة.

ولكن لعل ذلك أمرٌ جيد. فهو في نهاية المطاف لا يريد زوجة يمكن أن يقع في حبها. كان الاشتهاء ليفي بالغرض، بيد أن الاشتهاء يحمل مخاطره. الاشتهاء يمكن أن يتحوّل إلى حب دون ريب، أما عدم الاكتراث فلا.

قالت إدوينا برقة:

- أعتذر بشدّة على تأخّري أيها اللورد.

أجاب:

- لا مشكلة على الإطلاق.

وقد شعر ببعض الاطمئنان إزاء تجلّياته الأخيرة. ما زالت تصلح عروسًا له بكل تأكيد. لا حاجة للبحث في مكانٍ آخر. تابع:

- ولكن علينا أن نمضي في طريقنا الآن. لا بد أنهم جهّزوا المسار بالفعل.

التقط ذراعها وسارا معًا خارج المنزل. علّق على الطقس. فعلّقت هي على الطقس. أشار إلى طقس اليوم السابق. فوافقت هي على ما قاله، والذي لم يعد حتى باستطاعته تذكره بعد دقيقة واحدة.

وبعد أن استنفدا جميع المواضيع المتعلّقة بالطقس الممكنة، خيّم عليهما الصمت، ثم أخيرًا وبعد ثلاث دقائق كاملة لم ينبس فيها أي منهما ببنت شفة، اندفعت إدوينا قائلة:

- ما الذي درسته في الجامعة؟

نظر إليها أنطوني باستغراب. لم يستطع تذكّر امرأة سبق وأن طرحت عليه مثل هذا السؤال. أجاب:

- أوه، المعتاد.

قالت من بين أسنانها وقد بدت نافدة الصبر على غير عادتها:

- ولكن ما هو *المعتاد*؟

- التاريخ، بصفة أساسية. قليل من الأدب.

- أوه (تأملت ذلك برهة قبل أن تضيف) إنني أحب القراءة.

- حقًا؟ (رمقها باهتمام متجدد. لم يخلها امرأة مثقفة) ما الذي تحبين قراءته؟

بدت مسترخية وهي تجيب عن سؤاله قائلة:

- الروايات في الأوقات التي أميل فيها للخيال. الفلسفة عندما تعتريني الحالة المزاجية للتحسين الذاتي.

تساءل أنطوني:

- الفلسفة، هه؟ لا قدرة لي على احتمالها عن نفسي.

أطلقت إدوينا واحدة من ضحكاتها الموسيقية الجذابة، ثم قالت:

- كيت تشعر بنفس الشيء. لا تكفّ عن إخباري بأنها تعلم جيدًا كيف تعاش الحياة وأنها ليست بحاجة إلى رجلٍ ميت لتأخذ منه التعليمات.

فكر أنطوني في المرّات التي قرأ فيها لأرسطو وبنثام وديكارت في الجامعة. ثم فكّر في المرات التي تجنّب فيها القراءة لأرسطو وبنثام وديكارت في الجامعة. تمتم قائلًا:

- أعتقد أن عليّ الاتفاق مع أختك في ذلك.

ابتسمت إدوينا.

- أنت، تتفق مع كيت؟ أشعر وكأن عليّ العثور على مفكّرة وتأريخ تلك اللحظة. مؤكّد أنها سابقة من نوعها.

رمقها بنظرة جانبية متشككة ثم قال:

- أنت أكثر جرأة مما تُظهرين، ألستِ كذلك؟

- لا أملك نصف جرأة كيت.

- لم أكن لأشك في ذلك قط.

سمع إدوينا تقهقه، وعندما نظر إليها بدت وكأنها تحاول قدر المستطاع أن تُبقي وجهها جادًا. اقتربا من المنعطف الأخير للملعب، وبمجرد أن دارا حوله رأيا بقية مجموعة البولمول في انتظارهما، وقد أخذوا يؤرجحون مطارقهم بصمت ذهابًا وإيابًا وهم ينتظرون.

نسي أنطوني تمامًا أنه بصحبة المرأة التي يخطط للزواج بها، وسبّ قائلًا:

- أوه، سحقًا! لقد أخذَتْ مطرقة الموت.

الفصل العاشر

2 مايو 1814 **جريدة المجتمع**

تعد الحفلات الريفية حدثًا جد خطير. غالبًا ما يجد المتزوجون أنفسهم مستمتعين بصحبة أشخاصٍ آخرينٍ غير أزواجهم، ويعود غير المتزوجين إلى المدينة وقد تمت خطبتهم على عجل.

الواقع أن حالات الخطبة الأكثر إدهاشًا عادة ما يُعلَن عنها في أعقاب نوبات المنافي الريفية تلك.

ليدي ويسلداون

بمجرد أن وصل أنطوني وإدوينا إلى المجموعة، علّق كولين:

- أرى أن الوصول إلى هنا قد استغرق منك وقتًا طويلًا. هيا، نحن جاهزون للبدء. إدوينا، أنتِ الأزرق.

وناولها المطرقة الزرقاء قبل أن يردف:

- أنطوني، أنتَ الوردي.

- هل ألعب بالمطرقة الوردية بينما -وأشار بسبابته تجاه كيت- تحظى هي بمطرقة الموت؟

قال كولين:

- لقد سمحت لها بالاختيار أولًا. إنها ضيفتنا بعد كل شيء.

أوضحت دافني:

- أنطوني عادةً ما يكون الأسود. حتى إنه أعطى المطرقة اسمه في الواقع.

قالت إدوينا لأنطوني:

- لستَ مضطرًا للعب باللون الوردي. إنه لا يليق بك إطلاقًا. هاكَ -ومدّت يدها بالمطرقة- لمَ لا نتبادل المطارق؟

اعترض كولين:

- لا تكوني سخيفة. لقد قررنا بالإجماع أن الأزرق لك. ليتماشى مع عينيك.

خُيّل لكيت أنها سمعت أنطوني يصرّ على أسنانه.

أعلن أنطوني:

- سألعب بالوردي.

والتقط العصا المهينة من يد كولين بقوة وأكمل:

- وسوف أفوز رغمًا عن أنوفكم جميعًا. هلّا بدأنا؟

وبمجرد أن تم التعارف اللازم بين الدوق والدوقة وإدوينا، أسقط الجميع كراتهم الخشبية قُرب نقطة البداية واستعدوا للعب.

اقترح كولين:

- هل نلعب بدءًا من الأصغر سنًا فالأكبر؟

وانحنى انحناءة أنيقة باتجاه إدوينا.

هزّت رأسها قائلة:

- أفضّل أن أكون الأخيرة، بحيث يتسنّى لي مراقبة طريقة لعب أولئك الأكثر خبرة مني.

غمغم كولين:

- فتاة حكيمة. إذن سنلعب ابتداءً بالأكبر سنًا. أنطوني، أظنك الأقدم بيننا.

- معذرةً يا أخي العزيز، ولكن هاستنجز يكبرني ببضعة أشهر.

همست إدوينا في أذن كيت:

- لماذا ينتابني شعور بأني أتطفّل على شجار عائلي؟

أجابتها كيت همسًا:

- أظن أن آل بريدجرتون يأخذون البولمول بجدية شديدة.

عَلت الجهامة وجوه الإخوة بريدجرتون الثلاثة، وبدا كل منهم وكأنه قد عقد عزمه على هدفٍ أوحد لن يرضى بغيره، ألا وهو الفوز.

وبّخهما كولين وهو يلوّح بإصبعه نحوهما:

- إيه إيه إيه! التواطؤ ممنوع.

أجابت كيت:

- لسنا نعلم حتى على أي شيء ينبغي أن نتواطأ. لم يكلّف أحدكم نفسه عناء شرح قواعد اللعبة لنا.

قالت دافني بحيوية:

- اتبعا خُطانا فحسب. ولن تلبثا أن تفهما الفكرة.

همست كيت إلى إدوينا:

- أعتقد أن الهدف هو إغراق كرات الخصم في البحيرة.

- حقًا؟

- لا. ولكنني أعتقد أن الإخوة بريدجرتون يرون الأمر هكذا.

صاح كولين دون أن ينظر باتجاههما:

- ما زلتما تتهامسان!

ثم وجه صياحه إلى الدوق قائلًا:

- هاستنجز، فلتضرب الكرة اللعينة. ليس لدينا اليوم بطوله.

قاطعته دافني:

- لا تتفوّه باللعنات يا كولين. ثمة فتيات يسمعنك.

- أنتِ لا تُحسبين.

قالت من بين أسنانها:

- ثمة فتاتان حاضرتان غيري.

طرف كولين بعينيه، ثم التفت إلى الأختين شيفيلد قائلًا:

- هل تمانعان؟

أجابت كيت بذهول بالغ:

- على الإطلاق.

واكتفت إدوينا بهزّ رأسها.

قال كولين: «عظيم» ثم نظر إلى الدوق مجددًا واستطرد: «هاستنجز، فلتتحرك».

دفع الدوق كرته دفعة خفيفة للأمام بعيدًا عن بقية الكرات. ثم قال دون أن يوجّه كلامه لأحد بصفة خاصة:

- أتعلمون أنّي لم ألعبِ البولمول من قبل قط؟

قالت دافني:

- فقط حاول أن تصوّب الكرة في ذلك الاتجاه يا عزيزي.

وأشارت إلى البوابة الأولى.

سأل أنطوني:

- أليست تلك آخر بوابة؟

- بل هي الأولى.

- يُفترض بها أن تكون الأخيرة.

برز ذقن دافني وهي تقول:

- أنا من وضع المسار، وأقول إنها الأولى.

همست إدوينا إلى كيت:

- أعتقد أن دماءً قد تُراق هنا.

نظر الدوق إلى أنطوني ومنحه ابتسامة صفراء قائلًا:

- أعتقد أن عليّ الوثوق بدافني في ذلك.

تدخّلت كيت:

- إنها من وضع المسار بالفعل.

نظر أنطوني وكولين وسايمون ودافني إليها في صدمة، وكأنهم لا يصدقون تمامًا أنّها جرؤت على مقاطعة حوارهم.

قالت كيت:

- حسنٌ، إنها الحقيقة.

لفّت دافني ذراعها حول ذراع كيت وأعلنت:

- أظن حقًا أني أعشقكِ يا كيت شيفيلد.

همس أنطوني:

- ليكن الرب في عوني.

سحب الدوق مطرقته للخلف، ثم دفعها للأمام وسرعان ما انطلقت الكرة البرتقالية على العشب.

صاحت دافني:

- أحسنت يا سايمون!

التفت كولين ونظر إلى أخته بازدراء. قال:

- لا ينبغي للمرء أبدًا تشجيع خصمه في البولمول.

قالت:

- إنه لم يلعبها من قبل. من غير المرجّح أن يفوز.

- لا يهم.

التفتت دافني إلى كيت وإدوينا وأوضحت:

- أخشى أن الافتقار للروح الرياضية شرط أساسي للعب البولمول مع بريدجرتون.

قالت كيت بجفاء:

- هذا واضح.

صاح أنطوني: «جاء دوري». نظر باحتقار إلى الكرة الوردية ثم ضربها بقوة. أبحرت بشكلٍ مذهل على العُشب لا لشيء إلا لتصطدم بشجرة وتسقط كالحجر على الأرض.

صاح كولين: «مدهش!» واستعد لأخذ دوره.

غمغم أنطوني بعدة أشياء في سرّه، لم يكن أيٌّ منها مناسبًا للآذان الناعمة.

سدّد كولين الكرة الصفراء نحو البوابة الأولى، ثم خطا جانبًا ليفسح المجال لكيت.

تساءلت:

- هل يمكنني أن أضربها مرّة أولًا على سبيل التجربة؟

أتتها الإجابة مدوّية من ثلاثة أفواه في آنٍ واحد:

- لا!

قالت بغيظ:

- حسن جدًا. ارجعوا للخلف جميعًا. لن أكون مسؤولة عن إصابة أي منكم بجرح بالغ في محاولتي الأولى.

ثم أرجعت مطرقتها للوراء بكل قوتها وضربت بها الكرة. حلّقت الكرة في الهواء في قوسٍ مثير للإعجاب، ثم اصطدمت بنفس الشجرة التي أعاقت أنطوني وسقطت على الأرض بجوار كرته.

قالت دافني: «أوه، يا إلهي». بينما مضت تحدد هدفها وتؤرجح مطرقتها للأمام والخلف من دون أن تضرب الكرة فعليًا.

سألت كيت بقلق: «لماذا.. أوه، يا إلهي؟»، غير مطمئنة إلى ابتسامة الدوقة المُشفِقة نوعًا ما.

قالت دافني: «سترين الآن». ثم أخذت دورها وضربت كرتها.

نظرت كيت إلى أنطوني الذي بدا في غاية السرور بما آلت إليه الأحداث. سألته:

- ما الذي تنوي فعله بي؟

مال نحوها بخبث قائلًا:

- السؤال الأنسب هو ما الذي لا أنوي فعله بك.

قالت إدوينا:

- أظن أن هذا دوري.

وخطت للأمام نحو نقطة البداية. ضربت كرتها بوهن، ثم تأوّهت عندما لم تقطع الكرة سوى ثلث المسافة إلى البوابة الأولى.

قال أنطوني قبل أن يذهب ليقف بجوار كرته:

- استخدمي عضلات أكثر في المرة القادمة.

همست إدوينا من خلفه:

- صحيح. ما كنت لأكتشف ذلك بمفردي أبدًا.

صاح أنطوني:

- هاستنجز! إنه دورك.

بينما ضرب الدوق كرته باتجاه البوابة التالية، اتكأ أنطوني على الشجرة بذراعين معقودتين، وقد تدلّت مطرقته الوردية المضحكة من يده، ومضى ينتظر كيت.

صاح أخيرًا:

- أوه، أيتها الآنسة شيفيلد. تنصّ قواعد اللعبة على أن يتبع المرء كرته!

راقبها وهي تمشي بثقل حتى وقفت إلى جواره.

- هأنذا. والآن ماذا؟

ابتسم ببطءٍ وشر قائلًا:

- جديرٌ بك حقًا أن تعامليني بمزيد من الاحترام.

أجابت:

- بعد أن تلكأت مع إدوينا؟ حريٌ بي أن أشنقك وأقطّع أوصالك.

قال متأمّلًا:

- يا لكِ من شيطانة متعطّشة للدماء. ستبلين حسنًا في البولمول... ليس اليوم ولكن في نهاية المطاف.

راقبها باستمتاع مطبق بينما احمرّ وجهها ثم امتقع. سألته:

- ماذا تقصد؟

صاح كولين:

- حبًا بالله يا أنطوني. العب دورك اللعين.

نظر أنطوني لأسفل إلى حيث استقرت الكرتان الخشبيتان تُقبّل إحداهما الأخرى على العُشب، كرتها السوداء، وكرته الوردية البغيضة. تمتم:

- صحيح. لا أريد أن يبقى كولين العزيز الغالي منتظرًا طويلًا.

ثم وضع قدمه فوق كرته، وأرجع مطرقته للوراء.

صرخت كيت:

- ماذا تفعل؟

وضربها للأمام. ظلّت كرته ثابتة في مكانها تحت حذائه. بينما حلّقت كرتها إلى أسفل التل لما بدا كأميال.

هدرت:

- أيها الشيطان!

قال مازحًا:

- كل شيء مباح في الحب والحرب.

- سأقتلك.

قال بتهكّم:

- لكِ أن تحاولي. ولكن عليك مجاراتي أولًا.

نظرت كيت إلى مطرقة الموت، ثم نقلت بصرها إلى قدمه.

حذّرها قائلًا:

- إياكِ حتى والتفكير في ذلك.

زمجرت قائلة:

- إنها فكرة مغرية جدًا.

مال نحوها متوعّدًا.

- لدينا شهود.

- وهذا هو الشيء الوحيد الذي ينجيك مني الآن.

ابتسم.

- ظني أن كرتك عند سفح التل أيتها الآنسة شيفيلد. أنا واثق أننا سنراكِ بعد نصف ساعة أو نحوها، ريثما تلحقين بنا.

وفي هذه اللحظة بالذات مرّت بهما دافني، حيث مضت لتلحق بكرتها التي استقرّت بعد أقدامهما دون أن يلحظا. قالت -بلا داعٍ من وجهة نظر كيت-: لهذا السبب قلتُ: «أوه، يا إلهي».

هسهست كيت في وجه أنطوني:

- ستدفع ثمن هذا.

وقالت ابتسامته الساخرة أكثر مما يمكن للكلمات أن تقوله يومًا.

وبعدها سارت كيت إلى أسفل التل، ثم أطلقت سبابًا مدويًا ولا يليق بفتاة إطلاقًا عندما أدركت أن كرتها علِقت تحت سياج.

بعد مضي نصف الساعة كانت كيت لا تزال متأخرة ببوابتين عن اللاعب قبل الأخير. وكان أنطوني على وشك الفوز، وهو ما أزعجها بشدة. الحسنة

الوحيدة أنها تخلّفت عن الحشد كثيرًا فلم يعد بإمكانها أن ترى الشماتة في وجهه.

ثم وبينما كانت تدير إبهاميها حول بعضهما منتظرة دورها -لم يكن يسعها فعل الكثير خلال هذا الوقت، إذ إن أحدًا من اللاعبين الآخرين لم يعد قريبًا منها-، سمعت أنطوني يطلق صيحة متضررة.

جذب ذلك انتباهها على الفور.

ترقّبت بابتهاج سقوطه المحتمل، وأخذت تتطلّع حولها بلهفة حتى رأت الكرة الوردية تندفع بسرعة كبيرة على العشب، مباشرةً باتجاهها.

أطلقت كيت صرخة حادة وقفزت إلى الجانب سريعًا قبل أن تفقد إصبع قدمها.

نظرت لأعلى مجددًا، فرأت كولين يقفز في الهواء، ومطرقته تتأرجح بجموح فوقه بينما يصيح بجذل:

- ووهووو

بدا أنطوني على استعداد لانتزاع أحشاء أخيه في مكانه.

أما كيت فكانت على استعداد للقيام برقصة نصر صغيرة هي الأخرى -فما دامت لن تفوز، فثاني أفضل شيء هو معرفة أن أنطوني لن يفعل- باستثناء أنه على الأرجح سيعلق معها الآن لعدة أدوار أخرى. وبالرغم من أن عزلتها لم تكن مسلية كثيرًا، فقد كانت أفضل من اضطرارها إلى الحديث معه.

ومع ذلك، كان صعبًا عليها ألا تبدو متعجرفة قليلًا عندما سار بتثاقل نحوها، بحاجبين مقطّبين وكأن غيمة رعدية قد استقرّت توًا في رأسه.

تمتمت كيت:

- حظٌ سيئ، أيها اللورد.

رمقها بغضب.

تنهّدت؛ لتُعطي مسرحيتها المصداقية بالطبع.

- أنا واثقة أنك ما زلت تستطيع احتلال المركز الثاني أو الثالث.

مال للأمام بتوعّد وأصدر صوتًا بدا أشبه بالزئير.

أتت صيحة كولين نافدة الصبر من أعلى التل قائلًا:

- آنسة شيفيلد! إنه دورك!

قالت كيت:

- وهو كذلك!

وبدأت تدرس رمياتها الممكنة. يمكنها إما أن تستهدف البوابة التالية أو أن تحاول تدمير أنطوني أكثر بعد. لسوء الحظ، لم تكن كرته تلمس كرتها، لذا لم تستطع تنفيذ مناورة -القدم فوق الكرة- التي استخدمها في وقتٍ سابق من المباراة. لعله خير. فمع حظها العاثر، سينتهي بها الأمر إلى أن تخطئ الكرة تمامًا وتهشم قدمها بدلًا من ذلك.

همست:

- يا له من قرار صعب!

عقد أنطوني ذراعيه.

- السبيل الوحيد أمامك لتدمير فرصتي هو أن تضحي بفرصتك كذلك.

أقرّت قائلة:

- صحيح.

إن أرادت أن تُرسل كرته إلى غياهب النسيان، فعليها أن تطيح بكرتها أيضًا، لأنها مضطرة إلى ضرب كرتها بكل ما أوتيت من قوة كي تجعل كرته تتحرّك. وبما أنها لا تستطيع تثبيت كرتها، فالرب وحده يعلم أين سيؤول بها المطاف.

نظرت لأعلى إليه بابتسامة بريئة وقالت:

- ولكن ليست لديّ فرصة حقيقية في الفوز على أي حال.

حاول قائلًا:

- يمكنك احتلال المركز الثاني أو الثالث.

هزت رأسها نفيًا.

- هذا مستبعد، ألا ترى ذلك؟ إنني متخلّفة عن الجمع كثيرًا بالفعل وقد اقتربنا من نهاية المباراة.

حذّرها قائلًا:

- لستِ تريدين فعل ذلك، أيتها الآنسة شيفيلد.

قالت بانفعال شديد:

- أوه، بل أريد. حقًا حقًا أريد.

ثم بابتسامة هي الأشد شرًا بين جميع الابتسامات التي افترّ ثغرها عنها يومًا، أرجعت مطرقتها للوراء وضربت كرتها بكل ذرة من كل عاطفة تجيش بداخلها. اصطدمت بكرته بقوة مذهلة لتندفع الأخيرة بسرعة إلى أسفل التل وتبتعد.

أبعد...

أبعد...

ثم تسقط مباشرة في البحيرة.

ظلّت كيت برهة تحدّق مشدوهة بابتهاج عارم بينما غرقت الكرة الوردية في البحيرة. ثم ثار بداخلها شيء ما، عاطفة بدائية وغريبة، وقبل أن تدرك ما تفعله، كانت تقفز وتصيح كالمخبولة قائلة:

- نعم! نعم! لقد فزت!

انفجر أنطوني:

- لم تفوزي.

قالت باستمتاع:

- أوه، يبدو لي كأني قد فزت.

أسرع كولين ودافني يهبطان التل وينزلقان حتى وقفا أمامهما. صاح كولين:

- أحسنتِ صنعًا أيتها الآنسة شيفيلد! كنت أعلم أنك تستحقين مطرقة الموت.

صدّقت دافني على كلامه قائلة:

- مذهلة. حقًا مذهلة.

وبالطبع لم يكن لدى أنطوني خيار سوى أن يعقد ذراعيه ويعبس بغضب محتدم.

ربت كولين على ظهرها بود قائلًا:

- أواثقة أنتِ أنك لست أحد أفراد آل بريدجرتون المتنكرين؟ لقد واكبتِ روح اللعبة بصدق.

قالت كيت بلباقة:

- لولاك ما كنت لأستطيع فعلها. لو لم تضرب كرته أسفل التل...

قال كولين:

- أمَلتُ من كل قلبي أن تتولي أنتِ مهمة تحطيمه.

اقترب الدوق أخيرًا، وإدوينا إلى جانبه. وقال معلقًا:

- خاتمة مذهلة للمباراة.

قالت دافني:

- لم تنته بعد.

رمقها زوجها بنظرة مستمتعة قليلًا وقال:

- إن مواصلة اللعب الآن تبدو مخيبة للآمال، ألا تعتقدين ذلك؟

ولدهشتهم جميعًا وافقه كولين قائلًا:

- لست أتخيّل حدوث شيء يمكن أن يضاهي ما حدث بالفعل.

ابتسمت كيت.

ألقى الدوق نظرة إلى السماء قائلًا:

- ثم إن السحب قد بدأت تتراكم. وأريد أن أصحب دافني للداخل قبل أن يهطل المطر. الحمل وكل تلك الأمور التي تعرفونها.

نظرت كيت في دهشة إلى دافني، التي بدأت تتورد خجلًا. لم يبد عليها الحمل للحظة.

قال كولين:

- حسن جدًا، أرى أن ننهي المباراة ونعلن فوز الآنسة شيفيلد.

اعترضت كيت:

- لقد كنت متخلّفة عن بقيتكم ببوابتين.

قال كولين:

- ومع ذلك، فإن أي هاوٍ حقيقي لمباريات البولمول كما يلعبها آل بريدجرتون يفهم أن إرسال كرة أنطوني إلى البحيرة أهم بكثير من إرسال كرة المرء عبر البوابة. مما يجعلك الفائزة أيتها الآنسة شيفيلد.

نقل بصره بين الجميع فيما عدا أنطوني، ثم نظر إليه مباشرة قائلًا:

- هل لدى أحد أي اعتراض؟

لم يعترض أحد، ولو أن أنطوني بدا موشكًا على استخدام العنف.

قال كولين:

- ممتاز، في هذه الحالة تكون الآنسة شيفيلد هي الفائزة في مباراتنا، وأنت الخاسر يا أنطوني.

صدر صوت غريب مكتوم من فم كيت، مزيج من الضحك والاختناق.

قال كولين مبتسمًا:

- حسنٌ، على أحدهم أن يخسر. إنها التقاليد.

وافقت دافني:

- صحيح، نحن قومٌ متعطشون للدماء، لكننا نحب اتباع التقاليد.

قال الدوق بدماثة:

- جميعكم تعانون خللًا في رؤوسكم، هذا ما أنتم عليه. والآن، لا بد أن نودّعكم أنا ودافني. أريد اصطحابها إلى الداخل قبل أن تمطر. أنا واثق أن لا أحد يمانع إن غادرنا دون أن نساعد في إزالة المسار؟

لم يمانع أحد بالطبع، وسرعان ما كان الدوق والدوقة في طريقهما إلى أوبري هول.

فجأة تنحنحت إدوينا، التي ظلت صامتة طوال تلك المبارزة الكلامية -وإن أخذت تنظر إلى أفراد بريدجيرتون وكأنهم قد هربوا توًا من مصحة عقلية- وسألت وهي تحدق إلى أسفل التل تجاه البحيرة:

- برأيكم هل نحاول استعادة الكرة؟

حدّق الآخرون إلى المياه الراكدة وكأن تلك الفكرة الغريبة لم تخطر ببال أحدهم قط.

تابعت:

- لم تسقط في منتصف البحيرة. لقد تدحرجت فقط. غالب الظن أنها بجوار الحافة مباشرة.

حك كولين رأسه. واستمر أنطوني في العبوس.

واصلت إدوينا:

- مؤكد أنكم لا تريدون فقدان كرة أخرى.

عندما لم تجد إجابة من أحد، ألقت مطرقتها على الأرض ورفعت ذراعيها قائلة:

- حسن! سأحضر أنا الكرة البالية السخيفة.

أفاق هذا الرجلين من ذهولهما، واندفعا لمساعدتها.

قال كولين ببسالة وهو يهبط التل:

- لا تكوني سخيفة أيتها الآنسة شيفيلد، سأحضرها أنا.

غمغم أنطوني:

- بحق الرب، أنا من سيحضر تلك الكرة اللعينة.

واندفع هابطًا التل، ثم لم يلبث أن تجاوز أخاه. بالرغم من سخطه المطبق، لم يستطع أن يلوم كيت على تصرفاتها. كان ليفعل الشيء نفسه. الفارق الوحيد أنه كان ليضرب الكرة بقوة كافية لإغراقها في وسط البحيرة وليس في الحافة.

لكنها لم تزل إهانة لعينة أن تتفوق عليه أنثى، ولا سيما تلك الأنثى.

بلغ حافة البحيرة وحدق إليها. كانت الكرة الوردية زاهية لدرجة جدير بها أن تُظهرها من خلال الماء، شريطة أن تكون قد استقرت في بقعة ضحلة بما فيه الكفاية.

سأله كولين وهو يقف إلى جواره:

- هل تراها؟

هز أنطوني رأسه:

- إنه لون غبي على أي حال. لا أحد يريد الكرة الوردية أبدًا.

أومأ كولين موافقًا.

تابع أنطوني وهو يتحرك بضع خطوات إلى اليمين حتى يتمكن من فحص بقعة أخرى من الشاطئ:

- حتى البنفسجية أفضل منها.

نظر لأعلى فجأة محدقًا إلى أخيه بغضب.

- ماذا حدث للمطرقة البنفسجية بحق الجحيم بالمناسبة؟

هز كولين كتفيه.

- ليست لديّ أدنى فكرة.

غمغم أنطوني:

- ولكنّي واثق من أنها ستظهر مجددًا مساء غدٍ بمعجزة ضمن أدوات البولمول.

قال كولين بمرح متجاوزًا أنطوني قليلًا، وعيناه على الماء طوال الطريق:

- ربما تكون محقًا. ربما حتى بعد ظهر اليوم إن حالفنا الحظ.

قال أنطوني بجدّية:

- في يومٍ من تلك الأيام، سأضطر إلى قتلك.

- لا يراودني شك في هذا.

فحص كولين الماء، ثم فجأة أشار بسبابته قائلًا:

- عجبًا! ها هي ذي.

وكما هو متوقّع، وجدا الكرة الوردية مستقرة في الماء الضحل، على بعد ما يقارب قدمين من حافة البحيرة. وبدا أنها على عمق قدم أو نحوه. لعن أنطوني في سره. كان عليه أن يخلع حذاءه ويخوض في الماء. يبدو أن كيت شيفيلد لا تنفك تجبره على خلع حذائه والخوض في المياه.

لا، فكّر متعبًا أنه لم يتسنَّ له خلع حذائه حتى عندما اندفع إلى بحيرة السيربنتين لإنقاذ إدوينا. وتلف الحذاء الجلدي تمامًا. كاد خادمه يفقد الوعي من هول المنظر.

جلس على الصخرة متأففًا وبدأ يخلع حذاءه. فكّر أن إنقاذ إدوينا يستحقّ التضحية بحذاء فاخر. أما إنقاذ كرة بولمول وردية غبية؛ إنها لا تستحق حتى تبليل قدميه بصراحة.

قال كولين:

- تبدو مسيطرًا على الوضع، لذا سأذهب أنا لمساعدة الآنسة شيفيلد في اقتلاع البوابات.

اكتفى أنطوني بهز رأسه باستسلام وبدأ يخوض في المياه.

جاء صوت أنثوي يقول:

- أهي باردة؟

يا إلهي الرحيم، كانت هي. استدار فرأى كيت شيفيلد واقفة على الشاطئ.

قال بنزق:

- ظننتك تقتلعين البوابات.

- إدوينا هي من تفعل.

غمغم بصوت خافت:

- الكثير من الآنسات شيفيلد اللعينات.

يجب أن يُسنَّ قانونٌ يمنع الأخوات من الظهور في نفس الموسم.

سألته وهي تميل رأسها:

- ماذا قلت؟

كذب قائلًا:

- قلت إنها متجمّدة.

- أوه، آسفة.

استرعى ذلك انتباهه. ثم قال أخيرًا:

- لا، أنتِ لستِ آسفة.

اعترفت:

- حسن، لا. ليس لخسارتك على أي حال. لكني لم أرغب في أن تتجمد أصابع قدميك.

فجأة تملّكت أنطوني رغبة جنونية في رؤية أصابع قدميها. كانت فكرة مروعة. لا يُفترض أن تجتاحه هذه المشاعر تجاه تلك المرأة. إنها لا تروق له حتى.

تنهد. هذا ليس صحيحًا. فكّر أنها تروق له فعلًا بطريقة غريبة ومتناقضة. وفكّر أنها على الأغلب تحس شعورًا مشابهًا نحوه، بغض النظر عن غرابة ذلك.

نادت قائلة:

- كنت لتفعل نفس الشيء لو كنت مكاني.

لم يجبها، وتابع خوضه في المياه ببطء.

أصرت:

- كنت لتفعل!

انحنى للأمام والتقط الكرة، فابتل كمه خلال هذه العملية. اللعنة. أجابها:

- أعرف.

قالت والدهشة بادية عليها: «أوه» كما لو أنها لم تتوقع منه أن يعترف.

خاض في الماء عائدًا، ممتنًا لأن الأرض المجاورة للشاطئ كانت صلبة ومتماسكة، فلم تلتصق الأوساخ بقدميه.

قالت ممسكة ما بدا دثارًا:

- هاك. كانت في السقيفة. مررتُ بها في طريقي إلى هنا. ظننت أنك قد تحتاج لشيء ما تجفف به قدميك.

فتح أنطوني فمه لكن لدهشته لم يخرج صوتًا. ثم تمكن أخيرًا من قول: «شكرًا». وأخذ الدثار من يدها.

قالت مبتسمة:

- إنني لست شخصًا فظيعًا، كما تعلم.

- ولا أنا.

اعترفت:

- ربما، ولكن لم ينبغِ لك التلكؤ كثيرًا مع إدوينا. أعرف أنك فعلت ذلك لإغاظتي لا أكثر.

رفع أحد حاجبيه وهو يجلس على الصخرة حتى يتمكن من تجفيف قدميه، وأسقط الكرة بجانبه على الأرض.

- ألم تفكري في احتمال أن يكون تأخري له علاقة برغبتي في قضاء بعض الوقت مع المرأة التي أفكر في اتخاذها زوجة؟

تضرج وجهها قليلًا، لكنها تمتمت:

- قد تكون العبارة التي أقولها الآن هي أكثر عبارة نرجسية تفوّهت بها في حياتي، لكن لا، أظنّك لم ترغب سوى في إغاظتي.

كانت محقة بالطبع، لكنه لم يكن ليخبرها بذلك. قال:

- ما حدث هو أن إدوينا تأخرت. لا أعرف السبب. وقد رأيت أن من الفظاظة أن أذهب إليها في غرفتها وأطالبها أن تُسرع، لذا انتظرت في مكتبي حتى أصبحت جاهزة.

سادت لحظة طويلة من الصمت، ثم قالت:

- شكرًا لإخباري بذلك.

ابتسم بسخرية.

- لست شخصًا فظيعًا، كما تعلمين.

تنهدت.

- أعرف.

شيء ما في تعبيرها المستسلم جعله يبتسم. مازحها قائلًا:

- ولكن ربما أحمل قدرًا ضئيلًا من الفظاعة؟

أشرق وجهها، وقد جعلتها عودتهما للمزاح أكثر راحة تجاه المحادثة بوضوح.

- أوه، هذا مؤكّد.

- جيد. فأنا أكره أن أكون مملًا.

ابتسمت كيت وهي تراقبه يرتدي جواربه وحذاءه. مدت يدها لأسفل والتقطت الكرة الوردية وقالت:

- جديرٌ بي أن أحمل هذه إلى السقيفة.

- في حالة تملكتني رغبة لا يمكن السيطرة عليها في إلقائها في البحيرة مرة أخرى؟

أومأت برأسها قائلة:

- شيء من هذا القبيل.

نهض قائلًا:

- حسن. سآخذ أنا الدثار إذًا.

- صفقة عادلة.

استدارت لتصعد التل، ثم رصدت كولين وإدوينا يختفيان على مسافة بعيدة.

- أوه!

استدار أنطوني بسرعة قائلًا:

- ما الخطب؟ آه، فهمت. يبدو أن أختك وأخي قررا العودة من دوننا.

عبست كيت باتجاه الأخ والأخت الضالين، ثم هزت كتفيها في استسلام وبدأت تصعد التل.

- أظنني أستطيع احتمال رفقتك لبضع دقائق أخرى إذا كنت تستطيع احتمال رفقتي.

لم يقل شيئًا، وهو ما فاجأها. لقد قالت نوع العبارة بالذات الذي لطالما برع في أن يرد عليه ردًّا ذكيًّا، أو ربما حتى جارحًا. رفعت نظرها لتنظر إليه، ثم تراجعت قليلًا في دهشة. كان يحدق إليها بأغرب طريقة ممكنة...

سألته بتردد:

- هل... هل كل شيء على ما يرام أيها اللورد؟

أومأ برأسه قائلًا: «نعم» لكنه بدا مشتتًا نوعًا ما.

ساد الصمت بقية الرحلة إلى السقيفة. وضعت كيت الكرة الوردية في مكانها داخل عربة البولمول، وقد لاحظت أن كولين وإدوينا أزالا المسار ووضعا كل شيء في مكانه بعناية، بما في ذلك المطرقة والكرة الأرجوانية الضالتين. اختلست النظر إلى أنطوني مما دفعها إلى الابتسام. كان واضحًا من تجهّمه الحانق أنه لاحظهما هو الآخر.

قالت وهي تخفي ابتسامتها، مبتعدة عن طريقه:

- الدثار مكانه هنا أيها اللورد.

هز أنطوني كتفيه قائلًا:

- سآخذه إلى المنزل. فإنه بحاجة للتنظيف على الأرجح.

أومأت برأسها موافقة، وأغلقا الباب وانصرفا.



الفصل الحادي عشر

4 مايو 1814 **جريدة المجتمع**

لا شيء مثل المنافسة يمكنه أن يخرج
أسوأ ما في الرجل، أو أفضل ما في المرأة.

ليدي ويسلداون

أخذ أنطوني يصفّر وهما يتهاديان في طريقهما إلى المنزل، مسترقًا النظرات إلى كيت عندما لا تنظر إليه. كانت امرأة جذابة حقًا بطريقتها الخاصّة. لم يدرِ لماذا تدهشه هذه الحقيقة دائمًا، لكنها تفعل. لم ترقَ ذكراها في عقله إلى الواقع الساحر لوجهها. كانت تعبيرات وجهها دائمة التغير، لا تكفّ عن الابتسام والعبوس وزم شفتيها. لم يبدُ أنها قد تتقن قط التعبير الساكن الهادئ الذي يُفترض أن تطمح إليه السيدات الشابات.

لقد وقع في نفس الفخ الذي وقع فيه بقية المجتمع؛ النظر إليها فقط مقارنةً بأختها الصغرى. كانت إدوينا فاتنة للغاية، جميلة إلى حدٍ مذهل ومدهش لدرجة أن أي أحد يقف بجانبها لا يملك سوى التلاشي في الخلفية. اعترف أنطوني أن من الصعب النظر إلى فتاة أخرى عندما تكون إدوينا في المكان.

ومع ذلك...

قطّب حاجبيه. ومع ذلك، لم يكد يكلف نفسه ولو نظرة لإدوينا طوال مباراة البولمول. ربما يمكن تسويغ ذلك بحجة أنها كانت مباراة بولمول بين الإخوة بريدجرتون، المباراة التي تخرج أسوأ ما في أي امرئ يحمل لقب

العائلة؛ بحق السماء، إنه على الأغلب لم يكن ليكلّف نفسه نظرة إلى الأمير ريجنت نفسه لو كان تفضّل بالانضمام إلى المباراة.

لكن هذا التسويغ لم يكن مُقنعًا، ذلك أن ذهنه كان ممتلئًا بصور أخرى. كيت تنحني فوق مطرقتها، وجهها يتوتر مع التركيز. كيت تقهقه عندما يخطئ أحدهم التصويب. كيت تهتف لإدوينا عندما تتدحرج كرتها عبر البوابة –وهي سمة تناقض سمات آل بريدجرتون في اللعب تمامًا–. هذا بالطبع إلى جانب ابتسامة كيت الشريرة في تلك اللحظة الأخيرة قبل أن ترسل كرته إلى البحيرة.

من الواضح أنه حتى ولو لم يكن قادرًا على تكليف نفسه نظرة إلى إدوينا، فقد كلف نفسه الكثير من النظرات إلى كيت.

هذا مدعاة للقلق بكل تأكيد.

نظر إليها مرة أخرى. هذه المرة كان وجهها يميل قليلًا نحو السماء، وكانت عابسة.

سألها بلباقة:

- هل من خطب؟

هزت رأسها قائلة:

- أتساءل فقط عما إذا كانت ستمطر.

نظر لأعلى وقال:

- ليس في أي وقت قريب، على ما أظن.

أومأت برأسها ببطء موافقة.

- أكره المطر.

جعله شيء ما في التعبير الذي أغرق وجهها يضحك؛ تعبير ذكّره بإحباط طفل في الثالثة. قال:

- إذن فأنتِ تعيشين في البلد الخاطئ أيتها الآنسة شيفيلد.

التفتت إليه بابتسامة مرتبكة وقالت:

- لست أمانع المطر الخفيف. المشكلة حينما يغدو عنيفًا.

تمتم:

- لطالما أحببتُ العواصف الرعدية عن نفسي.

رمقته بنظرة مفزوعة لكنها لم تقل شيئًا، ثم عادت بنظرها إلى الحصى عند قدميها. كانت تركل واحدة على طول الطريق بينما يمشيان، ومن حين لآخر تغير خطوتها أو تخطو جانبًا لتتمكن فقط من منحها ركلة وإبقائها تتدحرج أمامها. شيء ما فتنه في هذا الأمر، شيء جميل إلى حدٍ بعيد في الطريقة التي يظهر بها حذاؤها من تحت أهداب الفستان لتركل بقدمها الحصاة على فترات منتظمة ومتصلة.

راقبها أنطوني بفضول، ونسي أن يسحب عينيه عن وجهها عندما عادت بنظرها إليه.

سألته:

- هل تظن... لماذا تنظر لي بهذه الطريقة؟

أجابها، متعمدًا تجاهل الجزء الثاني من السؤال:

- هل أظن ماذا؟

استقرت شفتاها في خط نزق. شعر أنطوني بشفتيه تختلجان، راغبًا في الابتسام باستمتاع.

سألته بارتياب:

- هل تضحك مني؟

هز رأسه نافيًا.

توقَّفت فجأة عن السير.

- أظنك تفعل.

قال بصوتٍ بدا حتى لأذنيه أنه على وشك الضحك:

- أؤكد لك أنني لا أضحك منك.

- أنت تكذب.

- لست...

قطع عبارته. حيث أدرك أنه لو أكملها لانفجر في الضحك. والغريب أنه لم يملك أدنى فكرة عن السبب.

تمتمت:

- أوه، بحق الله. ما الخطب؟

اعتصر أنطوني جذع شجرة الدردار القريبة، وجسده بالكامل يهتز محاولًا احتواء طربه.

وضعت كيت يديها في خاصرتها، وقد لاح في عينيها تعبير مزج بين الفضول والغضب. قالت:

- ما المضحك للغاية؟

استسلم أخيرًا للضحك وتمكن بالكاد من هز كتفيه وهو يقول من بين ضحكاته:

- لست أدري. التعبير على وجهك... إنه...

لاحظ أنها ابتسمت. وأحب أنها فعلت.

قالت:

- التعبير على وجهك أيضًا ليس غير ممتع بالكامل أيها اللورد.

- أوه، أنا واثق من هذا.

التقط بعض الأنفاس العميقة، ثم عندما شعر بأنه استعاد السيطرة على نفسه، استقام واقفًا مرة أخرى. اختلس نظرة لوجهها، ما زالت مرتابة على نحو غامض، وفجأة أدرك أن عليه أن يعرف ما ظنها به.

لا يمكن لهذا أن ينتظر ليوم غدٍ. لا يمكن أن ينتظر حتى المساء.

لم يكن متأكدًا من السبب، لكن رأيها الجيّد عنه كان يعني له الكثير. بالطبع كان بحاجة لموافقتها على طلبه المهمل بخصوص خِطبة إدوينا، لكن الأمر ينطوي على شيءٍ أكبر. لقد أهانته، كادت تغرقه في بحيرة السيربنتين، أذلته في مباراة البولمول، ومع ذلك كان يتوق إلى رأيها الجيد.

لم يستطع أنطوني تذكّر المرة الأخيرة التي اهتم فيها بتقدير أحدهم له. الحق أن ذلك أشعره بشيءٍ من الخزي.

قال وهو يدفع الشجرة ويقف مستقيمًا:

- أعتقد أنك تدينين لي بهدية.

أخذ عقله يطن. يجب أن يكون ذكيًا في هذه المسألة. عليه أن يعرف ما تظن به. ومع ذلك، لم يكن يريد أن تعرف كم يعني له ذلك. ليس قبل أن يفهم لمَ يعني له الكثير.

- أستميحك عذرًا؟

- هدية. مقابل ما حدث في مباراة البولمول.

قالت متذمرة وهي تتكئ على الشجرة وتعقد ذراعيها:

- إن كان أحدنا يدين للآخر بهدية، فهو أنتَ. إنني الفائزة، بعد كل شيء.

- آه، لكني أنا من تعرض للإذلال.

وافقت قائلة:

- صحيح.

قال بجفاء شديد:

- لن تكوني أنتِ لو قاومتِ رغبتكِ في الموافقة.

منحته كيت نظرة رزينة وقالت:

- على الليدي أن تكون صادقة في كل شيء.

عندما رفعت عينيها إلى وجهه، كانت إحدى زاويتي فمه مرتفعة في ابتسامة عارفة نوعًا. غمغم:

- كنت أرجو أن تقولي ذلك.

شعرت كيت بعدم الارتياح على الفور، وقالت:

- ولم ذلك؟

- لأن هديتي أيتها الآنسة شيفيلد هي أن أطرح عليك سؤالًا –أي سؤال أختاره– وعليكِ الإجابة بصدقٍ مطلق.

وضع يده على جذع الشجرة، قريبة إلى حد ما من وجهها، وانحنى للأمام. وشعرت كيت فجأة بأنها محاصرة، على الرغم من سهولة أن تندفع بعيدًا.

بلمسة من الفزع –وقشعريرة من الإثارة– أدركت أنها كذلك بسبب وقوعها في شرك عينيه الداكنتين، اللتين كانتا تخترقان عينيها بحرارة.

غمغم:

- هل تعتقدين أن بإمكانك فعل ذلك أيتها الآنسة شيفيلد؟

سألته غير مدركة أنها تهمس حتى سمعت صوتها لاهثًا مثل الريح:

- ما... ما سؤالك؟

أمال رأسه قليلًا إلى الجانب وقال:

- على رسلك. تذكري أن عليك الإجابة بصدق.

أومأت برأسها. أو على الأقل ظنت أنها أومأت. قصدت أن تومئ. الحق أنها لم تكن مقتنعة تمامًا بقدرتها على الحركة.

انحنى للأمام، ليس لدرجة تشعر معها بأنفاسه، لكن قريبًا بما يكفي لجعلها ترتجف. قال:

- إليك سؤالي يا آنسة شيفيلد.

تباعدت شفتاها.

اقترب أكثر وهو يقول:

- هل ما زلت...

بوصة أخرى.

- تكرهينني؟

ابتلعت كيت ريقها بصعوبة. مهما كان توقعها لسؤاله، فلم يخطر ببالها أن يكون هكذا. لعقت شفتيها استعدادًا للحديث، بالرغم من أنها لم تكن تعرف ما ستقوله، ولكن لم يصدر عنها أي صوت.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ذكورية بطيئة وقال:

- سأعتبر هذا إجابة بالنفي.

وبعدها، بحركة مفاجئة جعلت رأسها يدور، دفع الشجرة وقال بحيوية:

- حسن، أعتقد إذن أن الوقت قد حان لندخل ونستعد للمساء، أليس كذلك؟

تراخت كيت على الشجرة، مجردة تمامًا من الطاقة.

- هل ترغبين في البقاء في الخارج قليلًا؟

وضع يديه في خاصرته ونظر إلى السماء، كان أسلوبه عمليًا وفعالًا، تغير مائة وثمانين درجة عن المغوي البطيء الكسول الذي كان عليه منذ عشر ثوانٍ فقط. تابع قائلًا:

- ربما حريٌ بك أن تفعلي. لا يبدو أنها ستمطر بعد كل شيء. على الأقل ليس في الساعات القليلة القادمة.

حدقت إليه. إما أنه قد فقد عقله أو أنها نسيت كيف تتكلم. أو ربما الاثنين معًا.

- حسنٌ. لطالما احترمت المرأة التي تقدّر الهواء النقي. هل سأراكِ على العشاء إذن؟

أومأت برأسها. حتى إنها فوجئت بقدرتها على ذلك.

- ممتاز.

مد يده وأمسك بيدها، ووضع قبلة حارقة على معصمها من الداخل، على الشريط الوحيد الظاهر من لحمها الذي يطل من بين قفازها وحافة كمها.

- حتى المساء يا آنسة شيفيلد.

ثم انصرف، تاركًا لديها أغرب شعور بأن شيئًا مهمًا قد حدث للتو.

لكن بعمرها ما كانت لتستوعب ما هو.

في السابعة والنصف من تلك الليلة، فكرت كيت بجدية في التظاهر بالإصابة بمرض خطير. في الثامنة إلا الربع، طوّرت هدفها إلى سكتة دماغية. لكن قبل الثامنة بخمس دقائق، عندما دق جرس العشاء، معلنًا للضيوف أن الوقت قد حان للتجمع في غرفة الاستقبال، فردت كتفيها وخرجت من غرفتها إلى الرّدهة لمقابلة ماري.

رفضت أن تكون جبانة.

لم تكن جبانة.

ويمكنها أن تنجو حتى نهاية الأمسية. ثم إنها كما أخبرت نفسها لن تكون جالسة في أي مكان قرب لورد بريدجرتون على الأرجح. إنه الفيكونت ورجل المنزل، ومن ثم سيكون على رأس الطاولة. وبصفتها ابنة الابن الثاني لبارون، فإنها تتمتع بمكانة قليلة مقارنة بالضيوف الآخرين، ومن المؤكد أنها ستجلس بعيدًا إلى الطاولة حتى إنها لن تكون قادرة على رؤيته دون أن تصاب بتشنج في عنقها.

كانت إدوينا التي تشارك كيت غرفتها، قد ذهبت بالفعل إلى غرفة ماري لمساعدتها في اختيار قلادة، وهكذا وجدت كيت نفسها وحيدة في الرّدهة. فكّرت أن بإمكانها أن تدخل غرفة ماري وتنتظرهما هناك، لكنها لم تشعر برغبة كبيرة في الحديث، وقد لاحظت إدوينا بالفعل مزاجها الغريب الشارد.

آخر ما تحتاج إليه كيت هو جولة أخرى من «مشكلات كيت المحتملة» من ماري.

والحقيقة هي أن كيت لم تكن حتى تعرف ما المشكلة. كل ما تعرفه هو أن شيئًا ما تغير بينها وبين الفيكونت عصر هذا اليوم. شيء ما صار مختلفًا، وقد اعترفت بصدق -لنفسها على الأقل- بأن ذلك أخافها.

وهذا طبيعي، أليس كذلك؟ يخشى الناس دائمًا ما لا يفهمونه.

وكيت لم تكن قطعًا تفهم الفيكونت.

ولكن بمجرد أن بدأت تستمتع حقًا بعزلتها، انفتح الباب المقابل في الرّدهة وخرجت فتاة أخرى. تعرفت كيت عليها على الفور، إنها بينولبي فيذرنجتون، أصغر الشقيقات فيذرنجتون الثلاث الشهيرات، حسن، الثلاث اللائي قمن بظهورهن في المجتمع. فقد سمعت كيت أنه ما زالت لديهنّ أخت رابعة في المدرسة.

لسوء حظ الأخوات فيذرنجتون، فقد اشتهرن بقلة نجاحهن في سوق الزواج. برودنيس وفيليبا تنتظران منذ ثلاث سنوات، دون أن يتقدم خاطب واحد لأي منهما. وبينولبي كانت في منتصف موسمها الثاني، ودائمًا ما يجدها المرء في المناسبات الاجتماعية تحاول تجنّب والدتها وأخواتها، اللائي يُنظر إليهن بشكل عام على أنهن مغفلات.

لطالما أحبت كيت بينولبي. وقد شكلت كلتاهما معًا رابطة منذ تعرضتا لانتقاد ليدي ويسلداون لارتدائهما أثوابًا ذات ألوان غير مناسبة.

لاحظت كيت بتنهيدة حزينة أن ثوب بينولبي الحالي المصنوع من الحرير الأصفر الليموني قد جعل المسكينة تبدو شاحبة بشكل ميؤوس منه. وما زاد الطين بِلة أن تصميم الثوب كان يتضمن كمًا هائلًا من الزخرفات والانتفاخات. لم تكن بينولبي فتاة طويلة، لذا فقد غمرها الفستان تمامًا.

كان الأمر باعثًا على الأسف. ذلك أنها كان يمكن أن تبدو جذابة لو أن أحدهم فقط قد تمكّن من إقناع والدتها بالابتعاد عن مصممة الأزياء، والسماح لبينولبي باختيار ملابسها بنفسها. كان وجهها مليحًا إلى حد بعيد، مع شحوب البشرة الخفيف المميز للصهباوات، عدا أن شعرها كان كستنائيًا أكثر منه أحمر، وإن كان للمرء أن يتحرّى الدقة، فقد كان بنيًا مائلًا للحُمرة أكثر منه كستنائي.

أيًا كان اسم لون شعرها، فكّرت كيت بانزعاج أنه لا يتوافق بالمرة مع الأصفر الليموني.

نادتها بينولبي بعد أن أغلقت الباب خلفها:

- كيت! يا لها من مفاجأة. لم أكن أعلم أنك ستحضرين.

أومأت كيت برأسها قائلة:

- ظنّي أننا قد تلقينا دعوة متأخرة في الغالب. لقد التقينا بالسيدة بريدجرتون الأسبوع الماضي فقط.

- حسن، أعلم أنني قلتُ توًا أنّي تفاجأت برؤيتك، لكنّي لست متفاجئة في الحقيقة. فقد أبدى لورد بريدجرتون الكثير من الاهتمام بأختك في الآونة الأخيرة.

طرفت كيت بعينيها وغمغمت:

- هه، نعم، لقد فعل.

استطردت بينولبي:

- هذا ما تقوله الشائعات على الأقل. ولكن لو فكّرنا مليًا، فإن المرء لا يمكنه أن يثق في الشائعات دائمًا.

قالت كيت:

- إنني نادرًا ما أجد ليدي ويسلداون مخطئة.

هزت بينولبي كتفيها ثم نظرت إلى فستانها باشمئزاز وقالت:

- الأكيد أنها لم تخطئ بشأني قط.

قالت كيت بسرعة:

- أوه، لا تكوني سخيفة.

لكن كلتيهما كانتا تعرفان أنها قالت هذا فقط على سبيل التأدب.

هزت بينولبي رأسها بسأم وقالت:

- أمي مقتنعة بأن الأصفر هو لون سار وبهيج، وأن الفتاة السارّة تجذب الخطّاب.

قالت كيت ضاحكة:

- آه، يا إلهي!

تابعت بينولبي بمرارة:

- ما لم تستوعبه هو أن درجة الأصفر السعيد هذه هي في الحقيقة لا تسرّ الناظرين بالمرة، وتنفّر الرجال بشكل لا يقبل الجدل.

تساءلت كيت:

- هل اقترحتِ عليها الأخضر؟ أعتقد أنك ستبدين فاتنة في الأخضر.

هزت بينولبي رأسها وقالت:

- إنها لا تحب الأخضر. تقول إنه كئيب.

سألت كيت غير مصدقة:

- الأخضر؟

- لم أحاول حتى أن أفهمها.

رفعت كيت -التي كانت ترتدي الأخضر- كمّها وقرّبته من وجه بينولبي، حاجبة قدر استطاعتها من الثوب الأصفر. قالت:

- يضيء وجهك بأكمله.

- لا تخبريني بذلك. لن يزيد هذا الأصفر الذي أرتديه إلا إيلامًا.

منحتها كيت ابتسامة متعاطفة وقالت:

- كنت لأقرضك واحدًا من عندي، لكني أخشى أنك ستضطرين إلى جرّه على الأرض.

أشاحت بينولبي بيدها قائلة:

- هذا لطف بالغ منك، لكني استسلمت لمصيري. على الأقل الوضع أفضل من العام الماضي.

رفعت كيت أحد حاجبيها.

جفلت بينولبي قائلة:

- أوه، صحيح. لم تكوني هنا العام الماضي. كنت أزن ثمانية وعشرين رطلًا أكثر مما أنا عليه الآن.

رددت كيت غير مصدقة:

- ثمانية وعشرين رطلًا؟

أومأت بينولبي برأسها وعبست قائلة:

- سمنة الأطفال. لقد توسلت لأمي ألا تجبرني على الخروج حتى أبلغ الثامنة عشرة، لكنها ظنت أن البداية المبكرة قد تكون أفضل لي.

لم يتطلب الأمر من كيت سوى نظرة واحدة إلى وجه بينولبي لتعرف أنها لم تكن أفضل. أحسّت بصِلة معينة تربطها بهذه الفتاة، على الرغم من أن بينولبي كانت أصغر بنحو ثلاث سنوات. فإن كلتيهما عرفت الشعور الفريد بألّا تكون الفتاة الأكثر شعبية في المكان، وعرفت التعبير المميز الذي ينبغي لها أن تضعه على وجهها عندما لا يطلبها أحد للرقص وتريد أن تبدو غير مبالية.

قالت بينولبي:

- اسمعي، لم لا ننزل معًا للعشاء؟ يبدو أن عائلتك وعائلتي تأخرتا.

لم تكن كيت في عجلة كبيرة للوصول إلى غرفة الاستقبال، ورفقة لورد بريدجرتون التي لا مفر منها، ولكن انتظار ماري وإدوينا سيؤخر التعذيب لبضع دقائق لا غير، لذلك قررت أن تذهب مع بينولبي.

أدخلت كل منهما رأسها في غرفة والدتها، وأخبرتاهما بالتغيير في الخطط، وشبكتا ذراعيهما متجهتين إلى نهاية الرّدهة.

عندما بلغتا غرفة الاستقبال، كان أغلب الرفاق قد وصلوا بالفعل، يتجولون ويتحدثون وهم ينتظرون نزول بقية الضيوف. لاحظت كيت، التي لم تحضر حفلًا في منزل ريفي من قبل، أن الجميع تقريبًا بدوا أكثر راحة ونشاطًا بقليل مما كانوا في لندن. لا بد أن ذلك بسبب الهواء النقي، هكذا فكرت مبتسمة. أو لعل البُعد عن العاصمة قد خفف من صرامة قواعدها. أيًا كان السبب، فقد فكّرت أنها تفضل هذه الأجواء عن أجواء حفلات العشاء في لندن.

استطاعت رؤية لورد بريدجرتون عبر الغرفة. أو بالأحرى فكّرت أنها استطاعت الشعور به. وبمجرد أن رصدته واقفًا بجانب المدفأة، ظلت تتجنبه بنظراتها بحرص.

لكنها استطاعت الشعور به على الرغم من ذلك. أدركت أن هذا جنون دون ريب، لكنها أقسمت إنها أحست به يميل رأسه، وسمعت صوته كلما تحدث، كلما ضحك.

وعلِمت يقينًا حينما كانت عيناه على ظهرها. فقد أحسّت كأن عنقها على وشك الاشتعال.

قالت بينولبي:

- لم أكن أعلم أن دعوة ليدي بريدجرتون قد شملت كل هؤلاء الناس.

مسحت كيت الغرفة بعينيها لترى من هناك، حريصة على إبقاء عينيها بعيدًا عن المدفأة.

قالت بينولبي بطريقة تجمع بين الهمس والأنين:

- أوه، لا، كريسيدا كوبر هنا.

تبعت كيت نظرة بينولبي بحذر. لو كان ثمة من تُنافس إدوينا على لقب ملكة جمال عام 1814، فإنها كريسيدا كوبر. طويلة، نحيفة، بشعرٍ أشقر عسلي وعينين خضراوين متألقتين، لم يبرح كرسيدا قط سِربها الصغير من المعجبين. لكن في حين كانت إدوينا لطيفة ونبيلة، كانت كريسيدا –في تقدير كيت– ساحرة شريرة نرجسية سيئة الطباع، تجد لذتها في تعذيب الآخرين.

همست بينولبي:

- إنها تكرهني.

أجابتها كيت:

- إنها تكره الجميع.

- لا، إنها تكرهني بحق.

التفتت كيت إلى صديقتها بعينين ملأهما الفضول.

- لم عساها تفعل؟ هل آذيتِها قط؟

- اصطدمتُ بها ذات مرة في العام الماضي وانسكب الشراب عليها وعلى دوق آشبورن.

- هذا كل شيء؟

أدارت بينولبي عينيها وقالت:

- كان هذا كافيًا لكريسيدا. إنها مقتنعة تمامًا أنه كان ليتقدم لها لو لم تبدُ خرقاء.

أطلقت كيت زفيرًا فظًا لا يمت للأنوثة بصلة وقالت:

- آشبورن ليس على وشك الزواج في أي وقتٍ قريب. الجميع يعرفون ذلك. إنه بنفس مستوى انحلال بريدجرتون وفساده.

ذكرتها بينولبي:

- الذي يعدُّ أكثر مَن يُحتمل زواجه هذا العام، لو صحّت الشائعات.

سخرت كيت قائلة:

- هه، ليدي ويسلداون نفسها كتبت أنها لا تظنه سيتزوج في هذا العام.

أجابت بينولبي بتلويحة رافضة من يدها:

- كان هذا منذ أسابيع. ليدي ويسلداون تبدّل رأيها طوال الوقت. ناهيك بالواضح للجميع، وهو أن الفيكونت يتودد لأختك.

عضت كيت على لسانها قبل أن تتمتم:

- لا تذكريني.

لكن رجفة ألمها غرقت في همسة بينولبي المبحوحة وهي تقول:

- أوه، لا. إنها آتية من هذا الطريق.

منحتها كيت ضغطة مطمئنة على ذراعها قائلة:

- لا تقلقي بشأنها. إنها ليست أفضل منك.

رمقتها بينولبي بتهكّم وقالت:

- أعرف ذلك. لكن هذا لا يجعلها أقل بغضًا. إنها دائمًا ما تبذل قصارى جهدها لترغمني على التعامل معها.

غردت كريسيدا، وهي تقف جوارهما وتهز شعرها اللامع بتكلف:

- كيت، بينولبي. يا لها من مفاجأة أن أراكما هنا.

سألتها كيت:

- ولم؟

طرفت كريسيدا بعينيها، متفاجئة بوضوح من تساؤل كيت بشأن تصريحها. قالت ببطء:

- حسن، أفترض أنها ليست مفاجأة أن أراكِ هنا، نظرًا للطلب الشديد على أختك، وكلنا يعلم أن عليك الذهاب حيث تذهب، لكن وجود بينولبي...

ثم هزت كتفيها ببهاء وتابعت:

- حسن، من أنا لأحكم؟ إن ليدي بريدجرتون صاحبة أطيب قلب.

كان التعليق وقحًا لدرجة لم تستطع كيت في مواجهته سوى أن تفغر فاها. وبينما كانت تحدق إلى كريسيدا، بفم مفتوح في صدمة، كانت كريسيدا بصدد إلقاء التعليق القاتل.

قالت بابتسامة حلوة لدرجة جعلت كيت تكاد تقسم بأنها تذوقت طعم السكر في الهواء:

- يا له من فستان جميل يا بينولبي.

أضافت وهي تمسد القماش الأصفر الباهت لفستانها:

- كم أحب الأصفر. يتطلب الأمر بشرة خاصة جدًا لارتدائه، ألا تعتقدين ذلك؟

صرت كيت على أسنانها. من الطبيعي أن تبدو كريسيدا رائعة في ثوبها. ستبدو كريسيدا رائعة ولو ارتدت الخيش.

ابتسمت كريسيدا مرة أخرى، مذكرة كيت هذه المرة بالأفعى، ثم استدارت قليلًا تشير إلى شخص ما عبر الغرفة.

- أوه، جريمستون، جريمستون! تعالَ إلى هنا لحظة.

نظرت كيت من فوق كتفها لترى بيزل جريمستون يقترب واستطاعت بالكاد أن تكتم أنينها. كان جريمستون هو النظير الذكوري الأمثل لكريسيدا؛ وقحًا ومتغطرسًا ونرجسيًا. لماذا دعته سيدة لطيفة مثل الفيكونتيسة بريدجرتون، لن تعرف أبدًا. ربما لموازنة الأعداد مع وجود الكثير من الفتيات مدعوات.

اقترب جريمستون بنعومة ورفع إحدى زاويتي فمه في ابتسامة ساخرة. قال لكريسيدا بعد أن رمق كيت وبينولبي بنظرة ازدراء عابرة:

- في خدمتك.

قالت كريسيدا:

- ألا تعتقد أن العزيزة بينولبي تبدو جذابة في هذا الفستان؟ لا بد حقًا أن نجعل الأصفر لون الموسم.

ألقى جريمستون نظرة بطيئة مهينة على بينولبي، من قمة رأسها إلى أخمص قدميها والعكس. بالكاد حرك رأسه، تاركًا عينيه تتنقلان من أعلى لأسفل هيئتها. اجتاحت كيت نوبة نفور قوية لدرجة كادت معها تشعر فعليًا

بالغثيان. أرادت –أكثر من أي شيء– أن تلقي ذراعيها حول بينولبي وتمنح الفتاة المسكينة عناقًا. لكن بادرة كهذه لن تفعل سوى التأكيد على أنها بالفعل فتاة ضعيفة يسهل التنمر عليها.

عندما انتهى جريمستون أخيرًا من تفحصه الوقح، استدار إلى كريسيدا وهز كتفيه كأنه لا يستطيع التفكير في أي مجاملة ليقولها.

أفصحت كيت عن مكنونها قائلة باندفاع:

- أليس لديك مكان آخر لتذهبي إليه؟

بدت كريسيدا مصدومة وقالت:

- ربّاه يا آنسة شيفيلد، لن أسمح لكِ بهذه الوقاحة. أنا والسيد جريمستون كنا نبدي إعجابنا بمظهر بينولبي لا أكثر. إن درجة الأصفر هذه تتفاعل مع بشرتها بأفضل ما يكون. ولطيفٌ أن نراها جميلة هكذا مقارنة بالعام الماضي.

قال جريمستون بلهجة متملقة جعلت كيت تشعر بعدم النظافة:

- هذا صحيح.

استطاعت كيت أن تشعر ببينولبي ترتجف بجانبها. أمِلت أن يكون ذلك بسبب الغضب وليس الألم.

قالت كيت ببرود:

- لا أفهم ما تقصدينه.

قال جريمستون، وعيناه تتألقان بهجةً:

- عجبًا! لا بد أنك تعرفين.

ثم مال للأمام وقال بهمسة أعلى من صوته المعتاد، عالية بما يكفي ليسمعه أغلب من بالغرفة:

- كانت بدينة.

فتحت كيت فمها لتمنحه ردًا لاذعًا، لكن وقبل أن تتمكن من التفوّه بكلمة، أضافت كريسيدا:

- كان الوضع مثيرًا للشفقة، فقد غصت المدينة بالرجال العام الماضي. بالطبع نحن أغلب الفتيات ما زلنا لا نفتقر إلى شريك رقص، لكني

كنت أشعر بأسفٍ شديد تجاه المسكينة بينولبي كلما رأيتها جالسة مع الأرامل.

قالت بينولبي من بين أسنانها:

- إن الأرامل غالبًا ما يكنّ الوحيدات في المكان اللائي يتمتعن بقدر قليل من العقل.

أرادت كيت أن تقفز وتبدأ بالهتاف لها.

شهقت كريسيدا بصدمة كما لو أن لها حقًا في الاستياء وقالت:

- ومع ذلك، لا يسع المرء سوى... أوه! لورد بريدجرتون!

تحركت كيت جانبًا لتسمح للفيكونت بدخول دائرتهم الصغيرة، ولاحظت باشمئزاز التغير الكامل في سلوك كريسيدا. فقد بدأ جفناها يرفرفان وصنع فمها قوس كيوبيد صغير للغاية.

بدت مقيتة لدرجة كادت معها كيت أن تنسى توتّرها قُرب الفيكونت.

رمق بريدجرتون كريسيدا بنظرة قاسية لكنه لم يقل شيئًا. وبدلًا من ذلك، التفت عمدًا إلى كيت وبينولبي وتمتم باسميهما مرحبًا.

كادت كيت تلهث من فرط البهجة. لقد أصاب كرسيدا كوبر في مقتل!

قال برفق:

- آنسة شيفيلد، أتمنى أن تسمحي لي بمرافقة الآنسة فيذرنجتون إلى العشاء.

اندفعت كريسيدا قائلة:

- ولكن لا يمكنك مرافقتها!

منحها بريدجرتون نظرة باردة وقال:

- آسف. -بصوت يوحي بأنه قد يكون أي شيء سوى آسف- هل شملتك بالحديث؟

انكمشت كريسيدا، شاعرة بالخزي الواضح من اندفاعها. ومع ذلك كانت مرافقة بينولبي تخالف القواعد. بصفته رجل المنزل، كان من واجبه مرافقة المرأة الأعلى مكانة. لم تكن كيت متأكدة من هي هذا المساء، لكن الأكيد أنها ليست بينولبي، التي لا يتمتع والدها بأي لقبٍ سوى «سيد».

قدم بريدجرتون ذراعه لبينولبي، مديرًا ظهره إلى كريسيدا أثناء ذلك، وتمتم:

- أكره المتنمرين، ماذا عنكِ؟

وضعت كيت يدها على فمها، لكنها لم تستطع كتمان ضحكتها. منحها بريدجرتون ابتسامة متواطئة صغيرة من فوق رأس بينولبي، وفي تلك اللحظة اعترى كيت شعورٌ غريب بأنها فهمت هذا الرجل تمامًا.

لكن الأغرب؛ أنها لم تعد متأكدة من أنه هو نفسه المنحل البغيض عديم الروح الذي كانت تظنه.

كانت كيت مثل باقي أفراد المجموعة المحتشدين، تحدق بفم مفتوح بينما يقود بريدجرتون بينولبي إلى خارج الغرفة، ورأسه منحنٍ تجاه رأسها كما لو كانت أكثر امرأة تسير على الأرض فتنة، واستدارت كيت لترى إدوينا واقفة إلى جوارها تقول:

- هل رأيتِ ذلك؟

قالت كيت بصوتٍ مذهول:

- لقد رأيت كل شيء، وسمعت كل شيء.

- ماذا حدث؟

- لقد كان... كان...

تلعثمت كيت بكلماتها، غير متأكدة من كيفية وصف ما فعله بالضبط. ثم قالت شيئًا لم تكن تعتقد أنه ممكن أبدًا:

- لقد كان بطلًا.



الفصل الثاني عشر

2 مايو 1814 **جريدة المجتمع**

قد تتسلّى الفتاة بالحديث مع رجل جذاب، وقد يسرّها أن تنظر إلى رجل حسن المظهر، لكن الرجل الشريف.. آهٍ، هذا يا عزيزي القارئ هو الرجل الذي يجدر بكل فتاة أن تلحق به.

ليدي ويسلداون

في وقت لاحق من تلك الليلة، بعد انتهاء العشاء وخروج الرجال لتناول المشروبات، ثم عودتهم إلى السيدات بتعبيرات من الزهو على وجوههم، وكأنهم كانوا يتحدثون توًا عن شيء أعظم شأنًا من الحصان الذي يمكن أن يفوز في السباق الملكي؛ بعد أن لعب الحضور مجموعة من الأحاجي بعضها مضجر والآخر ممتع؛ بعد أن تنحنحت ليدي بريدجرتون وقالت برصانة إن وقت النوم قد حان؛ بعد أن أخذت السيدات الشموع وذهبن إلى فُرشهنّ؛ بعد أن تبعهنّ السادة الرجال كل إلى غرفته...

لم تستطع كيت أن تنام.

من الواضح أنها إحدى تلك الليالي التي يظلّ فيها المرء محدقًا إلى شقوق السقف. عدا أن السقف في قصر أوبري هول كان خاليًا من الشقوق. ولم تكن الليلة مقمرة حتى، ومن ثم لم يكن ثمة ضوء يتسرب من خلال الستائر، وعليه فحتى لو كانت هناك شقوق فإنها لن تقدر على رؤيتها، و...

أنّت كيت وهي تدفع أغطيتها وتهب واقفة. في أيامٍ كهذه يصبح عليها تعلُّم كيف تمنع عقلها من التدافع في ثمانية اتجاهات مختلفة في آنٍ واحد.

كانت تستلقي على الفراش بالفعل لما يقارب الساعة، تحدق إلى الليل المظلم البهيم، وتغلق عينيها من حينٍ لآخر في محاولة لإرغام نفسها على النوم.

لم يفلح هذا.

لم تستطع منع نفسها من التفكير في وجه بينولبي فيذرنجتون عندما تدخّل الفيكونت لإنقاذها. كانت كيت واثقة أن وجهها نفسه كان مشابهًا حينها بصورة ما؛ حيث اعتراها شعور هو مزيج من الصدمة والسرور، والشعور بأنها على وشك الذوبان على الأرض في تلك اللحظة بالذات.

كان بريدجرتون عظيمًا هكذا.

قضت كيت اليوم بأكمله إما تراقب آل بريدجرتون أو تتفاعل معهم. ولم يتضح لها سوى أمر واحد: كل ما قيل وأشيع عن أنطوني وعن إخلاصه لعائلته صحيح.

وعلى الرغم من أنها لم تكن مستعدة تمامًا للتنازل عن رأيها بأنه منحلٌ فاسد، فقد بدأت تدرك أنه ربما يكون منحلًا فاسدًا إلى جانب شيء آخر أيضًا.

شيء صالح.

شيء لا يجعل منه زوجًا سيئًا لإدوينا حقًا، إن كان لها أن تحاول التعامُل مع المسألة بموضوعية كاملة، وهو الأمر الذي اعترفت لنفسها بأنه صعب.

آه، لماذا كان عليه أن يتصرّف بهذا اللطف؟ لماذا لم يكتفِ بلعب دور اللبق المتحرر السطحي الذي يسهُل جدًا تصديقه؟ ها قد صار الآن شيئًا آخر تمامًا، شخصًا تخشى أنها قد تهتم لأمره حقًا في يومٍ من الأيام.

شعرت كيت بوجهها يتورد، حتى في الظلام. جديرٌ بها أن تكفّ عن التفكير في أنطوني بريدجرتون. بهذا المعدل لن تحظى بأي نوم لمدة أسبوع.

ربما لو كان لديها شيء لتقرأه. كانت قد رأت مكتبة كبيرة وشاسعة في وقت سابق من ذلك المساء؛ مؤكّد أن آل بريدجرتون يحوزون بعض الكتب التي تضمن لها نومًا سريعًا.

وضعت رداءها وسارت على أطراف أصابعها نحو الباب، حريصة على عدم إيقاظ إدوينا. ليس كأن إيقاظها مهمة سهلة. فلطالما كانت إدوينا تنام كالموتى. بحسب كلام ماري، كانت تنام طوال الليل في طفولتها، منذ اليوم الأول من ولادتها.

وضعت كيت قدميها في خفيهما، ثم تحركت بهدوء إلى الرّدهة، وحرصت على النظر في كلا الاتجاهين قبل إغلاق الباب خلفها. كانت تلك زيارتها الأولى لمنزل ريفي، لكنها سمعت شيئًا أو اثنين عن تلك الأماكن، وآخر شيء أرادت فعله هو أن تصادف أحدًا في طريقه إلى غرفة نوم ليست غرفته.

فكّرت كيت أنه إذا كان ثمة أحد هنا على علاقة بغير زوجته، فإنها لا تريد أن تعرف.

أضاء القاعة مصباح واحد، مما أعطى الظُلمة وهجًا خافتًا مترددًا. كانت كيت قد أمسكت بشمعة وهي في طريقها للخروج، لذا فقد اتجهت إلى المصباح وفتحت الغطاء لإشعال فتيلها. بمجرد ثبات اللهب اتجهت إلى الدّرج، حريصة على التوقف في كل زاوية والتحقق بعناية من وجود مارة.

بعد دقائق قليلة وجدت نفسها في المكتبة. لم تكن ضخمة بمعايير الوسط الرفيع، لكن الجدران كانت مغطاة من الأرض إلى السقف بخزانات الكتب. دفعت كيت الباب حتى صار مواربًا –لو أن أحدهم مستيقظ، فإنها لا تأمَل أن تنبهه لوجودها بإغلاق الباب– ثم شقت طريقها لأقرب خزانة للكتب، وأخذت تمعن النظر في العناوين.

غمغمت لنفسها:

- هممم.

وسحبت كتابًا ونظرت إلى غلافه الأمامي.

- علم النبات.

كانت تحب البستنة، لكن بطريقة ما لم يبدُ أن كتابًا يتحدث عن الموضوع سيكون شيقًا للغاية. هل تبحث عن رواية تستحوذ على خيالها، أم تختار نصًا جافًا يدفعها إلى النوم دفعًا؟

أعادت كيت الكتاب إلى مكانه وانتقلت إلى الخزانة التالية، وضعت شمعتها على طاولة قريبة. بدا أن ذلك هو قسم الفلسفة. غمغمت:

- بالقطع لا.

وحركت شمعتها بطول الطاولة بينما انتقلت إلى خزانة الكتب على اليمين. قد يساعدها علم النبات على النوم، أما الفلسفة فكانت لتتركها في غيبوبة لأيام.

حركت الشمعة قليلًا إلى اليمين، وانحنت للأمام لتنظر إلى المجموعة التالية من الكتب، عندما أضاء وميض البرق الساطع غير المتوقع الغرفة.

انطلقت صرخة قصيرة متقطعة من رئتيها، وقفزت إلى الخلف فاصطدم ظهرها بالطاولة. تضرّعت في صمت، ليس الآن، ليس هنا.

لكن ما أن دوت كلمة «هنا» في ذهنها حتى تفجر دوي الرعد الكئيب في الغرفة بأكملها.

ثم ساد الظلام مرة أخرى، تاركًا كيت ترتجف وأصابعها تقبض على الطاولة بقوة آلمت مفاصلها. كم تكره ذلك. شدّ ما تكره ذلك. كم تمقت صوت البرق وألسنته، وهدير التوتّر في الهواء، لكن أكثر ما تكرهه هو الشعور الذي يبثه داخلها.

رعب شديد لدرجة أنها في النهاية لا تعود تشعر بأي شيء على الإطلاق.

كانت هكذا طوال حياتها، أو على الأقل منذ ابتدأ وعيها بالحياة. في صغرها، كان أبوها أو ماري يتولّيان أمر تهدئتها كلما هبّت عاصفة. لدى كيت ذكريات لا تُحصى عن أحدهما جالسًا على حافة فراشها، ممسكًا بيدها ويهمس بكلمات مهدئة بينما يضرب الرعد والبرق من حولها. لكن مع تقدّمها في السن، تمكّنت من إقناع الناس بأنها تجاوزت معاناتها. ظل الجميع عالمين بكرهها للعواصف. لكنها تمكنت من إبقاء شدّة فزعها لنفسها.

بدا أن ذلك أسوأ أنواع الضعف؛ ضعف غير مبرر، ولسوء الحظ، لا علاج له واضح.

لم تسمع صوت المطر على النوافذ؛ لعل العاصفة ليست بهذا السوء. لعلّها بدأت في مكانٍ قصيّ وهي الآن في طريقها للرحيل. لعلّها...

أضاء وميض آخر الغرفة، منتزعًا صرخة ثانية من رئتَيْ كيت. وفي تلك المرة كان هزيم الرعد قريبًا من وميض البرق، مشيرًا إلى أن العاصفة تقترب وتشتد.

شعرت كيت بنفسها تغوص في الأرض.

كان الصوت مدويًا للغاية. مدويًا للغاية، وساطعًا للغاية، و...

بووم!

تكومت كيت أسفل الطاولة، ضمّت ساقيها إلى صدرها وأحاطت ركبتيها بذراعيها، وانتظرت بفزع الصاعقة التالية.

ثم بدأ المطر.

كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل، وذهب الضيوف -المحافظون إلى حد ما على توقيت الريف- كلٌ إلى فراشه، لكن أنطوني كان لا يزال في مكتبه، ينقر بأصابعه على حافة المكتب في إيقاع متوافق مع المطر الذي يقرع نافذته. وبين الفينة والأخرى، تضيء صاعقة من البرق غرفته في وميض ساطع، ثم يتبعها هزيم رعدٍ مدوٍّ وغير متوقع لدرجة تجعله يثب في مقعده.

ربّاه، كم أحب العواصف الرعدية!

من الصعب معرفة السبب. ربما لأنها الدليل المُطلق على سلطة الطبيعة على الإنسان. ربما حبًا في الطاقة الضوئية والصوتية التي تقصف من حوله. أيًا كان السبب، فقد كانت تُشعِره بأنه على قيد الحياة.

لم يكن متعبًا عندما اقترحت والدته أن يخلدوا جميعًا إلى فُرشهم، لذا كان من السخيف ألا يستغل تلك اللحظات القليلة من العزلة في تصفّح سجلات أوبري هول التي تركها له وكيله. كان اللورد يعرف أن والدته ستملأ كل دقيقة من يومه التالي بالأنشطة التي تتضمن فتيات مؤهلات للزواج.

لكن بعد ساعة أو نحوها من الفحص المضني، والقرع بطرف الريشة الجاف على كل رقم في الدفتر بينما يجمع ويطرح ويضرب، ويقسم أحيانًا، بدأ جفناه يتهدلان.

اعترف بأنه كان يومًا طويلًا، وأغلق الدفتر بعد أن ترك قطعة من الورق بارزة لتحديد المكان الذي وقف عنده. كان يقضي أغلب النهار في زيارة المستأجرين وتفقد المباني. إحدى الأسر بحاجة إلى إصلاح الباب. وأخرى تواجه مشكلة في حصاد محاصيلها ودفع إيجارها، بسبب كسر ساق الأب. سمع أنطوني الخلافات وقام بتسويتها، وأبدى إعجابه بالأطفال الجدد، وساعد حتى في إصلاح سقف يرشح. كان كل هذا جزءًا من واجبات مالك الأرض، وقد استمتع بها، لكن هذا لا ينفي حقيقة أنها مُجهدة.

كانت مباراة البولمول كاستراحةٍ ممتعة، لكن بمجرد عودته إلى المنزل زُج به في دور المضيف لحفل والدته. الأمر الذي كان مُنهكًا بقدر زيارات المستأجرين. لم تتجاوز إلويز بعد السابعة عشرة، ومن الواضح أنها كانت لم تزل بحاجة لمن يعتني بها ويحرسها، وتلك الفتاة المشاكسة كوبر كانت تعذب المسكينة بينولبي فيذرنجتون، وكان على أحدهم أن يتدخّل ويوقفها، ثم...

ثم تأتي كيت شيفيلد.

مصدر إزعاجه.

وموضع رغباته.

في آنٍ واحد.

يا لها من فوضى. كان يُفترض به أن يتودد لأختها بحق الله. إدوينا. حسناء الموسم. الجمال الذي لا يضاهى. الحُلوة الكريمة لطيفة المعشر.

بدلًا من ذلك لم يستطع التوقف عن التفكير في كيت. كيت، التي بقدر ما أثارت حنقه فقد حظيت باحترامه. كيف عساه لا يحترم من تمسكت بمبادئها بهذا الثبات؟ ثم إن أنطوني مضطر لأن يعترف بأن جوهر مبادئها –الذي هو الإخلاص للعائلة– كان هو المبدأ الوحيد الذي يضعه فوق كل شيء.

نهض أنطوني من خلف مكتبه وتثاءب وهو يمد ذراعيه. كان وقت النوم قد حان بلا شك. ومع قليل من الحظ، سيستغرق في النوم لحظة أن يمس رأسه الوسادة. آخر شيء يريده هو أن يجد نفسه محدقًا إلى السقف، يفكر في كيت.

وفي كل الأمور التي يريد فعلها مع كيت.

التقط أنطوني شمعة وخرج إلى الرّدهة الخالية. أورثه الهدوء الذي خيّم على المنزل شعورًا بالسلام والطمأنينة. حتى مع قرع المطر على الجدران، استطاع أن يسمع كل نقرة من حذائه على الأرض؛ كعب، أصابع، كعب، أصابع. وباستثناء اللحظة التي يخترق فيها البرق السماء، كانت شمعته هي مصدر الإضاءة الوحيد في الرّدهة. استمتع والحق يُقال بتلويحه باللهب في هذا الاتجاه وذاك، مشاهدًا مسرحية الظلال على الجدران والأثاث. منحه ذلك شعورًا غريبًا بالسيطرة نوعًا ما، ولكن...

ارتفع أحد حاجبيه في تساؤل. كان باب المكتبة مفتوحًا بضع بوصات، وأمكنه أن يرى شريطًا من ضوء الشموع يتلألأ من خلاله.

كان على أتمّ يقين أن لا أحد مستيقظ سواه. وأن لا صوت آتٍ من المكتبة. لا بد أن أحدهم دخل ليحضر كتابًا وترك الشمعة مشتعلة. عبس أنطوني. كان تصرفًا غير مسؤول بالمرة. يمكن لشعلة من النيران أن تدمر المنزل أسرع من أي شيء آخر، حتى في وسط عاصفة ممطرة، والمكتبة –الممتلئة عن آخرها بالكتب– كانت مكانًا مثاليًا لإشعال الحريق.

دفع الباب ودلف إلى الغرفة. احتلت النوافذ الطويلة جدارًا كاملًا من غرفة المكتبة، لذا كان صوت المطر أعلى بكثير هنا مما كان عليه في الرّدهة. هزّ الرعد الأرض، ثم شق وميض من البرق الليل في اللحظة نفسها تقريبًا.

جعلته اللحظة المشحونة تلك يبتسم، وقطع الغرفة إلى حيث تُركت الشمعة مشتعلة. انحنى عليها، ونفخها، ثم...

تنامى إلى سمعه شيء.

كان صوت أنفاس. مذعور، ثقيل، يصاحبه مسحة خافتة من النشيج.

بحث أنطوني في أرجاء الغرفة ونادى قائلًا:

- أمن أحد هنا؟

لكنه لم يستطع رؤية أي أحد.

ثم سمع الصوت مجددًا. من أسفل.

أمسك شمعته بثبات، وجثم على الأرض لينظر أسفل الطاولة.

وهربت أنفاسه من صدره.

شهق قائلًا:

- يا إلهي! كيت.

كانت متكورة على نفسها، وذراعاها ملفوفتان حول ساقيها المثنيتين بإحكام حتى بدت وكأنها على وشك الانهيار. كان رأسها منكّسًا لأسفل، ومحجر عينيها مثبّتًا على ركبتيها، وجسدها بأكمله يرتجف في هزات سريعة شديدة.

تجمد الدم في عروق أنطوني. لم ير أحدًا يرتجف بهذه الطريقة من قبل.

قال مرة أخرى، واضعًا شمعته على الأرض وهو يقترب منها:

- كيت؟

لم يستطع أن يجزم إن كانت قد سمعته. بدت وكأنها قد انسحبت إلى داخل نفسها، تحاول بيأس الهروب من شيء ما. أهي العاصفة؟ قالت إنها تكره المطر، لكن هذا شيء أعمق من الكُره بكثير. يعي أنطوني أن أغلب الناس لا يستمتعون بالعواصف الرعدية مثلما يفعل هو، لكنه لم يسمع قط بأحدٍ وصل به الأمر لهذا الحد.

بدت كما لو أنها قد تتحطم إلى مليون قطعة هشة إن هو لمسها.

هز الرعد الغرفة، وجفل جسمها بألم شديد لدرجة أن أحسّ به أنطوني في أحشائه. قال هامسًا:

- أوه، كيت.

انفطر قلبه لرؤيتها هكذا. مد يدًا حذرة وثابتة إليها. لم يكن متأكدًا بعد مما إذا كانت قد شعرت بوجوده؛ قد يكون إفزاعها مثل إيقاظ السائر أثناء النوم.

وضع يده بهدوء على الجزء العلوي من ذراعها وضغط برفق. همس:

- أنا هنا يا كيت. كل شيء سيكون على ما يرام.

مزق البرق الليل، مضيئًا الغرفة بدفعة حادة من الضوء، فاعتصرت نفسها بقوة أكبر، إن كان ذلك ممكنًا. وخطر له أنها تحاول حماية عينيها بإبقاء وجهها موجّهًا إلى ركبتيها.

اقترب أكثر وأخذ إحدى يديها في يديه. كان جلدها باردًا كالثلج، وأصابعها متيبسة من الرعب. كان من الصعب نزع ذراعها من حول ساقيها، لكنه تمكن في النهاية من رفع يدها إلى فمه، وضغط شفتيه على بشرتها، في محاولة لتدفئتها.

ردد دون أن يعرف ماذا يمكن أن يقال غير ذلك:

- أنا هنا يا كيت، أنا هنا. كل شيء سيكون على ما يرام.

ثم تمكّن أخيرًا من الجلوس أسفل الطاولة بحيث صار إلى جوارها على الأرض، وذراعاه ملتفّتان حول كتفيها المرتجفتين. بدت وكأنها تسترخي قليلًا جراء لمسته، مما أورثه شعورًا شديد الغرابة؛ شعورًا يقارب الفخر بأنه

الوحيد الذي تمكن من مساعدتها. هذا إلى جانب شعور عميق بالارتياح، لأن رؤيتها تعاني هذا العذاب كانت تقتله.

همس بكلمات مهدئة في أذنها وربت على كتفها بلطف، محاولًا أن يريحها بمجرد وجوده. وببطء، ببطء شديد؛ لم تكن لديه فكرة عن عدد الدقائق التي جلسها معها تحت تلك الطاولة، استطاع الشعور بعضلاتها تبدأ في الاسترخاء. فقد جلدها تلك البرودة الرهيبة، ولم تعد أنفاسها مذعورة بنفس الدرجة، وإن كانت لا تزال سريعة.

وأخيرًا، عندما شعر بأنها قد تكون مستعدة، وضع إصبعين أسفل ذقنها، ورفع وجهها بأقل قوة يمكن تخيلها بحيث يرى عينيها. همس بصوت رقيق يفيض بالثقة:

- انظري إليّ يا كيت. لو نظرت لي فقط ستعلمين أنك في أمان.

ارتجفت العضلات الصغيرة حول عينيها لخمس عشرة ثانية كاملة قبل أن يرفرف جفناها أخيرًا. كانت تحاول فتح عينيها، لكنهما كانتا تقاومان. لم يكن لدى أنطوني خبرة تُذكر مع هذا النوع من الرُعب، ولكن بدا له منطقيًا أن عينيها لا تريدان أن تنفتحا، أنهما ببساطة لا تريدان رؤية ما يخيفها هكذا أيًا كانت ماهيته.

بعد عدة ثوانٍ أخرى من الرفرفة، تمكنت أخيرًا من فتح عينيها على اتساعهما وملاقاة نظرته.

شعر أنطوني كما لو كان تلقّى لكمة في معدته.

إن كانت العينان حقًا نافذتين على الروح، فإن شيئًا قد تحطم بداخل كيت شيفيلد في تلك الليلة. بدت خاوية وضائعة ومذهولة كليًا.

همست بصوت سمعه بالكاد:

- لا أتذكر.

ضغط على يدها، التي لم يكن قد أفلتها، ورفعها إلى شفتيه مرة أخرى. ضغط على راحة يدها بقبلة رقيقة شبه أبوية.

- لا تتذكرين ماذا؟

هزت رأسها قائلة:

- لست أدري.

- هل تتذكرين المجيء إلى المكتبة؟

أومأت برأسها.

- هل تتذكرين العاصفة؟

أغلقت عينيها للحظة، كما لو كان فتحهما يتطلب طاقة أكبر مما تحوز. قالت:

- ما زالت تعصف.

أومأ أنطوني برأسه. كان هذا صحيحًا. لم يزل المطر يضرب النوافذ بنفس القدر من الضراوة كما كان من قبل، ولكن مرت عدة دقائق منذ آخر نوبة رعد وبرق.

نظرت له بعينين يائستين وقالت:

- لا أستطيع... لست...

ضغط أنطوني على يدها قائلًا:

- ليس عليك أن تقولي أي شيء.

شعر بجسدها يرتجف ويسترخي، ثم سمعها تهمس:

- شكرًا لك.

سألها:

- هل تريدين منّي التحدّث معك؟

أغلقت عينيها -ليس بقوة كما في السابق- وأومأت برأسها.

ابتسم بالرغم من علمه أنها لا تستطيع رؤيته. لكن ربما يمكنها الشعور به. ربما تكون قادرة على سماع ابتسامته في صوته. قال مفكرًا:

- لنرَ، ماذا يمكنني أن أخبرك؟

همست:

- حدّثني عن المنزل.

سألها متفاجئًا:

- هذا المنزل؟

أومأت برأسها.

أجابها شاعرًا بسعادة غامرة لأنها كانت مهتمة بكومة الحجر والملاط التي لطالما عنت له الكثير:

- حسن إذن. لقد ترعرعت هنا، أتعرفين ذلك؟

- أخبرتني والدتك.

أحسّ أنطوني بشرارة دافئة وقوية في صدره وهي تتحدّث. أخبرها بأنها ليست مضطرة لقول أي شيء، وقد كانت ممتنة لذلك بوضوح شديد، ولكن ها هي تشارك بالفعل في المحادثة الآن. هذا يعني بالتأكيد أنها بدأت تشعر بالتحسن. لو أنها فتحت عينيها –لو لم يكونا جالسين أسفل الطاولة– لربما بدا الأمر طبيعيًا إلى حد ما.

أذهلته مدى رغبته في أن يكون هو من يجعلها تشعر بتحسن.

سألها:

- هل أخبرك عن المرة التي أغرق فيها أخي دمية أختي المفضلة؟

هزت رأسها، ثم جفلت عندما اشتدت الرياح، مما جعل المطر يضرب النوافذ بضراوة أكبر. لكنها رفعت ذقنها وقالت:

- أخبرني شيئًا يخصك.

قال أنطوني ببطء محاولًا أن يتجاهل الشعور الغامض غير المريح الذي بدأ ينتشر في صدره. أن يخبرها قصة عن أشقائه الكُثُر أسهل بكثير من أن يحدّثها عن نفسه.

- أخبرني عن أبيك.

تجمد.

- أبي؟

ابتسمت، لكنه كان مصدومًا بشدة من سؤالها ليلحظ ذلك. قالت:

- لا بد أنك حظيت بواحد.

بدأ أنطوني يشعر بغصة في حلقه. لم يكن يتحدّث عن والده كثيرًا، ولا حتى مع أسرته. كان يخبر نفسه بأن قلة حديثه إنما هي بسبب مرور زمنٍ طويل؛ لقد مات إدموند منذ أكثر من عشر سنوات. لكن الحقيقة هي أن بعض الأشياء كانت تؤلمه كثيرًا.

وثمة جراح لا تلتئم، حتى بعد مضيّ عشر سنوات.

قال برفق:

- كان... كان رجلًا عظيمًا، أبًا عظيمًا. أحببته بشدة.

التفتت كيت لتنظر إليه، المرة الأولى التي تلتقي فيها نظراتهما منذ رفع ذقنها بأصابعه منذ عدة دقائق. قالت:

- تتحدث والدتك عنه بحب كبير. لهذا سألت.

قال ببساطة وهو يدير وجهه ويحدق عبر الغرفة:

- لقد أحببناه جميعًا.

ثبّت عينيه على ساق الكرسي، لكنه لم يرَها حقًا. لم ير أي شيء سوى الذكريات في ذهنه.

- كان أفضل أب يمكن أن يريده أي صبي على الإطلاق.

- متى توفي؟

- منذ إحدى عشرة سنة. في الصيف. عندما كنت في الثامنة عشرة. قبل أن أغادر إلى جامعة أوكسفورد مباشرة.

غمغمت:

- هذا وقت يصعُب أن يفقد فيه المرء والده.

التفت بحدة لينظر إليها وقال:

- أي وقت يفقد فيه المرء والده هو وقت صعب.

سارعت تقول متفقة:

- بالطبع، لكن بعض الأوقات تكون أسوأ من غيرها، حسبما أعتقد. ولا بد أن الأمر يختلف من الصبية إلى الفتيات. لقد توفي والدي قبل خمس سنوات، وأنا أفتقده بشدة، لكني لا أظن الأمر سواء.

لم يكن عليه أن يطرح السؤال. كان باديًا في عينيه.

وضحت كيت وقد غمر الدفء عينيها وهي تستعيد الذكريات:

- كان والدي مذهلًا، طيبًا ونبيلًا، وصارمًا عندما تدعو الحاجة. لكن والد الصبي؛ حسن، عليه أن يعلم ابنه كيف يكون رجلًا. وأن تفقد والدًا في الثامنة عشرة، عندما تكون قد عرفت للتو ما يعنيه كل ذلك...

أطلقت زفيرًا طويلًا ثم تابعت:

- ربما هي وقاحة من جانبي أن أناقش ذلك، نظرًا لأني لستُ رجلًا ومن ثم لا يمكنني أن أضع نفسي مكانك، لكني أعتقد...

توقفت وزمت شفتيها بينما تنتقي كلماتها ثم استطردت:

- حسن، أعتقد أن ذلك كان صعبًا دون ريب.

قال أنطوني:

- كان أشقائي في السادسة عشرة والثانية عشرة والثانية.

أجابته قائلة:

- أحسب أنه كان صعبًا عليهم أيضًا، على الرغم من أن أخاك الأصغر قد لا يتذكره.

هز أنطوني رأسه.

ابتسمت كيت بشجن وقالت:

- لا أتذكر والدتي أيضًا. شيء غريب.

- كم كان عمرك حينما ماتت؟

- حدث ذلك في عيد ميلادي الثالث. ثم تزوج أبي بماري بعد بضعة شهور فقط. لم يتقيد بفترة الحداد اللائقة، وأتى الخبر صادمًا لبعض الجيران، لكنه اعتقد أنني أحتاج إلى أم أكثر مما يحتاج هو إلى اتباع الآداب العامة.

تساءل أنطوني لأول مرة ماذا كان ليحدث لو أن أمه هي من ماتت في صغره، وتركت لوالده منزلًا مليئًا بالأطفال، والعديد منهم رضّع وصغار. ما كان ذلك ليكون سهلًا على إدموند. ولا على أي منهم.

ليس كأنه كان سهلًا على فيوليت. بيد أن فيوليت كان لديها أنطوني على الأقل، الذي كان قادرًا على حمل المسؤولية ومحاولة الاضطلاع بدور الأب البديل لإخوته الصغار. لو كان الموت قد أخذ فيوليت، لحرم عائلة بريدجرتون تمامًا من جميع أنواع الأمومة. فبعد كل شيء، لم تكن دافني –الابنة الكبرى لبريدجرتون– قد تجاوزت بعد العاشرة من عمرها عند وفاة إدموند. وكان أنطوني على يقين من أن والده لم يكن ليتزوج بأخرى.

مهما رغب والده في أم لأطفاله، ما كان ليقدر قط على اتخاذ زوجة أخرى.

سأل أنطوني، متفاجئًا بعمق فضوله:

- كيف ماتت والدتك؟

- الأنفلونزا. أو أن ذلك ما ظنوه على الأقل. ربما كان أي نوع من حمى الرئة.

أراحت ذقنها على يدها وتابعت:

- حدث الأمر بسرعة شديدة كما أخبروني. قال أبي إنني مرضتُ أيضًا، وإن كانت أعراضي طفيفة.

فكر أنطوني في الابن الذي تمنى أن ينجبه، الذي هو السبب الحقيقي وراء قراره بالزواج أخيرًا. همس:

- هل تفتقدين والدتك التي لم تعرفيها قط؟

فكرت كيت في السؤال لبعض الوقت. لقد حمل صوته إلحاحًا غريبًا أخبرها أن شيئًا حرجًا يعتمد على إجابتها. لم يسعها تخيّل السبب، لكن شيئًا في طفولتها يدق وترًا واضحًا في قلبه.

أجابت أخيرًا:

- نعم، لكن ليس كما قد يُخيّل إليك. لا يمكن أن أفتقدها حقًا من دون أن أعرفها، لكن لم تزل هناك فجوة في حياتي، فراغ كبير، وأعلم من كان يفترض به أن يملأه، لكني لا أستطيع تذكرها، ولست أعرف كيف كانت، ولا حتى أعرف كيف كانت لتملأ هذه الفجوة.

التوت شفتاها في ابتسامة حزينة وأضافت:

- هل ترى في ذلك أي منطق؟

أومأ أنطوني برأسه قائلًا:

- كل المنطق.

أضافت كيت:

- أظن أن فقدان أحد الوالدين بعد أن تعرفه وتحبه هو أكثر صعوبة. أعرف ذلك يقينًا لأنني فقدت الاثنين.

قال بصوت خافت:

- أنا آسف.

قالت:

- لا بأس. فالمثل القائل بأن الوقت يداوي جميع الجراح هو حقًا صحيح.

حدق إليها باهتمام، وأمكنها أن ترى من تعبيره أنه لا يوافقها الرأي. تابعت:

- كلما كبر سنّك كانت وفاة والديك أصعب حقًا. فبالرغم من امتنانك لتعرّفك إليهما، يظلّ ألم الفراق هو الأكثر حدة.

همس أنطوني:

- كنتُ كمن فقد ذراعًا.

أومأت برأسها بتروٍّ، وقد أدركت بصورة ما أنه لم يتحدث عن حزنه لكثير من الناس. لعقت بتوتّر شفتها التي صارت جافة تمامًا. من الطريف كيف حدث ذلك. كل مطر العالم ينهمر في الخارج، وها هي جافة كالعظام.

قالت كيت بلطف:

- لعل ذلك كان أفضل لي إذن. أن أفقد أمي وأنا صغيرة هكذا. ثم إن ماري كانت رائعة. لقد أحبتني كابنتها. الحق أنها...

قطعت جملتها، مذهولة من البلل المفاجئ في عينيها. وعندما وجدت صوتها أخيرًا، كان همسًا منفعلًا.

- الحق أنها لم تفرّق بيني وبين إدوينا في المعاملة ولو مرة واحدة. لا أعتقد أنه كان بإمكاني أن أحب أمي أكثر.

حدقت عينا أنطوني إلى عينيها، وقال بصوت خافت محتدم:

- أنا ممتن لذلك كثيرًا.

ابتلعت كيت ريقها.

- أحيانًا تتمادى كثيرًا في هذا الشأن. إنها تزور قبر والدتي فقط لتخبرها بحالي. الأمر جد لطيف في الواقع. عندما كنت صغيرة اعتدتُ أن أذهب معها لأخبر أمي بحال ماري.

ابتسم أنطوني قائلًا:

- وهل كان تقريرك إيجابيًا؟

- دائمًا.

جلسا في صمتٍ أنيس للحظة، يحدقان إلى لهب الشمعة، ويشاهدان الشمع يتساقط عليها إلى الشمعدان. عندما سقطت القطرة الرابعة من الشمع

على الشمعة، وانزلقت على طول العمود حتى تصلبت في مكانها، التفتت كيت إلى أنطوني وقالت:

- ربما تظن أن ذلك تفاؤل ساذج مني، لكني أعتقد أن الحياة تسير وفق خطّة إلهية كبرى لا محالة.

التفت إليها ورفع أحد حاجبيه.

أوضحت:

- كل العُقد تنحلّ في النهاية. فقدت أمي، لكني ربحت ماري، وأختًا أحبها كثيرًا. و...

أضاء وميض من البرق الغرفة. عضت كيت شفتها، محاولة إجبار أنفاسها على التباطؤ والخروج من خلال أنفها. سيأتي الرعد، لكنها ستكون مستعدة له، و...

اهتزت الغرفة بالهزيم، واستطاعت أن تبقي عينيها مفتوحتين.

أطلقت زفيرًا طويلًا وسمحت لنفسها بابتسامة فخورة. لم يكن هذا صعبًا للغاية. هو قطعًا لم يكن ممتعًا، لكنه لم يكن مستحيلًا كذلك. ربما بفضل وجود أنطوني المطمْئن بجانبها، أو ربما لأن العاصفة ببساطة تبتعد، لكنها نجحت في ذلك دون أن يقفز قلبها من صدرها.

سألها أنطوني:

- هل أنتِ على ما يرام؟

نظرَت إليه، وذاب شيء بداخلها مع النظرة القلقة على وجهه. مهما كان ما فعله في الماضي، مهما حدث بينهما من جدال وشجار، فإنه في هذه اللحظة كان يهتم لأمرها حقًا.

سمعت نبرة المفاجأة في صوتها بالرغم من أنها لم تقصدها وهي تقول:

- نعم. نعم، أعتقد أنّي بخير.

ضغط على كفها وهو يسألها:

- منذ متى وأنتِ هكذا؟

- الليلة؟ أم في حياتي؟

- كلاهما.

- الليلة منذ أول هزيم للرعد. أشعر بتوتر شديد يبدأ هطول المطر، لكن ما دام يأتي غير مصحوب برعد وبرق، فأنا بخير. ليس المطر في الواقع هو ما يزعجني، ولكن مجرد خوفي من احتمالية تطوره لشيء أكبر.

ابتلعت ريقها، ولعقت شفتيها الجافتين قبل أن تستطرد:

- وللإجابة على سؤالك الآخر، لا يمكنني أن أتذكر وقتًا لم أشعر فيه بالرعب من العواصف. إنه ببساطة جزء مني. هي حماقة شديدة، أعرف...

قاطعها قائلًا:

- ليست حماقة.

قالت بشبه ابتسامة مرتبكة:

- لطف منك أن تعتقد ذلك، لكنك مخطئ. لا شيء أكثر حماقة من الخوف من دون سبب.

قال أنطوني بصوت متهدج:

- أحيانًا... أحيانًا تكون لمخاوفنا أسباب لا يمكننا تفسيرها. أحيانًا تكون مجرد شيء نشعر به في صميم قلبنا، شيء نعلم يقينا بأنه حقيقي، لكنه قد يبدو حماقة لأي أحد آخر.

حدقت كيت إليه باهتمام، وهي تراقب عينيه الداكنتين في ضوء الشموع الخافت، وتمسك أنفاسها مع وميض الألم الذي رأته في ثانية خاطفة قبل أن يشيح بنظره بعيدًا. وقد أدركت -بكل ذرة من كيانها- أنه لم يكن يتحدث عن أمور غير ملموسة. بل عن مخاوفه الشخصية، عن شيء محدد للغاية كان يطارده في كل دقيقة من كل يوم.

شيء عرفت أن ليس لها الحق في سؤاله عنه. لكنها تمنت -آه، لكم تمنّت- أنه عندما يحين الوقت ويصبح مستعدًا لمواجهة مخاوفه، أن تكون هي من يساعده.

لكن ذلك محال أن يحدث. إنه بصدد الزواج بامرأة أخرى، امرأة ربما هي إدوينا حتى، وزوجته وحدها هي من سيكون لها الحق في الحديث معه عن مثل هذه المسائل الشخصية.

قالت:

- أظن أنّي مستعدة للصعود إلى الطابق العلوي.

صارت صُحبته فجأة في غاية الصعوبة، ومعرفة أنه سيكون لغيرها مؤلمة بشدة.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة صبيانية وهو يقول:

- هل تقولين إن باستطاعتي أخيرًا الخروج من أسفل الطاولة؟

وضعت إحدى يديها على خدها في ارتباك وقالت:

- أوه، يا إلهي! آسفة للغاية. أخشى أنني توقفت عن ملاحظة المكان الذي نجلس فيه منذ وقت طويل. أي بلهاء ستظنني الآن.

هز رأسه وظل مبتسمًا وهو يقول:

- لستِ بلهاء على الإطلاق يا كيت. حتى عندما اعتقدتُ أنكِ أكثر مخلوقة لا تطاق على هذا الكوكب، لم يراودني قط شك في ذكائك.

توقفت كيت، التي كانت بصدد الخروج من تحت الطاولة، وقالت:

- لست أدري هل أشعر بالإطراء أم بالإهانة من هذا التصريح.

اعترف قائلًا:

- كلاهما على الأرجح. لكن للحفاظ على صداقتنا، دعينا نقول إنه الإطراء.

التفتت لتنظر إليه، مدركة أنها في وضع محرج بوجودها على يديها وركبتيها، لكن اللحظة بدت أهم من أن تؤخرها. قالت:

- أنحن أصدقاء إذن؟

أومأ برأسه وهو ينهض ثم قال:

- يصعب تصديق ذلك، ولكن أعتقد أننا كذلك.

ابتسمت كيت وهي تمسك بيده الممدودة لها وتنهض على قدميها. قالت:

- هذا يسعدني. أنتَ.. أنتَ حقًا لست ذاك الشيطان الذي ظننتك إياه.

ارتفع أحد حاجبيه، واتخذ وجهه فجأة تعبيرًا شديد الخبث.

فكّرت أنه على الأرجح منحل فاسد تمامًا مثلما يصوره المجتمع. فعدّلت قولها:

- حسنٌ، ربما أنت ذاك الشيطان. ولكنك قد تكون لطيفًا إلى حد ما كذلك.

قال مفكرًا:

- كلمة لطيف تبدو مبتذلة جدًا.

قالت بلهجة قاطعة:

- لطيف تعني لطيفًا. وبالنظر إلى ما كنت أظنه عنك، حريٌ بك أن تكون سعيدًا بالإطراء.

ضحك قائلًا:

- يمكنني أن أقول شيئًا واحدًا عنك يا كيت شيفيلد، وهو أنك لست مملة على الإطلاق.

قالت مازحة:

- مملة كلمة مبتذلة جدًا.

ابتسم.. ابتسامة حقيقية، وليس ذلك الفم الملتوي الساخر الذي يستخدمه في المناسبات الاجتماعية، بل ابتسامته الحقيقية. شعرت كيت فجأة بغصة في حلقها.

قال:

- أخشى أنّي لا أستطيع مرافقتك إلى غرفتك. لو رآنا أحدهم في هذه الساعة...

أومأت كيت برأسها. لقد أقاما صداقة غير متوقعة، لكنها لا تريد أن تعلَق في شرك الزواج به، صحيح؟ ومن نافلة القول أنه لا يريد أن يتزوجها.

أشار إليها قائلًا:

- وخاصة مع الثياب التي ترتدينها...

نظرت لأسفل وشهقت، وشدت رداءها بإحكام أكثر حولها. لقد نسيت تمامًا أنها لم تكن ترتدي ثيابًا مناسبة. لم تكن ملابسها الليلية فاضحة أو كاشفة، خاصة مع ردائها السميك، لكنها كانت ثياب نوم.

سألها برفق:

- هل ستكونين على ما يرام؟ ما زال المطر ينهمر.

توقفت كيت واستمعت إلى صوت المطر، الذي خفت حتى أصبح طقطقة رقيقة على النوافذ، وقالت:

- أعتقد أن العاصفة قد انتهت.

أومأ برأسه واختلس نظرة إلى الرّدهة قائلًا:

- إنها خالية.

قالت:

- سأذهب إذن.

تنحى جانبًا ليدعها تمر.

تقدمت للأمام، لكنها توقفت عندما وصلت إلى الباب والتفتت قائلة:

- لورد بريدجرتون؟

قال:

- أنطوني، يجب أن تناديني أنطوني. أعتقد أنّي أناديكِ كيت بالفعل.

- هل فعلت؟

لوح بيده قائلًا:

- عندما وجدتك. لا أظنك سمعت شيئًا مما قلته.

ابتسمت بحيرة قائلة:

- أنت محق على الأغلب. أنطوني.

بدا اسمه غريبًا على لسانها.

انحنى قليلًا للأمام، وفي عينيه ضوء غريب يكاد يكون شيطانيًا، وقال مجيبًا:

- كيت.

قالت:

- أردتُ فقط أن أشكرك لمساعدتي الليلة. إنني...

تنحنحت قبل أن تكمل:

- كان الأمر ليكون أصعب كثيرًا من دونك.

قال باقتضاب:

- لم أفعل شيئًا.

- لا، بل فعلت كل شيء.

وقبل أن يغريها البقاء فتبقى، أسرعت إلى الرّدهة ومنها إلى الطابق العلوي.

الفصل الثالث عشر

4 مايو، 1814 **جريدة المجتمع**

لا يوجد الكثير مما يحدث في لندن، بعد أن رحل الكثيرون إلى كِنت لحضور حفل بريدجرتون المنزلي الريفي. لا يسع كاتبة هذا المقال سوى أن تتخيل كم الأقاويل التي ستبلغ المدينة قريبًا. سيكون من بينها فضيحة، أليس كذلك؟ دائمًا ما تنطوي الحفلات المنزلية على فضيحة.

ليدي ويسلداون

كان صباح اليوم التالي من النوع الذي عادةً ما يعقب عاصفة عنيفة؛ مشرقًا وصافيًا، مع ضباب خفيف رطب يستقر على الجلد باردًا ومنعشًا.

غير أن أنطوني كان غافلًا عن الطقس، بعد أن أمضى معظم ليلته محدقًا إلى الظلام لا يرى سوى وجه كيت. كان قد نام أخيرًا قبيل ظهور أول خيوط الفجر في السماء. وعندما استيقظ، كان الوقت قد تجاوز الظهيرة بكثير، لكنه لم يشعر بأنه نال كفايته من الراحة. تخلل جسمه مزيج عجيب من الإرهاق والتوتر. شعر بأن عينيه ثقيلتان وفاترتان في محجريهما، لكن أصابعه استمرت في الطرق على السرير، متجهة ببطء نحو الحافة كما لو كان بإمكان أصابعه وحدها أن تسحبه خارج السرير ليقف على قدميه.

وأخيرًا، عندما قرقرت معدته بصوت عالٍ لحدٍ كاد معه أن يقسم بأنه رأى الجص يهتز على السقف، ترنح قائمًا وسحب رداءه. سار إلى النافذة وهو يتثاءب باتساع فمه بصوتٍ عالٍ، ليس بحثًا عن أي أحد أو أي شيء على وجه التحديد، لكن لأن الإطلالة ببساطة كانت أفضل من أي شيء آخر في غرفته.

ومع ذلك، في ربع الثانية الذي سبق نظرته للخارج وتطلُّعه نحو الأسفل، كان بطريقة ما قد علِم يقينًا ما سيراه.

إنها كيت. تمشي الهوينى على العشب، أبطأ كثيرًا مما رآها تمشي من قبل. فهي عادةً ما تمشي وكأنها تخوض سباقًا.

كانت أبعد كثيرًا من أن يرى وجهها، مجرد لمحة جانبية لاستدارة خدها. ومع ذلك لم يستطع أن يرفع عينيه عنها. كان في هيئتها الكثير من السحر؛ بهاء غريب في الطريقة التي تتأرجح بها ذراعاها أثناء المشي، وبراعة فنية في وضعية كتفيها.

أدرك أنها تسير باتجاه الحديقة.

وعلِم أن عليه اللحاق بها.

ظل الطقس على حالته المتناقضة معظم النهار، مقسِّمًا جمهور الحفل المنزلي إلى نصفين متساويين، بعضهم أصرّ على أن أشعة الشمس الساطعة تشجع على الاستمتاع بالهواء الطلق بالخارج، بينما قرر البعض الآخر الهروب من العشب النديّ والهواء الرطب إلى الجو الأكثر دفئًا وجفافًا في قاعة الاستقبال.

أيَّدت كيت المجموعة الأولى بقوة، وإن لم تكن في حالة مزاجية تسمح لها بالرفقة. كان ذهنها غارقًا في حالة تفكّر لا يسعها معها أن تجري محادثات مهذبة مع أناس لا تعرفهم، لذا فقد تسللت مرة أخرى إلى حديقة ليدي بريدجرتون الخلابة ووجدت لنفسها بُقعة هادئة على مقعد حجري بالقرب من شجيرة الورد. شعرت بالحجر باردًا ورطبًا بعض الشيء من تحتها، لكنها لم تحظ بنومٍ كافٍ في الليلة السابقة، وكانت متعبة، وكان هذا أفضل من الوقوف.

أدركت بحسرة أن هذا هو المكان الوحيد تقريبًا الذي يمكن أن تُترك فيه وشأنها. لو كانت قد ظلت في القصر، لتورطَت بكل تأكيد مع مجموعة السيدات اللائي يثرثرن في قاعة الاستقبال بينما يكتبن رسائل لأصدقائهن وعائلاتهن، أو الأسوأ من ذلك، قد تعلق مع زمرة النساء اللائي انزوين في مشتل البرتقال ليتابعن تطريزهن.

أما عن مؤيدي الهواء الطلق، فقد انقسموا هم أيضًا إلى مجموعتين. خرجت إحداهما إلى القرية للتسوق وإمتاع أعينهم بأي معالم سياحية يمكنهم العثور

عليها، والثانية قررت الذهاب إلى البحيرة سيرًا على الأقدام. ولمَّا لم يكن لدى كيت أدنى اهتمام بالتسوق -وكانت على معرفة تامة بالبحيرة- فقد تحاشت رفقة هاتين المجموعتين أيضًا.

وهكذا، انفردت بنفسها في الحديقة.

جلست لعدة دقائق تحدق إلى الفراغ، وقد تمركزت عيناها دون وعي على برعم وردة قريبة ملتف حول نفسه بإحكام. أحبَّت عزلتها تلك، حيث لم تكن مضطرة لتغطية فمها أو كبت الضوضاء الناعسة الصاخبة التي تصدر منها كلما تثاءبت. أحبَّت عزلتها، حيث لم يكن لأحد أن يبدي ملاحظاته عن الهالات السوداء أسفل عينيها، أو عن هدوئها وشُح حديثها على غير العادة.

أحبَّت عزلتها، حيث يمكنها الجلوس والشروع في ترتيب أفكارها المشوشة حيال الفيكونت. كانت تلك مهمة مضنية، مهمة تُفضِّل تأجيلها، ولكن ليس منها مفر.

الحق أنها لا تحتاج إلى كثير من التفكير. ذلك لأن كل شيء عرفته في الأيام القليلة الماضية كان يوجِّه ضميرها صوب إجابة وحيدة. لقد أدركت أنها لم تعد قادرة على معارضة تودد بريدجيرتون لإدوينا.

ففي الأيام القليلة الماضية، برهن الفيكونت على رقة مشاعره، واهتمامه، وتمسُّكه بالمبادئ. بل برهن حتى على بسالته، فكَّرت وشبح ابتسامة يرتسم على وجهها عندما تذكرت البريق في عيني بينولبي فيذرنجتون عندما أنقذها الفيكونت من براثن إهانات كريسيدا كوبر.

كان مُخلِصًا لعائلته.

استغل سلطته ووضعه الاجتماعي لا لفرض سيطرته على الآخرين، وإنما لكي يجنِّب غيره الإهانة.

ساعدها في إحدى نوبات هلعها، والآن بينما تستطيع التفكير في الأمر بذهنٍ صافٍ، تذهلها الرقَّة والكياسة التي تعامل بها معها حينئذ.

ربما كان ذات يوم منحلًا ومراوغًا -وربما لم يزل منحلًا ومراوغًا- لكن من الواضح أن تلك الصفات ليست جزءًا متأصلًا من هُويته. والاعتراض الوحيد لدى كيت على زواجه من إدوينا كان ...

ابتلعت لعابها بألم. فقد شعرت بغُصة بحجمِ قذيفة مدفع في حلقِها.

أنها في أعماق قلبها، تريده لنفسها.

لكن هذه [illegible] كيت حياتها تحاول ألا تكون أنانية، وتعلم أنها لن تستطيع [illegible] من إدوينا عدم الزواج بأنطوني لسببٍ كهذا. لو علمت إدوينا أن [illegible] ولو أقل قدر من الافتتان بالفيكونت، فسوف تضع حدًا لتردده على الفور. وما النفع الذي سيعود على كلتيهما من ذلك؟ سيعثر أنطوني على امرأة جميلة أخرى أهلًا لحبه. ثمة الكثيرات ليختار من بينهن في لندن.

ليس كأنه سيطلب يدها هي، فما الذي ستجنيه إذن من منع اقترانه بإدوينا؟

لا شيء سوى الإفلات من عذاب اضطرارها أن تراه متزوجًا بأختها. وهذا العذاب سيخبو بمرور الوقت، أليس كذلك؟ لا بد أن يخبو؛ لقد قالت بنفسها في الليلة السابقة إن الوقت قد شفى بالفعل جميع الجراح. ثم إنها ستتألم على الأرجح بنفس القدر إن رأته متزوجًا بامرأة أخرى؛ الفارق الوحيد هو أنها لن تضطر حينها لرؤيته في الأعياد وحفلات التعميد وما شابه.

ندت عن كيت تنهيدة. تنهيدة طويلة حزينة متعبة أخذت معها كل نفس من رئتيها وتركت كتفيها متهدلتين وظهرها محنيًا.

قلبها يوجعها.

ثم إذا بصوتٍ ما يملأ أذنيها. صوته هو، منخفضًا وناعمًا، مثل دوامة دافئة تحيط بها.

- رباه! تبدين جادة.

وقفت كيت بسرعة لدرجة ارتطمت معها خلفية ساقيها بحافة المقعد الحجري، فاختلّ توازنها وكادت تسقط. قالت بلا تفكير:

- سيدي.

تبدّى على شفتيه طيف ابتسامة، ثم قال:

- كنت أعلم أني سأجدك هنا.

جفلت عيناها إذ أدركت أنه كان يبحث عنها عن عمد. بدأ قلبها يخفق بسرعة أيضًا، لكن هذا على الأقل كان شيئًا يُمكنها إبقاؤه مخفيًا عنه.

نظر لأسفل سريعًا إلى المقعد الحجري، مشيرًا لها أن تأخذ راحتها وتستأنف جلستها. ثم قال بهدوء:

- الحقُّ أني رأيتُكِ من نافذتي. أردتُ أن أطمئن على أنك صرتِ بخير.

جلست كيت، وقد تصاعدت خيبة الأمل في حلقها. أتى بدافع الكياسة لا أكثر. من السخافة أن تحلم -ولو للحظة- باحتمالية أن يكون هناك ما هو أكثر. إنه -مثلما أدركت مؤخرًا- شخصٌ لطيف، وأي شخص لطيف كان ليرغب في الاطمئنان عليها بعد ما حدث في الليلة السابقة.

أجابت قائلة:

- إنني بخير جدًّا. شكرًا لك.

إذا خطر له أي شيء بسبب عبارتها المتكسرة المتقطعة، فلم يُبد رد فعل ملموسًا بشأنها. قال بينما يجلس إلى جوارها:

- يسرني ذلك، كنت قلقًا عليك طوال الليل.

ثم إذا بقلبها -الذي كان يخفق بسرعة قصوى بالفعل- يفوِّت نبضة.

- أفعلت؟

- بالطبع. وكيف لي ألا أفعل؟

ابتلعت كيت ريقها. ها هي ذي، تلك الكياسة الجهنمية مرة أخرى. أوه، لم تشك في أن اهتمامه وقلقه حقيقيان وصادقان. ما آلمها هو أنهما إنما كانا ينبعان من طيبة روحه الفطرية، وليس من أي شعور خاص نحوها.

وليس الأمر أنها كانت تتوقع شيئًا مختلفًا. لكنها لم تستطع منع نفسها من التمني على أي حال.

- آسفة أني أزعجتُك في تلك الساعة المتأخرة من الليل.

قالتها بهدوء، على الأغلب لأنها ظنت أن عليها أن تفعل. الحق أنها كانت ممتنة للغاية لوجوده هناك.

اعتدل قليلًا في جلسته مثبّتًا نظرته الجادة إلى حدٍ ما عليها، ثم قال:

- لا تكوني سخيفة. أكره فكرة أنك كنتِ لتُتركي وحيدة تمامًا أثناء العاصفة. حمدًا لله أني كنت موجودًا هناك لطمأنتك.

اعترفت قائلة:

- عادةً ما أكون وحيدة أثناء العواصف.

قطب أنطوني حاجبيه.

- ألا تطمئنك عائلتك أثناء العواصف؟

بدا عليها الخجل قليلًا وهي تقول:

- إنهم لا يعلمون أني ما زلت أخشاها.

أومأ أنطوني ببطء.

- فهمت. ثمة أوقات...

ثم توقف ليتنحنح، وهو تكتيك تضليلي يستخدمه كثيرًا حينما لا يكون واثقًا تمامًا مما يريد قوله.

- ظنِّي أنك ستجدين الطمأنينة إذا ما طلبتِ المساعدة من أمك وأختك، لكني أعلم...

تنحنح مرة أخرى. كان على علمٍ تام بهذا الشعور الغريب المتفرّد المرتبط بأن يحب المرء عائلته حد الوله، ومع ذلك لا يشعر بأنه قادر تمامًا على مشاركتهم أعمق مخاوفه وأكثرها تعقيدًا. هذا الشعور الذي يأتي مصاحبًا بإحساس غريب بالعزلة، بالوحدة المطبقة وسط حشد صاخب مُحب.

تابع بصوت تعمَّد أن يجعله متوازنًا وخافتًا:

- أعلم كم من الصعب في أغلب الأحيان أن يشارك المرء مخاوفه مع من يحبهم بعمق.

ركَّزت عينيها البنيتين -الدافئتين اللتين تفيضان بالحكمة والثاقبتين بصورة لا مراء فيها- في عينيه. لجزء من الثانية راودته فكرة غريبة بأن كيت بصورة ما كانت تعرف كل شيء عنه، كل تفصيلة صغيرة منذ لحظة مولده وحتى يقينه بموعد موته. بدت له في تلك الثانية، بوجهها الذي يرنو إليه وشفتيها المتباعدتين قليلًا، أنها كانت، أكثر من أي أحد وطئ الأرض بقدميه، تعرفه حق المعرفة.

كان ذلك مثيرًا.

فضلًا عن كونه مخيفًا.

همست:

- أنت رجل حكيم جدًا.

استغرق لحظة ليتذكر ما كانا يتحدثان بشأنه. آه نعم، المخاوف. كان على دراية بالمخاوف. حاول أن يمزح ليخفف من وقع مجاملتها.

- في غالب الوقت أكون رجلًا أحمق جدًا.

هزت رأسها وقالت:

- كلا. أعتقد أنك أصبت كبد الحقيقة تمامًا. لم أكن لأخبر ماري أو إدوينا فعلًا. فلست أريد أن أزعجهما.

عضت شفتها للحظة، حركة صغيرة مضحكة بأسنانها لكنه وجدها مغرية بشكل غريب.

أكملت:

- بالطبع إن أردتُ أن أكون صادقة مع نفسي، فعليّ الاعتراف بأن دوافعي ليست إيثارية تمامًا. فلا شك أن نصف ممانعتي تكمن في رغبتي في ألا أبدو ضعيفة.

غمغم قائلًا:

- تلك ليست خطيئة فظيعة.

قالت كيت بابتسامة:

- لا تربو إلى مستوى الخطيئة على ما أعتقد. لكنني سأجازف بافتراض أن هذا هو ما تعاني منه أنت أيضًا.

لم يُحر جوابًا، اكتفى بالإيماء مصدقًا على كلامها.

تابعت قائلة:

- لكل منا دور يلعبه في الحياة، ولطالما كان دوري أن أكون قوية وعقلانية. وكلاهما لا يتضمن الصراخ أسفل طاولة أثناء عاصفة رعدية.

قال بهدوء:

- الأرجح أن أختك أقوى بكثير مما تعتقدين.

تعلّقت عيناها بوجهه. هل يحاول أن يخبرها بأنه قد وقع في حب إدوينا؟ كان قد أثنى على جمال أختها من قبل، لكن لم يحدث قط أن أشار إلى صفاتها الشخصية.

بحثت عينا كيت في عينيه بقدر ما جرؤت، لكنها لم تجد شيئًا يفصح عن مشاعره الحقيقية. أجابت أخيرًا:

- لم أقصد التلميح بأنها ليست كذلك، لكني أختها الكُبرى. لطالما كان عليّ أن أتحلّى بالقوة من أجلها. في حين لم يكن عليها أن تتحلى بقوة من أجل أحدٍ سوى نفسها.

رفعت عينيها إلى عينيه مجددًا، فإذا به يحدّق إليها بحدة غريبة، كما لو كان باستطاعته أن ينفذ بعينيه إلى صميم روحها. قالت:

- أنت الأكبر بين إخوتك أيضًا. أنا واثقة أنك تعرف ما أعنيه.

أومأ برأسه، وبدت عيناه مستمتعتين ومستسلمتين في آنٍ واحد. قال:

- تمامًا.

افترّ ثغرها عن ابتسامة متفهّمة، من النوع الذي يتبادله الأشخاص الذين مروا بخبرات وتجارب متشابهة. وبينما تزايد شعورها بالراحة إلى جواره، وكأن بإمكانها أن تغوص بين جنبيه وتدفن نفسها في دفء جسده، أدركت أنها لم تعد تقوى على تأجيل مهمتها أكثر.

تحتّم عليها أن تخبره أنها ستسحب معارضتها اقترانه بإدوينا. فليس من العدل لأي أحد أن تُخفي ذلك القرار في نفسها، لا لشيء إلا لأنها أرادت الاحتفاظ بالفيكونت لنفسها، ولو لبضع لحظات جميلة هنا في الحديقة.

أخذت نفسًا عميقًا، وفردت كتفيها، والتفتت إليه.

نظر إليها بترقب. كان من الواضح أن لديها ما تقوله على الرغم من كل شيء.

تباعدت شفتا كيت. لكن لم يخرج من بينهما شيء.

سألها وقد لاح عليه شيء من الاستمتاع:

- نعم؟

قالت بلا روية:

- سيدي.

صحح لها برفق:

- أنطوني.

رددت:

- أنطونـــي (متسائلة لماذا زادت المهمة صعوبة عندما استخدمت اسمه الأول) أردت التحدث معك في شيء.

ابتسم قائلًا:

- واضح.

ثبتت عينيها بغموض على قدمها اليمنى، التي أخذت ترسم أشكالًا هلالية على التراب المكدس على الممشى.

- الأمر... امم... الأمر يتعلق بإدوينا.

ارتفع حاجبا أنطوني وتتبّع نظرتها إلى قدمها، التي تركت الأشكال الهلالية خلفها وكانت ترسم الآن خطوطًا متعرجة. تساءل بلطف:

- هل من خطب يخص أختك؟

هزت رأسها، ونظرت لأعلى مجددًا.

- إطلاقًا. ظني أنها في قاعة الاستقبال، تكتب خطابًا إلى ابنة عمّنا في سومرست. الفتيات يحببن ذلك كما تعرف.

طرف بعينيه.

- يحببن ماذا؟

قالت وقد أخذت كلماتها تتسارع بطريقة غريبة:

- كتابة الخطابات. لست مُراسِلة ماهرة عن نفسي. فنادرًا ما أتحلى بالصبر للجلوس ساكنة إلى أحد المكاتب فترة تكفي لكتابة خطابٍ كامل. ناهيك بأن خطي غاية في السوء. بيد أن أغلب الفتيات يقضين قسطًا كبيرًا من كل يوم في تحرير الخطابات.

حاول ألا يبتسم.

- أردتِ تحذيري من أن أختك تحب كتابة الخطابات إذن؟

غمغمت:

- لا، بالطبع لا. كل ما في الأمر أنك سألت عمّا إذا كانت بخير، فأجبتك أنها كذلك، وأخبرتك عن مكانها، ثم انحرفنا عن الموضوع تمامًا، و...

وضع يده على يدها، وقال مقاطعًا حديثها بحسم:

- ما الذي أردتِ أن تخبريني به يا كيت؟

راقبها باهتمام بينما تُصلِّب كتفيها وتطبق فكيها. بدت كما لو كانت تعدّ نفسها لخوض مهمة شنيعة. ثم قالت في جملة واحدة كبيرة مندفعة:

- أردت فقط أن أعلِمك بأنّي قد سحبت اعتراضي على خطبتك بإدوينا.

شعر فجأة بالهواء ينسحب من صدره. قال:

- آه... فهمت.

ليس لأنه فهم، ولكن فقط لأنه وجب عليه أن يقول شيئًا.

أردفت سريعًا:

- أعترف بأنني تحاملت عليك كثيرًا، لكنّي بدأت أعرفك حق المعرفة منذ مجيئي إلى أوبري هول، ووفقًا لما يمليه عليّ ضميري، لا يحقّ لي أن أدعك تظن أنّي ما زلتُ عازمة على اعتراض طريقك. هذا لن... هذا لن يكون تصرّفًا صائبًا مني.

اكتفى أنطوني بالتحديق إليها وقد غلبته الحيرة. أدرك أن ثمّة ما هو مخيّب للآمال قليلًا في استعدادها لتزويجه بأختها، نظرًا إلى أنه قد قضى القسط الأكبر من اليومين السابقين وهو يقاوم رغبة ملحّة طائشة في تقبيلها.

ومن ناحية أخرى، أوليس هذا ما أراده؟ ستكون إدوينا زوجة مثالية له.

كيت لن تكون.

إدوينا تستوفي جميع المعايير التي وضعها حينما قرر أخيرًا أن وقت الزواج قد حان.

كيت لا تفعل.

وبالتأكيد لا يمكنه مغازلة كيت إن كان ينوي الزواج من إدوينا.

كانت تمنحه ما أراده... تمامًا ما أراده، هكذا ذكّر نفسه؛ فمع مباركة أختها، ستتزوجه إدوينا في الأسبوع القادم إن هو رغب في ذلك.

لماذا إذن أراد أن يمسك بكتفيها ويهزها هزًا شديدًا حتى تسحب كل كلمة مزعجة لعينة نطقت بها؟

إنها تلك الشرارة. تلك الشرارة اللعينة التي لم يبدُ قط أنها ستنطفئ بينهما. ذلك الشعور الفظيع بالوخز الذي يحرق وعيه في كل مرة تدخل فيها إلى الغرفة، أو تأخذ نفسًا أو تحرّك إصبعًا من قدمها. ذلك الإحساس القابض بأنه بإمكانه -إن هو سمح لنفسه- أن يقع في حبها.

وذلك هو أخشى ما يخشاه.

لعله الشيء الوحيد الذي خاف من حدوثه يومًا.

ومن مفارقات القدر أن الموت كان الشيء الوحيد الذي لا يخشاه. ليس الموت مخيفًا لرجل وحيد. لن يرهب العالم الآخر رجلًا استطاع تفادي التعلّق بأي شيء هنا على الأرض.

أما الحب فكان شيئًا مقدسًا وباهرًا بكل معنى الكلمة. علِم أنطوني ذلك. رآه في كل يوم من أيام طفولته، في كل مرة تبادل والداه فيها نظرة أو لمسة يد.

لكن الحب عدو الرجل المحتضر. إنه الشيء الوحيد الذي يمكن أن يجعل سنواته الباقية غير محتملة، أن يتذوق النعيم وهو يعلم بأنه سيُنتزع منه. ولعل ذلك كان السبب في أن أنطوني حينما استجاب لكلماتها أخيرًا، لم يجذبها إليه ويقبّلها حتى تنقطع أنفاسها، ويتأكد من أنها قد فهمت أنه يتحرق شوقًا إليها، وليس لأختها.

ليس لأختها على الإطلاق.

بدلًا من ذلك، نظر إليها بهدوء ودعة، بعينين أشدّ ثباتًا بكثير من قلبه، وقال:

- هذا يبعث على الارتياح كثيرًا.

بينما تخلّف لديه طوال الوقت شعور غريب بأنه ليس هنا حقًا، إنما يراقب المشهد بأكمله -كمسرحية هزلية في الواقع- من خارج جسده، ويتساءل طوال الوقت أي هراء ذاك الذي يجري أمامه.

منحته ابتسامة واهنة وقالت:

- كنت أعلم أنك ستشعر بذلك.

- كيت، أنا...

لن تعرف أبدًا ماذا أراد أن يقول. الحق أنه لم يكن متأكدًا هو نفسه مما يريد أن يقول. لم يدرك حتى إنه سيتكلم إلا بعد أن عَبَر اسمها من بين شفتيه.

لكن كلماته قُدّر لها أن تبقى معلّقة إلى الأبد، لأنه في تلك اللحظة، سمعه.

أزيز منخفض، طنين، في الواقع، كان صوتًا من النوع الذي يجده أغلب الناس مزعجًا قليلًا.

لا شيء يمكن أن يثير رعب أنطوني أكثر.

همس بصوت أجشّ خائف:

- لا تتحركي.

ضاقت عينا كيت، وبالطبع تحرّكت، وأخذت تتلفّت حولها.

- عم تتحدث؟ ما الخطب؟

كرر:

- لا تتحركي وحسب.

انزلقت عيناها إلى اليسار، ثم تبعها ذقنها بربع البوصة أو نحوها.

- أوه، إنها مجرد نحلة!

أشرق وجهها بابتسامة مرتاحة، ورفعت يدها لتهُشها بعيدًا.

- بحق الله يا أنطوني، لا تفعل ذلك مجددًا. لقد أخفتني للحظة.

اندفعت يد أنطوني لتقبض على معصمها بقوة مؤلمة وهسهس قائلًا:

- قلت لا تتحركي.

قالت ضاحكة:

- إنها نحلة يا أنطوني.

ثبّتها أنطوني بقبضته الصلبة المؤلمة، ولم تفارق عيناه المخلوق البغيض لحظة. راح يراقبه وهو يطنّ حول رأسها عمدًا. شلّ من الخوف، والغضب، وشيء آخر لم يستطع تحديده.

ليس كأن أنطوني لم يحتك بالنحل طوال أحد عشر عامًا منذ وفاة والده. فلا يمكن للمرء أن يقيم في إنكلترا ويتوقع تحاشيه تمامًا بعد كل شيء.

الحق أنه، حتى هذه اللحظة، كان يجبر نفسه على مغازلته بطريقة غريبة قدرية. لطالما أحسّ أنه قد حُكِم عليه بالسير على خُطى والده من جميع النواحي. إذا كانت حشرة تافهة ستصرعه، فتالله ليفعلن ذلك واقفًا بثبات وعزم لا ينثني. كان سيموت عاجلًا أو ... حسنٌ، عاجلًا، ولم يكن ليفر هاربًا من حشرة ما لعينة. لذلك عندما كانت تطير نحلة تجاهه، كان يضحك، ويستهزئ، ويسبّ، ويهشّها بعيدًا بيده، متحديًا إياها أن ترد الأذى.

ولم يُلدغ قط.

لكن رؤية إحداها تطير قُرب كيت معرضة إياها للخطر، تحتك بشعرها، وتهبط على الكم المزركش لفستانها؛ أرعبه ذلك، كاد أن يصيبه بالشلل. أطلق

عقله العنان لتخيّلات يسابق كل منها الآخر، ورأى ذاك الوحش الصغير يغرز إبرته في جلدها الناعم، رآها تلهث من أجل الهواء، وتسقط على الأرض.

رآها هنا في أوبري هول، مستلقية على نفس الفراش الذي كان النعش الأوّل لأبيه.

همس:

- التزمي الهدوء وحسب، سوف نقف... ببطء. ثم نسير مبتعدين.

قالت وعيناها تضيقان بحيرة ونفاد صبر:

- أنطوني، ما خطبك؟

سحبها من يدها، محاولًا إجبارها على النهوض، لكنها قاومت. ثم قالت بصوت حانق:

- ليست سوى نحلة. توقف عن التصرف بغرابة. ربّاه! إنها لن تقتلني.

علقت كلماتها بثقلٍ في الهواء، كما لو أنها أجسام صلبة، جاهزة للاصطدام بالأرض وتحطيمهما معًا. ثم أخيرًا، عندما أحسّ أنطوني بحلقه يسترخي بما يكفي للحديث، قال بصوت حاد منخفض:

- قد تفعل.

جمدت كيت، ليس اتباعًا لأوامره، بل لأن شيئًا ما في وجهه، شيئًا ما في عينيه، أخافها حتى النخاع. بدا مختلفًا، كما لو أن شيطانًا مجهولًا ما قد مسَّه. قالت بصوت أملت أن يكون معتدلًا وحازمًا:

- دع معصمي فورًا.

شدت يدها، لكنه لم يلِن، وظلت النحلة تطن بلا هوادة حولها.

هتفت به:

- أنطوني، كفّ عن هذا في...

ضاع بقية هتافها عندما تمكنت بطريقة ما من انتزاع يدها من قبضته الساحقة. أفقدتها الحرية المفاجئة توازنها، واندفع ذراعها لأعلى، مما جعل باطن مرفقها يصطدم بالنحلة، التي أطلقت طنينًا صاخبًا غاضبًا عندما قذفتها قوة الضربة في الهواء، مصطدمة مباشرةً بالشريط العاري من الجلد فوق حافة صدر فستانها الصباحي المزركشة.

- أوه، حبًا باللــــ... آه!

أطلقت كيت عويلًا بينما غرست النحلة –التي استفزّها سوء المعاملة دون ريب– إبرتها في جلدها. سبّت متجاوزة كل نواياها في استخدام ألفاظ لائقة:

- أوه، تبًا.

كانت مجرد لسعة نحلة بالطبع، شيء عانت منه عدة مرات من قبل، لكنه يؤلم كالجحيم.

تذمرت قائلة:

- يا للإزعاج!

ودفنت ذقنها في صدرها بحيث يمكنها النظر لأسفل والحصول على رؤية أفضل للندبة الحمراء، التي بدأت تتورّم فوق حافة صدر فستانها مباشرةً.

- والآن سأضطر للدخول ووضع كمادة أعشاب، وسوف تلطخ ثوبي كله.

تأففت بازدراء، وأزالت جثة النحلة الميتة فوق تنورتها، وتمتمت:

- حسن، لقد مات هذا المخلوق المزعج على الأقل. قد تكون تلك هي العدالة الوحيدة في...

كان ذلك عندما رفعت نظرها إلى وجه أنطوني، الذي كان قد استحال أبيض. ليس شاحبًا، وليس ممتقعًا، بل أبيض. همس:

- آه، يا إلهي. (والأغرب أن شفتيه لم تتحركا حتى) آه، يا إلهي.

سألته وهي تميل للأمام متناسية للحظة اللسعة المؤلمة في صدرها:

- أنطوني؟ أنطوني، ما الخطب؟

أيًا كان الشرود الذي أصابه فقد انكسر فجأة، وقفز أنطوني للأمام، ممسكًا كتف كيت بإحدى يديه بينما تصارع اليد الأخرى صدر ثوبها، وتجذبه لأسفل لكشف إصابتها على نحو أفضل.

صرخت كيت:

- يا إلهي! توقف!

لم يقل شيئًا، لكن أنفاسه كانت متهدجة وسريعة بينما ثبّتها إلى ظهر المقعد، وما زال ممسكًا بفستانها لأسفل، ليس لدرجة فاضحة، لكنها أقل بالتأكيد من حدود الحشمة.

حاولت قائلة:

- أنطوني!

وقد حداها الأمل في أن استخدامها اسمه الأول قد يجذب انتباهه. لم تكن تعرف هذا الرجل؛ لم يكن هو الذي جلس إلى جوارها قبل دقيقتين فقط. كان جزعًا ومذعورًا وغافلًا تمامًا عن احتجاجاتها.

همس قائلًا دون أن ينظر لها ولو لمرة واحدة:

- هلّا صمتِّ؟

كانت عيناه مركزتين على الدائرة الحمراء المتورمة من الجلد على صدرها، وبيدين مرتجفتين انتزع الإبرة من جلدها.

أصرت قائلة: «أنطوني، إنني بخير! يجب عليك أن...

شهقت. فقد حرك إحدى يديه قليلًا بينما استخدم الأخرى ليسحب منديلًا من جيبه، وقد كادت يده الآن تحيط بصدرها كاملًا بطريقة فاضحة.

- أنطوني، ماذا تفعل؟

أمسكت بيده، محاوِلة إبعادها عن جسدها، لكن قوته كانت تفوق قوتها.

ثبّتها بقوة أكبر إلى ظهر المقعد بينما ضغطت يده على صدرها حتى كاد يصبح مسطحًا. صاح قائلًا:

- ابقي ثابتة!

ثم أمسك بالمنديل وبدأ يضغط على اللسعة المتورمة.

سألته ولم تزل تحاول الهرب:

- ماذا تفعل؟

لم يرفع نظره.

- أستخرج السم.

- أهناك سم؟

تمتم:

- لا مفر من وجوده. لا بد من وجوده. شيء ما يقتلك.

سقط فكها مفتوحًا.

- شيء ما يقتلني؟ هل جننت؟ لا شيء يقتلني. إنها لسعة نحلة.

لكنه تجاهلها، وصب تركيزه على مهمته التي أوكلها لنفسه من علاج إصابتها.

قالت تحاول استرضاءه والتفاهم معه:

- أنطوني، إنني أقدِّر قلقك، لكني تعرضت للسعات النحل ست مرات على الأقل، وأنا...

قاطعها قائلًا:

- هو أيضًا كان قد تعرض للسعات النحل من قبل.

شيء ما في صوته أرسل رجفة في عمودها الفقري. همست متسائلة:

- من؟

ضغط بقوة أكبر على اللسعة المتورمة، ووضع المنديل على السائل الصافي الذي نزَّ منها. قال بفتور:

- أبي، وقد قتلته.

لم تستطع تصديقه.

- نحلة؟

قال بحدة:

- نعم، نحلة. ألم تسمعيني؟

- أنطوني، لا يمكن لنحلة صغيرة أن تقتل رجلًا.

توقف للحظة قصيرة عن إسعافاته ليرفع نظره إليها. كانت عيناه قاسيتين، موحشتين. قال باقتضاب:

- أؤكد لك أنه ممكن.

لم تستطع كيت تصديق كلماته، لكنها أيضًا لم تظنه يكذب، لذا فقد التزمت الصمت برهة إذ أدركت أنه بحاجة إلى معالجة لسعتها أكثر مما هي بحاجة للإفلات من جنونه.

تمتم ضاغطًا المنديل بقوة أكبر:

- ما زالت متورمة، لا أعتقد أنّي أخرجت السم كله.

قالت بلطف:

- أنا واثقة أنني سأكون بخير.

وتحول حنقها منه إلى اهتمام يكاد يكون أموميًا. كان جبينه متغضنًا من التركيز، وما زالت حركاته تحمل طابعًا من النشاط المحموم. أدركت كيت أنه كان مرعوبًا، خائفًا من أن تسقط ميتة على مقعد الحديقة، صريعة نحلة صغيرة.

بدا الأمر غير قابل للفهم، ومع ذلك كان صحيحًا.

هزّ رأسه قائلًا بصوت أجش:

- ليس جيدًا بما فيه الكفاية، يجب أن أخرجه كله.

- أنطوني، أنا... ماذا تفعل؟

أمال ذقنها إلى الخلف وقرّب رأسه منها، كما لو كان ينوي تقبيلها.

قال عابسًا:

- سأضطر إلى امتصاص السم. فقط ابقي ثابتة.

صرخت:

- أنطوني! لا يمكنك...

شهقت وعجزت تمامًا عن إنهاء عبارتها بمجرد أن شعرت بشفتيه تستقران على بشرتها، وتنطبقان برفق، ومع ذلك تضغطان بلا هوادة، وتسحبان السم إلى داخل فمه. لم تدرِ كيت كيف تتصرف، لم تعرف أتدفعه بعيدًا أم تجذبه إليها.

لكنها في النهاية تجمدت فحسب. لأنها عندما رفعت رأسها ونظرت من فوق كتفيه، رأت مجموعة من ثلاث نساء يحدقن إليهما بتعبير واحد ينم عن الصدمة.

ماري.

الليدي بريدجرتون.

والسيدة فيذرنجتون، والتي يمكن القول بأنها أكثر من يهوى النميمة في الوسط الرفيع.

وأيقنت كيت، دون ذرة شك واحدة، أن حياتها لن تعود أبدًا كما كانت.



الفصل الرابع عشر

جريدة المجتمع **4 مايو 1814**

والواقع أنه في حال اندلعت فضيحة في حفل ليدي بريدجرتون، فليطمئن أولئك الذين بقوا في لندن مثلنا أن أيًا من الأخبار المثيرة لن يلبث أن يصل إلى آذاننا المرهفة بأقصى سرعة. ومع وجود العديد من محبي الثرثرة المشهورين بين الحضور، فنحن نضمن جميعًا تقريرًا كاملًا ومفصلًا.

ليدي ويسلداون

لجزءٍ من الثانية، ظل الجميع جامدين كما لو كانوا في لوحة. حدّقت كيت إلى العجائز الثلاثة في صدمة. وبادلنها التحديق في رعب مطبق.

وواصل أنطوني محاولاته امتصاص السم من لسعة كيت، غافلًا تمامًا عن حقيقة وجود جمهور.

من بين الخمسة، كانت كيت أول من استعاد صوته ورباطة جأشه، حيث دفعت بكل ما أوتيت من قوة كتف أنطوني مُطلقة صرخة محمومة:

- توقّف!

بعد أن ضُبطا بالجرم المشهود، تبيّنت كيت فجأة سهولة إزاحته، فسقط أرضًا على مؤخّرته، وما زالت عيناه تتقدان عزمًا على إنقاذها مما اعتبره نهايتها المحتومة.

شهقت ليدي بريدجرتون، وتهدّج صوتها باسم ابنها كما لو أنها تأبى تصديق ما تراه.

- أنطوني؟

التفت بسرعة.

- أمي؟

- أنطوني، ماذا تفعل؟

قال متجهّمًا:

- لقد لسعتها نحلة.

احتجّت كيت:

- أنا بخير.

ثم شدّت فستانها لأعلى قائلة:

- لقد أخبرته أنني بخير، لكنه لم يستمع إليّ.

غشى الفهم عينَيْ ليدي بريدجرتون، وقالت بصوت حزين خافت:

- فهمت.

وأيقن أنطوني أنها قد فهمت بالفعل. ربما لأنها الوحيدة التي يمكنها أن تفهم.

قالت ماري أخيرًا والكلمات تغص بحلقها:

- كيت، لقد وضع شفتيه على... على...

قالت السيدة فيذرنجتون بغرض المساعدة:

- على ثديها.

ثم عقدت ذراعيها فوق صدرها الفسيح، وقطّبت حاجبيها باستهجان بينما بدا جليًا أنها تجد متعة هائلة فيما يحدث.

هتفت كيت:

- لم يفعل!

وكافحت للنهوض على قدميها، الأمر الذي لم يكن سهلًا نظرًا لسقوط أنطوني على إحداهما عندما دفعته عن المقعد.

- لقد لُسعت هاهنا!

وأشارت بإصبع مرتجفة إلى الندبة الحمراء المستديرة التي كانت لا تزال متورمة على جلدها الرقيق الذي يغطي ترقوتها.

حدقت العجائز الثلاثة إلى لسعة النحلة، بينما عكست وجوههن توردًا متطابقًا يميل إلى القرمزي الباهت.

- ليست قريبة بأي حال من ثديي!

احتجّت كيت، وقد اعتراها رعب هائل من اتجاه المحادثة لدرجة غفلت معها عن الشعور بالحرج من مصطلحاتها التشريحية الدقيقة.

أشارت السيدة فيذرنجتون:

- ليست بعيدة أيضًا.

انفجر أنطوني قائلًا:

- هلا أخرستها إحداكما؟

كشّرت السيدة فيذرنجتون قائلة:

- هل جننت؟

أجابها أنطوني:

- إن هو إلا بعض ما عندكم.

احتجت السيدة فيذرنجتون وهي تلكز ليدي بريدجرتون في ذراعها:

- ماذا يعني بهذا؟

وعندما لم تجبها الفيكونتيسة، استدارت إلى ماري وكررت السؤال.

بيد أن عيني ماري كانتا مسلطتين على ابنتها فقط. أمرتها قائلة:

- كيت، تعالَيْ إلى هنا فورًا.

اتجهت كيت نحو ماري بأدب.

سألت السيدة فيذرنجتون:

- حسن؟ ماذا سنفعل إذن؟

التفتت إليها ثلاثة أزواج من العيون في عدم تصديق.

تساءلت كيت بوهن:

- نفعل؟

قال أنطوني باقتضاب:

- لست أرى كيف يكون لك رأي في المسألة.

زفرت السيدة فيذرنجتون بقوة وازدراء. ثم أعلنت:

- لا بد أن تتزوج الفتاة.

- ماذا؟

خرجت الكلمة بصعوبة من حلق كيت، قبل أن تتابع:

- لقد فقدتِ صوابك دون ريب.

قالت السيدة فيذرينجتون بصلف:

- لا ريب في أنني الشخص الوحيد العاقل في هذه الحديقة. كان اللورد يضع فمه على نهديك يا فتاة، وقد رأيناه جميعًا.

أنّت كيت قائلة:

- لم يفعل! لقد لسعتني نحلة. نحلة!

تدخلت ليدي بريدجرتون قائلة:

- بورشا، لا أعتقد أن هناك حاجة لهذه اللهجة التصويرية.

ردت السيدة فيذرنجتون:

- لا فائدة من انتقاء الألفاظ الآن. سيصبح الموضوع مادة مشوقة للنميمة بغض النظر عن طريقة وصفك له. العازب الأكثر اتقادًا في الوسط الرفيع أطاحت به نحلة. عليّ أن أعترف أيها اللورد؛ لم أتخيّلك هكذا أبدًا.

هدر أنطوني وهو يتقدم نحوها بطريقة متوعدة:

- لن تكون هناك أي نميمة، لأن أحدًا لن يتفوّه بكلمة. لن أسمح بتلطيخ سمعة الآنسة شيفيلد بأي شكلٍ كان.

جحظت عينا السيدة فيذرينجتون في عدم تصديق:

- أتظن أنك تستطيع إخفاء شيء كهذا؟

قال وهو يضع يديه على خاصرته وينظر إليها بعينين تقدحان شررًا:

- أنا لا أنوي أن أقول شيئًا، وأشكّ أيضًا في أن الآنسة شيفيلد ستفعل.

كان تحديقه من النوع الذي يجعل رجالًا بالغين يجثون على ركبهم، فضلًا عن سيدة. بيد أن السيدة فيذرنجتون كانت إما منيعة أو ببساطة غبية، لذا فقد تابع قائلًا:

- مما يترك والدتينا، اللتين يبدو أن لهما مصلحة راسخة في حماية سمعتينا. مما يعني أنه لا يبقى سواكِ أيتها السيدة فيذرنجتون،

بصفتك العضو الوحيد في مجموعتنا الصغيرة الدافئة التي قد تبرهن بعد موقفنا هذا على أنها ثرثارة متبجحة سليطة اللسان.

استحال لون السيدة فيذرنجتون إلى الأحمر الباهت، وقالت بمرارة:

- أي أحد يمكن أن يرى ما حدث من المنزل.

كان واضحًا أنها تكره فقدان مثل هذه المادة الممتازة للنميمة. كانت ستحظى بالحفاوة لمدة شهر كشاهدة العيان الوحيدة على مثل هذه الفضيحة. أو بالأحرى، شاهدة العيان الوحيدة التي تحدّثت بما رأت.

رفعت ليدي بريدجرتون نظرها إلى المنزل، وشحب وجهها وهي تقول:

- إنها محقة يا أنطوني، لقد كنتما على مرأى من جناح الضيوف.

صرخت كيت:

- كانت نحلة، مجرد نحلة! مؤكّد لن ترغمننا على الزواج من أجل نحلة!

قوبلت ثورتها بصمت. نقلت بصرها بين ماري وليدي بريدجرتون، اللتين كانتا تحدقان إليها بتعبيرات تتأرجح بين القلق واللطف والشفقة. ثم نظرت إلى أنطوني، الذي كان تعبيره جامدًا، غامضًا، وغير قابل للقراءة على الإطلاق.

أغلقت كيت عينيها في بؤس. لم يكن من المفترض أن يحدث هذا. فحتى عندما أخبرته بأنه يستطيع أن يتزوج أختها، كانت تتمنى سرًا أن يكون لها، لكن ليس بهذه الطريقة.

آه، ربّاه، ليس بهذه الطريقة. ليس وهو يشعر بأنه محاصر. ليس وهو ينظر إليها لما تبقى من حياته متمنيًا لو أنها شخص آخر.

همست:

- أنطوني؟

ربما لو تحدث إليها، ربما لو نظر إليها فقط لأمكنها أن تستشف ما يفكر فيه.

أعلن قائلًا:

- سوف نتزوج في الأسبوع المقبل.

كان صوته ثابتًا وواضحًا، ولكن فيما عدا ذلك كان خاويًا من المشاعر.

صفقت ليدي بريدجرتون بيديها وقالت بارتياحٍ كبير:

- أوه، عظيم! سنبدأ أنا والسيدة شيفيلد استعداداتنا على الفور.

همست كيت مجددًا، بإلحاح أكبر هذه المرة:

- أنطوني، هل أنت متأكد؟

أمسكت بذراعه وحاولت جذبه بعيدًا عن العجائز. لم تكسب سوى بضع بوصات، لكنهما على الأقل لم يعودا في مواجهتهن.

نظر إليها بعناد وقال ببساطة، بصوته الأرستقراطي البارع الذي لا يسمح بالاعتراض ويتوقع أن يُطاع:

- سوف نتزوج، لا يوجد ما يمكن أن نفعله.

قالت:

- لكنك لا تريد الزواج بي.

جعله هذا يرفع حاجبيه.

- وهل تريدين أنتِ الزواج بي؟

لم تنبس ببِنت شفة. لم يكن لديها ما تقول، ليس إذا أرادت الحفاظ على أقل قدر من الكبرياء.

تابع وقد لانت ملامحه قليلًا:

- أعتقد أننا سنلائم بعضنا بعضًا بما فيه الكفاية. لقد صرنا صديقين نوعًا ما على الرغم من كل شيء. هذا أكثر مما يحظى به أغلب الرجال والنساء في بداية الارتباط.

أصرت قائلة:

- مُحال أنك تريد ذلك. لقد أردت الزواج بإدوينا. ماذا ستقول لإدوينا؟

عقد ذراعيه قائلًا:

- لم أقدم أي وعود لإدوينا قط. أحسب أننا سنخبرها ببساطة أننا وقعنا في الحب.

شعرت كيت بعينيها تدوران رغمًا عنها:

- لن تصدق هذا أبدًا.

هز كتفيه.

- أخبريها بالحقيقة إذن. أخبريها أنك تعرضت للسعة نحلة، وأنني كنت أحاول مساعدتك، فضُبطنا في وضع فاضح. أخبريها بما تريدين. إنها أختك.

عادت كيت تجلس على المقعد الحجري وتنهّدت قائلة:

- لن يصدق أحد أنك تريد الزواج بي، سيعتقد الجميع أنك تورطت.

ألقى أنطوني نظرة حادة على النساء الثلاثة، اللائي لم يزلن يحدقن إليهما باهتمام. وعندما قال «هل تمانعن؟» تراجعت كل من أمه وأم كيت عدة أقدام واستدارتا لمنحهما مزيدًا من الخصوصية. لم تتبعهما السيدة فيذرنجتون على الفور، فمالت فيوليت للأمام وسحبتها بقوة حتى كادت تخلع ذراعها من مكانه.

قال وهو يجلس إلى جوار كيت:

- لا يمكننا أن نحول بين الناس والثرثرة، لا سيّما في وجود شاهدة مثل بورشا فيذرنجتون. لست أثق في أن تطبق هذه المرأة فمها لفترة أطول مما تستغرقه عودتها إلى المنزل.

مال إلى الخلف وأسند كاحله الأيسر على ركبته اليمنى.

- لذا حريٌ بنا أن نستغلّ الأمر لصالحنا. فإن عليّ الزواج قبل نهاية هذا العام.

- لمَ؟

- لم ماذا؟

- لم عليك الزواج قبل نهاية هذا العام؟

توقف للحظة. لم تكن ثمة إجابة فعلية على هذا السؤال. لذا فقد قال:

- لأنني قررت أن أفعل، وهذا سبب كافٍ بالنسبة إليّ. أما بالنسبة إليكِ، فلا بُد من أن تتزوجي في نهاية المطاف...

قاطعته مرة أخرى قائلة:

- لأكون صريحة، لطالما افترضتُ أنني لن أفعل.

شعر أنطوني بعضلاته تنقبض، واستغرق الأمر عدة ثوانٍ ليدرك أن ما كان يشعر به هو الغضب.

- هل خططت أن تقضي حياتك عانسًا؟

أومأت برأسها، بعينين تنضحان براءة وصراحة في آن واحد.

- تبدو احتمالية مرجّحة، نعم.

ظل أنطوني ساكنًا لعدة ثوانٍ، يفكّر أنه يود لو أن بإمكانه قتل كل أولئك الرجال والنساء الذين قارنوها يومًا بإدوينا ورأوا أنها غير جديرة. لم يكن لدى كيت حقًا أي فكرة كم يمكنها أن تكون جذابة ومرغوبة في حد ذاتها.

عندما أعلنت السيدة فيذرينجتون أن عليهما الزواج، كان رد فعله الأولي هو نفس رد فعل كيت؛ الرعب المطبق. ناهيك بإحساسه بطعنة في كبريائه. ما من رجل يحب أن يُجبر على الزواج، والأدهى أن تجبره على ذلك نحلة.

لكنه حينما وقف هناك وراقب كيت تعوي احتجاجًا -فكر في أن ردّ فعلها لم يكن الأكثر إطراءً، ولكن ربما لأن كبرياءها هي الأخرى قد جُرحت-، غمره شعور غريب بالرضا.

كان يريدها.

يريدها باستماتة.

لم يكن ليسمح لنفسه باختيارها زوجة، ولو بعد مليون سنة. كانت تمثل خطرًا كبيرًا جدًا على سلامه النفسي.

لكن ها هو القدر يتدخّل، والآن بعد أن بدا أنه اضطر إلى الزواج بها اضطرارًا... حسن، لا يبدو أن ثمة جدوى من إثارة ضجة كبيرة. إن هناك مصائر أسوأ من أن يجد المرء نفسه متزوجًا من امرأة ذكية ومشوقة يتصادف أنه يتوق إليها في كل لحظة.

كل ما عليه فعله هو أن يحرص على ألا يقع في حبها حقيقةً. وذلك ليس بالأمر المستحيل، صحيح؟ يعلم الرب أنها تقوده للجنون نصف الوقت بجدالها المستمر. يمكنه أن يسعد بزيجة هانئة مع كيت. سوف يستمتع بصحبتها، ويستمتع بجسدها، ويكتفي بذلك. لا ينبغي أن يتعمق إلى ما هو أكثر.

ولم يكن ليصبو إلى امرأة أفضل لتكون أمًا لأبنائه بعد رحيله. هذا وحده يستحق العناء بكل تأكيد.

قال بثقة كبيرة:

- لسوف ينجح هذا. سترين.

بدت متشككة، لكنها أومأت برأسها. لم يكن بيدها حيلة بالأساس. لقد ضبطتها أكبر نمامة في لندن توًا وفم رجل على صدرها. لو لم يعرض عليها الزواج، لدُمّرت سُمعتها إلى الأبد.

ولو رفضت الزواج به... حسن، فستوصم بأنها امرأة ساقطة وحمقاء في الوقت ذاته.

وقف أنطوني فجأة صائحًا:

- أمي!

وترك كيت على المقعد الحجري وهرول إلى أمه بخطوات كبيرة.

- نرغب أنا وخطيبتي في بعض الخصوصية هنا في الحديقة.

غمغمت ليدي بريدجرتون:

- بالطبع.

سألت السيدة فيذرنجتون:

- أتظنين أن هذا تصرّف حكيم؟

مال أنطوني للأمام، ووضع فمه قريبًا جدًا من أذن أمه، وهمس:

- إذا لم تبعديها من أمامي خلال عشر ثوانٍ، فسوف أقتلها هنا في مكانها.

كتمت ليدي بريدجرتون ضحكتها وأومأت برأسها قائلة:

- بالطبع.

في أقل من دقيقة، كان أنطوني وكيت وحدهما في الحديقة.

التفت لمواجهتها؛ وقفت وخطت بضع خطوات تجاهه. غمغم وهو يلف ذراعه حول ذراعها:

- أعتقد أن الأحرى بنا أن نبتعد عن أنظار من في المنزل.

كانت خطواته واسعة وواثقة، وتعثرت كيت لتواكبه حتى تساوت خطواتهما. سألته وهي تهرول إلى جانبه:

- أيها اللورد، أتظن هذا تصرفًا حكيمًا؟

أشار دون أن يخفف من سرعته ولو لثانية:

- تبدين مثل السيدة فيذرنجتون.

تمتمت كيت:

- معاذ الله، بيد أن السؤال لا يزال قائمًا.

أجاب وهو يجذبها إلى داخل سقيفة الزهور:

- نعم، أعتقد أنه تصرف حكيم جدًا.

كانت جدران السقيفة مفتوحة قليلًا للتهوية، لكنها محاطة بشجيرات الليلك وتوفر لهما قدرًا كبيرًا من الخصوصية.

- لكن...

ابتسم. ببطء.

- هل تعرفين أنك تجادلين كثيرًا؟

- هل أحضرتني إلى هنا لتخبرني بهذا؟

قال:

- لا، لقد أحضرتك إلى هنا لفعل هذا.

وقبل أن تتاح لها الفرصة لتنطق بكلمة، وقبل حتى أن تتاح لها الفرصة لالتقاط أنفاسها، انقض فمه ليقبض على فمها. كانت شفتاه نهمتين، تأخذان كل ما تقدمه وتطالبان بالمزيد. استعرت النار التي توهجت بداخلها وتأججت بحرارة أعلى كثيرًا مما أشعله في تلك الليلة بغرفة مكتبه، حرارة أعلى بعشرة أضعاف.

همس:

- لا ينبغي لك أن تفعلي هذا بي. لا ينبغي لك. كل شيء فيك هو خطأ مطلق. هل ترين؟ هل تشعرين؟

ثم ضحك بصوت أجش، صوت غريب ساخر.

- هل حتى تفهمين؟

شعرت كيت بنفسها تنزلق داخل حضنه. وبدأ جلدها يتوهّج، وتسللت ذراعاها الخائنتان إلى أعلى لتحيطا بعنقه. كان يشعل بداخلها حريقًا، وهو شيء لم تستطع حتى أن تبدأ في السيطرة عليه. تملّكتها رغبة بدائية، رغبة محمومة تنصهر ولا تحتاج لشيء أكثر من لمسة جلده على جلدها.

إن ذلك لخطأ كبير. خطأ فادح. كانت تراودها شكوك خطيرة حول هذه الزيجة، وكانت تعلم أن عليها الحفاظ على صفاء ذهنها. ظلت تحاول تذكير نفسها بذلك، لكن محاولاتها لم تمنع شفتيها من التباعد لتسمحا لشفتيه بتقبيلهما.

ولا منعت التوق من الاحتدام بداخلها... مؤكّد أن ذلك الشعور الغريب الواخز المتأجج هو التوق.

همست:

- هل أنا شخص مريع؟

كانت تهمس لأذنيها هي أكثر مما تهمس لأذنيه.

- هل هذا يعني أنني ساقطة؟

لكنه سمعها، وكان صوته حارًا ورطبًا على وجنتها.

- لا.

اقترب من أذنها وجعلها تسمع من كثب.

- لا.

ثم انتقل إلى شفتيها وأجبرها على ابتلاع الكلمة.

- لا.

ثم نظر إليها قبل أن يهمس:

- بل أنتِ مثالية. هنا، الآن، في هذه اللحظة، في هذه الحديقة، أنتِ مثالية.

وجدت كيت شيئًا مزعجًا في كلماته، كما لو أنه يحاول أن يخبرها –ولعلّه يخبر نفسه أيضًا– أنها قد لا تكون مثالية غدًا، وربما حتى أقل مثالية في اليوم التالي. لكن قُبلته كانت مقنعة، طردت الأفكار غير السارة من رأسها، واستمتعت بدلًا من ذلك بالنعيم الطائش الحالي.

شعرت بأنها جميلة. شعرت بأنها... مثالية. وهناك، حينها، لم تملك إلا أن تعشق الرجل الذي جعلها تحسّ هذا الشعور.

بدت أصابعه غير خاضعة لسيطرته، مشدودة ومتشنجة، كما لو كان يسقط من جرف ووجد ما يتشبّث به أخيرًا. وتطلب الأمر منه كل جهده، وكل ذرة من ضبط النفس، حتى لا يمد يديه إلى الجزء الخلفي من فستانها ويبدأ ببطء في تحرير كل زر من سجنه.

ربّاه، كم أراد هذا لدرجة ظن معها أنه قد ينفجر.

لكن لم يكن الوقت ولا المكان مناسبين. ليس كأنه شعر بأن عليه الانتظار حتى يقرأ معها نذور زواجهما. فبالنسبة إليه، كان قد أعلن عن نواياه جهرًا، وكانت له. لكنه لم يكن ليوقع بها في سقيفة زهور والدته. كان يكنّ لنفسه اعتزازًا –ولها احترامًا– أكبر من هذا.

بتردد شديد، أبعد نفسه عنها ببطء، تاركًا يداه تستقرّان على كتفيها النحيفتين ومد ذراعيه ليبقي نفسه بعيدًا بما يكفي كي لا يغريه الاستمرار من حيث توقف.

ولكن الإغراء لم يخفت. فقد أخطأ بالنظر إلى وجهها، وفي تلك اللحظة كان على استعداد لأن يقسم بأن كيت شيفيلد لا تقل جمالًا عن أختها.

كان جمالها يحمل نوعًا مختلفًا من الجاذبية. كانت شفتاها أكثر امتلاءً، لكنهما أكثر قابلية للتقبيل بالتأكيد. أهدابها.. كيف لم يلاحظ من قبل كم هي طويلة؟ عندما طرفت بعينيها بدت كما لو أنها تستريح على خديها كالبساط. وعندما تخضّبت بشرتها بألوان الرغبة الوردية، توهّجت. عرف أنطوني أنه يتوهّم، لكنه حينما نظر إلى وجهها، لم يستطع منع نفسه من التفكير في بزوغ الفجر، في تلك اللحظة بالذات عندما تتسلل الشمس فوق الأفق، وتخضب السماء بألوانها الرقيقة القرنفلية والوردية.

وقفا على هذا النحو لمدة دقيقة كاملة، وكلاهما يلتقط أنفاسه، حتى ترك أنطوني ذراعيه تسقطان أخيرًا، وتراجع كل منهما خطوة إلى الخلف. رفعت كيت يدها إلى فمها، بالكاد تلامس أصابعها السبابة والوسطى والبنصر شفتيها. همست:

- ما كان علينا أن نفعل ذلك.

اتكأ للخلف على إحدى ركائز السقيفة، وبدا راضيًا أشد الرضا بحصّته.

- ولم لا؟ إننا خطيبان.

أقرّت:

- لسنا كذلك. ليس حقًا.

رفع أحد حاجبيه.

أوضحت كيت في عُجالة:

- لم تُبرَم أي اتفاقيات، أو توَقَّع أي أوراق. وليس لدي مهر. يجب أن تعرف أنني لا أملك أي مهر.

جعله هذا يبتسم.

- هل تحاولين التخلص مني؟

تململت قليلًا، وحولت وزنها من قدم إلى الأخرى.

- بالطبع لا!

تقدم خطوة تجاهها.

- إذن فهل تحاولين منحي سببًا للتخلص منك؟

توردت وجنتا كيت، وكذبت قائلة:

- لـــ... لا.

وإن كان هذا هو بالضبط ما تفعله. كانت تلك دون ريب أقصى درجات الحماقة من جانبها. فلو تراجع أنطوني عن هذه الزيجة، ستُدمر سمعتها إلى الأبد، ليس فقط في لندن، ولكن أيضًا في قريتها الصغيرة بسومرست. فالألسن دائمًا ما تتناقل أخبار الساقطات سريعًا.

ولكن ليس سهلًا عليها أبدًا أن تكون الخيار الثاني، وجزء منها يكاد يريد منه أن يؤكد شكوكها؛ أنه لا يريدها عروسًا له، وأنه يفضل إدوينا عليها، وأنه لا يتزوجها إلا لأنه اضطر إلى هذا اضطرارًا. سيؤلمها ذلك لحدٍ رهيب، ولكن لو أنه فقط أقرّ بذلك، فسوف تعرف، والمعرفة -مهما بلغت مرارتها- أفضل من عدم المعرفة.

ستعرف عندها على الأقل أين تقف بالضبط. أحسّت كما لو أن قدميها قد انغرستا بإحكام في رمالٍ متحركة.

قال أنطوني، جاذبًا انتباهها بنبرته الحاسمة:

- دعينا نوضح شيئًا واحدًا.

أسرت عيناه عينيها، واتقدتا بشدة لم تستطع معها النظر بعيدًا.

- لقد قلت إنني سأتزوجك. أنا رجل يلتزم بكلمته. أي تكهنات أخرى حول الموضوع ستكون مهينة جدًا.

أومأت كيت. لكن لم يسعها سوى التفكير: *احذري مما تتمنينه... احذري مما تتمنينه.*

لقد وافقت للتو على الزواج من نفس الرجل الذي كانت تخشى الوقوع في حبه. ودار بخلدها تساؤل وحيد: *هل يفكر في إدوينا عندما يقبلني؟*

هدر ذهنها، *احذري مما تتمنينه.*

فقد يأتيك راغمًا.



الفصل الخامس عشر

11 مايو 1814 **جريدة المجتمع**

مرة أخرى تبرهن كاتبة هذا المقال على صدق حدسها. فقد تبين أن حفلات الريف بالفعل تتسبب في حالات خطبة هي الأكثر إدهاشًا من نوعها.

أجل يا عزيزي القارئ، لك أن تضمن أنك ستقرأ الخبر هنا لأول مرّة: سيتزوج فيكونت بريدجرتون بالآنسة كاترين شيفيلد. ليس بالآنسة إدوينا، كما تقول الشائعات، بل بالآنسة كاترين.

أما فيما يتعلق بكيفية حدوث الخطبة، فإن الحصول على التفاصيل كان صعبًا على غير المتوقّع. بيد أن كاتبة هذا المقال قد سمعت من مصدر موثوق بأن الزوجين الجديدين قد ضُبطا في وضع فاضح، وبأن السيدة فيذرنجتون كانت شاهدة، غير أن السيدة فيذرنجتون التزمت الصمت حيال المسألة برمتها على غير العادة. وبالنظر إلى هوس تلك السيدة بالنميمة، لا تملك كاتبة هذا المقال إلا أن تفترض أن الفيكونت -الذي لم يُعرف عنه قط افتقاره للشجاعة- قد هدد بإلحاق الضرر الجسدي بالسيدة فيذرنجتون في حال نطقت ببنت شفة.

ليدي ويسلداون

سرعان ما أدركت كيت أنها ليست على وفاق مع الشهرة.

كان اليومان المتبقيان في كِنت سيئين بما يكفي؛ إذ بمجرد أن أعلن أنطوني ارتباطهما في العشاء الذي تلا خطبتهما المتعجلة نوعًا، لم تُتح لها الفرصة للتنفس بين كل التهاني والأسئلة والتلميحات التي ألقى بها ضيوف ليدي بريدجرتون في طريقها.

الوقت الوحيد الذي شعرت فيه بالراحة حقًا كان بعد بضع ساعات من إعلان أنطوني، عندما أتيحت لها أخيرًا الفرصة للحديث على انفراد مع إدوينا، التي ألقت ذراعيها حول أختها وأعلنت أنها تشعر بسعادة «غامرة» وسرورٍ «عارم» وأنها «ليست متفاجئة ولو حتى قليلًا».

أعربت كيت عن تفاجُئِها هي من أن إدوينا لم تتفاجأ، لكن الأخيرة اكتفت بأن هزت كتفيها وقالت:

- كان واضحًا بالنسبة إليّ أنه متيم بكِ. لا أعرف لماذا لم يرَ ذلك أحد غيري.

ترك هذا كيت مذهولة إلى حدٍ ما، لأنها كانت على يقينٍ تام من أن أنطوني قد سلط أنظاره فيما يتعلق بالزواج على إدوينا.

بمجرد عودة كيت إلى لندن، كانت التكهنات أسوأ. بدا أن كل فرد في المجتمع وجد ضرورة في المرور بمنزل آل شيفيلد الصغير المستأجر في شارع ميلنر لزيارة زوجة الفيكونت المستقبلية. تمكن أغلبهم من بث جرعة زائدة من التلميحات القاسية في تهانيه. لم يصدق أحد أن من الممكن أن يرغب الفيكونت حقًا في الزواج بكيت، ويبدو أن أحدًا منهم لم يدرك مدى وقاحة قول ذلك في وجهها.

قالت ليدي كوبر:

- ربّاه، لكم حالفك الحظ!

ليدي كوبر هي والدة كريسيدا كوبر سيئة السمعة، والتي من جانبها لم تبادل كيت كلمتين، واكتفت بأن جلست عابسة في الزاوية ترشق كيت بنظرات كأنها الخناجر.

واندفعت الآنسة جيرترود نايت تقول:

- لم تكن لديّ فكرة أنه مهتم بك.

بتعبير على وجهها يقول بوضوح أنها لا تزال عاجزة عن تصديق الأمر، وربما حتى تتمنى أن يتبين زيف الخطبة، على الرغم من الإعلان في جريدة لندن تايمز.

ومن الليدي دانبري، التي لم يكن معروفًا عنها قط مهارتها في التلاعب بالكلمات:

- لا أدري كيف أوقعتِ به، لكن لا بد أنها كانت حيلة بارعة. أعرف بضع فتيات هنا لن يمانعن في أخذ دروس منك، تذكري كلماتي.

كانت كيت تبتسم -أو تحاول الابتسام على الأقل؛ فقد أدركت أن جهودها لإبداء ردود لطيفة وودية لم تكن دومًا مقنعة- وتومئ، وتغمغم قائلة:

- أنا فتاة محظوظة.

كلما وكزتها ماري في جانبها.

أما بالنسبة إلى أنطوني فقد استطاع ذلك المحظوظ تجنب التحقيق القاسي الذي أُجبرَت على تحمله. كان أخبرها أن عليه البقاء في أوبري هول للاعتناء ببعض التفاصيل الخاصة بممتلكات العائلة قبل الزفاف، الذي حُدد له موعد في يوم السبت التالي، بعد تسعة أيام فقط من الحادث الذي وقع في الحديقة. راود ماري قلقٌ من أن هذا التسرع قد يؤدي إلى «القيل والقال» لكن ليدي بريدجرتون أوضحت بطريقة عملية أنه سيكون هناك «قيل وقال» بغض النظر عن أي شيء، وأن كيت ستكون أقل عرضة للتلميحات القاسية بمجرد تمتّعها بحماية لقب أنطوني.

شكت كيت في أن الفيكونتيسة -التي اكتسبت سمعة معينة لرغبتها المتفانية في تزويج أبنائها البالغين- كانت ببساطة تريد أن تضع أنطوني أمام الأسقف قبل أن تتاح له الفرصة لتغيير رأيه.

وجدت كيت نفسها تتفق مع ليدي بريدجرتون. بقدر ما كانت متوترة من حفل الزفاف وعش الزوجية الذي يليه، لم تكن قط من النوع الذي يؤجل الأمور. بمجرد أن تتخذ قرارًا -أو في هذه الحالة، أن يُتخذ قرارٌ بشأنها- لا تعود ترى سببًا للتأجيل. وبالنسبة إلى «القيل والقال» فقد يزيد الزفاف المتعجل من حجمه، لكن كيت توقعت أنها كلما أسرعت في الزواج بأنطوني، كان تلاشيه أسرع، وكان أسرع رجوعها إلى حياتها الطبيعية البعيدة عن الأضواء كما تأمل.

لا شك في أن حياتها لن تعود ملكها بعدئذ، كان يتحتّم عليها أن تعتاد ذلك.

ليس كأنها أحسّت بأن حياتها ملكها الآن. كانت أيامها مثل إعصار من المهام، تجرها ليدي بريدجرتون من متجر إلى آخر، منفقة قدرًا هائلًا من أموال أنطوني لشراء جهاز العروس. وسرعان ما تعلّمت كيت أن المقاومة غير

مجدية؛ عندما تصمم ليدي بريدجرتون –أو فيوليت، كما طلبت منها أن تناديها الآن– فليكن الله في عون الأحمق الذي يقف في طريقها. رافقتهما ماري وإدوينا في عدد قليل من الجولات، لكنهما سرعان ما أعلنتا أنهما منهكتان من طاقة فيوليت التي لا تكلّ وذهبتا إلى متجر جونتر لشراء المثلجات المُنكَّهة.

أخيرًا، وقبل يومين فقط من الزفاف، تلقت كيت رسالة من أنطوني يطلب منها فيها أن تبقى في المنزل في الرابعة من عصر ذلك اليوم حتى يتمكن من زيارتها. كانت كيت متوترة قليلًا لرؤيته مرة أخرى؛ بطريقة ما بدا كل شيء مختلفًا –أكثر رسمية– في المدينة. ومع ذلك امتنّت لفرصة تلافيها قضاء يومٍ آخر في شارع أكسفورد، عند الحائك، وصانع القبعات، وصانع القفازات، وأي شخص آخر كانت فيوليت تفكر في جرّها إليه.

وهكذا، بينما كانت ماري وإدوينا بالخارج لقضاء بعض المشاوير –كانت كيت قد أهملت عمدًا ذكر زيارة الفيكونت الوشيكة لهما– جلست في غرفة الاستقبال، ونيوتن ينام قانعًا عند قدميها، وانتظرت.

قضى أنطوني أغلب الأسبوع يفكر. ولا غرو أن كل أفكاره كانت عن كيت وقرانهما المرتقب.

كان يخشى أنه قد يحبّها إن هو سمح لنفسه. وبدا أن الحل ببساطة ألا يسمح لنفسه. وكلما أمعن التفكير في الأمر، زاد اقتناعه بأن هذا لن يمثل مشكلة. إنه رجلٌ بعد كل شيء، ويمكنه السيطرة على أفعاله وعواطفه. لم يكن أحمق؛ كان يعلم أن الحب موجود. لكنه آمن أيضًا بقوة العقل، وربما الأهم من ذلك، قوة الإرادة. الحق أنه لم ير أي سبب ليكون الحب شيئًا لا إراديًا.

ما دام لا يرغب في الوقوع في الحب، فلن يفعل. الأمر بهذه البساطة. يجب أن يكون بهذه البساطة. إن لم يكن، فهو ليس رجلًا بمعنى الكلمة، أليس كذلك؟

ومع ذلك، سيتعين عليه التحدث مع كيت من هذا المنطلق قبل الزفاف. فثمة بعض الأمور الخاصة بزواجهما تحتاج إلى التوضيح. ليست قواعد، حرفيًا، لكنها... اتفاقات. نعم، كانت هذه كلمة جيدة لوصفها.

كانت كيت في حاجة لأن تفهم تحديدًا ما يمكنها أن تتوقعه منه، وما يتوقع هو منها في المقابل. لم يكن زواجهما قائمًا على الحب. ولن يتحول إلى حب. هذا ليس خيارًا متاحًا ببساطة. لم يكن يظن أن لديها أي أوهام في هذا

الصدد، لكنه أراد -من باب الحيطة- توضيح الأمر الآن، قبل أن تتاح الفرصة لأي سوء تفاهم أن يتحول إلى كارثة مطبقة.

كان من الأفضل وضع كل شيء على الطاولة حتى لا يفاجأ أي من الطرفين بما لا يسره فيما بعد. بالتأكيد ستتفق كيت معه. فهي فتاة عملية. تريد أن تعرف على أي أرض تقف. لم تكن من النوع الذي يحب أن تُترك الأمور للتكهنات.

قبل دقيقتين بالضبط من الساعة الرابعة، طرق أنطوني مرتين على الباب الأمامي لمنزل آل شيفيلد، محاولًا تجاهل نصف دزينة من أعضاء الوسط الرفيع الذين صودف أنهم يتجولون في شارع ميلنر عصر ذلك اليوم. فكّر عابسًا أنهم كانوا بعيدين قليلًا عن أماكن تجوالهم المعتادة.

لكن هذا لم يفاجئه. ربما يكون قد عاد مؤخرًا إلى لندن، لكنه يدرك تمامًا أن خطبته هي موضوع النميمة الرائج حاليًا. لقد قطعت جريدة ويسلداون كل المسافة إلى كِنت بعد كل شيء.

فتح رئيس الخدم الباب بسرعة وأدخله، وقاده إلى غرفة الاستقبال القريبة. كانت كيت تنتظر على الأريكة، وشعرها مرفوع في تصفيفة أنيقة -لم يتمكن أنطوني قط من تذكر أسماء كل التصفيفات التي يبدو أن الفتيات يحببنها- واعتمرت قبعة صغيرة سخيفة من نوع ما قدّر أنطوني أن المفترض به أن يتماشى مع الزخارف البيضاء على فستانها المسائي ذي اللون الأزرق الباهت.

قرر أن القبعة ستكون أول شيء سيتخلّص منه بمجرد أن يتزوجا. إن لها شعرًا جميلًا، ولامعًا وكثيفًا. كان يعرف أن آداب السلوك تملي عليها ارتداء أغطية للرأس عندما تكون بالخارج، ولكن حقًا، بدت تغطية شعرها في راحة منزلها جريمة.

ومع ذلك، قبل أن يتمكن من فتح فمه ولو بالتحية، أشارت إلى طاقم الشاي الفضي على الطاولة أمامها وقالت:

- سمحت لنفسي بطلب الشاي. ثمة برودة خفيفة في الجو وفكرت في أنك قد تحب شرب بعض الشاي. إذا كنت مخطئة، يسعدني أن أقرع الجرس لطلب شيء آخر.

لم تكن في الهواء برودة، على الأقل لم يشعر بها أنطوني، لكنه على الرغم من ذلك قال:

- سيكون الشاي رائعًا. شكرًا لك.

أومأت كيت برأسها والتقطت الإبريق لتصب. أمالته بمقدار بوصة واحدة ثم عدلته، وقالت مقطبة جبينها:

- لست أدري حتى كيف تحب شايَك.

أحس أنطوني بزاوية فمه ترتفع قليلًا.

- بالحليب. من دون سكر.

أومأت برأسها، واضعة الإبريق لتترك مكانًا للحليب.

- يبدو أمرًا يجدر بالزوجة أن تعرفه.

جلس على كرسي يصنع زاوية قائمة مع الأريكة.

- ها قد بت تعرفين.

أخذت شهيقًا عميقًا ثم زفرته، وغمغمت:

- ها قد بت أعرف.

تنحنح أنطوني وهو يراقبها تصب الحليب. لم تكن ترتدي قفازات، وأدرك أنه يحب مشاهدة يديها تتحرّكان. كانت أناملها طويلة ونحيلة، ورقيقة لحدٍ لا يصدق، الأمر الذي فاجأه، بالنظر إلى عدد المرات التي داست فيها على أصابع قدميه أثناء الرقص.

بعض هذه الزلات بالطبع كان عن عمد، لكن ليس بالقدر الذي تحب هي أن يظنه.

تمتمت وهي تقدم له الشاي:

- احترس، إنه ساخن. لم أكن قط ممن يحبون احتساء الشاي فاترًا.

فكر بابتسامة أن لا، مؤكّد أنها لا تحبّ ذلك. لم تكن كيت من النوع الذي يفعل أي شيء بمقاييس معتدلة. كان هذا أحد أكثر الأشياء التي أحبها فيها.

قالت بلباقة:

- سيدي؟

وحركت الشاي بضع بوصات تجاهه.

أمسك أنطوني بالصحن، وسمح لأصابعه في قفازها بأن تمس أصابعها العارية. ثبت عينيه على وجهها، ملاحظًا التورد الباهت الذي مس وجنتيها.

لسبب ما أسعده هذا.

سألته بمجرد أن ابتعدت يدها بأمان عن يده، وأحاطت أصابعها بيد فنجانها:

- هل لديك شيء محدد أردت أن تسألني عنه يا سيدي؟

- اسمي أنطوني. حسبتُ أنك تتذكرين. ثم ألا يمكنني زيارة خطيبتي لمجرد الاستمتاع بصحبتها؟

منحته نظرة فطِنة من فوق حافة فنجانها وأجابت:

- بالطبع يمكنك، لكني لا أظنّك هنا من أجل ذلك.

رفع أحد حاجبيه لصراحتها.

- في الواقع، أنتِ محقة.

غمغمت بشيء ما. لم يتمكن تمامًا من سماعه، لكن تسلل إليه شك في أنها تقول:

- أنا دائمًا محقة.

قال:

- فكرت في أن علينا مناقشة زواجنا.

- أستميحك عذرًا؟

استند للخلف في كرسيه.

- كلانا شخص عملي. أعتقد أننا سنجد أنفسنا أكثر راحة بمجرد أن نفهم ما يمكن أن يتوقعه كل منا من الآخر.

- بالط... بالطبع.

- عظيم.

أعاد فنجانه إلى صحنه، ثم أعاد كليهما إلى الطاولة أمامه.

- يسعدني أنكِ تشعرين بهذا.

أومأت كيت برأسها ببطء لكنها لم تقل شيئًا، بدلًا من ذلك اختارت أن تبقي عينيها مركزتين على وجهه بينما يتنحنح. بدا وكأنه يستعد لإلقاء خطابٍ برلماني.

- إننا لم نبدأ بأفضل البدايات.

قالها وعبس قليلًا عندما أومأت برأسها موافقة.

- لكني أشعر -وآمل أن تكوني كذلك- بأننا توصلنا منذ ذلك الحين إلى نوع من الصداقة.

أومأت مرة أخرى، معتقدة أنها قد تنجح في أن تظل طوال المحادثة دون أن تفعل شيئًا سوى الإيماء.

تابع قائلًا:

- إن الصداقة بين الزوج والزوجة تحمل قدرًا عظيمًا من الأهمية، بل إنها في رأيي أهم حتى من الحب.

هذه المرة لم تومئ برأسها.

قال بلهجة تقريرية:

- سيكون زواجنا مبنيًا على أساس من الصداقة والاحترام المتبادلين، وأنا شخصيًا لا يمكن أن أكون أكثر سعادة.

كررت كيت، في الغالب لأنه كان ينظر إليها منتظرًا ردها:

- الاحترام.

قال:

- سأبذل قصارى جهدي لأكون زوجًا صالحًا لك، وشريطة ألا تمنعيني من فراشك، سأكون أمينًا لك ولعهودنا.

تمتمت:

- هذه حصافة بالغة منك.

لم يقل شيئًا لم تتوقعه ومع ذلك وجدته مؤلمًا لسببٍ ما.

ضاقت عيناه.

- آمل أنك تأخذين كلامي على محمل الجد يا كيت.

- أوه، منتهى الجدية.

قال:

- عظيم.

لكنه منحها نظرة غريبة، ارتابت معها في أنه يصدّقها. أضاف:

- وفي المقابل، أتوقع أنك لن تتصرفي بأي طريقة تلطّخ اسم عائلتي.

شعرت كيت بعمودها الفقري يتصلب:

- لم أكن لأجرؤ على ذلك.

- لم أظنك تفعلين. هذا أحد أسباب سعادتي البالغة بهذه الزيجة. فسوف تكونين فيكونتيسة ممتازة.

كانت كيت تعرف أنه يقصد بكلامه المجاملة، لكنه لا يزال كلامًا أجوف بعض الشيء، وربما به لمسة من التعالي. كانت تفضّل لو أخبرها بأنها ستكون زوجة ممتازة.

أعلن:

- ستكون بيننا صداقة، واحترام متبادل، وأطفال... أطفال أذكياء، حمدًا لله، نظرًا إلى أنك أذكى امرأة عرفتُها.

عوّض ذلك عن تعاليه، ولكن لم تكد كيت تبتسم أمام هذا الإطراء حتى أضاف:

- ولكن عليك ألا تتوقعي الحب. لن يقوم هذا الزواج على الحب.

ارتفعت غصة مريعة في حلق كيت، ووجدت نفسها تومئ برأسها مرة أخرى، إلا أن هذه المرة كانت كل حركة من رقبتها ترسل ألمًا في قلبها بصورة ما.

قال أنطوني:

- ثمة أشياء معينة لا يمكنني منحها لك، وأخشى أن الحب أحدها.

- فهمت.

- حقًا؟

انفجرت قائلة:

- بالطبع. لن يمكنك جعله أكثر وضوحًا ولو كتبته على ذراعي.

قال:

- لم أخطط قط للزواج من أجل الحب.

- ليس هذا ما أخبرتني به عندما كنت تتودد لإدوينا.

قال:

- عندما كنت أتودد لإدوينا، كنت أحاول نيل إعجابك.

ضيقت عينيها.

- أنت لا تنال إعجابي الآن.

أخرج زفيرًا طويلًا وقال:

- كيت، لم آتِ إلى هنا للجدال. لقد اعتقدت فقط أن الأفضل أن نكون صادقين مع أحدنا الآخر قبل الزفاف صباح السبت.

تنهدت قائلة:

- بالطبع.

وأجبرت نفسها على الإيماء. لم تكن نيته أن يهينها، ولم يكن ينبغي لها أن تبالغ في رد فعلها. لقد صارت تعرفه بما يكفي لتدرك أنه كان يتصرف بدافع القلق لا أكثر. كان يعلم أنه لن يحبها أبدًا؛ ففضّل أن يوضّح ذلك في البداية.

لكنه يظلّ مؤلمًا. لم تدرِ بعد هل أحبّته أم لا، لكن ما كانت على يقين تام منه هو أنها يمكن أن تحبّه، وأنها خائفة حد الموت من أنها ستحبّه بعد مضيّ أسابيع قليلة من الزواج.

وأن حياتها كانت لتغدو رائعة حقًا لو أن باستطاعته فقط أن يبادلها الحب.

قال برفق:

- الأفضل أن يفهم أحدنا الآخر الآن.

واصلت كيت الإيماء فحسب. فالجسم المتحرك يميل إلى البقاء في حالة حركة، وقد خشيت إن هي توقفت، أن تفعل شيئًا في غاية الحماقة، كأن تبكي مثلًا.

مدّ يده عبر الطاولة وأمسك يدها، مما جعلها تجفل. قال:

- لم أرغب في أن تدخلي هذه الزيجة ولديك أي أوهام، لا أظنك ترغبين في هذا.

قالت:

- بالطبع لا يا سيدي.

عبس قائلًا:

- ظننت أني طلبتُ منك أن تناديني أنطوني.

قالت:

- لقد فعلتَ يا سيدي.

سحب يده. راقبته كيت وهو يعيدها إلى حجره، شاعرة بحرمانٍ غريب.

قال:

- قبل أن أمضي، معي شيء لك.

ودون أن يبعد عينيه عن وجهها، مدّ يده إلى جيبه وأخرج علبة صغيرة. تمتم وهو يناولها لها:

- يجب أن أعتذر عن تأخّري الشديد في تقديم خاتم الخطبة لك.

مررت كيت أصابعها على الغطاء المخملي الأزرق قبل أن تفتح العلبة. قبع في الداخل خاتم ذهبي بسيط إلى حد ما، مزين بماسة واحدة مستديرة الشكل.

قال:

- إنه إرث بريدجرتون، يوجد العديد من خواتم الخطبة في المجموعة، لكني اعتقدت أنك ستحبين هذا أكثر. كانت بقية الخواتم ثقيلة الوزن ومبتذلة إلى حد ما.

قالت كيت، عاجزة تمامًا عن رفع عينيها عنه:

- إنه جميل.

مد يده وأخذ العلبة منها. وقال بصوت خافت ملتقطًا الخاتم من عشه المخملي:

- هل تسمحين لي؟

مدت يدها، ولعنت نفسها عندما أدركت أنها ترتجف.. ليس كثيرًا، لكن بما يكفي ليلاحظ بكل تأكيد. ومع ذلك لم ينبس بكلمة، فقط ثبّت يدها بإحدى يديه بينما استخدم الأخرى ليضع الخاتم في إصبعها.

سألها وهو لا يزال ممسكًا بأطراف أصابعها:

- يبدو لطيفًا حقًا، ألا تعتقدين ذلك؟

أومأت كيت، عاجزة عن إبعاد عينيها عن الخاتم. لم تكن قط ممن يحببن الخواتم؛ سيكون هذا أول خاتم تضعه بأي قدر من الانتظام. بدا غريبًا في إصبعها، ثقيلًا وباردًا وشديد الصلابة. وبطريقة ما جعل كل ما حدث في

الأسبوع الماضي يبدو أكثر واقعية. وأكثر حسمًا. خطر ببالها وهي تحدق إلى الخاتم أنها كانت تتوقع أن تنزل صاعقة برق من السماء لتوقف هذه الإجراءات قبل أن يقرآ نذورهما بالفعل.

اقترب أنطوني منها، ثم رفع أصابعها المزينة حديثًا إلى شفتيه. وهمس:

- ربما يجب أن نختم الصفقة بقبلة؟

- لست متأكدة أن...

- جذبها لتسقط على حجره وابتسم ابتسامة شيطانية.

- أنا متأكد.

ولكن عندما تعثّرت كيت، ركلت نيوتن بالخطأ، مما جعله يطلق نباحًا حادًا مدويًا، وقد انزعج بوضوح من مقاطعتهما غفوته بتلك الوقاحة.

رفع أنطوني أحد حاجبيه وأطلّ على نيوتن من فوق كيت.

- لم أره هنا حتى.

وضّحت كيت:

- كان غافيًا، إنه كثير النوم.

لكن نيوتن بمجرد أن استيقظ، رفض أن يتوقف عن الحركة، وبنباح أكثر استيقاظًا بعض الشيء وثب على الكرسي وهبط على حجر كيت.

صاحت:

- نيوتن!

- أوه، برب الــ...

لكن تمتمات أنطوني سرعان ما انقطعت بقبلة كبيرة لزجة من نيوتن.

قالت كيت، مستمتعة جدًا بتعبير أنطوني المشمئز لدرجة أنها نسيت خجلها من وجودها على حجره:

- أظنه يحبك.

قال أنطوني آمرًا:

- أيها الكلب، انزل على الأرض حالًا.

أحنى نيوتن رأسه وأنّ.

- الآن!

استدار نيوتن بعد أن أطلق تنهيدة كبيرة وهبط على الأرض.

قالت كيت وهي تنظر إلى الكلب الذي كان يتمدد الآن تحت الطاولة، وخطمه ممدد بحزن على السجادة:

- ربّاه، هذا مدهش.

قال أنطوني بزهو، وهو يلف ذراعه كالملزمة حول خصرها حتى لا تتمكن من النهوض:

- المفتاح يكمن في نبرة الصوت.

نقلت كيت بصرها من ذراعه إلى وجهه، ثم رفعت حاجبيها بتساؤل. قالت متأمّلة:

- لماذا لديّ انطباع بأنك تجد نبرة الصوت تلك فعالة مع النساء أيضًا؟

هز كتفيه وانحنى نحوها بابتسامة حالمة هامسًا:

- عادة ما تكون كذلك.

قبضت كيت على ذراعي الكرسي وحاولت إبعاد نفسها قائلة:

- ليس معي.

لكنه كان أقوى بكثير. قال وقد انخفض صوته إلى خرخرة شديدة الخفوت:

- بالأخص معك.

أمسك ذقنها بيده الحرة وأدار وجهها إليه. كانت شفتاه ناعمتين ولكن حاسمتين، وراح يسبر فمها بعمقٍ تاركًا إياها مبهورة الأنفاس.

كانت رائعة، رائعة ببساطة. وشعر بوخز في جسمه عندما فكر في ليلة زفافهما. ابتعد حتى يرى وجهها. كانت متوردة وعيناها ذاهلتين ومتسعتين. وبدأ شعرها في التحرر من القبعة القبيحة.

قال وهو ينتزعها من فوق رأسها:

- يجب إزالة هذه.

- سيدي!

- عديني ألا ترتديها ثانية.

تلوت في مجلسها –فوق حجره في الواقع، وهو ما لم يساعده في هذا الوضع الحرج– لتنظر من فوق حافة الكرسي. وأجابت بحدة:

- لن أفعل هذا. إنني أحب هذه القبعة بشدة.

قال بكل جدية:

- لا يمكنك.

- بل يمكنني و... نيوتن!

تتبع أنطوني نظرتها وانفجر في ضحكة مدوية، جعلتهما يهتزان في مجلسهما. كان نيوتن يمضغ قبعة كيت بسعادة. قال ضاحكًا:

- كلب جيد!

تمتمت كيت وهي تهندم ثوبها:

- كنت لأطالبك بشراء واحدة أخرى لي، لولا أنك أنفقت ثروة عليّ بالفعل هذا الأسبوع.

أثار هذا اهتمامه فتساءل:

- أفعلت؟

أومأت برأسها قائلة:

- كنت أتسوق مع والدتك.

- آه. حسن. أنا متأكد من أنها لم تسمح لك باختيار أي شيء مثل تلك.

وأشار إلى القبعة التي اهترأت في فم نيوتن.

عندما عاد بنظره إليها، كان فمها ملتويًا بسخط. لم يملك سوى أن يبتسم. كان من السهل جدًا أن يقرأها. لم تسمح لها والدته بشراء مثل هذه القبعة القبيحة، وكان يقتلها كمدًا أنها لم تستطع أن تفحمه برد على عبارته الأخيرة.

تنهد برضًا. لن تكون الحياة مع كيت مملة.

لكن الوقت أصبح متأخرًا، وربما كان عليه أن ينصرف. سبق وأخبرته كيت أنها لا تتوقع عودة أمها قبل ساعة على الأقل، بيد أن أنطوني أذكى من أن يثق بإحساس الأنثى بالوقت. قد تكون كيت مخطئة، أو ربما قد تغيّر والدتها رأيها، أو أي عدد من الأمور الأخرى التي يمكن أن تحدث، وعلى الرغم من أنه من المقرر زواجه بكيت في غضون يومين فقط، لم يبدُ من الحكمة أن يُضبطا في غرفة الاستقبال في مثل هذا الوضع الفاضح.

كان جلوسه على المقعد مع كيت وعدم فعل أي شيء سوى احتضانها مرضيًا لدرجة أدهشته. بتردد كبير وقف حاملًا إياها بين ذراعيه، وأعادها إلى مقعدها.

غمغم وهو يميل لأسفل ليضع قبلة على جبهتها:

- كانت هذه فترة استراحة مبهجة، لكني أخشى عودة والدتك في وقت مبكر. هل سأراك صباح السبت؟

طرفت بعينيها.

- السبت؟

قال بابتسامة مرتبكة:

- إحدى خرافات والدتي أنها تعتقد أن من سوء الطالع أن يرى العريس والعروس أحدهما الآخر في اليوم السابق لحفل الزفاف.

نهضت على قدميها، ومسّدت فستانها وشعرها بعناية.

- أوه. وهل تصدق هذه الخرافة أنت أيضًا؟

قال متأففًا:

- إطلاقًا.

أومأت برأسها.

- لطفٌ منك أن تساير والدتك إذن.

توقف أنطوني للحظة، مدركًا أن أغلب الرجال على شاكلته لا يريدون الظهور بمظهر من يتشبث بمئزر أمه. لكنها كيت، وكان يعلم أنها تقدّر الإخلاص للأسرة قدر ما يفعل، لذلك قال أخيرًا:

- ليس على الأرض شيء لا يمكنني فعله لإرضاء أمي.

ابتسمت بخجل قائلة:

- إنه أحد الأشياء التي تعجبني فيك.

أبدى إيماءة تشير إلى نيته لتغيير الموضوع، لكنها قاطعته قائلة:

- لا، إنها الحقيقة. أنتَ رجل مراعٍ وحنون أكثر مما تريد أن يعتقد الناس عنك.

ولأنه لم يكن ليستطيع الفوز في هذا الجدال معها -ولم تكن ثمة فائدة من معارضة امرأة عندما تبدي إطراءً- وضع إصبعه على شفتيها وقال:

- ششش. لا تخبري أي أحد.

ثم قبل يدها قبلة أخيرة وغمغم:

- وداعًا.

وشق طريقه إلى الباب ومنه إلى الخارج.

بمجرد أن امتطى حصانه ومضى في طريقه إلى منزله الريفي الصغير عبر المدينة، سمح لنفسه بالنظر مليًا في الزيارة. فكّر أنها سارت على نحو جيد. بدا أن كيت تفهم الحدود التي وضعها لزيجتهما، وقد تفاعلت مع حبّه برغبة حلوة وضارية في الوقت ذاته.

وفكر بابتسامة راضية أن المستقبل يبدو مشرقًا في المجمل. وأن زيجته ستكون ناجحة. أما فيما يتعلق بمخاوفه السابقة.. حسن، كان واضحًا أن لا شيء يدعوه للقلق.

أما كيت فلشد ما كانت قلقة. كان أنطوني حريصًا أشد الحرص على التأكد من أنها تُدرك أنه لن يحبها أبدًا. ولم يبدُ عليه بالتأكيد أنه يريد حبها في المقابل.

ثم جعل يقبّلها وكأن لا غد هنالك، وكأنها أجمل امرأة على وجه الأرض. إنها مستعدّة لأن تكون أوّل من تعترف بشح خبرتها بالرجال ورغباتهم، لكن شكًا لم يراودها في أن أنطوني كان راغبًا فيها.

أم كان يتمنّى ببساطة لو أنها امرأة أخرى؟ لم تكن اختياره الأول زوجة. ستبذل قصارى جهدها لتتذكر هذه الحقيقة.

وحتى لو وقعت في حبه؛ حسن، سيكون عليها ببساطة أن تحتفظ بهذا لنفسها. لم يكن لديها ما تفعله سوى ذلك.

الفصل السادس عشر

جريدة المجتمع **13 مايو 1814**

نما إلى علم كاتبة هذا المقال أن حفل زفاف لورد بريدجرتون بالآنسة شيفيلد سيكون صغيرًا وعائليًا وخاصًا.

بتعبير آخر، كاتبة هذا المقال غير مدعوّة.

لكن لا تخشَ شيئًا يا عزيزي القارئ، فكاتبة هذا المقال تبعث بأكثر مصادرها ثقةً في أوقات كهذه، وتَعِد بكشف تفاصيل مراسم الزفاف، المشوقة والعادية.

مؤكّد أن حفل زفاف العازب الأكثر جدارة في لندن هو أمر لا بد من ذكره في العمود المتواضع لكاتبة هذا المقال، ألا تتفق معي؟

ليدي ويسلداون

في الليلة السابقة للزفاف، جلست كيت على فراشها برداء النوم الأحبّ لقلبها، وأخذت تنظر ذاهلة إلى الصناديق الكثيرة المتناثرة على الأرض. كانت كل ممتلكاتها معبأة أو مطوية بعناية أو مخزنة، استعدادًا لنقلها إلى بيتها الجديد.

حتى نيوتن أجرى استعداداته للرحلة. فقد حُمِم وجُفِف، ووضع طوق جديد حول عنقه، وحمّلت ألعابه المفضلة في حقيبة صغيرة موجودة الآن في القاعة الأمامية، تمامًا بجوار الصندوق الخشبي المنحوت بدقة الذي تمتلكه كيت منذ كانت طفلة رضيعة. كان الصندوق مليئًا بألعاب طفولتها وكنوزها، وقد وجدت راحة هائلة في رؤية هذا الصندوق هنا في لندن. كان ذلك سخيفًا وعاطفيًا، لكنه بالنسبة إلى كيت قد خفف قليلًا من وطأة رعبها من انتقالها

المرتقب. جلب أشيائها -أشياء صغيرة مضحكة لا تعني شيئًا لأي أحدٍ غيرها- إلى منزل أنطوني جعله يبدو وكأنه منزلها هي أيضًا.

كانت ماري -التي لطالما أدركت ما تحتاج إليه كيت قبل أن تدركه كيت نفسها- هي من بعثت برسالة إلى الأصدقاء في سومرست بمجرد أن خُطبت كيت، وطلبت منهم شحن الصندوق إلى لندن في الوقت المناسب من أجل حفل الزفاف.

وقفت كيت وتجولت في أرجاء الغرفة، وتوقفت لتمرير أصابعها عبر ثوب النوم المطوي على طاولة، في انتظار نقله إلى آخر صناديقها. كان أحد الأشياء التي اختارتها ليدي بريدجرتون -فيوليت، يجب أن تبدأ في التفكير فيها باسم فيوليت- تصميمه محتشم لكن قماشه شفاف. شعرت كيت بالخجل طوال زيارة صانع الملابس النسائية. فهذه بعد كل شيء والدة خطيبها، تختار لها ملابس ليلة الزفاف!

عندما التقطت كيت الثوب ووضعته بعناية في الصندوق، سمعت طرقًا على الباب. دعت الطارق للدخول، فزجت إدوينا برأسها إلى الداخل. هي أيضًا ترتدي ثياب النوم، وشعرها الباهت مشدود إلى الخلف في كعكة غير منتظمة في مؤخرة عنقها.

قالت إدوينا:

- فكرت في أنك قد ترغبين في بعض الحليب الساخن.

ابتسمت كيت بامتنان.

- يبدو هذا بديعًا.

انحنت إدوينا لأسفل والتقطت الكوب الخزفي الذي وضعته على الأرض. ثم أوضحت مبتسمة:

- لا أستطيع الإمساك بكوبين وإدارة مقبض الباب في نفس الوقت.

وبمجرد أن دخلت، ركلت الباب لتغلقه وناولت كيت أحد الكوبين. سألت إدوينا من دون تمهيد وعيناها مثبتتان على أختها:

- هل أنت خائفة؟

تناولت كيت رشفة بحذر، متفحصة حرارة الكوب قبل أن تتجرع منه. كان ساخنًا ولكنه لم يكن حارقًا، وقد هدّأ ما اضطرم في نفسها بشكلٍ ما.

كانت تشرب الحليب الساخن منذ الطفولة، ودائمًا ما كان طعمه والإحساس المصاحب له يجعلانها تشعر بالدفء والأمان.

أجابت أخيرًا وهي تجلس على حافة فراشها:

- لست خائفة بالضبط، لكني متوترة. قطعًا متوترة.

قالت إدوينا وهي تلوح بيدها الحرة بانفعالٍ:

- حسن، بالطبع أنت متوترة. الحمقاء وحدها لن تشعر بالتوتر. إن حياتك كلها بصدد أن تتغير. كل شيء فيها! حتى اسمك. ستكونين امرأة متزوجة. فيكونتيسة. بعد غدٍ، لن تعودي المرأة نفسها يا كيت، وبعد ليلة غدٍ...

قاطعتها كيت:

- يكفي هذا يا إدوينا.

- لكن...

- أنت لا تساعدين في التخفيف عني.

منحتها إدوينا ابتسامة مرتبكة.

- أوه، آسفة.

طمأنتها كيت:

- لا عليكِ.

تمكنت إدوينا من الإمساك بلسانها لمدة أربع ثوانٍ قبل أن تسأل:

- هل تحدثت أمي معك؟

- ليس بعد.

- لا ريب ستفعل، ألا تعتقدين؟ فغدًا يوم زفافك، وأنا على يقين من أن هناك الكثير مما يتحتّم على المرء أن يعرفه.

ارتشفت إدوينا جرعة كبيرة من حليبها، تاركة شاربًا غير متناسق نوعًا ما على شفتها العليا، ثم جلست على حافة الفراش مقابل كيت.

- أنا على يقين من أن هناك الكثير مما لا أعرفه. وما لم تكوني قد خُضتِ شيئًا لا علم لي به، فلست أرى كيف يمكنك معرفته أنت أيضًا.

تساءلت كيت إن كان من الوقاحة أن تكمّم أختها ببعض ثياب النوم التي اختارتها ليدي بريدجرتون. يبدو أن ثمة بعض العدالة الشعرية اللطيفة في مناورة كهذه.

سألت إدوينا وهي تطرف بعينيها بفضول:

- كيت؟ كيت؟ لماذا تنظرين لي بطريقة غريبة؟

حدقت كيت إلى ثوب النوم مطولًا.

- ليس من مصلحتك أن تعرفي.

- أف. حسنٌ، سوف...

قطعت تمتماتها طرقات خفيفة على الباب. قالت إدوينا بابتسامة خبيثة:

- لا بد أن هذه أمي. لا أطيق صبرًا.

أدارت كيت عينيها لإدوينا بينما نهضت لفتح الباب. وكما هو متوقع، كانت ماري واقفة في الردهة، حاملة كوبين يتصاعد منهما البخار. قالت بابتسامة واهنة:

- فكرت في أنك قد ترغبين في بعض الحليب الساخن.

رفعت كيت كوبها.

- فكّرَت إدوينا في شيءٍ مشابه.

سألت ماري وهي تدلف إلى الغرفة:

- ماذا تفعل إدوينا هنا؟

سألت إدوينا بتبرّم:

- منذ متى أحتاج إلى سبب للحديث مع أختي؟

رمتها ماري بنظرة غاضبة قبل أن تحوّل انتباهها مرّة أخرى إلى كيت. قالت متأملة:

- ممم، يبدو أن لدينا فائضًا من الحليب الساخن.

قالت كيت وهي تضع كوبها على أحد الصناديق المغلقة وتستبدله بالكوب الأكثر دفئًا في يد ماري:

- لقد أصبح هذا فاترًا على أي حال. يمكن لإدوينا أن تأخذ الآخر إلى المطبخ وهي ذاهبة.

سألت إدوينا وقد بدت مشتتة الذهن على نحو مبهم:

- أستميحكِ عذرًا؟ آه، بالطبع، يسعدني أن أساعد.

لكنها لم تنهض على قدميها. الحق أنها لم تحرك حتى ساكنًا، باستثناء رأسها الذي كانت تديره ذهابًا وإيابًا من ماري إلى كيت وبالعكس.

قالت ماري:

- أريد أن أتحدث مع كيت.

أومأت إدوينا برأسها بحماس.

- بمفردنا.

طرفت إدوينا بعينيها.

- هل يجب أن أنصرف؟

أومأت ماري برأسها ومدّت يدها بالكوب الفاتر.

- الآن؟

أومأت ماري مرة أخرى.

بدت إدوينا مصدومة، ثم ذاب تعبيرها في ابتسامة قلقة.

- أنت تمزحين، أليس كذلك؟ يمكنني أن أبقى، صحيح؟

أجابتها ماري:

- بل خطأ.

نظرت إدوينا إلى كيت بعينين متضرعتين.

قالت كيت بابتسامة حاولت أن تكتمها:

- لا تنظري إليّ، إنه قرارها. فهي من ستقوم بالحديث على كل حال. أنا سأستمع فحسب.

أضافت إدوينا:

- وسوف تطرحين الأسئلة. إن لديّ أسئلة أيضًا.

واستدارت إلى أمها مستطردة:

- الكثير من الأسئلة.

قالت ماري:

- أنا متأكدة من ذلك، ولسوف يسعدني الرد عليها كلها في الليلة السابقة لزفافك.

أنّت إدوينا في طريقها للنهوض. ثم انتزعت الكوب من يد ماري قائلة بتأفف:

- هذا ليس عدلًا.

قالت ماري بابتسامة عريضة:

- الحياة ليست عادلة.

تمتمت إدوينا وهي تجرّ قدميها عبر الغرفة:

- هذا واضح.

نادتها ماري:

- ولا تتنصتي على الباب!

قالت إدوينا:

- لم أكن لأجرؤ على ذلك. ليس كأنك ستتحدثين بصوت عالٍ بما يكفي لسماع أي شيء من خلف الباب على أي حال.

تنهدت ماري بينما خرجت إدوينا إلى الرّدهة وأغلقت الباب خلفها، وقد تخلل حركاتها سيل مستمر من دمدمات غامضة. قالت لكيت:

- علينا أن نهمس.

أومأت كيت برأسها، لكنها شعرت بولاء كافٍ تجاه أختها لتقول:

- لعلّها لا تتنصّت.

رمقتها ماري بنظرة متشككة لأبعد حد.

- هل تريدين فتح الباب فجأة لترى بنفسك؟

ابتسمت كيت رغمًا عنها.

- فهمت وجهة نظرك.

جلست ماري في المكان الذي تركته إدوينا توًّا ومنحت كيت نظرة صريحة نوعًا.

- أنا واثقة أنك تعرفين سبب وجودي هنا.

أومأت كيت.

تناولت ماري رشفة من حليبها وظلت صامتة برهة طويلة قبل أن تقول:

- عندما تزوجت –بزوجي الأول، لا بوالدك– لم أكن أعرف أي شيء عما يمكن توقعه في فراش الزوجية. لم يكن...

أغلقت عينيها لفترة وجيزة، وللحظة بدا أنها تشعر بالألم. ثم قالت أخيرًا:

- افتقاري للمعرفة جعل الأمر كله أكثر صعوبة.

بطؤها في نطق كلماتها المختارة بعناية أوحى لكيت بأن كلمة «صعوبة» كانت على الأرجح هي الأخفّ وطأة من بين بدائل أخرى.

تمتمت كيت:

- فهمت.

رمقتها ماري بحدة.

- لا، لستِ تفهمين. وأتمنى ألا تفهمي أبدًا. ولكن هذا ليس موضوعنا. لقد أخذت على نفسي عهدًا بألا أدع إحدى بناتي تتزوج وهي جاهلة بما يحدث بين الزوج والزوجة.

اعترفت كيت:

- إنني على دراية بالفعل بأساسيات هذه العملية.

بدت الدهشة واضحة على ماري وهي تسأل:

- أحقًا هذا؟

أومأت كيت.

- لا يمكن أن يختلف الأمر كثيرًا عن الحيوانات.

هزت ماري رأسها، وانفرجت شفتاها في ابتسامة مستمتعة بعض الشيء.

- لا، لا يختلف.

فكرت كيت مليًا في أفضل السبل لطرح سؤالها التالي. مما رأته في مزرعة جارتها في سومرست، لم يبدُ فعل التكاثر ممتعًا على الإطلاق. لكن عندما قبّلها أنطوني، شعرت كما لو كانت على وشك أن تفقد صوابها. ثم عندما قبّلها للمرة الثانية، لم تعُد حتى متأكدة إن كانت تريد استعادة صوابها! شعرت بوخزات تغمر بدنها كله، وهي شبه متأكدة أن مواجهتهما الأخيرة لو كانت في مكانٍ لائق، لسمحت له بشق طريقه دونما احتجاج.

لكن عندئذٍ تذكرت صرخة الفرس المريعة في المزرعة... الحق أن قطع الأحجية لا تبدو متوافقة.

قالت أخيرًا، بعد كثير من النحنحة:

- لم يبدُ الأمر لطيفًا للغاية.

أغلقت ماري عينيها مرة أخرى، واتخذ وجهها نفس النظرة التي [illegible]ها من قبل... كما لو كانت تتذكر شيئًا تفضّل أن تبقيه طي النسيان [illegible] ثنايا عقلها. عندما فتحت عينيها مرة أخرى، قالت:

- إن متعة المرأة تعتمد كليًا على زوجها.

- وماذا عن متعة الرجل؟

قالت ماري ووجنتاها تتوردان:

- إن ممارسة الحب يمكن... لا، بل يجب أن تكون ممتعة لكل [illegible] الرجل والمرأة. ولكن...

سعلت وتناولت رشفة من حليبها.

- سيكون إجحافًا منّي ألا أخبرك بأن المرأة لا تجد دائمًا المتـ[illegible] في تلك العملية.

- لكن الرجل يفعل؟

أومأت ماري برأسها.

- لا يبدو هذا عادلًا.

ابتسمت ماري بسخرية.

- أعتقد أني أخبرتُ إدوينا توًا أن الحياة ليست دومًا عادلة.

عبست كيت، وهي تحدق إلى حليبها.

- حسنٌ، هذا حقًا لا يبدو عادلًا.

سارعت ماري لتضيف:

- لا يعني هذا أن التجربة لا بد أن تكون بغيضة بالضرورة للمرأة. وأنا موقنة بأنها لن تكون بغيضة لك. أحسب أن الفيكونت قد قبّلك؟

أومأت كيت دون أن ترفع عينيها.

عندما تحدثت ماري، استطاعت كيت سماع الابتسامة في صوتها. قالت ماري:

- سأفترض من تورّد وجهك أنك استمتعتِ بها.

أومأت كيت مجددًا، وكادت وجنتاها تحترقان.

قالت ماري:

- ما دمتِ قد استمتعت بقبلته، فأنا متأكدة من أنك لن تنزعجي من ملاطفاته الإضافية. أثق في أنه سيكون لطيفًا ومراعيًا لك.

لم تكن كلمة «لطيف» وصفًا دقيقًا لجوهر قبلات أنطوني، بيد أن كيت لم تظن هذا أمرًا يمكن للمرء مشاركته مع أمه. الواقع أن المحادثة بأكملها كانت محرجة بما يكفي على حالها.

تابعت ماري، كما لو أن الإحراج لم يكن واضحًا وضوح الشمس:

- الرجل والمرأة مختلفان عن بعضهما أشد الاختلاف، والرجل -حتى وإن كان مخلصًا لزوجته، وأثق أن الفيكونت سيكون كذلك- يمكن أن يجد متعته مع أي امرأةٍ كانت.

كان هذا مزعجًا، وليس ما أرادت كيت سماعه. سألتها بترقّب:

- والمرأة؟

- الأمر مختلف بالنسبة إلى المرأة. لقد سمعت أن الخبيثات من النساء يمكن أن يجدن متعتهن كالرجل، في أحضان كل من يرضيهن، لكني لا أصدق ذلك. أعتقد أن المرأة يجب أن تحب زوجها حتى تتمتع بفراش الزوجية.

صمتت كيت للحظة.

- لم تحبّي زوجك الأول، أليس كذلك؟

هزت ماري رأسها.

- الحب يصنع كل الفارق يا عزيزتي. الحب واحترام الزوج لزوجته. لكني رأيت الفيكونت في صحبتك. أعي أن نصيبك جاء مفاجئًا وغير متوقع، لكنه يعاملك باهتمام واحترام. لن يكون لديك ما تخشينه، أنا واثقة من ذلك. سوف يحسن الفيكونت معاملتك.

ثم قبّلت ماري جبهة كيت وتمنت لها ليلة سعيدة، والتقطت كوبيْ الحليب الفارغين قبل أن تغادر الغرفة. جلست كيت على الفراش، تحدّق إلى الجدار بعينين خاويتين لعدة دقائق.

ماري مخطئة. كانت كيت واثقة من ذلك. إن لديها الكثير لتخشاه.

كرهت أنها لم تكن الخيار الأول لأنطوني كزوجة، لكنها كانت عملية، وعقلانية، وتعلم أن بعض الأشياء في الحياة يجب ببساطة قبولها كحقيقة واقعة. لكنها كانت تواسي نفسها بذكرى الرغبة التي شعرت بها -وتظن أن أنطوني شعر بها- عندما كانت بين ذراعيه.

والآن تبيّن أن هذه الرغبة لم تكن بالضرورة لها وحدها، بل كانت نوع من الغريزة التي يشعر بها كل رجل تجاه كل امرأة.

ولن تعرف كيت أبدًا ما إذا كان أنطوني، بعد أن يطفئ الشموع ويأخذها إلى الفراش، سيغلق عينيه... ويتخيل وجه امرأة أخرى.

أقيم الزفاف في غرفة الاستقبال بمنزل بريدجرتون ليكون حفلًا صغيرًا خاصًا. حسنٌ، صغير بقدر ما يمكن للمرء أن يتوقع مع حضور عائلة بريدجرتون بأكملها، بدءًا من أنطوني وصولًا إلى هياسنث الصغيرة التي لم تتجاوز بعد الحادية عشرة، والتي أخذت دورها حاملة الزهور بجدية بالغة. وعندما حاول شقيقها جريجوري، ذو الثلاثة عشر عامًا، لمس سلتها التي تحوي بتلات الورد، لكمته في ذقنه، مما أدى إلى تأخير المراسم لمدة عشر دقائق كاملة، غير أنه بث شيئًا من المرح والضحك اللذين كان الجميع في أمسّ الحاجة إليهما.

حسن، الجميع باستثناء جريجوري، الذي ضايقه الموقف بأكمله وقطعًا لم يكن يضحك. على الرغم من أنه كان البادئ، كما سارعت هياسنث بالتوضيح لكل من يريد أن يسمع، وكان صوتها عاليًا بما يكفي بحيث لم تترك لأحدٍ خيارًا ألا يسمعها.

رأت كيت الحادث كله من موقعها في الرّدهة، حيث كانت تختلس النظر من شق الباب. جعلها هذا تبتسم، وهو أمر قدّرته كثيرًا، نظرًا لأن ركبتيها

كانتا تصطكان ببعضهما لأكثر من ساعة. لم تملكْ سوى الامتنان لحظها الذي جعل ليدي بريدجرتون لا تصر على إقامة حفل ضخم فاخر. إذ إن كيت -التي لم تعتبر نفسها يومًا شخصًا كثير التوتر- كانت على الأرجح لتسقط مغشيًا عليها من الرعب.

الواقع أن فيوليت قد ذكرت إمكانية إقامة حفل زفاف ضخم وسيلةً لصدّ الشائعات التي تدور حول كيت وأنطوني وخطبتهما المفاجئة تلك. وعلى الرغم من أن السيدة فيذرنجتون قد أوفت بوعدها والتزمت الصمت بشأن تفاصيل المسألة، فقد زل لسانها بتلميحات كانت كافية ليعلم الجميع بأن الخطبة لم تحدث بالطريقة العادية.

ونتيجة لذلك، كان الجميع يتحدثون، وعرفت كيت أنها فقط مسألة وقت قبل أن تعجز السيدة فيذرنجتون عن كبح جماح نفسها، ويعلم الجميع بالقصة الحقيقية لسقوطها على يد -أو بالأحرى إبرة- نحلة.

لكن في النهاية قررت فيوليت أن الزواج السريع هو الحل الأمثل، ولمّا كان من غير الممكن أن يقيموا حفلًا ضخمًا في غضون أسبوع واحد، فقد اقتصرت قائمة المدعوّين على الأسرتين. رافقت كيت إدوينا، ورافق أنطوني شقيقه بنيدكت، وفي الوقت المحدد صارا زوجًا وزوجة.

كان غريبًا، فكّرت كيت في وقتٍ لاحق من ظهيرة ذلك اليوم وهي تحدق إلى الخاتم الذهبي الذي انضم إلى الخاتم الماسي في يدها اليسرى، كيف يمكن لحياة المرء أن تتغير سريعًا. كانت المراسم موجزة، مرّت سريعة في ضبابية محمومة، ومع ذلك بدّلت حياتها إلى الأبد. كانت إدوينا محقة. كل شيء صار مختلفًا. صارت امرأة متزوجة الآن، فيكونتيسة.

الليدي بريدجرتون.

عضت على شفتها السفلى. بدا كأنه اسم امرأة أخرى. كم من الوقت ستحتاج قبل أن تسمع أحدهم يقول «ليدي بريدجرتون» وتدرك أنه يتحدّث إليها فعلًا، وليس إلى والدة أنطوني؟

لقد صارت زوجة الآن، لها مسؤوليات الزوجة.

أرعبها ذلك.

الآن وقد انتهى حفل الزفاف، فكّرت كيت في كلمات ماري من الليلة السابقة وأيقنت أنها على حق. إنها أكثر نساء الأرض حظًا في كثير من

النواحي. أنطوني يحسن معاملتها. الحق أنه كان ليحسن معاملة أي امرأة. وتلك كانت المشكلة.

كانت الآن في عربة، تقطع المسافة القصيرة بين منزل بريدجرتون، حيث أقيم الحفل، ومقر إقامة أنطوني الخاص، والذي فكّرت أنه لم يعد ممكنًا الإشارة إليه على أنه «مسكن العزوبية».

اختلست نظرة إلى زوجها. كان يتطلع إلى الأمام مباشرة، وقد علت وجهه جدية غريبة.

تساءلت بهدوء:

- هل تخطط للانتقال إلى منزل بريدجرتون الآن بعد أن تزوجت؟

حدق أنطوني، تقريبًا كما لو كان قد نسي أنها برفقته. أجاب مديرًا وجهه إليها:

- نعم، ولكن ليس قبل عدة أشهر، فكرت أننا بإمكاننا أن نحظى بقليل من الخصوصية في بداية زواجنا، ألا ترين ذلك؟

تمتمت كيت:

- بالطبع.

وخفضت بصرها إلى يديها اللتين كانتا تتململان في حجرها. حاولت تثبيتهما، لكن كان هذا مستحيلًا. كانت معجزة أنها لم تمزق قفازيها.

تتبع أنطوني نظراتها ووضع إحدى يديه الكبيرتين على كلتا يديها. فسكنتا على الفور.

تساءل:

- هل أنت متوترة؟

أجابت محاولة إبقاء صوتها جافًا وساخرًا:

- هل ظننت أنني لن أكون كذلك؟

ابتسم مجيبًا:

- لا يوجد ما يدعو للخوف.

كادت كيت تنفجر في ضحكة عصبية. يبدو أنه قد قُدّر لها أن تسمع هذه العبارة المبتذلة مرارًا وتكرارًا. قالت:

- ربما، ولكن لا يزال هناك الكثير لأتوتّر بشأنه.

اتسعت ابتسامته.

- وجهة نظر سديدة يا زوجتي العزيزة.

ابتلعت كيت ريقها بعصبية. شعرت بغرابة في أن تكون زوجة لأحدهم، لا سيّما أن تكون زوجة لهذا الرجل. سألته:

- ماذا عنك؟ هل تشعر بالتوتر؟

مال نحوها، وعيناه الداكنتان متحمّستان وناعستان في آنٍ واحد.

- أوه، بشدة.

أغلق ما بقي مفتوحًا من عينيه، ووجدت شفتاه التجويف المرهف لأذنها وهمس:

- قلبي يخفق.

بدا أن جسم كيت يتصلب ويذوب في آنٍ واحد. ثم اندفعت قائلة:

- أعتقد أن علينا أن ننتظر.

- ننتظر حتى ماذا؟

حاولت أن تبتعد. لم يفهم. لو فهم لاستشاط غضبًا، لكنه لم يُبدِ انزعاجًا يُذكر.

تلعثمت قائلة:

- حـ... حتى نتزوج.

بدا أن هذا يروق له، وأخذ يعبث بالخواتم التي تستقر الآن حول أصابعها في قفازاتها.

- لقد فات الأوان على ذلك، ألا تظنين؟

أوضحت:

- حتى ليلة الزفاف.

تراجع، واستوى حاجباه الداكنان في خط مستقيم، بشكل قد ينم عن بعض الغضب. قال ببساطة:

- لا.

لكنه لم يُقدم على عناقها مرة أخرى.

حاولت كيت التفكير في كلمات تجعله يفهم، لكن المهمّة لم تكن سهلة؛ فهي ليست واثقة من أنها تفهم نفسها. وكانت شبه موقنة أنه لن يصدّقها إن هي أخبرته أنها لم تنوِ تقديم هذا الطلب؛ لقد اندفع هكذا من داخلها، نابعًا من حالة ذعر لم تكن تعرف أنها موجودة حتى تلك اللحظة بالذات.

قالت، كارهة الرجفة التي أصابت كلماتها:

- لا أقول إلى الأبد. وإنما أسبوع واحد.

استرعى هذا انتباهه، وارتفع أحد حاجبيه في تساؤل ساخر.

- وما الذي تأملين كسبه من هذا الأسبوع؟ أرجوكِ أخبريني.

أجابت بصدق تام:

- لست أدري.

سلّط عينيه على عينيها، قاسيتان ومثيرتان وتهكّميتان. قال:

- سيتعين عليكِ الإتيان بإجابة أفضل من هذه.

لم ترغب كيت في النظر إليه، لم ترغب في الحميمية التي كان يفرضها عليها كلما علقت في براثن عينيه الداكنتين. كان يسهل عليها أن تخفي مشاعرها عندما تركز على ذقنه أو كتفيه، لكن كلما اضطرّت إلى النظر مباشرة في عينيه...

أحسّت أن بإمكانه النظر إلى صميم روحها.

بدأت وهي تتمنّى لو أنها تعرف كيف تُكمِل عبارتها:

- لقد حدثت الكثير من التغييرات الكبيرة في حياتي خلال هذا الأسبوع...

تدخل برفق:

- وكذلك بالنسبة إليّ.

أجابت:

- ليس كثيرًا بالنسبة إليك. حميمية الزواج ليست جديدة عليك.

ارتفعت إحدى زاويتي فمه في نصف ابتسامة متعجرفة قليلًا.

- أؤكد لك يا سيدتي أنني لم أتزوج من قبل قط.

- ليس هذا ما عنيت، وأنت تعرف ذلك.

لم يعارضها.

طوت يديها بإحكام في حجرها، لكنها لم تستطع تثبيت إبهاميها، فظلا يعبثان بقلق، ليقدما دليلًا على حالة أعصابها:

- أود فقط أن أحظى بقليل من الوقت للاستعداد.

حدق أنطوني إليها لفترة طويلة، ثم تراجع إلى الخلف، وأسند كاحله الأيسر ببعض العفوية إلى ركبته اليمنى. قال:

- لا بأس.

استقامت مندهشة.

- حقًا؟

لم تتوقع منه الاستسلام بهذه السهولة.

تابع:

- شريطة...

نكّست رأسها. كان يجب أن تعرف أن ثمة شروطًا.

- أن تطلعيني على شيء واحد.

ابتلعت لعابها وقالت:

- وما هو هذا الشيء يا سيدي؟

مال إلى الأمام، وبعينين كأن الشيطان نفسه قد حلّ فيهما قال:

- كيف بالضبط تخططين للاستعداد؟

نظرت كيت خارج النافذة، ثم سبّت في سرها عندما أدركت أنهما لم يكونا في شارع أنطوني حتى. ليس أمامها مفر من سؤاله؛ كانت عالقة في العربة لخمس دقائق أخرى على الأقل. ماطلَت قائلة:

- حسنٌ، أنا واثقة من أنني لم أفهم ما تقصده.

قال ضاحكًا:

- وأنا أيضًا واثق من أنك لم تفهمي.

عبست كيت في وجهه. لا شيء أسوأ من أن يكون المرء نكتة لأحدهم، وما يزيد الطين بِلة هو أن يكون هذا المرء عروسًا في يوم زفافها. قالت باتّهام:

- كأنّك تحظى بوقتٍ طيّب معي الآن.

قال وهو ينظر إليها بشيء لا يمكن وصفه إلا بالصفاقة:

- لا، بل أودّ أن أحظى بوقتٍ طيب معك. ثمة فارق كبير.

تذمرت قائلة:

- أتمنى لو تكفّ عن الحديث معي بهذه الطريقة. أنت تعلم أنني لا أفهم.

ركّز عينيه على شفتيها بينما خرج لسانه ليبلل شفتيه. غمغم:

- يمكن أن تفهمي، لو فقط استسلمتِ للمحتوم وتناسيتِ مطلبك السخيف.

قالت كيت بعناد:

- لا أحبّ نبرة التعالي تلك.

لمعت عيناه. وقال بصوت بارد وقد أصبح وجهه صورة للسلطة الأرستقراطية القاسية:

- وأنا لا أحب أن أحرم من حقوقي.

أصرّت:

- لست أنكر عليك شيئًا.

- آه، حقًا؟

افتقد صوته أي حسٍ للدعابة.

- أطلب مهلة لا أكثر. مهلة قصيرة، مؤقتة، قصيرة -كررت الكلمة، تحسبًا لأن يكون ذهنه قد تبلّد بفعل كبرياء الرجل العنيد لدرجة تمنعه من فهمها من المرة الأولى- مؤكّد لن ترفض لي مثل هذا المطلب البسيط.

قال بصوت متقطع:

- لا أعتقد أنني من يرفض هنا.

كان على حقٍ، لسوء حظها اللعين، ولم يكن لديها أدنى فكرة عما يمكنها أن تقول. كانت تعلم أنها لا تقف على أرض صلبة بطلبها المفاجئ؛ كان له كل الحق في إلقائها على كتفه وسحبها إلى الفراش، وحبسها في الغرفة لمدة أسبوع إن هو رغب في ذلك.

كانت تتصرف بحماقة، أسيرة مخاوفها: المخاوف التي لم تكن تعرف حتى بوجودها حتى التقت أنطوني.

طوال حياتها، كانت هي من تحظى بالنظرة الثانية، والتحية الثانية، والقبلة الثانية على اليد. إنها الابنة الكُبرى، وكان يُفترض بالخطّاب أن يأتوا

إليها قبل أختها، لكن جمال إدوينا كان فاتنًا، والأزرق الصافي لعينيها كان مذهلًا، لدرجة كان الناس ينسون أنفسهم معها ببساطة في حضورها.

وكان التعريف بكيت عادة ما يُقابَل بتمتمات لتحيّة محرَجة ومهذبة بينما تنزلق أعينهم عائدة إلى وجه إدوينا النقي الباهر.

ولم تمانع كيت قط. لو كانت إدوينا مدللة أو سيئة الطباع لكان الأمر صعبًا، والحقّ أن معظم الرجال الذين قابلتهم كانوا سطحيين وسخفاء، ولم تعبأ كثيرًا إن هم تأخّروا في التعرف إليها بعد أختها.

حتى الآن.

أرادت أن تضيء عينا أنطوني إذا ما دخلت الغرفة. أرادته أن يمسح الحشد بعينيه حتى يرى وجهها. لم ترِده أن يقع في حبها –أو على الأقل هذا ما أخبرت به نفسها– لكنها أرادت باستماتة أن تكون هي أوّل من يُعجَب بها، أوّل من يشتهيها.

وقد تخلّف لديها شعور فظيع، مريع بأن هذا كله يعني أنها قد وقعت في الحب.

الوقوع في حب الزوج.. من كان ليظن أنه قد يكون كارثيًا لهذه الدرجة؟

قال أنطوني بهدوء:

- أرى أنك لا تملكين إجابة.

لحسن الحظ توقفت العربة، مما أعفاها من الاضطرار للرد. لكن عندما اندفع خادمٌ في زي رسمي محاولًا فتح الباب، جذبه أنطوني ليغلقه مجددًا، دون أن يرفع عينيه عن وجهها ولو مرة.

كرر:

- كيف يا سيدتي؟

رددت:

- كيف...

كانت قد نسيت تمامًا ما يسأل عنه.

قال مرة أخرى، بصوت قاسٍ كالجليد لكنه حار كاللهب:

- كيف تخططين للاستعداد لليلة زفافك؟

أجابت كيت:

- أنا... لم أفكر.

- هكذا ظننت.

ثم ترك مقبض الباب، فتأرجح الباب منفتحًا، كاشفًا وجهي اثنين من الخدم كان من الواضح أنهما يجاهدان حتى لا يبدوان فضوليين. ظلت كيت صامتة بينما ساعدها أنطوني في النزول وقادها إلى داخل المنزل.

تجمع العاملون في المنزل في ردهة الاستقبال الصغيرة، وتمتمت كيت بالتحية كلما قدم كبير الخدم ومدبرة المنزل أحدهم لها. لم يكن عدد العاملين كبيرًا، نظرًا لصغر المنزل مقارنة بمعايير المجتمع الراقي، لكن التقديم استغرق عشرين دقيقة كاملة.

عشرون دقيقة لم تساعد –لسوء الحظ– في تهدئة أعصابها. وبحلول الوقت الذي وضع فيه يده على ظهرها الصغير ورافقها باتجاه الدّرَج، تسارعت دقات قلبها، ولأول مرة في حياتها، اعتقدت أنها على وشك أن تفقد الوعي فعلًا.

لم يكن ذلك بسبب خشيتها من فراش الزوجية.

لم يكن حتى بسبب خشيتها ألا ترضي زوجها. فحتى عذراء بريئة مثلها يمكن أن تقول إن تصرفاته وردود فعله عندما يتبادلان القبلات دليلٌ كافٍ على رغبته. سوف يريها ما ينبغي أن تفعل؛ لم يراودها شك في هذا.

ما كانت تخشاه...

ما كانت تخشاه...

وجدت حلقها ينغلق ويختنق فقرّبت قبضتها من فمها، وعضت على مفصل إصبعها لتهدئ معدتها، كما لو أن هذا قد يساعد مع التماوج المريع الذي غمر معدتها.

همس أنطوني وهما يصلان إلى الجزء المنبسط من الدرج:

- ربّاه، أنت مرعوبة.

كذبت:

- لا.

أمسك كتفيها وأدارها لتواجهه، وحدق عميقًا إلى عينيها. ثم لعن في سره، وسحبها إلى غرفة نومه، وهو يتمتم:

- إننا في حاجة إلى الخصوصية.

عندما وصلا إلى غرفته –غرفة غنية بالتجهيزات الرجالية، ومزينة بشكلٍ رائع بظلال من اللونين العنابي والذهبي– وضع يديه على خصره مطالبًا:

- ألم تخبرك والدتك عن... آه... عن...

كانت كيت لتضحك على تخبطه لو لم تكن متوترة للغاية. قالت بسرعة:

- بالطبع. لقد شرحت لي ماري كل شيء.

لعن مجددًا:

- إذن ما المشكلة بحق الجحيم؟ (ثم اعتذر بجمود قائلًا:) أستميحك عذرًا. ليست هذه الطريقة التي من شأنها أن تهدئك بكل تأكيد.

همست خافضة عينيها إلى الأرض:

- لست متأكّدة.

وأخذت تحدق إلى النمط المتشابك للبساط حتى سبحت عيناها في الدموع.

خرج صوت اختناق غريب ومروع من حلق أنطوني. سأل بصوت أجش:

- كيت؟ هل أرغمك أحد ما... رجل ما... على ملاطفات غير مرغوب فيها؟

رفعت ناظريها، وكاد القلق والرعب على وجهه أن يذيبا قلبها. صاحت:

- لا! ليس الأمر هكذا. أوه، لا تنظر لي بهذه الطريقة، لا يمكنني تحمّلها.

همس أنطوني:

- ولا أنا يمكنني تحمّل ما يحدث.

وضيق المسافة بينهما، قائلًا بصوتٍ مختنق على نحو غريب:

- هل تخافينني؟ هل أنفرك؟

هزت كيت رأسها بشكل محموم، عاجزة عن تصديق أن بإمكانه أن يعتقد أن أي امرأة قد تجده منفرًا.

همس:

- أخبريني. أخبريني كيف أصحح الأمر. فلست أظن أنّ بإمكاني أن أمنحك مهلة.

ضمّها بذراعيه القويتين.

- لا يمكنني الانتظار لأسبوع يا كيت. لن أقوى على ذلك ببساطة.

- أنا...

أخطأت كيت بالنظر إلى عينيه، فنسيت كل شيء قصدت أن تقوله. كان يحدق إلى عينيها بحدّة حارقة أشعلت النار بداخلها، وتركتها منقطعة الأنفاس، في حاجة ماسة إلى شيء لم تفهمه تمامًا.

وأدركت أنها لن تقوى على تركه منتظرًا. وإذا فتشت داخل روحها، ونظرت بصدقٍ متجرّدة من أوهامها، فإنها مجبرة على الاعتراف بأنها لا ترغب في الانتظار كذلك.

ما الجدوى؟ ربما لن يحبها أبدًا. ربما لن تكون رغبته منصبة عليها وحدها أبدًا مثلما تنصب رغبتها عليه وحده.

ولكن بإمكانها أن تتظاهر. وعندما ضمّها بين ذراعيه، بدت مهمة التظاهُر غاية في السهولة.

همست:

- أنطوني.

وكان في نطق اسمه مباركة، واحتجاج، وتضرع في آن واحد.

أجاب بلهفة:

- أي شيء.

وسقط على ركبتيه أمامها، وقد خلّفت شفتاه مسارًا ساخنًا بطول بشرتها. قال بصوتٍ متهدّج:

- اطلبي مني أي شيء. أي شيء في مقدوري، سأمنحه لك.

شعرت كيت بآخر ذرة من مقاومتها تتلاشى. وهمست:

- فقط أن تحبّني. فقط أن تحبّني.

الفصل السابع عشر

16 مايو 1814 **جريدة المجتمع**

تم الأمر! أصبحت الآن الآنسة شيفيلد كاترين، فيكونتيسة بريدجرتون.

تتقدم كاتبة هذا المقال بأطيب الأماني للزوجين السعيدين. من المؤكد أن الأشخاص الحكماء والمحترمين نادرون بين أفراد الوسط الرفيع، ومن دواعي السرور دون شك أن نرى اثنين من تلك الفئة النادرة يتزوجان.

ليدي ويسلداون

حتى هذه اللحظة، لم يدرك أنطوني كم يحتاج بشدة لموافقتها، ولاعترافها بشوقها. ضمّها إليه. حتى في ثوب الزفاف، فاح منها عبير الزنبق والصابون، تلك الرائحة المثيرة للجنون التي تطارده منذ أسابيع.

همس غير واثق إذا كانت كلماته قد تاهت وسط طبقات الحرير التي ما زالت تحجبها عنه:

- إنني بحاجة إليك. بحاجة إليك الآن.

نهض واقفًا على قدميه ورفعها بين ذراعيه، آخذًا بضع خطوات قليلة للوصول إلى الفراش الكبير ذي الأعمدة الأربعة الذي احتلّ الجزء الأكبر من غرفة نومه. لم يأخذ امرأة إلى هذا الفراش من قبل، لطالما فضّل مباشرة علاقاته الغرامية في مكانٍ آخر، وشعر فجأة بالامتنان الشديد لهذه الحقيقة. كانت كيت مختلفة، مميزة، زوجته. ولم يرغب أن تتطفل أي ذكريات أخرى على هذه الليلة أو أي ليلة أخرى.

أما احتمال ألا يستطيع العيش من دونها فكان أمرًا يرفض التفكير فيه. ما يستعر في غرفة النوم وما يهمس في قلبه شيئان مختلفان. يمكنه أن يبقيهما منفصلين. لسوف يبقيهما منفصلين.

فكّر أنه لم يرَ شيئًا يخطف الأنفاس أكثر من وجه كيت المتورّد. بدأ شعرها الداكن الحريري الكثيف يتحرر بالفعل من مشابك الشعر التي كانت تثبت تصفيفة حفل الزفاف الدقيقة في مكانها. شفتاها –اللتان دائمًا ما تكونان ممتلئتين قليلًا بالنسبة إلى مقاييس الجمال المتعارف عليها– اكتسبتا لونًا ورديًا داكنًا أشبه بشمس الأصيل. وبشرتها –التي لم تبدُ قط صافية هكذا– كانت متوهجة. تلوّن خداها بلون وردي باهت، مما حرمها من البشرة الشاحبة التي لطالما بدت الفتيات العصريات راغبات فيها، لكن أنطوني وجد اللون ساحرًا. كانت حقيقية، إنسانة، ترتجف توقًا. لا يمكن أن يتمنى أكثر من ذلك.

كانت رائعة للغاية، وجميلة للغاية في عينيه، وشعر بشعور غريب وبدائي إلى حد ما من الرضا لأن أغلب الرجال عموا عن جمالها. كما لو أن جانبًا معينًا منها كان ظاهرًا له وحده. أحب أن سحرها كان خفيًا بالنسبة إلى بقية العالم.

لم يراود كيت شك في أن أنطوني يريدها. ربما هو رجل يمكنه أن يجد ما يرضيه مع أي امرأة، لكنه الآن، في هذه اللحظة، يريدها هي. كانت كيت على يقينٍ من ذلك. وقد جعلها هذا تشعر كأنها أجمل امرأة على وجه الأرض.

شجعها يقينها، ومدت يدها حول مؤخرة رأسه، وجذبته لأسفل حتى صارت شفتاه على بعد همسة من شفتيها. قالت آمرة، وفاجأها صوتها الآمر:

- قبلني، قبلني الآن.

ابتسم في عدم تصديق، لكن كلماته في تلك اللحظة الأخيرة قبل أن تلتقي شفاههما كانت:

- كما تشائين أيتها الليدي بريدجرتون، كما تشائين.

الفصل الثامن عشر

جريدة المجتمع **10 يونيو 1814**

على الرغم من أن الشائعات لم تزل تحيط بالزفاف المتعجّل الذي جمع بين اللورد والليدي بريدجرتون -الآنسة كاترين شيفيلد سابقًا، لأولئك الذين كانوا في سبات خلال الأسابيع القليلة الماضية-، فإن كاتبة هذا المقال تؤيّد الرأي القائل بأن زواجهما كان قائمًا على الحب. لا يرافق فيكونت بريدجرتون زوجته في كل مناسبة اجتماعية -لكن كم من الأزواج يفعلون ذلك؟-، غير أنه عندما يكون حاضرًا، لا يمكن لكاتبة هذا المقال ألا تلاحظ أن لديه دومًا ما يهمس به في أذن الليدي، وأن هذا الذي يهمس به يجعلها دومًا تبتسم وتحمر خجلًا.

ثم إنه دائمًا ما يرقص معها رقصة إضافية عما تفرضه القواعد الاجتماعية. وبالنظر إلى عدد الأزواج الذين لا يحبون الرقص مع زوجاتهم بالأساس، فإن ذلك قمّة الرومانسية، حقًا.

ليدي ويسلداون

مرت الأسابيع القليلة التالية بسرعة جنونية. بعد إقامة ريفية قصيرة في قصر أوبري هول، عاد العروسان إلى لندن، حيث الموسم على قدم وساق. أملت كيت في استغلال فترات ما بعد الظهيرة لاستئناف دروس الفلوت، لكنها سرعان ما اكتشفت أن الناس تتهافت عليها، وأن أيامها عجّت بالزيارات الاجتماعية، ورحلات التسوق مع عائلتها، وجولات الخيل من حين لآخر في الساحة. وصارت أمسياتها زوبعة من الرقص والحفلات.

لكن لياليها كانت لأنطوني وحده.

قررت أن الزواج يناسبها. كانت ترى أنطوني أقل مما تود، لكنها تفهّمت وتقبّلت حقيقة أنه رجلٌ شديد الانشغال. استغرقت مسؤولياته العديدة -سواء في برلمان بريطانيا العُظمى أو في إدارة شؤون ممتلكاته- قدرًا كبيرًا من وقته. لكنه عندما يعود إلى المنزل ليلًا ويلقاها في غرفة النوم -لا يستخدم لورد وليدي بريدجرتون غرف نوم منفصلة!- كان يعيرها كل انتباهه، ويسألها كيف سار يومها، ويخبرها عن أحداق يومه، ويطارحها الغرام حتى ساعات متأخرة من الليل.

حتى إنه قد خصص وقتًا للاستماع إلى عزفها على الفلوت. كانت قد تمكنت من توظيف موسيقار ليأتي ويعلّمها العزف مرتين كل أسبوع. وبالنظر إلى المستوى -غير المحترف- الذي وصلت إليه كيت في العزف، فإن استعداد أنطوني للجلوس خلال ثلاثين دقيقة كاملة من التدريب لا يمكن تفسيره سوى بأنه علامة على مودّة عظيمة.

لم تفتها بالطبع ملاحظة أنه لم يقدِم على تكرار هذه البادرة ثانيةً.

كانت بخير. كان زواجها أفضل كثيرًا مما يمكن أن تتوقّعه معظم النساء في مركزها. وإذا كان زوجها لا يحبها، وإذا كان لا ينوي أن يحبّها أبدًا، فإنه على الأقل قد أبلى حسنًا بجعلها تشعر بالاهتمام والتقدير. وقد استطاعت كيت الاكتفاء والرضا بذلك في الوقت الراهن.

وإذا كان يبدو شاردًا خلال النهار، فهو قطعًا لم يبدُ شاردًا في الليل.

ومع ذلك، كان الناس جميعهم، ولا سيّما إدوينا، مقتنعين بأن زواج اللورد والليدي بريدجرتون قائم على الحب. اعتادت إدوينا على زيارتها بعد ظهر كل يوم، ولم يكن هذا اليوم استثناءً. كانت تجلس مع كيت في غرفة الاستقبال، تحتسيان الشاي وتقضمان البسكويت، وتستمتعان بلحظة نادرة من الخصوصية بعد أن ودعت كيت جمهورها اليومي من الزوّار.

بدا أن الجميع يريدون معرفة كيف تسير أمور الفيكونتيسة الجديدة، ولم تكن غرفة استقبال كيت تخلو قط في فترة ما بعد الظهر.

قفز نيوتن على الأريكة بجوار إدوينا، وقد أخذت تداعب فروه بكسل حينما قالت:

- الجميع يتحدثون عنك اليوم.

لم تتوقف كيت حتى عن رفع فنجان الشاي إلى شفتيها وأخذ رشفة. قالت وهي تهز كتفيها:

- الجميع يتحدثون عني دائمًا. سيجدون عمّا قريب موضوعًا آخر.

أجابت إدوينا:

- لن يفعلوا. ما دام زوجك ينظر إليك بتلك الطريقة التي نظر إليك بها ليلة أمس.

شعرت كيت بوجنتيها تتورّدان وغمغمت:

- لم يفعل شيئًا خارجًا عن المألوف.

- كيت، لقد كان متقدًا على نحوٍ لا يقبل الشك!

غيرت إدوينا وضعها عندما غيّر نيوتن وضعه، وقد أظهر لها بأنين خفيض أنه يريد منها أن تفرك بطنه.

- لقد رأيته بنفسي يدفع لورد هافريدج بعيدًا عن طريقه متعجلًا الوصول إلى جانبك.

أوضحت كيت على الرغم من أن قلبها قد فاض ببهجة سرية أو على الأرجح حمقاء:

- لقد وصل كل منا بمفرده. أنا متأكدة من أنه كان يريد إخباري بشيء لا أكثر.

بدت إدوينا متشككة.

- وهل فعل؟

- فعل ماذا؟

قالت إدوينا بحنق واضح:

- أخبرك بشيء. قلت لتوّك أنك متأكدة من أنه أراد إخبارك بشيء ليس إلا. لو كان الأمر كذلك، ألن يخبرك بهذا الشيء كائنًا ما كان؟ ثم عندها ستعلمين علم اليقين أنه أراد أن يخبرك بشيء، أليس كذلك؟

طرفت كيت بعينيها:

- إدوينا، أنتِ تصيبينني بالدوار.

زمّت إدوينا شفتيها في عبوس ساخط.

- إنكِ لا تخبرينني بأي شيء أبدًا.

- ليس ثمّة ما أخبرك به يا إدوينا!

مدت كيت يدها والتقطت قطعة من البسكويت، وأخذت قضمة ضخمة غير مهذّبة البتة بحيث امتلأ فمها ولم يعد بإمكانها التحدّث. ماذا كان يفترض بها أن تقوله لأختها.. أن زوجها قبل زفافهما قد أخبرها بأكثر الأساليب الواقعية والمباشرة أنه لن يحبها أبدًا؟

من شأن هذا أن يجعل المحادثة ساحرة أثناء تناول الشاي والبسكويت.

أعلنت إدوينا أخيرًا، بعد أن راقبت كيت وهي تمضغ لدقيقة كاملة غير محتملة:

- الواقع أن لدي سببًا آخر لمجيئي إلى هنا اليوم. لدي شيء أود أن أخبرك به.

ابتلعت كيت ما في فمها بامتنان.

- حقًا؟

أومأت إدوينا برأسها، ثم توردت خجلًا.

سألتها كيت وهي ترشف الشاي؛ فقد جفّ فمها كثيرًا بعد كل هذا المضغ:

- ما هو؟

- أعتقد أني وقعت في الحب.

كادت كيت تبصق الشاي.

- حُب من؟

- السيد باجويل.

حاولت كيت قدر المستطاع لكنها لم تتمكن من تذكّر من يكون السيد باجويل.

قالت إدوينا بتنهيدة حالمة:

- إنه طالب جامعي. قابلته في حفل منزل ليدي بريدجرتون الريفي.

قالت كيت عاقدة حاجبيها في تفكير:

- لا أتذكر أنّي قابلته.

ردت إدوينا بنبرة ساخرة:

- كنتِ مشغولة نوعًا ما طوال الزيارة. الخطبة لشخص ما وما إلى ذلك.

أبدت كيت تعبيرًا من النوع الذي لا يمكن إظهاره إلا أمام أختها، قبل أن تقول:

- أخبريني عن السيد باجويل فحسب.

أصبحت عينا إدوينا دافئتين مشرقتين.

- أخشى أنه الابن الثاني. لذا فهو لا ينتظر الكثير من حيث الثروة. ولكن الآن بعد زيجتك الحسنة، لم يعد عليّ أن أقلق بشأن هذا.

شعرت كيت بالدموع تغرورق في عينيها على نحو غير متوقع. لم تكن قد أدركت مدى الضغط الذي أحسّت به إدوينا في بداية ذلك الموسم. كانت تحرص هي وماري على طمأنة إدوينا بأن بإمكانها الزواج من أي شخص تحبه، لكنهن جميعًا كُنّ واعيات أشدّ الوعي بوضعهن المالي، واشتركن جميعًا في ذنب إلقاء الدعابات حول أن الوقوع في حب رجلٍ ثري ليس أصعب من الوقوع في حب رجلٍ فقير.

تطلب الأمر نظرة واحدة فقط لوجه إدوينا لتدرك أن عبئًا كبيرًا قد انزاح عن كاهلها.

غمغمت كيت:

- يسعدني أن وجدت الشخص المناسب لك.

- أوه، إنه كذلك. أعرف أنه لن يكون لدينا كثير مال، لكنّي في الحقيقة، لست في حاجة إلى الحرير والمجوهرات.

وقعت عيناها على الماسة المتلألئة في يد كيت، فأسرعت مصححة ووجهها يتضرج حمرة:

- لا أعني أنك في حاجة إليها بالطبع! أعني فقط...

أكملت كيت نيابةً عنها برفق:

- أن من الجميل ألا تضطري للقلق بشأن إعالة أختك وأمك.

أطلقت إدوينا تنهيدة كبيرة.

- بالضبط.

مدت كيت يديها عبر الطاولة وأمسكت يدَيْ أختها.

- ليس عليك القلق بشأني بكل تأكيد، وأنا موقنة أنني وأنطوني سنكون قادرين دومًا على إعالة ماري، إن هي احتاجت إلى المساعدة في أي وقت.

ارتسمت على شفتي إدوينا ابتسامة مترددة.

أضافت كيت:

- أما بالنسبة إليك، فأعتقد أن الوقت قد حان لأن تفكّري في نفسك فقط كنوعٍ من التغيير. وأن تتخذي قرارًا بناءً على ما تريدينه، وليس ما تظنّين أن الآخرين يريدونه.

سحبت إدوينا إحدى يديها لتمسح دمعة وهمست:

- إنني معجبة به حقًا.

قالت كيت بحسم:

- إذن أنا واثقة من أنه سينال إعجابي كذلك. متى يمكنني مقابلته؟

- أخشى أنه سيبقى في أوكسفورد للأسبوعين المقبلين. لديه مهام سبق أن التزم بها ولا أريده أن يتخلّف عنها بسببي.

تمتمت كيت:

- بالطبع. ليس في مصلحتك أن تتزوجي رجلًا لا يحترم التزاماته.

أومأت إدوينا برأسها موافقة.

- تلقيت رسالة منه في الصباح يقول فيها إنه سيأتي إلى لندن في نهاية الشهر، وإنه يأمل أن يستطيع زيارتي.

ابتسمت كيت بمكر.

- هل يرسل لك خطابات بالفعل؟

أومأت إدوينا برأسها بخجل، واعترفت:

- بضع مرات في الأسبوع.

- وما مجال دراسته؟

- علم الآثار. إنه ذكي جدًا. لقد سافر إلى اليونان. مرتين!

لم تكن كيت تتخيل أن أختها –المعروفة بالفعل في كل مكان بجمالها– قد تصبح أكثر جمالًا، لكن عندما تحدثت إدوينا عن السيد باجويل، أشرق وجهها في بهاء يحبس الأنفاس.

تمتمت كيت:

- لا أطيق صبرًا على مقابلته. لا بد أن نقيم حفل عشاء غير رسمي ونجعله ضيف الشرف.

- سيكون ذلك رائعًا.

- وربما يمكن لثلاثتنا الذهاب في جولة خيل بالساحة قبل العشاء بحيث نتعرّف بشكلٍ أفضل. إنني الآن وبعد أن أصبحت ليدي عجوز متزوجة، صرت مؤهلة لأن أكون مرافقة مناسبة.

أطلقت كيت ضحكة قصيرة قبل أن تردف:

- أليس هذا مضحكًا؟

قال صوت ذكوري مستمتع بشدة من المدخل:

- أليس ماذا مضحكًا؟

صاحت كيت، متفاجئة برؤية زوجها في منتصف النهار:

- أنطوني! كم من المبهج أن أراك.

كان يبدو أن لديه مواعيد واجتماعات تمنعه دائمًا من البقاء في منزلهما.

حيّا إدوينا بإيماءة وابتسامة صغيرة.

- وجدت بعض وقت الفراغ غير المتوقع.

- هل تود الانضمام إلينا لتناول الشاي؟

غمغم وهو يعبر الغرفة ويحمل دورقًا بلوريًا كان على طاولة جانبية من خشب الماهوجني:

- سأنضم إليكما. لكني أعتقد أنني سأتناول البراندي بدلًا من ذلك.

راقبته كيت وهو يصب الشراب لنفسه، ثم أدار الكأس في يده بشرود. في أوقات كهذه تجد صعوبة بالغة في الفصل بين عينيها وقلبها. يبدو شديد الوسامة في ضوء الظهيرة. لا تعرف السبب؛ ربما تلك اللحية الخفيفة النامية أو حقيقة أن شعره يكون منفوشًا قليلًا بسبب شيء كان يفعله طوال اليوم. أو

ربما ببساطة أنها لا تتمكن غالبًا من رؤيته في مثل هذا الوقت من اليوم؛ قرأت ذات مرة قصيدة تقول إن اللحظة غير المتوقعة دائمًا ما تكون أكثر حلاوة.

بينما أخذت كيت تحدّق إلى زوجها، فكرت أن الشاعر ربما يكون محقًا إلى حدٍ بعيد.

قال أنطوني بعد أن تناول رشفة من شرابه:

- إذن، ما الذي كنتما تتناقشان فيه أيتها السيدتان؟

نظرت كيت لأختها تطلب منها الإذن بمشاركته أخبارها، وعندما أومأت إدوينا قالت:

- عثرت إدوينا على فارس أحلامها.

سأل أنطوني، وقد بدا مهتمًا بطريقة أبوية غريبة:

- حقًا؟

جلس على ذراع مقعد كيت، والذي كان قطعة من الأثاث الوثير المريح لا تجاري الموضة إطلاقًا لكنها رغمًا عن ذلك محببة لدى آل بريدجرتون لما تقدمه من راحة نادرة. وأضاف:

- أود مقابلته.

قالت إدوينا وهي تطرف بعينيها كالبومة:

- حقًا؟ هل ستفعل؟

- بالطبع. بل إنّي أصر على ذلك في الواقع.

عندما لم تعلق أي من السيدتين، عبس قليلًا وأضاف:

- إنني كبير العائلة بعد كل شيء. هذا ما يفعله كبير العائلة.

انفرجت شفتا إدوينا دهشةً.

- إنني... لم أكن أعلم أنك تشعر بمسؤولية تجاهي.

نظر إليها أنطوني كما لو أنها أصيبت بجنون لحظي. قال كما لو أن هذا يفسر كل شيء:

- أنتِ أخت كيت.

ظل تعبير إدوينا المشدوه ثابتًا لثانية أخرى، ثم ذاب في سرور مشعّ. قالت:

- لطالما تساءلت عما سيكون عليه الحال لو كان لدي أخ.

قال أنطوني، غير مرتاح تمامًا لهذا التدفّق المفاجئ للعواطف:

- أتمنى أن أكون قد اجتزت الامتحان.

قالت بابتسامة عريضة:

- بنجاحٍ ساحق. أقسم إنني لا أفهم سبب شكوى إلويز المستمرة.

التفتت كيت إلى أنطوني ووضحت:

- لقد كوّنت إدوينا وشقيقتك صداقة سريعة منذ زواجنا.

تمتم:

- ليكن الرب في عوننا. وهل لي أن أسأل، ما الذي تشكو منه إلويز تحديدًا؟

ابتسمت إدوينا ببراءة.

- أوه، لا شيء حقًا. فقط أنك تفْرِط في حمايتها أحيانًا.

قال بتهكّم:

- هذا سخيف.

شرقت كيت ضاحكة وهي ترشف الشاي. كانت على يقين تام من أن أنطوني سيتحول إلى الكاثوليكية عندما تصل بناتهما إلى سن الزواج فقط ليتمكن من حبسهما في دير محاط بأسوار يصل ارتفاعها إلى اثني عشر قدمًا!

نظر أنطوني إليها مضيقًا عيناه.

- علام تضحكين؟

وضعت كيت منديلًا على فمها بسرعة وغمغمت من خلفه:

- لا شيء.

- هممم.

قالت إدوينا:

- تقول إلويز أنك كنت شديد القسوة حينما كان سايمون يتودد لدافني.

- أوه، هل قالت ذلك؟

أومأت إدوينا برأسها.

- تقول إنكما تبارزتما!

تذمر أنطوني قائلًا:

- إن إلويز تتحدث كثيرًا.

أومأت إدوينا بسعادة.

- إنها على دراية دائمة بكل شيء. كل شيء! لقد تفوّقت حتى على ليدي ويسلداون.

التفت أنطوني لكيت بتعبير جمع بين الضيق والسخرية المحضة. قال مازحًا:

- ذكريني بشراء كمامة لأختي. وواحدة لأختك أيضًا.

أطلقت إدوينا ضحكة موسيقية.

- لم أتصوّر يومًا أن إغاظة الأخ ستكون ممتعة تمامًا كالأخت. كم أنا ممتنة لأنك قررتِ الزواج منه يا كيت.

قالت كيت بابتسامة جافة:

- لم يكن لي خيار في هذا الشأن. لكني سعيدة بما آلت إليه الأمور.

وقفت إدوينا، موقظة نيوتن، الذي كان قد غاب في نوم هانئ بجانبها على الأريكة. أطلق أنينًا متضررًا ثم هبط على الأرض، حيث تكوّر على الفور تحت الطاولة.

راقبت إدوينا الكلب وضحكت قبل أن تقول:

- يجب أن أنصرف.

ثم أضافت عندما وقف كل من كيت وأنطوني لمرافقتها إلى الباب:

- لا، لا ترافقاني للخارج. أعرف طريقي.

قالت كيت، وهي تلفّ ذراعها حول ذراع إدوينا:

- هراء. سأعود على الفور يا أنطوني.

غمغم:

- سأعد الثواني.

ثم تناول رشفة أخرى من شرابه، فيما غادرت الفتاتان الغرفة يتبعهما نيوتن الذي أخذ ينبح الآن بحماس، معتقدًا أن إحداهما ستأخذه في نزهة.

بمجرد رحيل الأختين، استقر على الكرسي المريح الذي تركته كيت توًا. كان لا يزال دافئًا بجسدها، وتخيل أن النسيج لا يزال يفوح برائحتها. فكّر وهو يستنشق بتركيز؛ هذه المرة صابون أكثر من الزنبق. ربما كان الزنبق عطرًا، شيئًا تضعه في الليل.

لم يكن متأكدًا تمامًا من سبب عودته إلى المنزل في عصر هذا اليوم؛ لم تكن هذه خطته بكل تأكيد. فإن اجتماعاته ومسؤولياته العديدة، بعكس ما أخبر كيت، لم تكن تستلزم منه البقاء خارج المنزل طوال النهار؛ كان مَن الممكن بسهولة جدولة عدد غير قليل من مواعيده في المنزل. وعلى الرغم من أنه كان رجلًا مشغولًا بالفعل –إذ لم يتبع قط أسلوب الحياة المتكاسل الذي يتّبعه العديد من أفراد الوسط الرفيع– فقد أمضى فترة العصر في الكثير من الأيام الأخيرة بنادي وايت، يقرأ الجريدة ويلعب الورق مع أصدقائه.

فكّر أن هذا هو الحل الأسلم لجميع الأطراف. لا بد أن يحافظ المرء على مسافة معينة من زوجته. لقد شاء القدر أن تكون الحياة –أو حياته هو على الأقل– مقسّمة، وأن تنحصر الزوجة في القسمين اللذين سمّاهما في ذهنه «المناسبات الاجتماعية» و«الفراش»، فلا تخرج عنهما. مكتبة سُر مَن قرأ

لكنه عندما وصل إلى نادي وايت عصر ذلك اليوم، لم يشعر برغبة في الحديث مع أي أحدٍ هناك. تصفّح الجريدة، لكنه لم يجد الكثير مما يثير الاهتمام في العدد الأخير. وبينما جلس إلى جوار النافذة، محاولًا الاستمتاع بعزلته –التي وجدها موحشة بشكلٍ يثير الشفقة–، داهمته رغبة ملحّة هي الأشد سخافة من نوعها في العودة إلى المنزل ومعرفة ما تفعله كيت.

عصر واحد لن يضرّ أحدًا. من غير المرجّح أن يقع في حب زوجته لقضائه عصرًا واحدًا برفقتها. ليس كأنه يؤمن بوجود خطر الوقوع في حبها على الإطلاق، فهو لا ينفك يذكّر نفسه دون كللٍ أو ملل. لقد تزوج منذ ما يقرب من شهر وتمكّن من إبقاء حياته هانئة خالية من هذه التعقيدات. ما من سببٍ يضطره للاعتقاد بأنه لا يستطيع الحفاظ على الوضع الراهن إلى أجلٍ غير مسمى.

بعد أن شعر بنوعٍ من الرضا عن نفسه، تناول رشفة من البراندي، ثم نظر لأعلى حينما سمع كيت تعود إلى الغرفة.

قالت ووجهها بالكامل يضيء بابتسامة مشرقة:

- أظن أن إدوينا قد تكون واقعة في الحب.

شعر أنطوني بجسمه يتوتر إثر تلك الابتسامة. الواقع أن ردّ فعله على ابتساماتها كان سخيفًا إلى حد ما. يحدث هذا طوال الوقت، وكان مصدر إزعاج لعينًا.

حسنٌ، كان مصدر إزعاج في أغلب الأحيان. لكنه لم يمانع في حدوثه إذا استطاع أن يتبعه بوكزة ورحلة إلى غرفة النوم.

لكن من الواضح أن ذهن كيت لم يكن مدفونًا في الوحل مثله، نظرًا لأنها اختارت الجلوس على المقعد المقابل له. وذلك على الرغم من وجود متسع كبير في كرسيه، في حال كان أيّهما لا يمانع من الانضغاط بجوار الآخر. حتى المقعد المجاور كان ليصبح خيارًا أفضل؛ على الأقل كان ليستطيع حينها أن يسحبها ويجلسها على حجره. أما لو حاول فعل ذلك وهي جالسة في الجهة المقابلة من الطاولة، فسوف يضطر لسحبها وسط طقم الشاي.

ضيّق أنطوني عينيه وهو يقيّم الوضع، محاولًا تخمين مقدار الشاي الذي سينسكب على البساط، وكم ستكون تكلفة استبدال البساط حينئذٍ، ثم ما إذا كان يهتم حقًا بهذا القدر التافه من المال، على أي حال...

- أنطوني؟ هل تسمعني؟

رفع نظره فرأى كيت تريح مرفقيها على ركبتيها بينما تميل للأمام للتحدث إليه. بدت متأهّبة ومنزعجة بعض الشيء.

كررت قائلة:

- هل كنت...

طرف بعينيه.

أضافت من بين أسنانها:

- تسمعني؟

ابتسم ابتسامة عريضة.

- أوه، لا.

أدارت عينيها لكنها لم تكلّف نفسها عناء توبيخه أكثر من ذلك.

- كنت أقول إن علينا دعوة إدوينا وفتاها إلى العشاء ذات ليلة. لنرى ما إذا كانا ملائمين لبعضهما. لم أرَها قط مهتمة هكذا برجل، وإنّي لأريد حقًا أن أراها سعيدة.

مد أنطوني يده ليتناول قطعة بسكويت. كان جائعًا، وكان قد فقد الأمل إلى حدٍ بعيد في إمكانية سحب زوجته إلى حجره. من ناحية أخرى، إذا تمكن من إزالة الأكواب والأطباق، فقد لا يكون لسحبها عبر الطاولة مثل تلك العواقب الوخيمة...

حرّك صينية الشاي إلى الجانب خلسة. غمغم وهو يمضغ البسكويت:

- هممم؟ أوه، نعم، بالطبع. إدوينا تستحق السعادة.

نظرت إليه كيت بارتياب.

- هل أنت متأكد من أنك لا تريد بعض الشاي مع هذا البسكويت؟ لست من محبي البراندي، لكني أتصور أن طعم المخبوزات مع الشاي سيكون أفضل.

فكر أنطوني أن البراندي قد أبلى حسنًا في الواقع مع المخبوزات، ولكن لن يضيره أن يفرغ إبريق الشاي قليلًا بالتأكيد، فقط تحسبًا لإسقاطه. قال وهو يمسك كوبًا ويدفعه تجاهها:

- فكرة عظيمة. الشاي هو الحل. لا أفهم لمَ لم أفكر فيه من قبل.

غمغمت كيت بسخرية -إن كان للمرء أن يغمغم بسخرية-:

- أنا أيضًا لا أفهم.

فبعد أن سمع أنطوني غمغمتها التهكّمية اقتنع بأن هذا ممكن.

لكنه اكتفى بابتسامة مرحة ومد يده آخذًا الكوب من يدها الممدودة. قال وهو يتفقد إذا كانت قد أضافت الحليب:

- شكرًا.

كانت قد أضافته، ولم يفاجئه هذا؛ فقد كانت بارعة في تذكّر مثل هذه التفاصيل.

سألت كيت بلباقة:

- هل ما زال ساخنًا بدرجة كافية؟

أنهى أنطوني الكوب مجيبًا:

- رائع.

وأطلق زفيرًا راضيًا:

- هل لي بالمزيد؟

قالت بجفاء:

- يبدو أن حبّك للشاي يزداد يومًا بعد يوم.

نظر أنطوني إلى إبريق الشاي، متسائلًا عن الكمية المتبقية وما إذا كان سيتمكن من إنهائه دون أن تهاجمه حاجة ملحة لقضاء حاجته. قال مقترحًا:

- يجب أن تتناولي المزيد أنت أيضًا، تبدين ظمأى قليلًا.

ارتفع حاجباها.

- أحقًا هذا؟

أومأ برأسه، ثم انتابه القلق من أن يكون قد أفصح عن نيته دون قصد، فقال:

- فقط قليلًا، بالطبع.

- بالطبع.

سأل بلا مبالاة قدر استطاعته:

- هل بقي ما يكفي لملء كوب آخر لي؟

- إن لم يكن، سأطلب من الطاهي تحضير إبريق آخر ببساطة.

صاح بصوت مرتفع:

- أوه، لا، لن يكون هذا ضروريًا بالتأكيد. سأتناول فقط ما تبقى أيًا كان.

أمالت كيت الإبريق حتى دارت آخر بقايا الشاي في كوبه. أضافت كمية من الحليب، ثم أعادته إليه في صمت، على الرغم من أن حاجبيها المتقوسين قالا الكثير.

راح يرتشف الشاي ببطء -صار بطنه ممتلئًا إلى حدٍ ما فلم يستطع تجرّعه بنفس السرعة التي تجرع بها الكوب الأخير- تنحنحت كيت وسألته:

- هل تعرف فتى إدوينا؟

- لا أعرف حتى من يكون.

- أوه. آسفة. مؤكّد قد نسيت ذكر اسمه. إنه السيد باجويل. لا أعرف اسمه الأول، لكن إدوينا قالت إنه الابن الثاني، في حالة كان ذلك مفيدًا. لقد قابلَته في حفل والدتك.

هز أنطوني رأسه.

- لم أسمع به قط. إنه على الأرجح أحد الشبان الفقراء الذين دعتهم والدتي لموازنة العدد بين الرجال والنساء. فقد دعت والدتي عددًا هائلًا من النساء. هكذا تفعل دائمًا، على أمل أن يقع أحدنا في الحب، لكن يكون عليها حينئذ أن تجد مجموعة من الرجال غير المهمين لموازنة العدد.

رددت كيت:

- غير المهمين؟

أجاب مبتسمًا:

- حتى لا تقع النساء في حبهم بدلًا منا.

- إنها ترغب في تزويجكم باستماتة، أليست كذلك؟

قال أنطوني وهو يهز كتفيه:

- كل ما أعرفه أن أمي قد دعت الكثير من الفتيات المؤهلات في المرة الأخيرة لدرجة أنها اضطرت للنزول إلى مقر القس والتوسل لابنه البالغ من العمر ستة عشر عامًا ليأتي لتناول العشاء.

جفلت كيت.

- أظن أنني قابلته.

- نعم، إنه خجول لحدٍ مؤلم، هذا المسكين. أخبرني القس بأنه أصيب بطفح جلدي لمدة أسبوع بعد أن انتهى به الأمر جالسًا بجوار كريسيدا كوبر في العشاء.

- حسنٌ، هذا من شأنه أن يصيب أي شخص بالطفح الجلدي.

ابتسم أنطوني.

- كنت أعلم أن لديك مسحة من اللؤم بداخلك.

احتجت كيت بابتسامة ماكرة:

- لست لئيمة. لم أقل شيئًا سوى الحقيقة.

- لا تدافعي عن نفسك من أجلي.

أنهى الشاي؛ كان مرًا للغاية بسبب بقائه في الإبريق لفترة طويلة، لكن الحليب جعله شبه مستساغ. أضاف وهو يضع الكوب على المنضدة:

- إن مسحة اللؤم فيكِ هي أحد أكثر الأشياء التي أحبها فيك.

تمتمت:

- يا إلهي! حريٌ بي أن أخشى معرفة الأشياء التي لا تحبها.

لوح أنطوني بيده مفيّرًا دفّة الحديث.

- ولكن فيما يخصّ أختك والسيد بوجويل...

- باجويل.

- مسكين.

- أنطوني!

تجاهلها قائلًا:

- كنت أفكر في الواقع أن عليّ أن أمنح إدوينا مهرًا.

لم تغب عنه المفارقة في تلك البادرة. ففي السابق عندما كان ينوي الزواج بإدوينا، كان يخطط لمنح كيت هذا المهر. ألقى نظرة خاطفة عليها ليرى رد فعلها.

لم يكن قد قدّم العرض فقط من أجل أن ينال رضاها، بيد أنه لم يكن نبيلًا لدرجة يستطيع معها ألا يعترف في قرارة نفسه بأنه كان يأمل في شيءٍ أكثر من الصمت الذاهل الذي خيّم عليها فجأة.

ثم أدرك أنها كانت على وشك البكاء.

ناداها:

- كيت؟

غير متأكد أيبتهج أم يقلق.

مسحت أنفها بظهر يدها بطريقة خرقاء ونشقت قائلة:

- هذا هو ألطف شيء فعله أحدٌ من أجلي.

تمتم:

- إني أفعله من أجل إدوينا في الواقع.

لم يرتح قط مع الإناث الباكيات. ولكن في أعماقه، كان يمتلئ زهوًا.

صاحت:

- أوه، أنطوني!

ثم لدهشته الشديدة، قفزت واقفة على قدميها ووثبت عبر الطاولة ملقية بنفسها بين ذراعيه، وكنست حاشية ثوبها النهاري الثقيل ثلاثة فناجين وصحنين وملعقة إلى الأرض.

قالت وهي تمسح عينيها وتهبط بقوة إلى حد ما على حجره:

- أنتَ لطيف للغاية. ألطف رجل في لندن.

أجابها محيطًا خصرها بذراعه:

- حسن، لست متأكّدًا من هذا. ربما أخطر رجل، أو الأكثر وسامة...

قاطعته بحزم:

- بل الألطف.

ثم دست رأسها في انحناءة عنقه.

- الألطف بالتأكيد.

غمغم غير مستاء من التحول الأخير للأحداث:

- إذا كنت مصرة.

قالت كيت لما رأت الفناجين على الأرض:

- من حسن حظّنا أننا أنهينا الشاي. كان ليُحدث فوضى رهيبة.

ابتسم لنفسه وهو يضمها أكثر بعد:

- آه، معكِ حق.

كان يشعر بشيء دافئ ومريح في ضم كيت. كانت قدماها تتدليان على ذراع الكرسي وظهرها يرتاح على انحناءة ذراعه. وأدرك كم يلائمان بعضهما على نحو لطيف. كانت بالحجم المناسب لرجل في حجمه.

كان يجد فيها كثيرًا من الأشياء الصحيحة. وهو إدراك من النوع الذي في العادة يخيفه، لكن في هذه اللحظة كان في غاية السعادة بجلوسه هناك فقط وهي بقربه، لدرجة رفض معها ببساطة أن يفكّر في المستقبل.

تمتمت:

- أنت طيب للغاية معي.

فكر أنطوني في كل المرات التي ظل فيها بعيدًا عن قصد، وكل المرات التي تركها فيها لشؤونها الخاصة، لكنه نبذ شعوره بالذنب. فلئن كان يتعمد وجود مسافة بينهما، فإن ذلك لمصلحتها. لم يكن يريد لها أن تقع في حبه. من شأن هذا أن يصعّب عليها الحياة بعد وفاته.

أمّا إن وقع هو في حبها...

لم يرغب حتى في التفكير في مدى صعوبة الحياة بالنسبة إليه عندئذ.

همس في أذنها:

- هل لدينا خطط لهذا المساء؟

أومأت برأسها؛ وتسببت الحركة في دغدغة شعرها لوجنته. قالت:

- حفلة رقص عند ليدي موترام.

لم يستطع أنطوني مقاومة الملمس الحريري الناعم لشعرها، ومرر إصبعين من خلاله، وتركه ينزلق على يده ويلتف حول معصمه. تمتم:

- أتعلمين ماذا أعتقد؟

سمع ابتسامتها وهي تسأل:

- ماذا؟

- أعتقد أنني لم أعبأ قط لهذه الدرجة بليدي موترام. وهل تعلمين ماذا أعتقد أيضًا؟

هذه المرة سمعها تحاول ألا تضحك.

- ماذا؟

- أعتقد أن علينا أن نصعد إلى الطابق العلوي.

سألته في تظاهر واضح بالجهل:

- حقًا؟

- أوه، نعم. في هذه اللحظة في الواقع.

وإن كانت لديها أي أسئلة أخرى، فقد أبقتها لنفسها طوال الساعة التالية.

الفصل التاسع عشر

13 يونيو 1814 **جريدة المجتمع**

غصّ الحفل الراقص السنوي لليدي موترام بالحضور كالعادة، لكن المراقبين لم تفُتهم ملاحظة غياب اللورد والليدي بريدجرتون. تصر ليدي موترام على أنهما قد وعدا بالحضور، ولا يسع كاتبة هذا المقال سوى أن تتكهن بما أبقى الزوجين الجديدين في المنزل...

ليدي ويسلداون

في وقت لاحق من تلك الليلة، كان أنطوني مستلقيًا في الفراش، محتضنًا زوجته التي أعطته ظهرها وغطت في نوم عميق.

أدرك أن الحظ حليفها أن نامت، لأن السماء كانت قد بدأت تمطر.

حاول رفع الغطاء على أذنها المكشوفة حتى لا تسمع القطرات تضرب النوافذ، لكنها كانت متململة في نومها كما في يقظتها، ولم يتمكن من سحب الغطاء كثيرًا فوق مستوى عنقها قبل أن تزيحه بعيدًا.

لم يستطع بعد أن يعرف يقينًا ما إذا كانت العاصفة ستصبح رعدية، لكن المطر ازداد قوة، واشتدت الرياح حتى صار صوتها في الليل كالعواء، مما جعل أغصان الشجرة تصطدم بجانب المنزل.

كانت كيت تزداد تململًا إلى جانبه، فأخذ يترنّم بصوتٍ مهدئ بينما يمسد شعرها بيده. لم توقظها العاصفة، لكنها اقتحمت نومها بالتأكيد. كانت قد بدأت في الغمغمة أثناء نومها، تتقلب وتدور حتى استقرّت على جانبها الآخر لتواجهه.

همس وهو يدسّ خصلة شعر داكنة خلف أذنها:

- ماذا حدث وجعلك تكرهين المطر إلى هذا الحد؟

لكنه لم يحكم عليها بسبب رعبها؛ كان يعرف جيدًا الإحباط الناجم عن المخاوف والهواجس التي لا أساس لها. على سبيل المثال، كان يقينه من موته الوشيك يطارده منذ اللحظة التي رفع فيها يد والده المرتخية ووضعها برفق على صدره الراكد.

لم يكن يقينه بالأمر الذي يستطيع تفسيره، أو حتى فهمه. كان فقط أمرًا يعرفه.

وبالرغم من ذلك لم يخشَ الموت قط، ليس حقًا. كانت معرفته بموته جزءًا منه لفترة طويلة، فترة طالت حتى صار يتقبّلها ببساطة، تمامًا مثلما يتقبّل الآخرون الحقائق الأخرى التي تتكون منها دورة الحياة. يتبع الربيع الشتاء ثم يحلّ الصيف، وهكذا. بالنسبة إليه، كان موته نفس الشيء.

حتى هذه اللحظة. كان يحاول إنكار ذلك، يحاول إبعاد تلك الفكرة المزعجة عن ذهنه، غير أن الموت كان قد بدأ يظهر له وجهًا مخيفًا.

دفع زواجه من كيت حياته إلى مسار مختلف، بغض النظر عن محاولته إقناع نفسه بأنه يستطيع حصر زواجهما في الصداقة والفراش.

إنه يهتم بها. يهتم بها لأقصى حد. لقد اشتاق لصحبتها عندما كانا بعيدين عن بعضهما، وحلم بها في الليل، حتى وهو يضمّها بين ذراعيه.

لم يكن مستعدًا بعد لتسميته حُبًا، لكنه أرعبه بنفس القدر. وأيًا كان ما يعتمل بينهما، فلم يكن يريد له أن ينتهي. وهو ما كان بالطبع المفارقة الأقسى على الإطلاق.

أغلق أنطوني عينيه وهو يطلق زفيرًا منهكًا ومتوتّرًا، متسائلًا عما سيفعله بحق السماء حيال التعقيد الذي يستلقي بجانبه في الفراش. ولكن حتى عندما أغلق عينيه، رأى وميض البرق الذي أضاء الليل، محيلًا السواد داخل جفنيه إلى لون أحمر برتقالي.

فتح عينيه، فأدرك أنهما تركا الستائر مفتوحة جزئيًا عندما خلدا للفراش في وقت مبكر من المساء. كان عليه أن يغلقها؛ عليه أن يمنع البرق من إضاءة الغرفة.

لكن عندما حوّل وزنه وحاول الخروج ببطء من تحت الأغطية، أمسكت كيت بذراعه، وأصابعها تضغط بشكل محموم على عضلاته.

همس:

- ششش، على رسلك، كل شيء على ما يرام. سأغلق الستائر فقط.

لكنها لم تفلته، وكاد الأنين الذي انبعث من بين شفتيها عندما هزم الرعد أن يحطم قلبه.

تسللت بقعة من ضوء القمر الفضي الشاحب من النافذة، بما يكفي لإلقاء الضوء على الخطوط المتوترة المرسومة على وجهها. نظر أنطوني إليها ليتأكد من أنها ما زالت نائمة، ثم أزاح يديها عن ذراعه ونهض ليغلق الستائر. أحسّ أن ومضات البرق ستستمر في التسلل إلى داخل الغرفة على الرغم من ذلك، لذا عندما انتهى من الستائر، أشعل شمعة وحيدة ووضعها على الطاولة بجوار السرير. لم تنشر ما يكفي من الضوء لإيقاظها –على الأقل أمل في ذلك– لكنها أنقذت الغرفة من الظلام الدامس.

فليس ثمة ما هو مفزع أكثر من ألسنة البرق إذ تخترق الظلام الدامس.

زحف عائدًا إلى السرير ونظر إلى كيت. كانت لا تزال نائمة، لكن ليس في سلام. كانت متكورة في وضع الجنين وكان تنفسها ثقيلًا. لم يبد أن البرق يزعجها كثيرًا، لكن في كل مرة ارتجت فيها الغرفة بفعل الرعد كانت تجفل.

أمسك يدها ومسد شعرها، ولعدة دقائق رقد بجانبها محاولًا تهدئتها أثناء نومها. لكن العاصفة كانت تزداد شدة، والرعد والبرق يلاحق أحدهما الآخر كما في سباق. ازدادت كيت اضطرابًا مع كل ثانية، ثم عندما انفجر هزيم الرعد مدويًا في السماء، انفتحت عيناها فجأة، وكسا وجهها قناع من الرعب المطبق.

همس أنطوني:

- كيت؟

نهضت جالسة، وتراجعت إلى الخلف حتى انضغط عمودها الفقري على مسند السرير الصلب. بدت كتمثال للرعب، وتصلب بدنها وتجمد في مكانه. كانت عيناها لا تزالان مفتوحتين، وبالكاد تطرفان، وعلى الرغم من أنها لم تحرك رأسها، فقد ظلتا تتحركان ذهابًا وإيابًا بشكل محموم، تمسحان الغرفة بأكملها، لكنهما لا تريان شيئًا.

همس:

- أوه، كيت.

كان هذا أسوأ بكثير مما كانت عليه في تلك الليلة بمكتبة أوبري هول. واستطاع الشعور بقوة ألمها تمزّق شغاف قلبه.

لا ينبغي لأحد أن يشعر بمثل هذا الرعب. ولا سيما زوجته.

تحرك ببطء، حتى لا يفزعها، وشق طريقه إلى جانبها، ثم وضع ذراعه بعناية على كتفيها. كانت ترتجف، لكنها لم تدفعه بعيدًا.

همس:

- هل ستتذكرين حتى أي شيء من هذا في الصباح؟

لم تحر جوابًا، لكنه لم يتوقع منها إجابة.

قال بلطف محاولًا تذكر الكلمات المهدئة غير المنطقية التي كانت والدته تستخدمها كلما انزعج أحد أطفالها:

- لا بأس، لا بأس. كل شيء على ما يرام الآن. ستكونين بخير.

بدا أن ارتجافها تباطأ قليلًا، لكنها كانت لا تزال مضطربة بوضوح بالغ، وعندما رج هزيم الرعد التالي الغرفة، انتفض جسدها بالكامل، ودفنت وجهها في ثنية عنقه.

أنّت:

- لا، لا، لا.

- كيت؟

طرف أنطوني بعينيه عدة مرات، ثم حدق إليها باهتمام. بدت مختلفة، ليست متيقظة بل أكثر وعيًا، إن كان هذا ممكنًا.

- لا، لا.

وبدت...

- لا، لا. لا تذهبي.

... صغيرة للغاية.

«كيت؟» أمسكها بإحكام، غير واثق مما عليه فعله. هل عليه إيقاظها؟ ربما كانت عيناها مفتوحتين، لكنها نائمة وتحلم بوضوح. تاق جزء منه لتحريرها من كابوسها، لكن بمجرد أن تستيقظ، ستبقى في نفس المكان؛ في الفراش وسط العاصفة الرعدية الرهيبة. فهل ستشعر حتى بأي تحسن؟

أم أن عليه تركها تنام؟ ربما لو أكملت كابوسها لآخره لأخذ فكرة عما سبب لها هذا الرعب.

همس كما لو كان ينتظر منها إشارة لما ينبغي له فعله:

- كيت؟

أنّت وهي تزداد اضطرابًا في كل ثانية:

- لا. لاااا.

ألصق أنطوني شفتيه بصدغها، محاولًا تهدئتها بوجوده.

- لا، أرجوك...

بدأت تنشج، وارتج جسدها بشهقات عنيفة وأغرقت دموعها كتفه.

- لا، أوه، لا... ماما!

تصلّب أنطوني. كان يعرف أن كيت لطالما أشارت إلى زوجة أبيها بماري. هل يُعقل أنها تتحدث بالفعل عن أمها الحقيقية، المرأة التي منحتها الحياة ثم ماتت منذ سنوات عديدة؟

لكن بينما جال ذهنه في ذلك السؤال، تيبس جسد كيت بأكمله وأطلقت صرخة مدوية حادة.

صرخة فتاة صغيرة للغاية.

وفي لحظة استدارت، وألقت بنفسها بين ذراعيه متشبثة بكتفيه بيأسٍ مخيف. صرخت وجسمها بأكمله ينتفض بالصرخات:

- لا يا ماما. لا، لا يمكنك الذهاب! آه، ماما ماما ماما ماما ماما ماما...

لولا أن أنطوني يسند ظهره إلى مسند الفراش، لأطاحت به، كان اندفاعها قويًا هكذا. قال متفاجئًا من نبرة الخوف الخفيفة في صوته:

- كيت؟ كيت؟ كل شيء على ما يرام. أنتِ على ما يرام. أنت بخير. لا أحد سيذهب إلى أي مكان. هل تسمعينني؟ لا أحد.

لكن كلماتها تلاشت، ولم يبقَ سوى صوت نحيب خافت صدر من أعماق روحها. ضمها أنطوني، ثم خفف من ضمته عندما هدأت قليلًا حتى استلقت على جانبها مرة أخرى، ثم ظل يضمها لبعض الوقت حتى غابت في النوم.

وكانت المفارقة التي لاحظها أنها نامت في الوقت نفسه الذي شق فيه الرعد والبرق الغرفة للمرة الأخيرة.

عندما استيقظت كيت في الصباح التالي، فوجئت لرؤية زوجها جالسًا في الفراش، محدقًا إليها بأغرب نظرة... مزيج من القلق والفضول وربما حتى مسحة خفيفة من الشفقة. لم يقل أي شيء عندما انفتحت عيناها، على الرغم من أنها رأت أنه يراقب وجهها باهتمام شديد. انتظرت، لترى ماذا عساه يفعل، ثم في النهاية قالت بشيء من التردد:

- تبدو متعبًا.

اعترف قائلًا:

- لم أنم جيدًا.

- ألم تفعل؟

هز رأسه.

- لقد أمطرت.

- هل فعلت؟

أومأ برأسه.

- ورعدت.

ابتلعت لعابها بعصبية.

- وأبرقت أيضًا حسبما أفترض.

قال مومئًا برأسه مرة أخرى:

- نعم، كانت عاصفة شديدة.

كان هناك شيء لم تسبر غوره في الطريقة التي تحدّث بها بعبارات قصيرة ومختصرة، شيء جعل الشعر ينتصب على مؤخرة عنقها. قالت:

- كـ... كم أنا محظوظة لأنني لم أرَ ذلك إذن، أنت تعرف أنني لا أكون بخير في العواصف الشديدة.

قال ببساطة:

- أعرف.

لكن كثيرًا من المعاني كانت خلف هذه الكلمة المقتضبة، وشعرت كيت بنبضات قلبها تتسارع بعض الشيء. سألته غير واثقة من رغبتها في معرفة الإجابة:

- أنطوني، ماذا حدث في الليلة الماضية؟

- رأيتِ كابوسًا.

أغلقت عينيها لثانية.

- لم أظن أنّي سأراه مرةً أخرى.

- لم أعرف قط أنك تعانين الكوابيس.

أخرجت كيت زفيرًا طويلًا ونهضت جالسة وجذبت الأغطية معها ودستها أسفل ذراعيها.

- عانيت منها عندما كنت صغيرة. مع كل عاصفة، كما أخبروني. لا أعرف حقيقةً؛ لم أتذكر أي شيء قط. ظننت أنني...

اضطرت للتوقف لحظة، شعرت كما لو أنّ حلقها ينغلق، وكلماتها تخنقها.

مدّ يده وأمسك بيدها. كانت بادرة بسيطة، لكنها بطريقة ما مسّت سويداء قلبها أكثر من أي كلمات كانت لتقال. سألها بهدوء:

- كيت؟ هل أنت على ما يرام؟

أومأت برأسها.

- كنت أظنّها توقفت هذا كل شيء.

ظل صامتًا للحظة، وكانت الغرفة هادئة لدرجة شعرت كيت معها أنها تستطيع سماع دقات قلبها. في النهاية، سمعت شهيقًا خافتًا يعبر شفتي أنطوني، وسأل:

- هل تعرفين أنك تتحدثين أثناء نومك؟

لم تكن تواجهه، لكن عندما سمعت هذا التعليق، التفتت فجأة إلى اليمين، واصطدمت عيناها بعينيه.

- هل أفعل؟

- لقد فعلتِ في الليلة الماضية

قبضت أصابعها على الأغطية.

- ماذا قلت؟

تردد ولكن عندما نطق كانت كلماته ثابتة ومتزنة.

- لقد ناديتِ والدتك.

همست:

- ماري؟

هز رأسه.

- لا أعتقد ذلك. لم أسمعك قط تنادين ماري بأي شيء غير اسمها؛ في الليلة الماضية كنتِ تنادين «ماما». لقد بدوتِ...

توقف ليأخذ نفسًا متقطعًا بعض الشيء قبل أن يكمل:

- بدوت صغيرة للغاية.

لعقت كيت شفتيها، ثم عضت شفتها السفلى. أخيرًا قالت، خائفة من الخوض في أعمق خبايا ذاكرتها:

- لا أدري ماذا أقول لك. ليست لدي أدنى فكرة عن سبب مناداتي أمي.

قال بلطف:

- أعتقد أن عليك أن تسألي ماري.

هزت كيت رأسها على الفور بسرعة.

- لم أكن حتى أعرف ماري عندما ماتت والدتي. وكذلك والدي. لن تستطيع أن تعرف لماذا كنت أناديها.

قال رافعًا يدها إلى شفتيه مانحًا إياها قبلة مطمئنة:

- لعلّ والدك قد أخبرها بشيء ما.

تركت كيت عينيها تهبطان إلى حجرها. لقد أرادت أن تفهم سبب خوفها من العواصف، لكن التحديق في أعمق مخاوفها كان مرعبًا لأقصى حد. ماذا لو اكتشفت شيئًا لا تريد أن تعرفه؟ ماذا لو...

قال أنطوني مقتحمًا أفكارها:

- سآتي معك.

وبطريقة ما جعل هذا الأمر على ما يرام.

نظرت كيت له وأومأت برأسها، وهمست والدموع في عينيها:

- أشكرك. أشكرك من كل قلبي.

في وقتٍ لاحق من ذلك اليوم، صعد كلاهما الدّرج إلى منزل ماري الصغير. قادهما الخادم إلى غرفة الاستقبال وجلست كيت على الأريكة الزرقاء المعهودة، بينما تقدّم أنطوني إلى النافذة متكئًا على عتبتها وناظرًا إلى الخارج.

سألته:

- أترى شيئًا مثيرًا للاهتمام؟

هز رأسه، مبتسمًا بارتباك وهو يستدير لمواجهتها:

- أحب النظر من النوافذ فحسب، هذا كل شيء.

فكّرت كيت في أن ثمة شيئًا لطيفًا لأبعد الحدود في تلك الهواية، على الرغم من أنها لم تستطع في الواقع تحديده. بدا وكأن كل يوم يكشف لها عن ميزة صغيرة جديدة في شخصيته، وعادة فريدة محببة تربطهما ببعضهما أكثر من أي وقت مضى. أحبّت معرفة الأشياء الصغيرة الغريبة عنه، مثل كيف يضع وسادتين فوق بعضهما قبل أن يخلد إلى النوم، أو أنه يبغض مربى البرتقال لكنه يعشق مربى الليمون.

- تبدين غارقة في التفكير.

جفلت كيت منتبهة. كان أنطوني يحدق إليها بتساؤل. ثم أردف باستمتاع:

- لقد شردتِ. وارتسمت ابتسامة حالمة على وجهك.

هزّت رأسها وشعرت بوجنتيها تتوردان. غمغمت:

- لم يكن شيئًا ذا بال.

زفر بارتياب. ثم قال وهو يتجه إلى الأريكة:

- أنا مستعد لدفع مائة جنيه لقاء هذه الأفكار.

أنقذها دخول ماري من اضطرارها للرد. صاحت ماري:

- كيت! يا لها من مفاجأة جميلة. ولورد بريدجرتون، كم هو لطيف أن أراكما.

قال بخشونة إلى حدٍ ما:

- جديرٌ بك حقًا أن تدعيني أنطوني.

ابتسمت ماري وهو يمسك يدها للتحية. قالت:

- سأحاول أن أتذكر فعل ذلك.

جلست مقابل كيت، ثم انتظرت أن يأخذ أنطوني مكانه على الأريكة قبل أن تقول:

- أخشى أن إدوينا في الخارج. لقد حضر السيد باجويل خاصتها على نحو غير متوقع إلى المدينة وذهبا في نزهة إلى الحديقة.

قال أنطوني بدماثة:

- لا بد أن نقرضهما نيوتن. إنه أمهر مرافق يمكنني تخيله.

قالت كيت:

- في الواقع جئنا لرؤيتك يا ماري.

حمل صوت كيت طابعًا جديًا غير مألوف، واستجابت ماري على الفور. سألت وعيناها تقفزان جيئة وذهابًا بين كيت وأنطوني:

- ما الأمر؟ هل كل شيء على ما يرام؟

أومأت كيت برأسها، وابتلعت ريقها بينما أخذت تبحث عن الكلمات المناسبة. طريف كم أمضت الصباح كله تتدرّب على ما ستقوله، ثم يعجز لسانها عن الكلام الآن. لكنها أحسّت بعد ذلك بيد أنطوني في يدها، وأراحها ثقلها ودفؤها على نحو غريب، ورفعت ناظريها إلى ماري قائلة:

- أود أن أسألك عن أمي.

بدت ماري مندهشة بعض الشيء، لكنها قالت:

- بالطبع. لكنك تعلمين أنني لم أعرفها على نحو شخصي. أعرف فقط ما أخبرني به والدك.

أومأت كيت برأسها:

- أعلم. وربما لا تكون لديك إجابات لأي من أسئلتي، لكني لا أعرف أحدًا آخر لأسأله.

استوت ماري في مقعدها، وشبكت يديها في حجرها. لكن كيت لاحظت أن مفاصل أصابعها قد أصبحت بيضاء.

قالت ماري:

- حسن جدًا. ماذا تريدين أن تعرفي؟ تدرين أنّي سأخبرك بأي شيء أعرفه.

أومأت كيت برأسها مرة أخرى وابتلعت ريقها. أصبح فمها جافًا.

- كيف ماتت يا ماري؟

طرفت ماري بعينيها، ثم تراجعت قليلًا ربما بشيء من الارتياح.

- لكنك تعرفين ذلك بالفعل. كانت أنفلونزا. أو نوعًا من الالتهاب الرئوي. لم يتأكد الأطباء قط.

- أعرف ولكن...

نظرت كيت إلى أنطوني الذي منحها إيماءة مطمئنة. أخذت نفسًا عميقًا واندفعت قائلة:

- ما زلت أخاف العواصف يا ماري. أريد أن أعرف السبب. لا أريد أن أخاف بعد الآن.

افترقت شفتا ماري، لكنها ظلت صامتة لعدة ثوانٍ بينما تحدق إلى ابنة زوجها. شحب وجهها ببطء متخذًا لونًا غريبًا شفافًا، وسكن الذعر عينيها. همست:

- لم أكن أعرف. لم أكن أعرف أنكِ ما زلتِ...

قالت كيت بهدوء:

- لقد أخفيت الأمر ببراعة.

رفعت ماري يدًا مرتجفة ومسّت صدغها.

- لو كنت أعرف، لكنت...

تحركت أصابعها إلى جبهتها تخفي خطوط القلق وهي تقاتل من أجل الكلمات.

- حسن، لا أدري ماذا كنت لأفعل. لأخبرتكِ، على ما أظن.

توقف قلب كيت.

- أخبرتِني ماذا؟

تنهدت ماري تنهيدة طويلة، ووضعت كلتا يديها على وجهها، تضغطان على الحافة العلوية لمحجر عينيها. بدت وكأنها تعاني من صداع رهيب، وأن وزن العالم كله يسحق رأسها، من الداخل إلى الخارج.

قالت بصوت مختنق:

- أريدك فقط أن تعرفي أنني لم أخبرك لأني ظننتك تتذكرين. وإذا كنتِ لا تتذكرين، حسنٌ، لم يبد من الصواب أن أذكّرك.

نظرت إلى أعلى، وكانت الدموع تنهمر على وجهها. وهمست:

- لكن من الواضح أنك تتذكرين، وإلا ما كنتِ لتخافي. أوه، كيت. أنا في غاية الأسف.

قال أنطوني برفق:

- أنا واثق من عدم وجود ما تأسفين بشأنه.

نظرت ماري إليه، والدهشة تغمر عينيها للحظة، كما لو كانت قد نسيت أنه في الغرفة. ثم قالت بحزن:

- أوه، بل يوجد. لم أكن أعرف أن كيت ما زالت تعاني من مخاوفها. كان يجب أن أعرف. يجب أن تشعر الأم بهذا النوع من الأمور. ربما لم أمنحها الحياة، لكنني حاولت أن أكون أمًا حقيقية لها...

قالت كيت بانفعال:

- أنتِ كذلك، على أكمل وجه.

استدارت ماري إليها مجددًا، متمسكة بصمتها لبضع ثوانٍ قبل أن تقول بصوت شارد على نحو غريب:

- كنتِ في الثالثة عندما ماتت والدتك. حدث ذلك في يوم عيد ميلادك في الواقع.

أومأت كيت برأسها مشدوهة.

- عندما تزوجتُ من والدك نذرتُ ثلاثة نذور. نذرٌ أمام الله والشهود بأن أكون زوجته. لكن في قلبي نذرتُ نذرين آخرين. أحدهما كان لكِ يا كيت. ألقيت نظرة واحدة عليك، كنتِ تائهة بشدة، ويائسة بشدة، بعينيكِ البنيتين الواسعتين –اللتين غمرهما الحزن، حزن عميق لا يجب أن يكون لدى طفلة– ونذرتُ أن أحبك كابنتي، وأربيكِ بأفضل ما أستطيع.

توقفت لتمسح عينيها، وقبلت بامتنان المنديل الذي قدمه لها أنطوني. وعندما تابعت، كاد كلامها أن يكون همسًا.

- أما النذر الثالث فكان لأمك. لقد زرت قبرها، كما تعرفين.

أومأت كيت برأسها بابتسامة حزينة.

- أعرف. ذهبت معك في عدة مناسبات.

هزت ماري رأسها.

- لا. أعني قبل أن أتزوج أباك. ركعت على ركبتي هناك، وعندها نذرتُ نذري الثالث. كانت أمًا صالحة لك؛ كان الجميع يقولون ذلك، وأي أحمق يمكنه أن يرى أنك افتقدتِها بكل جوارحك. لذا وعدتها بكل ما وعدتك به، بأن أكون أمًا صالحة، وأن أحبكِ وأرعاكِ كما لو كنتِ من دمي.

رفعت رأسها، وكانت عيناها صافيتين وصادقتين عندما قالت:

- ويروق لي أن أعتقد أنني أرحتها في قبرها. لا أظن أن أي أم يمكنها أن تموت في سلام تاركة طفلة صغيرة للغاية هكذا خلفها.

همست كيت:

- أوه، ماري.

نظرت ماري إليها وابتسمت بحزن، ثم استدارت إلى أنطوني.

- وهذا أيها اللورد هو سبب أسفي، كان يجب أن أرى معاناتها.

احتجت كيت قائلة:

- لكنّي يا ماري لم أرغب في أن تري ذلك. لقد اختبأتُ في غرفتي، تحت سريري، في الخزانة. أي شيء لأخفي الأمر عنك.

- ولكن لماذا يا حلوتي؟

استنشقت كيت دموعها.

- لا أعرف. لم أرغب في إثارة قلقك، حسبما أظن. أو ربما خشيت أن أبدو ضعيفة.

همست ماري:

- لطالما حاولتِ أن تبدي قوية، حتى عندما كنت طفلة صغيرة.

أمسك أنطوني بيد كيت، لكنه نظر إلى ماري قائلًا:

- إنها قوية. وأنت كذلك.

حدقت ماري إلى وجه كيت لدقيقة طويلة، وقد ملأ الحنين والحزن عينيها، ثم قالت بصوت خفيض:

- عندما ماتت أمك، كان... لم أكن موجودة، لكن عندما تزوجت أباكِ، أخبرني القصة كاملة. لقد علِم أنني أحببتك بالفعل، وقدّر أن هذا قد يساعدني في فهمك على نحو أفضل.. كانت وفاة أمك سريعة. وفقًا لوالدك، سقطت مريضة في يوم الخميس وتوفيت يوم الثلاثاء. وكانت السماء تمطر طوال الوقت. كانت إحدى تلك العواصف الرهيبة التي لا تنتهي. تضرب الأرض بلا رحمة حتى فاضت الأنهار وانقطعت الطرق.. قال إنه كان متأكدًا من أن حالتها ستتحسن لو توقف المطر فقط. كان ذلك سخيفًا، وقد أدرك هذا، لكنه ظلّ يذهب إلى الفراش كل ليلة داعيًا أن تطل الشمس من بين الغيوم. داعيًا بأي شيء قد يمنحه قليلًا من الأمل.

خرجت الكلمات من بين شفتي كيت بتلقائية وهمست:

- أوه، بابا.

- كنتِ حبيسة المنزل بالطبع، الأمر الذي أزعجك إلى أبعد حد كما يبدو.

نظرت ماري إلى كيت وابتسمت، ابتسامة من النوع الذي يتحدث عن سنوات من الذكريات.

- لطالما أحببتِ الخروج من المنزل. أخبرني والدك أن أمك اعتادت إخراج مهدك إلى الخارج وهدهدتك في الهواء الطلق.

همست كيت:

- لم أكن أعرف ذلك.

أومأت ماري برأسها ثم تابعت قصتها.

- لم تدركي أن أمك مريضة على الفور. لقد أبعدوك عنها خوفا من العدوى. لكن في النهاية لا بد أنك شعرت أن ثمة خطبًا ما. الأطفال دائمًا يعرفون.. في الليلة التي ماتت فيها ازداد المطر سوءًا، لكن والدك أخبرني أن البرق والرعد كانا مخيفين أكثر من أي شيء سبق لأحدٍ أن يراه في عاصفة.

توقفت ثم أمالت رأسها قليلًا إلى الجانب وهي تسأل:

- هل تتذكرين الشجرة القديمة الملتوية في الحديقة الخلفية... تلك التي اعتدت أنت وإدوينا تسلقها دائمًا؟

همست كيت:

- التي كانت مشطورة إلى نصفين؟

أومأت ماري برأسها.

- حدث ذلك في تلك الليلة. قال والدك إنه كان أكثر الأصوات التي سمعها رعبًا على الإطلاق. تتابع الرعد والبرق حتى قسمت صاعقة الشجرة في نفس اللحظة التي هز فيها الرعد الأرض.

تابعت:

- أحسب أنك لم تستطيعي النوم، فأنا أتذكر تلك العاصفة على الرغم من أنني كنت أعيش في البلدة المجاورة. لا أدري كيف يمكن لأي أحد أن ينام خلالها. كان والدك برفقة أمك. كانت تحتضر، وكان الجميع يعلمون ذلك، وفي خضم أحزانهم نسوا أمرك. كانوا حريصين جدًا على إبعادك، ولكن في تلك الليلة كان انتباههم في مكان آخر.

أخبرني والدك أنه كان جالسًا إلى جوار أمك، محاولًا الإمساك بيدها في لحظاتها الأخيرة. أخشى أن موتها لم يكن هادئًا. لا يكون مرض الرئة كذلك في الغالب.

نظرت ماري لأعلى وقالت:

- ماتت أمي بنفس الطريقة. لذلك أعرف. النهاية لم تكن هادئة. كانت تلهث لالتقاط أنفاسها، تختنق أمام عينيّ.

ابتلعت ماري ريقها بصعوبة، ثم نظرت إلى عيني كيت وهمست:

- ولا يسعني سوى أن أفترض أنك شهدتِ الشيء نفسه.

شدت يد أنطوني على يد كيت.

قالت ماري:

- ولكن في حين كنتُ أنا في الخامسة والعشرين من عمري عند وفاة أمي، كنتِ أنتِ في الثالثة. لا ينبغي لطفلة أن ترى شيئًا من هذا النوع. حاولوا إجبارك على المغادرة، لكنك أبيتِ. لقد عضضتِ وخدشتِ وصرختِ وصرختِ وصرختِ، ثم...

توقفت ماري مختنقة بكلماتها. رفعت المنديل الذي أعطاه لها أنطوني إلى وجهها، ومرت عدة لحظات قبل أن تستطيع المتابعة.

قالت بصوت خافت حد الهمس:

- كانت والدتك تقترب من الموت، وبمجرد أن وجدوا شخصًا قويًا بما يكفي لإزالة الطفلة الشرسة، اخترق وميض من البرق الغرفة. قال والدك...

توقفت ماري وابتلعت ريقها ثم قالت:

- أخبرني والدك أن ما حدث بعد ذلك كان أشد اللحظات التي مر بها غرابة وفظاعة على الإطلاق. أضاء البرق الغرفة كأنه ضوء النهار. ولم ينتهِ الوميض على الفور كما يُفترض به؛ بل بدا تقريبًا وكأنه معلق في الهواء. نظر إليك فوجدك متجمدة. لن أنسى أبدًا الطريقة التي وصف بها الأمر. قال إنك بدوتِ كتمثال صغير.

ارتعد أنطوني.

سألته كيت ملتفتة إليه:

- ما الخطب؟

هز رأسه غير مصدق وقال:

- هكذا بدوتِ بالأمس، هكذا بدوت تمامًا. لقد فكرت في نفس الكلمات.

- أنا...

حولت كيت نظرها من أنطوني إلى ماري، لكنها لم تدرِ ماذا تقول.

ضغط أنطوني على يدها مرة أخرى وهو يلتفت إلى ماري ويقول:

- أرجوكِ، أكملي.

أومأت برأسها.

- كانت عيناكِ مثبتتين على والدتك، فاستدار والدك ليرى ما الذي أخافك بشدة، حينها رأى...

حررت كيت يدها برفق من قبضة أنطوني ونهضت للجلوس إلى جانب ماري، وسحبت كرسيًا منخفضًا إلى جانب كرسيها. وأخذت إحدى يدي ماري بين يديها وغمغمت:

- لا بأس يا ماري. يمكنك أن تخبريني. أريد أن أعرف.

أومأت ماري برأسها.

- كانت لحظة وفاتها. وقد جلسَت حينها منتصبة، قال والدك إنها لم ترفع جسدها عن الوسائد لأيام، وبالرغم من ذلك جلست منتصبة. قال إنها كانت متيبسة، ورأسها مُلْقىً إلى الوراء، وفمها مفتوح كما لو كانت تصرخ، لكنها لم تستطع إصدار صوت. ثم جاء الرعد، ولا بد أنك ظننت أن الصوت أتى من فمها، لأنك صرختِ كما لم يصرخ أحدٌ من قبل وركضت للأمام قافزة إلى الفراش وألقيت ذراعيك حولها.. حاولوا إبعادك، لكنك لم تفلتيها. ظللت تصرخين وتصرخين وتنادين اسمها، ثم صدر صوت تحطم رهيب. تحطم زجاج. قطعت صاعقة من البرق غصن شجرة، فسقط محطمًا النافذة. كان الزجاج في كل مكان، والرياح والمطر والرعد ومزيد من البرق وخلال كل هذا لم تكفي عن الصراخ. حتى بعد أن ماتت وسقطت على الوسائد، ظلت ذراعاك الصغيرتان متشبثتين بعنقها، وكنت تصرخين وتبكين وتتوسلين لها لتستيقظ ولا ترحل.

همست ماري:

- وأبيتِ بكل ما أوتيتِ من قوة أن تفلتيها. في النهاية اضطروا للانتظار حتى أنهكتِ نفسك وغبتِ في النوم.

علقت الغرفة في الصمت لمدة دقيقة كاملة، ثم همست كيت أخيرًا:

- لم أكن أعلم. لم أكن أعلم أنّي شهدتُ ذلك.

قالت ماري:

- قال والدك إنكِ رفضتِ الحديث عن ذلك. لم تقوي على ذلك وقتها. غبتِ في النوم لساعات وساعات، ثم عندما استيقظتِ كان من الواضح أنك التقطتِ مرض والدتك. ليس بنفس السوء؛ لم يكن هناك أي خطورة على حياتك. لكنك مرضتِ، ولم تكوني في حالة تسمح بالحديث عن موت والدتك. وعندما شُفيتِ ظللتِ ترفضين الحديث في الأمر. حاول والدك، لكنه قال إنه في كل مرة يأتي على ذكر الموضوع، كنتِ تهزين رأسك وتضعين يديك على أذنيك. وفي النهاية كفّ عن المحاولة.

نظرت ماري إلى كيت نظرة ذات مغزى وقالت:

- قال إنك بدوتِ أكثر سعادة عندما كفّ عن المحاولة. لقد فعل ما ظن أنه الأفضل لك.

همست كيت:

- أعرف. ولعلّه كان الأفضل حينها. لكنّي الآن كنت بحاجة إلى أن أعرف.

التفتت إلى أنطوني، ليس طلبًا للتشجيع، وإنما بالأحرى كنوعٍ من التحقق من صحة موقفها، ثم كررت:

- كنت بحاجة إلى أن أعرف.

سأل بكلمات خافتة ومباشرة:

- كيف تشعرين الآن؟

فكرت في سؤاله للحظة ثم قالت:

- لا أعرف. بخير، على ما أظن. أخف وزنًا بقليل.

ثم -ودون حتى أن تدرك ما تفعله- ابتسمت. كان شيئًا مترددًا وبطيئًا، لكنه ابتسامة مع ذلك. التفتت إلى أنطوني بعيون مندهشة.

- أشعر وكأن حملًا كبيرًا قد انزاح عن كتفيّ.

سألتها ماري:

- هل تتذكرين الآن؟

هزت كيت رأسها نافية ثم قالت:

- لكني ما زلت أشعر بتحسن. لا يمكنني تفسير ذلك حقًا. من الجيد أن أعرف، حتى لو كنت لا أتذكر.

صدر عن ماري صوتٌ يشبه الاختناق ثم نهضت من مقعدها وجلست إلى جوار كيت في مقعدها المنخفض، واحتضنتها بكل قوتها. وبكت كلتاهما، ذلك النوع القوي الغريب من البكاء الذي تختلط فيه الشهقات بالضحكات. وانهمرت الدموع، لكنها كانت دموع السعادة، وعندما ابتعدت كيت أخيرًا ونظرت إلى أنطوني، رأت أنه أيضًا كان يمسح زاوية عينه.

وقد أنزل يده بسرعة بالطبع وتكلّف تعبيرًا وقورًا، لكنها رأته. وفي تلك اللحظة أدركت أنها تحبه. بكل فكرة تجول في ذهنها وكل عاطفة تجيش في نفسها وكل جزء من كيانها كانت تحبه.

ولو لم يبادلها الحب أبدًا.. حسن، لم ترغب في التفكير في ذلك. ليس الآن، ليس في هذه اللحظة العميقة.

وربما ليس في أي لحظة أبدًا.

الفصل العشرون



13 يونيو 1814 — جريدة المجتمع

هل لاحظ أحد بخلاف كاتبة هذا المقال أن الآنسة إدوينا شيفيلد صارت شاردة الذهن في الآونة الأخيرة؟ تقول الشائعات إن قلبها قد خُطِف، على الرغم من أن أحدًا لم يعرف هُوية السيد المحظوظ بعد.

ومع ذلك، بالحكم على سلوك الآنسة شيفيلد في الحفلات، فإن كاتبة هذا المقال تشعر بأن من المنطقي افتراض أن السيد الغامض ليس أحدًا من قاطني لندن الحاليين. فلم تُظهر الآنسة شيفيلد اهتمامًا يُذكر بأي رجل، بل إنها قد اختارت الابتعاد عن حلبة الرقص كليًا في حفل ليدي موترام يوم الجمعة الماضي.

هل يُعقَل أن يكون هو أحد مَن التقت بهم في الريف في الشهر الماضي؟ سيتعين على كاتبة هذا المقال التنقيب قليلًا لكشف الحقيقة.

ليدي ويسلداون

سألت كيت وهي جالسة إلى طاولة زينتها في وقت لاحق من تلك الليلة، تمشط شعرها:

- أتعرف ماذا أظن؟

كان أنطوني واقفًا أمام النافذة، يتكئ بإحدى يديه على الإطار بينما ينظر إلى الخارج. أجابها:

- ممم؟

الأرجح لأنه كان غارقًا في أفكاره لدرجة لم يستطع معها أن يصوغ كلمة أكثر تماسكًا.

تابعت بصوت مبتهج:

- أظن أنني سأكون على ما يرام في المرة القادمة عندما تثور عاصفة.

استدار ببطء سائلًا:

- حقًا؟

أومأت برأسها قائلة:

- لا أعرف لمَ أظن ذلك. مجرد حدْس على ما أظن.

قال بنبرة بدت غريبة وسطحية حتى لأذنيه:

- الحدس غالبًا ما يبرهن بقوة على صحّته.

قالت وهي تلوح بفرشاة شعرها الفضية في الهواء:

- أشعر بتفاؤل غريب. طوال حياتي، كان لديّ هذا الشيء المروع يحيط بعنقي ويتهددني. لم أخبرك -لم أخبر أي أحد قط- لكن في كل مرة تثور العاصفة، وأتهاوى إلى شظايا متناثرة، كنت أظن... حسن، لم أكن أظن فحسب، بل كنت أعلم بصورة ما...

سألها، وقد خشي الإجابة من دون حتى أن يعرف سبب خشيته:

- تعلمين ماذا يا كيت؟

قالت بحكمة:

- بطريقة ما، وفي غمار انتفاضاتي ونشيجي، كنت أعلم ببساطة أنني سأموت. كنت متيقنة من ذلك. لم تكن ثمة طريقة ببساطة يمكنني بها العيش ليومٍ آخر بعد أن ملأني هذا الشعور الفظيع.

مال رأسها قليلًا إلى الجانب، ولاح على وجهها تردد مبهم، كما لو أنها لا تدري كيف تصوغ ما أرادت قوله.

لكن أنطوني فهم كل شيء. وقد جعل هذا دمه يتجمد.

قالت وكتفاها تهتزان في استخفاف مرتبك:

- أنا متأكدة أنك سترى ذلك أسخف شيء يمكن تخيله. أنت رجلٌ منطقي وعملي ومتعقل لأبعد الحدود. لست أظن أن بإمكانك أن تفهم شيئًا كهذا.

لو أنها عرفت فقط. فرك أنطوني عينيه، شاعرًا بسكْر غريب. ترنّح متجهًا إلى أحد المقاعد، آملًا ألا تلاحظ كم كان متزعزعًا، ثم جلس.

لحسن الحظ، عاد انتباهها إلى القوارير والحلي المتنوّعة على طاولة الزينة خاصتها. أو لعلها كانت محرجة فحسب من النظر إليه، ظنًا منها أنه سيهزأ من مخاوفها غير المنطقية.

تابعت حديثها وهي تنظر إلى طاولتها:

- ثم متى مرت العاصفة، أدركت كم كنت حمقاء، وكم كانت أفكاري سخيفة. فقد مررت بعدد لا يحصى من العواصف الرعدية من قبل بعد كل شيء، ولم تقتلني أي منها. لكن علمي بذلك في عقلي الواعي لم يفدني في شيء. هل تفهم ما أعنيه؟

حاول أنطوني أن يومئ. لم يكن متأكدًا إن كان قد فعل.

قالت:

- فكلما أمطرت، تلاشى كل شيء، ولم تبقَ إلا العاصفة. تصاحبها بالطبع مخاوفي. ثم تبزغ الشمس، وأدرك مرة أخرى كم كنت سخيفة، ثم يتكرر الشيء نفسه في العاصفة التي تليها. وأدرك مرة أخرى بأنني سأموت. أكون موقنة من ذلك ببساطة.

شعر أنطوني بالإعياء. وشعر بأن جسمه غريب عليه، ليس ملكه. لم يكن ليستطيع النطق لو حاول.

قالت رافعة رأسها لتنظر إليه:

- الواقع أن المرة الوحيدة التي شعرت فيها بأني قد أعيش لأرى اليوم التالي كانت في مكتبة أوبري هول.

ثم نهضت واتجهت إليه، وأراحت خدها على حجره وهي تركع أمامه. ثم همست:

- معك.

رفع يده ليداعب شعرها. كانت ردة فعل لا إرادية أكثر من أي شيء. فالأكيد أنه لم يكن في هذه اللحظة واعيًا بأفعاله.

لم تكن لديه أي فكرة أن كيت تشعر بميتة وشيكة. أغلب الناس لا يشعرون بذلك. كان شيئًا أمدّ أنطوني بإحساس غريب بالعزلة على مرّ السنين، كما لو أنه يفهم حقيقة ما أساسية مروعة غائبة عن بقية المجتمع.

وفي حين أن إحساس كيت بهلاكها الوشيك كان مختلفًا عن إحساسه؛ فقد كان إحساسها عابرًا، يصحو بسبب تفجّر مؤقت للرياح والمطر والكهرباء الساكنة، أما إحساسه فكان دائمًا معه أينما كان، وسيبقى كذلك إلى يوم وفاته.. أما هي فقد استطاعت على العكس منه أن تقهر إحساسها.

قاتلت كيت شياطينها وفازت.

وشعر أنطوني بالغيرة الشديدة.

لم يكن ردَ فعلٍ نبيلًا؛ كان يدرك ذلك. ولأنه يهتم بأمرها، فقد فاضت نفسه بالسعادة والفرح والارتياح وبكل عاطفة طيبة ونقية يمكن تخيلها لأنها تغلبت على الأهوال الكامنة في العواصف، لكن ذلك لم يحُل دون شعوره بالغيرة. غيرة قاتلة.

لقد فازت كيت.

والأكثر من ذلك أنه -الرجل الذي لطالما عرف شياطينه ورفض الخوف منها- كان الآن يتجمّد رعبًا. ذلك لأن الشيء الوحيد الذي أقسم إنه لن يحدث أبدًا قد تحقق بالفعل.

لقد وقع في حب زوجته.

ها قد وقع في حب زوجته، وصارت الآن فكرة أن يموت، أن يتركها، أن يعلم بأن لحظاتهما معًا ما هي إلا قصيدة قصيرة، وليست رواية طويلة حيّة، أكثر مما يمكنه احتماله.

ولم يدرِ على من يلقي اللوم. أراد أن يلقيه على والده، لأنه مات صغيرًا وأورثه تلك اللعنة المروعة. وأراد أن يدين كيت، لدخولها حياته وجعله يخشى نهايته. اللعنة، كان على استعداد لإلقاء اللوم على أي غريب في الشارع إن ظن في ذلك فائدة.

لكن الحقيقة أن لا أحد يستحق اللوم، ولا حتى هو نفسه. سيشعر بتحسن كبير إذا استطاع الإشارة بإصبعه إلى أحد ما -أي أحد- ويقول: «هذا خطؤك».

كان يعرف أن حاجته إلى إلقاء اللوم على أحد كانت صبيانية، بيد أن من حق كل إنسان أن يشعر بمشاعر طفولية من حين لآخر، أليس كذلك؟

تمتمت كيت ورأسها ما زال مستقرًا على حجره:

- إنني في غاية السعادة.

أراد أنطوني أن يكون سعيدًا هو الآخر. أراد بشدة أن تُحلّ كل العُقد، وأن تكون السعادة مجرد سعادة لا أكثر. أراد أن يحتفي بانتصاراتها دون أي تفكير في مخاوفه. أراد أن يعيش اللحظة، وينسى المستقبل، وأن يضمها بين ذراعيه و...

ثم في حركة واحدة سريعة غير مخطط لها، نهض وأنهضها على قدميها.

تساءلت كيت وهي تطرف بعينيها من المفاجأة:

- أنطوني؟

أجابها بقبلة. قابلت شفتاه شفتيها في دفقٍ من الانفعال والتوق حجبا العقل حتى يتسنى للجسم وحده أن يحكمه. لم يرد التفكير، لم يرد أن يكون قادرًا على التفكير. كل ما أراده كان هذه اللحظة بالذات.

وأراد لهذه اللحظة أن تدوم أبدًا.

همس:

- أنتِ جميلة للغاية. مذهلة بشكل لا يصدق.

توردت كيت مع كلماته، وارتفعت يداها إلى وجهه ومسدت أصابعها وجنتيه. تشبّثا ببعضهما كما لو كان بإمكانهما جعل اللحظة تدوم إلى الأبد بقوة الإرادة المطلقة.

حدّق أنطوني إليها وهي تغيب في نومٍ هانئ، ثم أخذ يراقبها في غفوتها. راقب الطريقة التي تتحرك بها عيناها أحيانًا تحت جفنيها النائمين. قاس وتيرة تنفسها بإحصاء عدد مرات صعود وهبوط صدرها. واستمع لكل تنهيدة وكل غمغمة.

ثمة بعض الذكريات يودّ الرجل أن ينقشها في عقله نقشًا، وتلك كانت إحداها.

لكن لم يكد يتأكد من استغراقها في النوم حتى أنّت بدفء واقتربت منه لتدفن نفسها بين ذراعيه. ثم انفتح جفناها ببطء.

غمغمت بصوت مبحوح ثمل من النوم:

- ما زلت مستيقظًا.

أومأ برأسه متسائلًا إن كان يضمها بقوة أكثر من اللازم. لم يرد أن يفلتها. لم يرد أن يفلتها أبدًا.

قالت:

- يجب أن تنام.

أومأ برأسه مرة أخرى، لكنه لم يستطع أن يغلق عينيه.

تثاءبت.

- هذا لطيف.

قبل جبهتها، مصدرًا صوتًا ينم عن الموافقة:

- مممم.

رفعت رأسها وردت القبلة على شفتيه، ثم استقرت على وسادتها. تمتمت متثائبة مرة أخرى والنوم يغشاها:

- أتمنى أن نكون هكذا دائمًا. دائمًا وإلى الأبد.

تجمد أنطوني.

دائمًا.

لا يمكنها أن تعرف ماذا تعني هذه الكلمة بالنسبة إليه. خمس سنوات؟ ست؟ ربما سبع أو ثمان.

إلى الأبد.

لم يكن لهذه الكلمة معنى، ليست الأبدية شيئًا يستطيع فهمه ببساطة.

فجأة لم يقدر على التنفس.

أحسّ الغطاء جدارًا من الطوب فوقه، وصار الهواء كثيفًا.

كان عليه أن يبتعد عن هذا المكان. كان عليه أن يذهب. كان عليه أن...

قفز من الفراش، ثم تعثر واختنق، مد يده إلى ملابسه، الملقاة بإهمال على الأرض، وبدأ في إقحام أطرافه في الفتحات المناسبة.

- أنطوني؟

رفع رأسه فجأة. دفعت كيت نفسها لتجلس معتدلة في الفراش وتثاءبت. حتى في الضوء الخافت، استطاع أن يرى عينيها الحائرتين.

سألته:

- هل أنت على ما يرام؟

منحها إيماءة مقتضبة واحدة.

- لماذا إذن تحاول وضع ساقك في فتحة ذراع قميصك؟

نظر لأسفل وأطلق سبّة لم يفكر قط في النطق بها أمام امرأة. ومع عبارة بذيئة أخرى منتقاة بعناية، كوّم قطعة الكتان المخالفة في فوضى مجعدة وألقى بها على الأرض، وتوقف بالكاد لثانية قبل أن يرتدي سرواله.

سألت كيت بقلق:

- إلى أين أنت ذاهب؟

قال مزمجرًا:

- يجب أن أخرج.

- الآن؟

لم يجبها لأنه لم يعرف كيف يجيبها.

- أنطوني؟

هبطت من الفراش وذهبت إليه، لكن قبل أن تمس يدها خده بجزء من الثانية، جفل وتعثر إلى الخلف حتى اصطدم ظهره بقاعدة السرير. رأى الألم على وجهها، ألم رفضه لها، لكنه عرف أنها لو لمسته بحنان لضاع. لعن قائلًا:

- اللعنة على كل شيء. أين قمصاني بحق الجحيم؟

قالت بعصبية:

- في غرفة ملابسك، حيث تكون دائمًا.

انطلق بحثًا عن قميص جديد، غير قادر على احتمال صوتها. مهما قالت، ظل يسمع عبارة «دائمًا وإلى الأبد».

وكانت تقتله.

عندما خرج من غرفة الملابس، بمعطفه وحذائه في مكانهما الصحيح على جسمه، كانت كيت على قدميها، تقطع أرض الغرفة ذهابًا وجيئة، وتتململ بقلق مرتدية وشاحًا أزرق فوق ثوب النوم.

قال باقتضاب:

- لا بد أن أذهب.

لم يصدر عنها صوت، وهو ما اعتقد أنه يريده، ولكن بدلًا من ذلك، وجد نفسه واقفًا في مكانه، منتظرًا منها أن تتحدث، غير قادر على التحرك حتى تفعل.

سألته أخيرًا:

- متى ستعود؟

- غدًا.

- هذا... حسن.

أومأ برأسه. اندفع قائلًا:

- لا يمكنني البقاء هنا. لا بد أن أذهب.

ابتلعت ريقها بتشنج وقالت بصوت خفيض متألم:

- نعم، سبق أن قلتَ ذلك.

ثم غادر من دون أن يلقي نظرة إلى الوراء ودون أدنى فكرة عن وجهته.

سارت كيت ببطء إلى الفراش وحدقت إليه. بطريقة ما بدا من الخطأ أن تصعد إليه بمفردها، وأن تسحب الأغطية حولها وتصنع مهجعًا صغيرًا يتسع لشخص واحد. فكرت أن عليها أن تبكي، لكن أبَت عيناها أن تذرفا أي دموع. وهكذا اتجهت أخيرًا إلى النافذة، ونحّت الستائر جانبًا، وحدقت إلى الخارج، وفاجأت نفسها تصلّي بصوت خافت لأن تهب عاصفة.

كان أنطوني قد رحل، وفي حين كانت على يقين من أنه سيعود بجسده، لم تكن واثقة تمامًا من عودة روحه. وأدركت أنها بحاجة إلى شيء -بحاجة إلى العاصفة- لتثبت لنفسها أن بوسعها أن تكون قوية، بنفسها ولنفسها.

لم ترغب في أن تبقى بمفردها، لكن ربما ليس لديها خيارٌ آخر في المسألة. بدا أنطوني مصرًا على الحفاظ على مسافة بينهما. كانت بداخله شياطين... شياطين خشيت أنه لن يختار أبدًا مواجهتها في حضورها.

ولكن إن قُدّر لها أن تكون وحيدة، حتى مع وجود زوج إلى جانبها، فتالله لتتعلّمن كيف تكون قوية في وحدتها.

فكّرت وهي تريح جبينها على زجاج النافذة البارد الناعم، أن الضعف لم يوصل أي أحد إلى أي مكان قط.

لم يتذكر أنطوني شيئًا عن تعثره وترنّحه خلال خروجه من المنزل، فقد وجد نفسه بطريقة ما يهبط الدرجات الأمامية، التي كانت زلقة بفعل الضباب

الخفيف المعلق في الهواء. عبر الشارع، دون أدنى فكرة عن وجهته. لا شيء سوى أنه يعلم فقط أن عليه الابتعاد. لكنه حينما وصل إلى الرصيف المقابل، دفع شيطان بداخله عينيه إلى أعلى نحو نافذة غرفة نومه.

لم يكن ينبغي أن يراها؛ تلك هي الفكرة التي دارت بخلده. كان يجب أن تكون في الفراش، أو كان يجب أن تكون الستائر مسدلة، أو كان يجب أن يكون في منتصف طريقه إلى ناديه.

لكنه رآها بالفعل واشتدت حدة الألم الثقيل في صدره، وازداد شراسة دونما هوادة. شعر كما لو أن قلبه انشق مفتوحًا على مصراعيه، وخامره شعور مزعج للغاية بأن اليد الممسكة بالسكين كانت يده.

راقبها لدقيقة، أو ربما كانت ساعة. لا يعتقد أنها رأته؛ لا شيء في وقفتها منحه أي دليل على أنها كانت مدركة لوجوده. كانت بعيدة عنه مسافة كبيرة لا تسمح له بأن يرى وجهها، لكنه ظن أن عينيها مغلقتان.

فكَّر أنها على الأرجح تصلي ألا تهب عاصفة، وهو ينظر إلى السماء الضبابية، على الأرجح سيخيب ظنها. كان الضباب والرذاذ يتحدان بالفعل في قطرات رطبة على جلده، وبدا أن هذا ينذر بقرب هطول مطر غزير.

كان يعرف أن عليه الذهاب، لكن حبالًا غير مرئية أبقته متسمرًا في مكانه. حتى بعد أن غادرت موقعها عند النافذة، ظل في مكانه، محدقًا إلى المنزل. لا طائل من إنكار قوة الجذب التي تسحبه للداخل. أراد أن يركض عائدًا إلى المنزل، ساقطًا على ركبتيه أمامها، ومتوسلًا لها أن تغفر له. أراد أن يأخذها بين ذراعيه حتى تلمس خيوط الفجر الأولى السماء. لكنه يعلم بأنه لا يقوى على فعل أيٍ من هذه الأمور.

أو ربما لا ينبغي له أن يفعلها. لم يعد يعرف.

وهكذا، بعد أن وقف جامدًا في مكانه قرابة الساعة، وبعد أن هطل المطر، وبعد أن هبت الرياح الباردة في الشارع، رحل أنطوني أخيرًا.

رحل غير شاعر بالبرد، غير شاعر بالمطر، الذي بدأ في الهطول بقوة مفاجئة.

رحل غير شاعر بأي شيء.



الفصل الحادي والعشرون

15 يونيو 1814 — **جريدة المجتمع**

أشيع أن لورد وليدي بريدجرتون أجبرا على الزواج، لكن حتى لو كان هذا صحيحًا، تأبى كاتبة هذا المقال أن تصدق أنهما لا يحبان بعضهما.

ليدي ويسلداون

فكّرت كيت وهي تنظر إلى وجبة الصباح الموضوعة على الطاولة الجانبية بغرفة العشاء الصغيرة، كان غريبًا كيف يمكن للمرء أن يشعر بالجوع التام وفي الوقت نفسه لا تكون لديه شهية. كان بطنها يقرقر ويتموج، مطالبًا بالطعام فورًا، ومع ذلك فإن جميع الأطباق –من البيض إلى الكعكات إلى السمك المدخن إلى اللحم المشوي– بدت مريعة.

وبتنهيدة حزينة، مدت يدها لمثلث منفرد من الخبز المحمص وغرقت في كرسيها مع كوب من الشاي.

لم يعد أنطوني إلى المنزل في الليلة الماضية.

أخذت كيت قضمة من الخبز المحمص وأجبرت نفسها على ابتلاعها. كانت تأمل أن يظهر على الأقل في الوقت المناسب لتناول الإفطار. أخّرت الوجبة قدر المستطاع –إذ كانت الساعة تقارب الحادية عشرة صباحًا بالفعل وعادة ما تتناولها في التاسعة– لكن زوجها كان لم يزل غائبًا.

- ليدي بريدجرتون؟

رفعت كيت نظرها وطرفت بعينيها. كان خادم يقف أمامها ويحمل ظرفًا صغيرًا قشدي اللون. قال:

- وصلكِ هذا منذ بضع دقائق.

غمغمت كيت بالشكر ومدت يدها إلى الظرف، الذي كان مغلقًا بختمٍ من الشمع الوردي الباهت. بتقريبه من عينها استطاعت تمييز الأحرف الأولى (إ. ب.). أحد إخوة أنطوني؟ بالطبع سيكون حرف (إ) اختصارًا لإلويز، نظرًا لأن أسماء آل بريدجرتون مرتبة أبجديًا.

كسرت كيت الختم بعناية وأخرجت محتوياته؛ قطعة وحيدة من الورق، مطوية بدقة من المنتصف.

كيت..

أنطوني هنا. يبدو في حالة مزرية. ليس هذا من شأني بالطبع ولكني فكّرت أنك قد ترغبين في معرفة ذلك.

إلويز

حدّقت كيت إلى الرسالة لبضع ثوان، ثم دفعت كرسيها للخلف وهبّت واقفة. لقد حان الوقت لزيارة إلى منزل بريدجرتون.

لدهشة كيت، عندما طرقت باب منزل بريدجرتون، لم يكن مَن فتح الباب كبير الخدم وإنما إلويز، التي قالت على الفور:

- كان ذلك سريعًا!

نظرت كيت في أرجاء القاعة شبه متوقّعة أن يظهر أمامها فجأة شقيق أو شقيقان آخران لبريدجرتون.

- هل كنتِ تنتظرينني؟

أومأت إلويز برأسها قائلة:

- وليس عليك أن تطرقي الباب بالمناسبة. إن منزل بريدجرتون ملك لأنطوني بعد كل شيء. وأنت زوجته.

ابتسمت كيت بوهن. لم تشعر بأنها زوجة هذا الصباح.

تابعت إلويز وهي تلف ذراعها حول ذراع كيت وتقودها عبر القاعة:

- أتمنى ألا تظني أنّي متطفلة ميؤوس منها، لكن أنطوني يبدو مريعًا، وقد راودني شك خفي في أنك لا تعرفين أنه هنا.

لم تستطع كيت منع نفسها من السؤال.

- لمَ عساكِ تعتقدين ذلك؟

قالت إلويز:

- حسن، لم يتكبد عناء أن يخبر أيًا منا بأنه هنا.

نظرت كيت إلى أخت زوجها بارتياب.

- مما يعنى؟

كان لدى إلويز من الحياء ما جعل وجهها يكتسي باللون الوردي الباهت.

- مما يعني، آه، أن السبب الوحيد لمعرفتي بوجوده هنا هو أنني كنت أتجسس عليه. لا أعتقد أن أمي حتى تعرف بوجوده في المنزل.

شعرت كيت بجفنيها يطرفان في تتابع سريع.

- هل كنتِ تتجسسين عليه؟

- لا، بالطبع لا. لكن تصادف أني استيقظت مبكرًا إلى حد ما هذا الصباح، فسمعت أحدًا يأتي. ومن ثم ذهبت لأستطلع الأمر ورأيت الضوء يأتي من أسفل باب مكتبه.

- كيف إذن عرفت أنه يبدو مريعًا؟

هزت إلويز كتفيها.

- علمتُ أنه سيتعين عليه الخروج في النهاية ليأكل أو يقضي حاجته، لذلك انتظرت على الدّرج لمدة ساعة أو نحوها...

رددت كيت:

- أو نحوها؟

اعترفت إلويز:

- أو ثلاث. إنها ليست حقًا بالمدة الطويلة عندما يكون المرء مهتمًا بالمسألة، ثم إنني كنت أحمل كتابًا معي لقتل الوقت.

هزت كيت رأسها في إعجاب متردد.

- في أي وقت جاء بالأمس؟

- في الرابعة أو نحوها.

- لم عساكِ تستيقظين في هذا الوقت المبكّر للغاية؟

هزت إلويز كتفيها مرة أخرى.

- لم أستطع النوم. لا أستطيع في كثير من الأحيان. كنت قد هبطت لإحضار كتاب من المكتبة لأقرأه. ثم أخيرًا، في نحو الساعة السابعة.. حسنٌ، أعتقد أنه كان قبل السابعة بقليل، لذلك لم أنتظر ثلاث ساعات تمامًا...

بدأت كيت تشعر بالدوار.

- ثم عندها خرج. لم يتجه نحو غرفة الإفطار، لذا لم يمكنني إلا أن أفترض أنه خرج لأسباب أخرى. بعد دقيقة أو اثنتين، ظهر من جديد وعاد إلى مكتبه. حيث بقي منذ ذلك الحين.

أنهت إلويز عبارتها بتباهٍ.

حدقت كيت إليها لعشر ثوانٍ كاملة.

- ألم تفكري يومًا في عرض خدماتك على وزارة الحرب؟

ابتسمت إلويز، ابتسامة تشبه كثيرًا ابتسامة أنطوني لدرجة كادت معها كيت أن تبكي. سألتها:

- بصفتي جاسوسة؟

أومأت كيت.

- سأكون بارعة، ألا تعتقدين ذلك؟

- ستكونين عبقرية.

منحت إلويز كيت عناقًا عفويًا.

- أنا في غاية الامتنان لأنك تزوجتِ أخي. والآن اذهبي واعرفي ما الخطب.

أومأت كيت برأسها، وفردت قامتها، وخطت خطوة باتجاه مكتب أنطوني. ثم استدارت وأشارت إلى إلويز قائلة:

- حذار أن تتنصتي على الباب.

أجابت إلويز:

- لم أكن لأجرؤ على ذلك.

- إنني أعني ما أقول يا إلويز.

تنهدت إلويز.

- لقد حان وقت عودتي للفراش على أي حال. عليّ أن آخذ غفوة بعد أن بقيت مستيقظة طوال الليل.

انتظرت كيت حتى اختفت الفتاة الصغيرة أعلى الدرج، ثم شقت طريقها إلى باب مكتب أنطوني. وضعت يدها على المقبض، وهمست وهي تديره:

- لا تكن مغلقًا.

ولراحتها الشديدة أدارته فانفتح الباب.

نادت:

- أنطوني؟

كان صوتها ضعيفًا ومترددًا، ولم تعجبها نبرته. لم تعتد قط الضعف والتردد.

لم تتلق كيت ردًا، لذلك خطت إلى داخل الغرفة. كانت الستائر مغلقة بإحكام، ولم يسمح المخمل الثقيل سوى لنزر يسير من الضوء بالدخول. مسحت كيت الغرفة حتى سقطت عيناها على خيال زوجها، مرتخيًا فوق مكتبه. بدا نائمًا.

عبرت كيت الغرفة بهدوء حتى وصلت إلى النافذة وسحبت الستائر لتفتحها قليلًا. لم تكن تريد أن يعمي الضوء أنطوني عندما يستيقظ، ولكن في الوقت نفسه، لم يكن ممكنًا أن تجري محادثة مهمة كهذه في الظلام. بعدها سارت عائدة إلى مكتبه وهزت كتفه برفق.

همست:

- أنطوني؟ أنطوني؟

كانت إجابته أشبه بالغطيط من أي شيء آخر.

هزته بقوة أكبر قليلًا، مقطبة بنفاد صبر، وقالت برقة:

- أنطوني؟ أنطونـ....

استيقظ في حركة واحدة مفاجئة، وانفلتت منه دفعة غير مترابطة من الكلام بينما استقام جذعه فجأة.

راقبته كيت بينما يطرف بعينيه ويتماسك، وبعدها ركز عينيه عليها قائلًا بصوت أجش مبحوح من النوم ومن شيء آخر.. ربما الكحول:

- كيت، ماذا تفعلين هنا؟

ردت:

- ماذا تفعل أنت هنا؟ آخر مرة تحققت فيها كنا نسكن على بعد ما يقرب من ميل من هنا.

غمغم:

- لم أرِد أن أزعجكِ.

لم تصدق كيت ذلك للحظة واحدة، لكنها قررت ألا تجادل في تلك النقطة. بدلًا من ذلك اختارت النهج المباشر وسألته:

- لماذا غادرت بالأمس؟

أخيرًا، وبعد فترة طويلة من الصمت أعقبتها تنهيدة منهكة، قال أنطوني:

- الأمر معقد.

قاومت كيت رغبتها في عقد ذراعيها. وقالت بصوت تعمّدت أن يكون هادئًا:

- إنني امرأة ذكية. وقادرة بصفة عامة على فهم المسائل المعقدة.

لم يبدُ أنطوني مسرورًا بسخريتها.

- لا أريد الخوض في هذا الآن.

- متى تريد الخوض فيه؟

قال برفق:

- عودي إلى المنزل يا كيت.

- هل تخطط للمجيء معي؟

أطلق أنطوني أنينًا قصيرًا وهو يمشط شعره بيده. بحق المسيح، كانت مثل كلب أمسك بعظمة. كان رأسه ينبض، ومذاق فمه كالصوف، كل ما أراد فعله حقًا هو رش بعض الماء على وجهه وتنظيف أسنانه، وها هي ذي زوجته لا تتوقف عن استجوابه...

تابعت:

- أنطوني؟

طفح الكيل. نهض على نحو مفاجئ لدرجة أن كرسيه مال إلى الخلف وارتطم بالأرض في اصطدام مدوٍّ. وقال من بين أسنانه:

- فلتكفّي عن أسئلتك فورًا.

تسمّر فمها في خط مستقيم غاضب. لكن عينيها...

ابتلع أنطوني ريقه في محاولة لإزالة الطعم الحمضي الذي غمر فمه جرّاء شعوره بالذنب.

كانت عيناها تفيضان ألمًا.

وتضاعف العذاب في قلبه عشرة أضعاف.

لم يكن مستعدًا. ليس بعد. لم يعلم ما ينبغي له أن يفعل معها. لم يعلم ما ينبغي له أن يفعل مع نفسه. طوال حياته -أو على الأقل منذ وفاة والده- كان قد سلّم بأن بعض الأشياء هي أمر واقع. بعض الأشياء لا بد أن تكون كذلك. ثم أتت كيت وقلبت عالمه رأسًا على عقب.

لم يرد أن يحبها. اللعنة، لم يرِد أن يحب أي امرأة. كان هذا الشيء الوحيد -الشيء الوحيد- الذي يمكن أن يجعله يخشى منيته. وماذا عن كيت؟ لقد وعدها بأن يحبها ويحميها. كيف عساه يفعل ذلك، وهو يعلم طيلة الوقت أنه سيتركها؟ ليس بوسعه أن يخبرها بقناعاته الغريبة. فبغض النظر عن حقيقة أنها قد تظن به الجنون، فإن كل ما سيجنيه من إخبارها هو أن يعرّضها لنفس الألم والخوف الذي عصف به. الأفضل أن يتركها تعيش في نعيم الجهل.

أم ربما الأفضل إن هي لم تحبه على الإطلاق؟

لم يعرف أنطوني الإجابة. وكان في حاجة لمزيد من الوقت. لم يستطع التفكير أثناء وقوفها هنا أمامه، وعيناها المليئتان بالألم تجوبان وجهه. و...

قال بصوت مختنق:

- اذهبي. اذهبي فحسب.

قالت بعزمٍ هادئ جعله يحبها أكثر بعد:

- لا، ليس حتى تخبرني بما يزعجك.

خرج من خلف مكتبه وأمسك بذراعها. قال بصوت أجش، وعيناه تتجنبان عينيها:

- لا أستطيع أن أكون معك الآن. غدًا. أراك غدًا. أو بعد غد.

- أنطوني...

- أريد وقتًا للتفكير.

صاحت:

- فيم؟

- لا تجعلي الأمر أصعب من...

قاطعته سائلة:

- كيف يمكن أن يكون الأمر أصعب؟ أنا لا أعرف حتى عم تتحدث.

قال شاعرًا بأن صوته كالصدى:

- أحتاج فقط إلى بضعة أيام.

فقط بضعة أيام ليفكر. ليكتشف ما سيفعله، وكيف سيعيش حياته.

لكنها استدارت حتى واجهته، ثم وضعت يدها على خده، تلمسه بحنان جعل قلبه يتوجع. همست:

- أنطوني، أرجوك...

لم يستطع أن يصوغ كلمة، لم يستطع أن ينبس ببنت شفة.

انزلقت يدها إلى مؤخرة رأسه، ثم جذبته أقرب... فأقرب... ولم يستطع حيلة. لقد أرادها بشدة، أراد أن يشعر بها قُربه، وأن يتذوق الملح الخفيف على جلدها. أراد أن يتنشق عبيرها، أن يلمسها، أن يسمع صوت أنفاسها في أذنيه.

مست شفتاها شفتيه. كان من السهل للغاية أن ينسى نفسه معها، وأن يستلقي معها على البساط و...

- لا!

انطلقت الكلمة من حلقه، ولم يدرِ أنها كانت عالقة هنالك حتى انفجرت.

قال مرة أخرى وهو يدفعها بعيدًا:

- لا، ليس الآن.

- لكن...

لم يكن يستحقها. ليس الآن. ليس بعد. ليس حتى يفهم كيف يفترض به أن يعيش بقية حياته. ولو كان معنى هذا أن عليه أن يحرم نفسه من الشيء الوحيد الذي من شأنه أن يجلب له الخلاص، فليكن.

أمرها وقد بدا صوته أكثر قساوة قليلًا مما أراد:

- اذهبي، اذهبي الآن. أراكِ لاحقًا.

وهذه المرة ذهبت بالفعل.

مضت دون أن تنظر إلى الخلف.

وأنطوني، الذي كان قد عرف لتوه ماذا يعني الحب، عرف ماذا يعني أن يموت المرء داخل جسمه.

بحلول الصباح كان أنطوني قد ثمل. وبحلول فترة ما بعد الظهر كان يعاني آثار ما بعد الثمالة.

كان رأسه يدق، وكانت أذناه تطنان، وكان أخواه اللذان فوجئا عندما وجداه في هذه الحالة في ناديهم يتحدثان بصوت عالٍ لأبعد الحدود.

وضع أنطوني يديه على أذنيه وتأوه. كان الجميع يتحدثون بصوت عالٍ لأبعد الحدود.

سأله كولين:

- هل طردتك كيت من المنزل؟

وأخذ حبة جوز من طبق معدني كبير في منتصف طاولتهم وقسمها بصوت تشققٍ صاخبٍ إلى درجة قاسية.

رفع أنطوني رأسه بما يكفي فقط ليحدق إليه.

راقب بنيدكت أخاه بحاجبين مرفوعين وشبه ابتسامة ساخرة. ثم قال لكولين:

- لقد طردته دون شك. ناولني حبة من هذا الجوز، إذا سمحت.

ألقى كولين واحدة عبر الطاولة.

- هل تريد المقرمشات أيضًا؟

هز بنيدكت رأسه ورسم ابتسامة عريضة وهو يمسك بكتاب ضخم ذي غلافٍ جلدي. قال:

- تحطيم الجوز يرضيني أكثر.

صاح أنطوني ويده تنطلق لتمسك بالكتاب:

- إياك حتى أن تفكر في فعل هذا.

- الآذان حساسة بعض الشيء هذا المساء، أليس كذلك؟

لو كان في حوزة أنطوني مسدس، لأطلق النار على كليهما ووضع حدًا لهذه الضوضاء.

قال كولين وهو يمضغ الجوز:

- هل تسمح لي بأن أسديك نصيحة؟

أجابه أنطوني:

- لا أسمح لك.

ورفع نظره. كان كولين يمضغ بفم مفتوح. ولمّا كان هذا ممنوعًا منعًا باتًا خلال نشأتهم في منزلهم، لم يملك أنطوني إلا أن يستنتج أن كولين يُظهر مثل هذه السلوكيات المتدنية فقط لإحداث مزيد من الضوضاء. غمغم:

- أغلِق فمك اللعين.

ابتلع كولين ما بفمه وطرقع بشفتيه، ثم أخذ رشفة من الشاي ليغسل فمه بالكامل.

- بغض النظر عما فعلت، فلتعتذر لها عنه. إنني أعرفك، وفي سبيلي إلى أن أعرف كيت، ووفقًا لما أعرفه...

دمدم أنطوني:

- عم يتحدث بحق الجحيم؟

قال بنيدكت متراجعًا في مقعده:

- أعتقد أنه يخبرك بأنك مغفّل.

هتف كولين:

- بالضبط!

هز أنطوني رأسه بضجر وقال:

- الأمر أكثر تعقيدًا مما تظنّان.

قال بنيدكت بإخلاص أتقن تزييفه لدرجة كاد معها أن يبدو مخلصًا:

- دائمًا ما يكون كذلك.

قال أنطوني ساخرًا:

- عندما تجدان امرأة ساذجة بما يكفي لترضى بالزواج من أحدكما أيها الأبلهان، حينها يمكنكما أن تتجرآ على إسداء النصح إليّ. ولكن حتى ذلك الحين... اخرسا.

نظر كولين إلى بنيدكت قائلًا:

- أتظنّه غاضبًا؟

رفع بنيدكت أحد حاجبيه قائلًا:

- إما هذا أو أنه ثمل.

هز كولين رأسه قائلًا:

- لا، ليس ثملًا. لم يعُد كذلك على الأقل. لكن من الواضح أنه يعاني أعراض ما بعد الثمالة.

قال بنيدكت بإيماءة فلسفية:

- وهو ما قد يفسر غضبه الشديد.

مد أنطوني إحدى يديه إلى وجهه وضغط بقوة على صدغه بإبهامه وإصبعه الأوسط. غمغم:

- يا إله السماوات! ما الذي تريدانه مقابل أن تتركاني وشأني؟

قال بنيدكت برفق مفاجئ:

- عد إلى المنزل يا أنطوني.

أغلق أنطوني عينيه وأخرج زفيرًا طويلًا. ليس ثمة ما يريد فعله أكثر من ذلك، لكنه ليس واثقًا بعد مما ينبغي أن يقوله لكيت، والأهم بعد أنه لا يملك أي فكرة عمّا سيشعر به بمجرد وصوله إلى هناك.

وافق كولين أخاه قائلًا:

- نعم، اذهب إلى المنزل فحسب وأخبرها بأنك تحبها. هل ثمة ما هو أبسط من ذلك؟

وفجأة بدا الأمر بسيطًا فعلًا. عليه أن يخبر كيت بأنه يحبها. عليه أن يفعل ذلك الآن. اليوم وليس غدًا. لا بد أن يتأكد من أنها تعرف. وأقسم بأن يقضي كل دقيقة من حياته البائسة القصيرة ليثبت لها ذلك.

كان الأوان قد فات لتغيير مصير قلبه. حاول ألا يقع في الحب وفشل. ولما كان من غير المحتمل أن يقع خارج الحب مرة أخرى، فلعل الأحرى به أن يحقق الاستفادة القصوى من هذا الموقف. سيطارده هاجس وفاته سواء عرفت كيت بحبه أم لا. ألن يكون أكثر سعادة خلال السنوات القليلة الأخيرة إن هو قضاها في حبها بصراحة وصدق؟

كان على يقين من أنها وقعت في حبه أيضًا؛ بالتأكيد ستسعد عندما تعرف أنه يبادلها الشعور نفسه. وعندما يحب رجل امرأة، عندما يحبّها حقًا من أعماق روحه إلى أخمص قدميه، أليس واجبه في الحياة أن يحاول إسعادها؟

لم يكن ليخبرها عن هواجسه مع ذلك. ما الجدوى؟ ربما يعاني هو من معرفته بأن وقتهما معًا قصير، ولكن لمَ عليها أن تعاني معه؟ الأفضل أن يصدمها الألم الحاد والمفاجئ عند وفاته من العيش مع معاناة توقعه مسبقًا.

سوف يموت. البشر جميعهم يموتون، ذكّر نفسه بذلك. كل ما في الأمر أن عليه أن يموت عاجلًا، وليس آجلًا. لكن بالله ليستمتعنّ بسنواته الأخيرة بكل نفسٍ يتردد في صدره. ربما كان من الأسلم ألا يقع في الحب، ولكن الآن بعد أن وقع، لن يختبئ منه.

كان الحل بسيطًا. كيت هي عالمه. إذا أنكر ذلك، ربما حريٌّ به أيضًا أن يتوقف عن التنفس في الحال.

اندفع قائلًا:

- يجب أن أذهب.

ووقف فجأة لدرجة أن فخذيه اصطدما بحافة الطاولة، مطيحًا بشظايا قشور الجوز عبر الطاولة.

غمغم كولين:

- عرفت أنك ستفعل.

أما بنيدكت فاكتفى بالابتسام وقال:

- اذهب.

أدرك أنطوني أن أخويه كانا أذكى قليلًا مما يوحيان به.

سأله كولين:

- هل سنلتقي بك بعد أسبوعٍ أو نحوه؟

ابتسم أنطوني رغمًا عنه. كان يلتقي بأخويه في ناديهم كل يوم على مدار الأسبوعين الماضيين. واستفسار كولين شديد البراءة ذاك لا يمكن أن يلمّح إلا لشيء واحد؛ أن من الواضح أن قلب أنطوني صار بين يدي زوجته كليًا، وأنه يخطط لقضاء الأيام السبعة التالية على الأقل في إثبات ذلك لها. وأن العائلة التي هو بصدد إنشائها أصبحت بنفس أهمية الأسرة التي ولد فيها.

أجاب أنطوني وهو يرتدي معطفه:

- أسبوعين، ربما ثلاثة.

واكتفى أخواه بالابتسام.

ولكن عندما دفع أنطوني باب منزله، وقد انقطعت أنفاسه قليلًا بعد أن صعد الدرجات الأمامية ثلاث درجات في المرة، اكتشف أن كيت لم تكن هناك.

سأل كبير الخدم:

- أين ذهبت؟

لغبائه لم يخطر بباله لحظة أنها ربما لا تكون في المنزل.

أجاب كبير الخدم:

- خرجت في جولة في الحديقة، مع أختها والسيد باجويل.

غمغم أنطوني لنفسه:

- خطيب إدوينا.

اللعنة. كان من المفترض أن يشعر بالسعادة من أجل أخت زوجته، لكن توقيتها كان مزعجًا بشدة. لقد اتخذ لتوّه قرارًا من شأنه أن يبدّل حياته كليًا مع زوجته؛ ولكان من اللطيف أن يجدها في المنزل.

قال كبير الخدم بازدراء حاول كبحه:

- لقد ذهب *الشيء* أيضًا.

لم يستطع كبير الخدم التسامح قط مع ما اعتبره غزوًا من الكلب لبيته.

غمغم أنطوني:

- أخذت نيوتن معها، إيه؟

- أتصوّر أن يعودوا في غضون ساعة أو اثنتين.

ركل أنطوني الأرض الرخامية بمقدمة حذائه. لا يريد الانتظار لمدة ساعة. اللعنة، لا يريد الانتظار لدقيقة واحدة حتى. قال بنفاد صبر:

- سأجدهم بنفسي. لا يمكن أن يكون ذلك صعبًا.

أومأ كبير الخدم برأسه وأشار باتجاه الباب المفتوح إلى العربة الصغيرة التي استقلها أنطوني إلى المنزل.

- هل ستحتاج إلى عربة أخرى؟

هز أنطوني رأسه قائلًا:

- سأمتطي حصانًا. سيكون ذلك أسرع.

انحنى كبير الخدم انحناءة صغيرة قائلًا:

- حسنٌ. سأحضر حصانًا.

راقب أنطوني كبير الخدم لمدة ثانيتين تقريبًا وهو يشق طريقه ببطء ورصانة نحو الجزء الخلفي من المنزل قبل أن ينفد صبره ويصيح قائلًا:

- سأعتني بذلك بنفسي.

ولم يشعر بنفسه إلا وهو ينطلق على صهوة حصانه خارجًا من المنزل.

ارتفعت معنويات أنطوني بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى حديقة هايد بارك. كان متلهّفًا للعثور على زوجته، لاحتضانها بين ذراعيه ورؤية وجهها وهو يخبرها بحبه لها. دعا الله بأن تجيبه بكلمات تبادله بها عاطفته. يظنها ستفعل؛ لقد رأى عينيها تفضحان ما في قلبها في أكثر من مناسبة. لعلّها كانت تنتظر منه فقط أن يبادر بقول شيء ما. لا يحقّ له أن يلومها في تلك الحالة؛ فقد أثار ضجة كبيرة قبل زفافهما ليضمن أن زواجهما لن يكون أبدًا قائمًا على الحب.

كم كان أحمق.

قرر أنه بمجرد أن يدخل الحديقة سيدير حصانه ويتجه مباشرة إلى روتن رو. بدا المضمار المزدحم الوجهة الأكثر احتمالًا للثلاثي؛ مؤكّد ليس لدى كيت أي سبب لاختيار طريق أكثر خصوصية.

وكز حصانه ليخب بالسرعة المسموحة له داخل حدود الحديقة، محاولًا تجاهل النداءات وتلويحات التحية التي أخذ يلقيها عليه ركّاب الخيل الآخرين والمشاة.

ثم عندما تراءى له المضمار أخيرًا وأيقن بأنه قد وصل دونما تأخير، سمع صوتًا آمرًا لامرأة عجوز تنادي باسمه.

- بريدجرتون! عجبًا لأمرك يا بريدجرتون! قِف في الحال. أنا أكلمك!

أنَّ وهو يستدير. كانت ليدي دانبري، تنين الوسط الرفيع. لم يكن من سبيل لتجاهلها ببساطة. لم يملك فكرة عن عمرها. ستون؟ سبعون؟ أيًا كان عمرها، فقد كانت قوة من قوى الطبيعة، ولا يمكن لأحدٍ أن يتجاهلها.

قال محاولًا ألا يبدو مستاءً وهو يحاول كبح جماح حصانه:

- ليدي دانبري، كم هو لطيف أن أراكِ.

صاحت:

- نزهة طيبة يا فتى. تبدو كما لو كنت قد تناولت ترياقًا منشطًا للتو.

ابتسم أنطوني ابتسامة واهنة.

- أين زوجتك؟

أجابها:

- إنني أبحث عنها الآن، أو على الأقل كنت.

كانت ليدي دانبري أشدّ ذكاء بكثير من أن تخطئ فهم تلميحه الواضح، لذا لم يملك إلا أن يستنتج أنها تجاهلته عمدًا عندما قالت:

- تعجبني زوجتك.

- أراها جديرة بالإعجاب كذلك.

- لم أفهم قط سبب رغبتك في مغازلة أختها. إنها فتاة لطيفة، لكن كان جليًا أنها لا تناسبك.

أدارت عينيها وأخرجت زفيرًا ساخطًا ثم أضافت:

- سيكون العالم مكانًا أكثر سعادة إذا استمع الناس لي قبل أن يتزوجوا. يمكنني أن أزوج جميع العُزّاب في أسبوع.

- أنا واثق من ذلك.

ضيّقت عينيها.

- هل تسخر مني؟

قال أنطوني بصدق تام:

- لم أكن لأجرؤ على ذلك.

- جيد، لطالما بدوت من النوع المتعقّل. إنني...

سقط فكها السفلي وقالت:

- ما هذا بحق الجحيم؟

تبع أنطوني نظرات ليدي دانبري المرعوبة حتى وقعت عيناه على عربة مفتوحة السقف تخرج عن نطاق السيطرة وتدور في منعطف على عجلتين. كان ما زال بعيدًا جدًا لدرجة لا تسمح له برؤية وجوه الركاب، لكنه سمع عندئذ صرخة، ثم نباح كلب مرعوب.

تجمد دم أنطوني في عروقه.

كانت زوجته في تلك العربة.

ودون أن يتفوّه بكلمة لليدي دانبري، وكز حصانه ليتحرّك وعدا بأقصى سرعة نحوها. لم يكن متأكدًا مما سيفعله بمجرد أن يصل إلى العربة. ربما ينتزع اللجام من السائق البائس. ربما يكون قادرًا على سحب أحدهم إلى بر الأمان. لكن الأكيد أنه لا يستطيع أن يبقى في مكانه ويشاهد العربة تتحطم أمام عينيه.

ومع ذلك كان ذلك ما حدث تمامًا.

كان أنطوني في منتصف طريقه إلى العربة المترنحة عندما انحرفت عن المضمار وتعثّرت بصخرة كبيرة، مما أدى إلى خلل في التوازن دفعها إلى جانبها.

ولم يسع أنطوني سوى أن يشاهد برعب زوجته وهي تموت أمام عينيه.

الفصل الثاني والعشرون

15 يونيو 1814 **جريدة المجتمع**

على عكس الرأي السائد، فإن كاتبة هذا المقال تعي بأن المجتمع ينظر إليها على أنها شخص متشائم.

غير أن ذلك يا عزيزي القارئ لا يمكن أن يكون أبعد من الحقيقة. إن كاتبة هذا المقال لا تحب أكثر من النهايات السعيدة. وإذا كان هذا يجعلها حمقاء حالمة، فليكن إذن.

ليدي ويسلداون

بحلول الوقت الذي وصل فيه أنطوني إلى العربة المقلوبة، كانت إدوينا قد تمكّنت من الزحف خارج الحطام، وأخذت تخدش قطعة بالية من الخشب، محاولة فتح فجوة على الجانب الآخر من العربة. كانت أكمام فستانها ممزقة، والحاشية ممزقة وقذرة، لكن يبدو أنها لم تنتبه وهي تجذب الباب بشكل محموم. كان نيوتن يقفز ويتلوى عند قدميها بنباح حاد ومسعور.

سألها أنطوني بصوت ملأه الهلع وهو يقفز عن ظهر حصانه:

- ماذا حدث؟

لهثت إدوينا وهي تمسح الدموع الغزيرة التي تنهمر على وجهها:

- لست أدري. السيد باجويل ليس بسائق متمرّس على ما أظن، ثم تحرر نيوتن من طوقه، ثم لا أدري ماذا حدث. في لحظة كنا نتدحرج، وفي التالية...

- أين باجويل؟

أشارت إلى الجانب الآخر من العربة.

- سقط وضرب رأسه. لكنه سيكون بخير. لكن كيت...

سقط أنطوني على ركبتيه وهو يحاول التحديق في الحطام وقال:

- ماذا عن كيت؟ أين هي؟

كانت العربة قد انقلبت بالكامل، مما أدى إلى تحطيم الجانب الأيمن من المركبة أثناء انقلابها.

غصّت إدوينا بدموعها، وبالكاد ارتفع صوتها فوق الهمس وهي تقول:

- أظنّها قد علِقت أسفل العربة.

في تلك اللحظة ذاق أنطوني طعم الموت. كان طعمًا مريرًا في حلقه، معدنيًا وقاسيًا. شقّ جسده كالسكين، وخنقه واعتصر رئتيه ساحبًا كل ذرة هواء منهما.

انتزع أنطوني قطع الحطام بشراسة، محاولًا فتح فجوة أوسع. لم تكن حالة العربة بالسوء الذي بدت عليه أثناء الحادث، إلا أن ذلك لم يفِد كثيرًا في تهدئة دقات قلبه المتسارعة. صاح محاولًا أن يبدو هادئًا وغير قلق:

- كيت! كيت، هل تسمعينني؟

ومع ذلك، كان الصوت الوحيد الذي أجابه هو صهيل الخيل المحموم. اللعنة. سيضطر إلى نزع لجاميهما وتحريرهما قبل أن يصيبهما الذعر ويبدآ في محاولة سحب الحطام. نادى أنطوني بحدة ناظرًا من فوق كتفه:

- إدوينا؟

أسرعت إليه وهي تفرك يديها قائلة:

- نعم؟

- أتعرفين كيف تفكين لجام الخيل؟

أومأت برأسها قائلة:

- لست سريعة جدًا، لكن يمكنني فعلها.

حرك أنطوني رأسه تجاه المتفرجين الذين بدأوا بالاحتشاد.

- فلتنظري إن كان يمكنك العثور على من يساعدك.

أومأت برأسها مرة أخرى وسارعت بالتنفيذ.

صاح أنطوني مرة أخرى:

- كيت؟

لم يمكنه رؤية أي أحد؛ كان المقعد المخلوع يسد الفتحة.

- أيمكنك سماعي؟

لا يوجد رد حتى الآن.

جاءه صوت إدوينا المحموم:

- جرب الجانب الآخر. الفتحة هنا ليست محطمة بنفس الدرجة.

قفز أنطوني على قدميه وركض حول مؤخرة العربة إلى الجانب الآخر. كان الباب قد خرج بالفعل من مفصلاته تاركًا فتحة كبيرة بما يكفي لحشر الجزء العلوي من جسده. نادى محاولًا تجاهُل صوت الذعر الحاد في صوته:

- كيت؟

بدا كل نفس يخرج من شفتيه مرتفعًا، يتردد صداه في الفضاء الضيق، مذكرًا إياه بأنه لا يسمع نفس الأصوات من كيت.

ثم في اللحظة التي حرّك فيها بحذر وسادة المقعد المقلوبة، رآها. كانت ساكنة بشكل مرعب، لكن لم يبد أن رأسها كان عالقًا في وضع غير طبيعي، ولم ير أي دم.

لا بد أن هذه علامة جيدة. لم يكن يعرف الكثير عن الطب، لكنه تمسك بهذه الفكرة وكأنها المعجزة.

قال:

- لا يمكنك أن تموتي يا كيت.

وأخذت أصابعه المذعورة تبعد الحطام في يأس لتفتح الفجوة لتتسع بما يكفي لسحبها من خلالها.

- هل تسمعينني؟ لا يمكنك أن تموتي!

شقّت قطعة مشقوقة مسننة من الخشب ظهر يده، لكن أنطوني لم يلاحظ الدم الذي تدفّق على جلده وهو يسحب عارضة مكسورة أخرى. قال متوعّدًا وصوته يرتجف ويقترب بشكل خطير من النحيب:

- من مصلحتك أن أجدكِ تتنفسين. هذا ليس دورك أنتِ. لم يكن قطّ دورك أنتِ. هذا ليس موعدك. هل تفهمين؟

انتزع قطعة مكسورة أخرى من الخشب ومد يده من خلال الفتحة المتسعة ليمسك يدها. وجدت أصابعه نبضها، الذي بدا مستقرًا بدرجة كافية بالنسبة إليه، لكن كان لا يزال من المستحيل معرفة ما إذا كانت تنزف، أو ما إذا كان ظهرها قد كُسر، أو صدمت رأسها، أو...

انفطر قلبه. ثمة طرق كثيرة للموت. ما دام بإمكان نحلة أن تصرع رجلًا في ريعان شبابه، فبالتأكيد يمكن لحادث انقلاب عربة أن يسلب فتاة ضعيفة حياتها.

قبض أنطوني على آخر قطعة من الخشب تقف في طريقه وسحبها، لكنها لم تتزحزح. غمغم:

- لا تفعلي هذا بي، ليس الآن. ليس هذا موعدك. هل تسمعينني؟ ليس موعدك!

شعر بشيء رطب على خديه وأدرك بوهن أنها دموعه. قال وهو يختنق بالكلمات:

- إنه موعدي أنا. لطالما كان هذا موعدي أنا.

ثم عندما كان يستعد ليجذب قطعة الخشب الأخيرة تلك جذبة يائسة أخرى، إذا بأصابع كيت تطبق بإحكام كالكلابات حول معصمه. طارت عيناه إلى وجهها، في الوقت المناسب ليرى عينيها تنفتحان بصفاء على اتساعهما، دون أن تطرفا.

سألته وقد بدت منتبهة ومتيقظة تمامًا:

- عمّ تتحدث بحق الجحيم؟

غمرت الراحة صدره بسرعة كادت تكون مؤلمة. سألها بصوت يتهدج مع كل مقطع:

- أأنت بخير؟

تجهمت ثم قالت:

- سأكون بخير.

توقف أنطوني لثوانٍ قليلة يفكر في اختيارها للكلمات قبل أن يقول:

- ولكن هل أنتِ بخير الآن؟

أطلقت سعالًا صغيرًا، وتخيّل أنه يستطيع سماعها تجفل من الألم. اعترفت قائلة:

- لقد أصيبت ساقي، لكنني لا أعتقد أنني أنزف.

- هل تشعرين بالدوار؟ مشوشة؟ واهية؟

هزت رأسها نفيًا وقالت:

- أشعر بالألم فقط. ماذا تفعل هنا؟

ابتسم من بين دموعه وقال:

- جئت للبحث عنك.

همست:

- حقًا؟

أومأ برأسه قائلًا:

- جئت كي... جئت كي أقول إنني أدركت...

ابتلع ريقه. لم يتخيل قط أن يأتي اليوم الذي يقول فيه هذه الكلمات لامرأة، وقد تضخمت في قلبه حتى صار من الصعب التفوه بها. قال بصوت مختنق:

- إنني أحبك يا كيت، لقد تطلّب الأمر مني بعض الوقت لاكتشافه، لكنّي أحبك، وكان لا بد أن أخبرك. اليوم.

ارتعشت شفتاها في ابتسامة مهتزة وهي تشير إلى باقي جسدها بذقنها.

- توقيتك رائع للغاية.

لدهشته، وجد نفسه يبتسم أيضًا.

- لا بد أنكِ ممتنّة لانتظاري طويلًا، هه؟ لو أخبرتك في الأسبوع الماضي، ما كنت لألحق بك إلى الحديقة اليوم.

أخرجت لسانها له، الأمر الذي جعله يحبها أكثر بالنظر إلى الظروف. قالت:

- أخرجني فحسب.

مازحها قائلًا:

- ثم ستقولين إنكِ تحبينني؟

ابتسمت ابتسامة شجية ودافئة، وأومأت برأسها.

غمره شعور بالرضا والسلام بعد هذا الاعتراف البديع، على الرغم من أنه كان يزحف بداخل حطام عربة مقلوبة، وعلى الرغم من أن كيت كانت عالقة في العربة اللعينة، مع كسر محتمل في الساق.

وأدرك أنه لم يشعر هكذا منذ ما يقرب من اثني عشر عامًا، ليس منذ تلك الظهيرة المشؤومة حينما دخل إلى غرفة نوم والديه ورأى والده راقدًا على الفراش، باردًا وساكنًا.

قال واضعًا ذراعه أسفل ظهرها:

- سأسحبك إلى الخارج الآن. أخشى أن هذا سيؤلم ساقك، لكن لا مفرّ منه.

قالت مبتسمة بشجاعة:

- إن ساقي تؤلمني بالفعل. أريد فقط أن أخرج.

منحها أنطوني إيماءة جادة واحدة، ثم لف يديه حول جانبها وبدأ في السحب. سألها وقلبه يكفّ عن النبض في كل مرة.يراها تجفل ألمًا:

- كيف حالك؟

لهثت قائلة:

- بخير.

لكنه استطاع أن يرى أنها تتظاهر بالشجاعة فحسب.

قال وهو ينظر إلى قطعة خشب مكسورة ومسننة تتدلى من أعلى:

- سوف أضطر إلى قلبك.

كان من الصعب تفاديها. لم يكن يهتم كثيرًا إذا مزق ملابسها.. اللعنة، سيشتري لها مائة فستان جديد إن هي وعدت فقط ألا تدخل مرة أخرى في عربة يقودها شخص آخر غيره. لكنه لم يستطع تحمل فكرة خدش بوصة واحدة من جلدها. لقد مرت بما يكفي بالفعل. لم تكن في حاجة إلى المزيد.

قال لها:

- أحتاج إلى أن أخرج رأسك أولًا. هل تظنين أن بإمكانك الاستدارة؟ فقط بما يكفي لأسحبك من أسفل ذراعيك.

أومأت برأسها، وهي تضغط على أسنانها وتدير نفسها بشق الأنفس بوصة ببوصة، رافعة نفسها على يديها بينما تحرك جذعها في اتجاه عقارب الساعة.

قال أنطوني مشجعًا:

- ها أنت ذي... والآن سوف...

جأرت كيت:

- افعلها فحسب. ليس عليك أن تشرح.

أجابها:

- حسن.

وتراجع إلى الخلف ببطء حتى وجدت ركبتاه مستقرًا لهما على العشب. وبعد أن عد في ذهنه إلى ثلاثة، صرّ على أسنانه وبدأ في سحبها.

ثم توقّف بعد ثانية واحدة، بعد أن أطلقت كيت صرخة تصم الآذان. لو لم يكن مقتنعًا بأنه سيموت خلال السنوات التسع المقبلة، لأقسم إنها قصرت عمره توًا بمقدار عشر سنوات.

سألها بقلق:

- هل أنت بخير؟

أصرت قائلة:

- أنا بخير.

لكنها كانت تتنفس بصعوبة، وتتنفخ من بين شفتيها المزمومتين، وقد تشنّج وجهها من فرط الألم.

جاء صوت من خارج العربة:

- ماذا حدث؟

كانت إدوينا قد انتهت من تحرير الخيل وبدت مرعوبة.

- لقد سمعت صراخ كيت.

سألت كيت وهي تلوي رقبتها وتحاول الرؤية:

- إدوينا؟ هل أنت بخير؟

وقالت وهي تجذب كم أنطوني بعنف:

- هل إدوينا بخير؟ هل جُرحت؟ هل تحتاج إلى طبيب؟

أجابها:

- إدوينا بخير، أنت من تحتاجين إلى طبيب.

- ماذا عن السيد باجويل؟

سأل أنطوني إدوينا بصوت مقتضب وهو يركز على تحريك كيت بين الحطام:

- كيف حال باجويل؟

- أصيب بكدمة في رأسه، لكنه عاد ليقف على قدميه.

جاء صوت رجل قلق:

- ليست بالكدمة الخطيرة. هل يمكنني المساعدة؟

تخلّف لدى أنطوني شعور بأن الحادث كان خطأ نيوتن بقدر ما كان خطأ باجويل، ولكن مع ذلك كان الفتى هو من يمسك اللجام، ولم يكن أنطوني ميّالًا للترفق به في الوقت الحالي. قال:

- سأخبرك إن احتجتك.

ثم التفت مرة أخرى إلى كيت وقال:

- باجويل بخير.

- لا أصدق أنني نسيت السؤال عنهما.

قال أنطوني وهو يتراجع إلى الخلف حتى صار تقريبًا خارج العربة بالكامل:

- أنا واثق من أنهما سيغفران لك زلتك، بالنظر إلى الظروف.

كانت كيت الآن عند الفتحة، ولن يتطلب الأمر أكثر من سحبة واحدة – أطول وأكثر إيلامًا بالتأكيد– لإخراجها.

نادت كيت:

- إدوينا؟ إدوينا؟ أمتأكد أنتَ من أنها لم تصب؟

أقحمت إدوينا وجهها في الفتحة وقالت مطَمئنة:

- إنني بخير. لقد سقط السيد باجويل خارج العربة، وأنا استطعت أن....

دفعها أنطوني بمرفقه بعيدًا عن الطريق وقال آمرًا:

- صري على أسنانك يا كيت.

- ماذا؟ أنا... جرررررررر!

بسحبة واحدة حررها تمامًا من الحطام، وسقط كلاهما على الأرض يلتقطان أنفاسهما بصعوبة. لكن بينما كان لهاث أنطوني ناجمًا عن الإجهاد، كان من الواضح أن لهاث كيت ناجم عن ألم ممضّ.

صرخت إدوينا:

- يا إلهي الرحيم! انظر إلى ساقها!

ألقى أنطوني نظرة على كيت وشعر بمعدته تسقط في قدميه. كان الجزء السفلي من ساقها متقوسًا ومنحنيًا، وكان واضحًا بشدة أنه مكسور. ابتلع لعابه بصعوبة، محاولًا ألا يُظهر قلقه. يمكن تجبير الساق، لكنه أيضًا سمع عن رجال فقدوا أطرافهم بسبب العدوى وسوء الرعاية الطبية.

سألت كيت:

- ما خطب ساقي؟ إنها تؤلمني لكن... أوه، يا إلهي!

قال أنطوني محاولًا دفع ذقنها في الاتجاه الآخر:

- الأفضل ألا تنظري.

أصبح تنفسها -الذي كان سريعًا بالفعل من محاولة السيطرة على الألم- مضطربًا ومذعورًا. لهثت قائلة:

- أوه، يا إلهي، إنها تؤلمني. لم أدرك كم تؤلمني حتى رأيت...

قال أنطوني آمرًا:

- لا تنظري.

- أوه، يا إلهي. أوه، يا إلهي.

سألت إدوينا بصوت قلق وهي تنحني عليها:

- كيت؟ هل أنت بخير؟

قالت كيت بصوتٍ أشبه بالصراخ:

- انظري إلى ساقي! هل تبدو بخير؟

- في الواقع كنت أتحدث عن وجهك. يبدو مخضرًا بعض الشيء.

لكن كيت لم تستطع الإجابة. فقد كانت أنفاسها متسارعة بشدة. وأمام أنظار أنطوني وإدوينا والسيد باجويل المحدقة، انقلبت عيناها إلى الخلف، وفقدت الوعي.

بعد ثلاث ساعات، كانت كيت قد دُثِّرت في الفراش. لم تكن قطعًا مرتاحة لكن ألمها كان قد خفّ قليلًا بفضل المخدّر الذي أقحمه أنطوني في حلقها بمجرد وصولهم إلى المنزل. وجبر الجراحون الثلاثة الذين استدعاهم أنطوني ساقها باحترافية -لم يتطلّب الكسر أكثر من واحد لتجبير العظمة، كما أجمع الجراحون الثلاثة، لكن أنطوني عقد ذراعيه بعناد وحدّق إليهم حتى خرسوا جميعًا-، وزارهم الطبيب ليترك عدة وصفات أقسم إنها ستسرع من عملية التئام العظام.

اعتنى أنطوني بها كالدجاجة التي تعتني بصغارها، مشككًا في كل حركة تصدر من كل طبيب حتى تجرأ أحدهم وسأله فعليًا عن الوقت الذي سيحصل فيه على رخصته من الكلية الملكية للطب.

لم يكن أنطوني مستمتعًا بالدعابة.

ولكن بعد كثيرٍ من الجدل، عدلت ساق كيت وجبرت، وقيل لها أن تتطلع إلى لزوم الفراش لمدة شهر على الأقل.

بمجرد انصراف آخر طبيب قالت لأنطوني متبرّمة:

- أتطلع إلى ذلك؟ كيف عسايّ أتطلع إلى ذلك؟

قال مقترحًا:

- سيتسنّى لكِ متابعة قراءاتك.

أطلقت زفيرًا نافد الصبر من أنفها؛ كان من الصعب التنفس من فمها وهي تصر على أسنانها.

- لم أكن أعرف أنني متخلّفة عن قراءاتي.

لو كان على وشك الضحك، فقد أبلى حسنًا في إخفاء ذلك. قال مقترحًا:

- لعل بإمكانك القيام بأعمال الحياكة.

اكتفت بالتحديق إليه بغضب. وكأن فكرة أعمال الحياكة ستشعرها بتحسن.

جلس بحذر شديد على حافة فراشها وربت على ظهر يدها. قال بابتسامة مشجعة:

- سأبقى في صحبتك. لقد قررت بالفعل تقليل الوقت الذي أمضيه في النادي.

تنهدت كيت. كانت متعبة ونزقة وتتألم، وكانت تلقي بعبئها على زوجها، وهو ما لم يكن منصفًا. أدارت يدها لتتقابل راحتيهما ثم شبكت أصابعها في أصابعه. قالت برقة:

- أتعلم أنّي أحبك؟

ضغط على كفها وأومأ برأسه، ودفء نظرته إلى عينيها يقول أكثر مما يمكن للكلمات أن تقول يومًا.

قالت كيت:

- لقد طلبت منّي ألا أفعل.

- كنتُ أحمق.

لم تجادله؛ وأخبرها التواء من شفتيه أنه لاحظ عدم اعتراضها. بعد لحظة من الصمت قالت:

- كنت تقول أشياء غريبة في الحديقة.

ظلت يد أنطوني في يدها، لكن جسده تراجع قليلًا وهو يجيب:

- لست أعرف ما تقصدين.

قالت برفق:

- بل أظنك تعرف.

أغلق أنطوني عينيه للحظة، ثم نهض، وانسحبت أصابعه من قبضتها حتى لم تعد تلامسها في النهاية على الإطلاق. لسنوات عديدة حرص على إبقاء قناعاته الغريبة لنفسه. بدا هذا أفضل. فإما سيصدقه الناس وحينها يقلقون، أو إنهم سيظنونه مجنونًا.

لم يكن أي من الخيارين مغريًا بصفة خاصة.

لكن ها هو ذا، في خضم لحظة مرعبة، قد أفشى بها لزوجته. لم يتمكن حتى من تذكر ما قاله بالضبط. لكنه كان كافيًا لإثارة فضولها. ولم تكن كيت

من النوع الذي يقاوم فضوله. يمكنه ممارسة كل أنواع التملّص التي يريد، لكنها في النهاية ستستخرج الحقيقة منه. لم تولد امرأةٌ أكثر عنادًا.

سار إلى النافذة واتكأ على حافتها، محدقًا أمامه بعيون لا ترى كما لو أن بإمكانه فعلًا أن يرى الشارع من خلال الستائر العنّابية الثقيلة المُغلقة منذ زمنٍ طويل. همس:

- ثمة شيء يجب أن تعرفيه عنّي.

لم تنبس ببنت شفة. لكنه عرف أنها سمعته. ربما بسبب صوت اعتدالها في جلستها، وربما بسبب توتّر الجو في الغرفة. لكنه بطريقة ما عرف.

استدار. كان ليسهل عليه توجيه كلماته للستائر، لولا أنها تستحق منه ما هو أفضل. كانت جالسة في الفراش، ساقها مستندة على الوسائد، وعيناها واسعتان وممتلئتان بمزيج يفطر القلب من الفضول والقلق.

قال:

- لا أعرف كيف أخبرك بهذا دون أن أبدو سخيفًا.

غمغمت:

- أحيانًا تكون أسهل طريقة هي الإفصاح فحسب.

ربتت على بقعة فارغة من الفراش قائلة:

- أتريد الجلوس بجانبي؟

هز رأسه. كل ما سيفعله القُرب هو أن يزيد الأمر صعوبة. قال:

- حدث لي شيء ما عندما مات والدي.

- كنت مقرّبًا إليه للغاية، أليس كذلك؟

أومأ برأسه وقال:

- أقرب مما كنت لأي شخص آخر، حتى قابلتك.

التمعت عيناها وقالت:

- ماذا حدث؟

قال:

- أتت وفاته بصورة غير متوقعة بالمرة.

كان صوته محايدًا، كما لو كان يروي خبرًا مبهمًا وليس الحدث الأكثر إرباكًا في حياته.

- بسبب نحلة، كنت قد أخبرتك.

أومأت برأسها.

قال أنطوني بضحكة لاذعة:

- من كان ليظن أن نحلة قد تقتل رجلًا؟ يكاد الأمر أن يكون مضحكًا لو لم يكن مأسويًا.

لم تفه بكلمة، بل نظرت إليه وحسب بشفقة حطّمت قلبه.

تابع وقد استدار قليلًا حتى لا يضطر للنظر في عينيها:

- بقيت معه طوال الليل. كان ميتًا بالطبع، لكني احتجت إلى مزيد من الوقت. اكتفيت بالجلوس إلى جواره ومراقبة وجهه.

انفلتت نوبة أخرى من الضحك الغاضب من شفتيه.

- ربّاه، كم كنت أحمق! أعتقد أن جزءًا مني كان يتوقع أن يفتح عينيه في أي لحظة.

قالت كيت برقة:

- لا أظن هذه حماقة. لقد رأيتُ الموت مثلك. يصعب على المرء تصديق أن الشخص قد رحل في حين أنه ما زال يبدو طبيعيًا وراقدًا في سلام.

قال أنطوني:

- لا أعرف متى حدث الأمر، لكني صرت متيقنًا بحلول الصباح.

سألته:

- متيقنًا من موته؟

قال بخشونة:

- لا، بل من أنني سأموت كذلك.

انتظر أن تعلق، انتظر أن تبكي، أن تفعل أي شيء، لكنها جلست فقط مكانها محدقة إليه دون أي تغيير ملموس في التعبير، حتى قال أخيرًا:

- لست رجلًا عظيمًا كما كان أبي.

قالت بهدوء:

- ربما يختار هو ألّا يوافقك الرأي.

انفجر أنطوني:

- حسنٌ، إنه ليس هنا ليفعل، أليس كذلك؟

لم تفه بكلمة مرة أخرى. وشعر بأنه بائس مرة أخرى.

سبّ في سره، وضغط بأصابعه على صدغه. بدأ رأسه يطنُّ. بدأ يشعر بالدوار، وأدرك أنه لا يستطيع تذكر آخر مرة تناول فيها الطعام. قال بصوت خفيض:

- الحُكم في ذلك يرجع لي أنا. فأنت لم تعرفيه.

استند بظهره إلى أحد جدران الغرفة وهو يطلق زفيرًا طويلًا مرهقًا وقال:

- دعيني أخبرك فحسب. لا تتحدثي، لا تقاطعيني، ولا تصدري أحكامًا. إن الإفصاح عن الأمر صعب بما يكفي. هل يمكنك أن تفعلي هذا من أجلي؟

أومأت برأسها.

التقط أنطوني نفسًا متقطّعًا وقال:

- كان أبي أعظم رجل عرفته على الإطلاق. إن يومًا لم يمرّ عليّ دون أن أدرك أنني لا أرقى إلى مستوى معاييره. علمتُ أنه كان كل شيء أطمح إليه. ربما لا أستطيع مضاهاة عظمته أبدًا، لكن إذا استطعت الاقتراب منها فلسوف أكون راضيًا. هذا كل ما أردته يومًا. مجرد الاقتراب من عظمته.

نظر إلى كيت. لم يكن متأكدًا من السبب. ربما من أجل التشجيع، وربما من أجل التعاطف. ربما فقط لرؤية وجهها.

همس، وبطريقة ما وجد الشجاعة لإبقاء عينيه مركزتين على وجهها:

- وإذا كنت على يقين من شيء واحد، فهو أنني لن أتفوّق عليه أبدًا. ولا حتى في عدد سنين عمري.

همست:

- ما الذي تحاول أن تخبرني به؟

هز كتفيه بلا حول ولا قوة.

- أعرف أن ما أقوله غير منطقي. أعلم أنني لا يمكنني تقديم تفسير منطقي. لكن منذ تلك الليلة حينما جلست مع جثمان والدي، أيقنت أن من المستحيل أن أعيش أكثر مما عاش هو.

قالت بهدوء:

- فهمت.

قال:

- حقًا؟

وبعد ذلك تدفقت الكلمات كما لو أن سدًا قد انفجر. تدفق كل شيء منه... أخبرها لمَ كان مستميتًا ضد الزواج عن حب، وعن الغيرة التي شعر بها عندما أدرك أنها تمكنت من محاربة شياطينها والفوز.

راقبها وهي تضع إحدى يديها في فمها وتعض طرف إبهامها. أدرك أنه كان قد رآها تفعل ذلك من قبل كلما كانت مضطربة أو غارقة في التفكير.

سألته:

- كم كان عمر أبيك عندما مات؟

- ثمانية وثلاثون.

- وكم عمرك؟

نظر إليها بفضول؛ كانت تعرف عمره. لكنه قال على أي حال:

- تسعة وعشرون.

- إذن وفقًا لتقديرك، لدينا تسع سنوات متبقية.

- على الأكثر.

- وأنت حقًا مؤمن بذلك.

أومأ برأسه.

زمّت شفتيها وأخرجت زفيرًا طويلًا من أنفها. أخيرًا، بعد ما بدا وكأنه صمت لن ينتهي، أعادت النظر إليه بعينين صافيتين صادقتين وقالت:

- حسن، أنت مخطئ.

الغريب أن نبرة صوتها الصادقة كانت مطمئنة إلى حد ما. حتى إن أنطوني شعر بإحدى زاويتي فمه ترتفع في ابتسامة شاحبة. قال:

- أتعتقدين أنني غير واعٍ بمدى سخافة كل هذا؟
- لا أظنه سخيفًا على الإطلاق. بل يبدو ردَ فعل طبيعيًا للغاية في الواقع، لا سيما عند الأخذ في الاعتبار مدى حبك لوالدك.

هزّت كتفيها بشيءٍ من الحذر وأمالت رأسها وهي تكمل:

- لكنه لا يزال خاطئًا.

لم ينبس أنطوني ببنت شفة.

قالت كيت:

- كانت وفاة والدك حادثًا. حادثًا. تطور رهيب ومخيف للقدر لا يمكن لأحد أن يتوقعه.

هز أنطوني كتفيه في استسلام:

- على الأرجح سأرحل بنفس الطريقة.
- أوه، بحق الـــــ...

تمكنت كيت من عض لسانها قبل جزء من الثانية من إطلاق سبة.

- أنطوني، أنا أيضًا قد أموت غدًا. كان يمكن أن أموت اليوم عندما انقلبت العربة فوقي.

شحب وجهه وقال:

- لا تذكريني أبدًا بذلك.

ذكرته كيت بقسوة:

- ماتت أمي عندما كانت في مثل عمري، هل سبق لك أن فكرت في هذا؟ بقوانينك، يُفترَض أن أموت بحلول عيد ميلادي القادم.
- لا تكوني...

أنهت عبارته قائلة:

- سخيفة؟

ساد الصمت لدقيقة كاملة.

أخيرًا، قال أنطوني، بصوت لا يكاد يعلو على الهمس:

- لست واثقًا إن كان بإمكاني تجاوز ذلك.

قالت كيت:

- لستَ مضطرًا لتجاوزه.

عضت بأسنانها على شفتها السفلى التي بدأت ترتجف، ثم وضعت يدها على بقعة فارغة على السرير.

- هلا أتيت للجلوس هنا كي أتمكن من الإمساك بيدك؟

استجاب أنطوني على الفور؛ غمره دفء لمستها، وتسرب إلى جسده حتى داعب روحه نفسها. وفي تلك اللحظة أدرك أن الأمر يتعلق بما هو أكثر من الحب. لقد جعلته هذه المرأة إنسانًا أفضل. كان طيبًا وقويًا ونبيلًا من قبل، لكن بوجودها إلى جانبه، تحرر فيه شيء ما مختلف.

ومعًا يمكنهما فعل أي شيء.

لقد جعلته يعتقد أن الأربعين ليست حلمًا بعيد المنال.

قالت مرة أخرى، وكلماتها تدور بينهما بهدوء:

- لست مضطرًا لتجاوزه. الحق أنّي لا أرى كيف يكون بإمكانك تجاوزه كليًا قبل أن تبلغ التاسعة والثلاثين. لكن ما بإمكانك فعله هو أن...

ضغطت على يده، وبطريقة ما شعر أنطوني أنه أقوى مما كان عليه في اللحظة السابقة.

- هو أن ترفض السماح له بالتحكم في حياتك.

همس:

- لقد أدركت ذلك صباح اليوم، عندما عرفت أن عليّ أن أخبرك بحبي لك. لكني الآن بطريقة ما... الآن صرت متأكدًا أن هذا ما عليّ فعله.

أومأت برأسها، ورأى أن عينيها كانتا مليئتين بالدموع. قالت:

- يجب أن تعيش كل ساعة كما لو كانت الأخيرة، وكل يوم كما لو كان سيدوم أبدًا. عندما اشتد المرض بأبي، كان نادمًا على الكثير من الأشياء. أخبرني أن هناك الكثير من الأشياء التي يتمنى لو أنه قد فعلها. لطالما افترض أن لديه متسعًا من الوقت. ولطالما حملت أنا هذا الندم معي. لمَ برأيك قررتُ أن أجرّب الفلوت في مثل هذا العمر المتقدم؟ أخبرني الجميع أنني كبرت، وأنني لكي أكون ماهرة في العزف عليه كان يُفترض بي أن أبدأ في طفولتي. لكن هذا لم يكن هدفي حقًا. لم

أرد أن أكون ماهرة. أردت فقط أن أمتع نفسي بالعزف عليه. وأردت أن أحظى بشرف المحاولة.

ابتسم أنطوني. لقد كانت عازفة مريعة. حتى نيوتن لم يكن يحتمل الاستماع إلى عزفها.

أضافت كيت برفق:

- والعكس أيضًا صحيح. لا يمكنك نبذ التحديات الجديدة أو الاختباء من الحب لمجرد أنك تظن أنك قد لا تكون هنا لتشهد لحظة اكتمال حلمك. ففي النهاية، ستعاني من نفس الندم الذي عانى منه والدي.

همس أنطوني:

- لم أرد أن أحبك. كان ذلك أعظم مخاوفي قاطبة. لقد ترعرعت معتادًا منظوري الصغير الغريب نوعًا ما في الحياة. وكنت مرتاحًا إلى حدٍ بعيد في الواقع. لكن الحب...

اختنق صوته ولاح فيه شيءٌ من الجُبن. أحس بنفسه ضعيفًا وهشًا. لكنه لم يهتم، لأنها كيت.

ولا يهم إن هي رأت أعمق مخاوفه، لأنه موقن بأنها ستحبه بغض النظر عن أي شيء. كان شعورًا ساميًا بالتحرر.

تابع قائلًا:

- لقد شهدتُ الحب الحقيقي. لم أكن ذلك الفتى المتشائم الذي ظنه المجتمع. كنت أعرف أن للحب وجودًا. أمي.. أبي..

توقف، والتقط نفسًا ممزقًا. كان ذلك أصعب شيء مرَّ به يومًا. ومع ذلك علِم أن تلك الكلمات لا بد أن تُقال. علِم أنه –وبغض النظر عن مدى صعوبة التفوه بالكلمات– أن قلبه في النهاية سيُحلِّق.

- كنت على أتم يقين من أنه هو الشيء الأوحد الذي قد يجعل هذه... هذه... لا أعلم ما أسميها حقًا.. هذه المعرفة بقُرب وفاتي...

مشَّط شعره بيده، وهو يكافح للعثور على الكلمات.

- كان الحب هو الشيء الوحيد الذي قد يجعلها عصيّة على الاحتمال. كيف يمكنني أن أحب امرأة، بصدق وعمق، عالمًا بأن هذا الحب محكوم عليه بالفناء؟

قالت كيت وهي تضغط على يده:

- لكنه لن يفنى.

- أعرف. لقد وقعت في حبك، وحينها عرفت. حتى لو كنت محقًا، حتى لو كان قدري أن أعيش بقدر ما عاش أبي من قبلي، فإن حبنا لن يفنى.

مال إلى الأمام ووضع قبلة خفيفة كالريشة على شفتيها، وهمس:

- أنتِ معي. ولست أنوي أن أضيع لحظة واحدة لنا معًا.

افترّ ثغر كيت عن ابتسامة وقالت:

- ماذا يعنى ذلك؟

- يعني أن الحب لا يدور حول الخوف من أن ينتزع منك فجأة. بل حول العثور على الإنسان الوحيد الذي يُكمِل قلبك، الذي يصنع منك شخصًا أفضل مما حلمت أن تكونه يومًا. يدور حول النظر في عيون زوجتك وأنت موقن حتى النخاع بأنها ببساطة أفضل امرأة عرفتها على الإطلاق.

همست كيت والدموع تنهمر على خديها:

- أوه، هذا ما أشعر به نحوك يا أنطوني.

- عندما ظننت أنك قد مُتِّ...

قالت بصوت مختنق:

- لا تقلها. ليس عليك أن تعيش تلك الذكرى مرة أخرى.

قال:

- لا. بل يجب عليَّ. لا بد أن أخبرك. فقد كانت تلك هي المرة الأولى -حتى بعد مرور كل تلك السنين من توقعي لوفاتي- التي عرفت فيها حقًا معنى أن أموت. ذلك لأنّي بعد موتك... لن يبقى لي شيء لأحيا من أجله. لست أدري كيف فعلت أمي ذلك.

قالت كيت:

- كان لديها أبناؤها. لم تستطع التخلي عنكم.

همس:

- أعرف، لكن الألم الذي لا بد أنها قاسَته...

- أظن أن قلوب البشر أقوى بكثير مما يمكننا أن نتخيل.

حدق إليها أنطوني للحظات طويلة، تعلقت عيناه بعينيها حتى شعر أنهما شخص واحد. ثم جذب مؤخرة رأسها بيدٍ مرتعشة ومال عليها يقبلها. وقدَّمتْ شفتاه لشفتيها كل ذرة من الحب والإخلاص والإجلال شعر بها في روحه.

همس:

- أحبك يا كيت. أحبك كثيرًا.

أومأت برأسها غير قادرة على الكلام.

- والآن أتمنى... أتمنى...

وعندها حدث أغرب شيء يمكن أن يحدث. انفجرت نوبة من الضحك بداخله. لقد تملّكته بهجة اللحظة الخالصة، واستطاع بأعجوبة أن يمنع نفسه من حملها والدوران بها في الهواء بسعادة.

قالت وهي تشعر بالارتباك والاستمتاع في آنٍ واحد:

- أنطوني؟

همس:

- هل تعرفين ما الذي يعنيه الحب أيضًا؟

هزت رأسها نفيًا:

- لا يمكنني المخاطرة بالتخمين حتى.

قال متذمرًا:

- يعني أنني أجد في ساقك المكسورة مصدر إزعاج لعين.

قالت، وهي تلقي نظرة حزينة على ساقها المجبرة:

- ليس بقدر ما تزعجني أيها اللورد.

عبس أنطوني قائلًا:

- لا تمارين شاقة لمدة شهرين، هه؟

- على الأقل.

ابتسم ابتسامة عريضة، وفي تلك اللحظة بدا نفس الرجل المنحل الذي اتهمته بكونه ذات مرة. تمتم قائلًا:

- من الواضح أن عليّ أن أكون رقيقًا جدًا.

صاحت:

- الليلة؟

هز رأسه قائلًا:

- حتى أنا لا أملك الموهبة للتعبير عن نفسي بتلك الخفة.

قهقهت كيت. لم تستطع منع نفسها. لقد أحبت هذا الرجل وأحبها، وسواء عرف ذلك أم لا، فإنهما سيشيخان معًا. وكان هذا كافيًا لجعلها -حتى مع ساقها المكسورة- تشعر بدوار لذيذ.

تساءل وهو يرفع أحد حاجبيه بغطرسة:

- هل تضحكين عليّ؟

- لست أجرؤ على ذلك.

- جيد. لأن لدي بعض الأمور المهمة للغاية التي أريد إخبارك بها.

- حقًا؟

أومأ برأسه بجدية وقال:

- ربما لا أكون قادرًا على إظهار مدى حبي لك الليلة، لكن بإمكاني أن أخبرك.

تمتمت:

- لن أسأم أبدًا من الاستماع إلى ذلك.

- جيد. لأني حينما أنتهي من إخبارك بمدى حبي، سأخبرك كيف أودّ أن أظهر لك ذلك.

صرخت:

- أنطوني!

وبينما كان يهمس بأشياء حلوة في أذنها، شعرت بأغرب إحساس، كما لو كانت ترى مستقبلها كاملًا ينبسط أمامها. كل يوم فيه هو أكثر ثراءً واكتمالًا من سابقه، وكل يوم كانت تهيم عشقًا به أكثر بعد.

هل يمكنها أن تقع في حب نفس الرجل مرارًا وتكرارًا، مع بداية كل يوم جديد؟

تنهدت كيت وهي تستقر على الوسائد، وتركت كلماته الشريرة تغمرها.

وأقسمت بأنها ستحاول.



خاتمة

17 سبتمبر 1823 — جريدة المجتمع

احتفل لورد بريدجرتون بعيد ميلاده -تعتقد كاتبة هذا المقال أنه كان عيد ميلاده التاسع والثلاثين- في المنزل مع عائلته.

لم تكن كاتبة هذا المقال مدعوة.

ومع ذلك، فقد وصلت تفاصيل الحفل إلى أذني كاتبة هذا المقال المرهفتين دومًا، ويبدو أنه كان حفلًا هو الأكثر إمتاعًا من نوعه. بدأ اليوم بعرض موسيقي قصير: لورد بريدجرتون على البوق وليدي بريدجرتون على الفلوت. ويبدو أن السيدة باجويل -أخت ليدي بريدجرتون- عرضت المساعدة بالعزف على البيانو، لكن عرضها قوبل بالرفض. ووفقًا للفيكونتيسة الأرملة، لم يحدث أن قُدِّم عرض موسيقي بهذا النشاز من قبل، وقيل لنا إن الصغير مايلز بريدجرتون قد وقف على كرسيه في النهاية متوسلًا لوالديه أن يتوقفا.

قيل لنا أيضًا إن أحدًا لم يوبِّخ الصبي لوقاحته، بل انطلقت تنهيدات الارتياح مدوِّية عندما وضع لورد وليدي بريدجرتون آلتيهما.

ليدي ويسلداون

قال أنطوني لكيت وهو يهز رأسه:

- لا بد أن لديها جاسوسًا بين أفراد العائلة.

ضحكت كيت وهي تمشط شعرها، وتتجهز للفراش.

- لم تدرك أن اليوم هو عيد مولدك وليس أمس.

قال عابسًا:

- تلك مسألة تافهة. لا بد أن لديها جاسوسًا. ما من تفسير آخر.

لم تستطع كيت منع نفسها من إبداء الملاحظة.

- كانت محقّة فعلًا في جميع التفاصيل الأخرى. لطالما أعجبتني تلك السيدة بصراحة.

احتج أنطوني قائلًا:

- لم نكن بهذا السوء.

- كنا مروَّعين.

وضعت الفرشاة وسارت إلى جانبه.

- لطالما كنا مروَّعين. لكننا يكفينا شرف المحاولة.

لف أنطوني ذراعيه حول خصر زوجته ووضع ذقنه على قمة رأسها. لم يكن ثمة شيء يجلب له السلام أكثر من ضمّها بين ذراعيه ببساطة. لم يدرِ كيف يحيا أي رجل بلا امرأة يحبها.

تمتمت كيت:

- إنه منتصف الليل تقريبًا. يوشك عيد ميلادك على الانتهاء.

أومأ أنطوني برأسه. تسعة وثلاثون. لم يظن قط أنه سيعيش ليرى هذا اليوم.

كلا. لم يكن ذلك صحيحًا. فمنذ اللحظة التي سمح فيها لكيت بدخول قلبه، أخذت مخاوفه في التلاشي ببطء. لكنه لم يزل ممتنًا لبلوغه التاسعة والثلاثين. أحس بالاستقرار. كان قد قضى قسطًا كبيرًا من النهار في مكتبه، محدقًا إلى لوحة والده. ووجد نفسه يتحدّث. لساعات متتالية، ظل يتحدث إلى والده. أخبره عن أبنائه الثلاثة، وعن زواج إخوته وأطفالهم. أخبره عن والدته، وكيف شرعت مؤخرًا في رسم اللوحات الزيتية، وتبيّن أنها بارعة جدًا في الواقع. أخبره عن كيت، وكيف حررت روحه، وكيف أحبها كثيرًا.

أدرك أنطوني أن هذا ما أراده والده له دومًا.

بدأت الساعة على رفّ الموقد في الرنين معلنة حلول منتصف الليل، ولم يتحدث أنطوني ولا كيت حتى رن الجرس الثاني عشر.

همست كيت:

- ها قد انقضى الأمر.

أومأ برأسه قائلًا:

- لنذهب إلى الفراش.

ابتعدت عنه واستطاع أن يرى ابتسامتها وهي تقول:

- أهكذا تريد الاحتفال؟

أمسك يدها ورفعها إلى شفتيه قائلًا:

- لا يمكنني التفكير في طريقة أفضل، ماذا عنكِ؟

هزت كيت رأسها، ثم ضحكت وهي تركض إلى الفراش قائلة:

- هل قرأت ماذا كتبت أيضًا في عمودها؟

- ويسلداون تلك؟

أومأت برأسها.

- هل كان عنا؟

هزت كيت رأسها نافية.

- إذن لا يهمني.

- كان عن كولين.

أطلق أنطوني تنهيدة صغيرة وقال:

- يبدو أنها تكتب كثيرًا عن كولين.

قالت كيت مقترحة:

- ربما لأنها تكنّ له معزة خاصة.

أدار أنطوني عينيه قائلًا:

- ليدي ويسلداون؟ تلك العجوز الشمطاء؟

- قد لا تكون عجوزًا.

قال أنطوني مستهزئًا:

- إنها حيزبون عجوز متغضنة وأنت تعرفين ذلك.

قالت كيت وهي تزحف تحت الأغطية:

- لست أدري. أظنها قد تكون صغيرة.

قال أنطوني معلنًا:

- وأنا أظنني لست راغبًا في الحديث عن ليدي ويسلداون الآن.

ابتسمت كيت قائلة:

- حقًا؟

اندس تحت الأغطية إلى جوارها قائلًا:

- لدي أمور أفضل بكثير أريد فعلها.

- حقًا؟

وجدت شفتاه أذنها وقال:

- أفضل بكثير. جدًا، جدًا، جدًا.

وفي غرفة صغيرة أنيقة الأثاث، لا تبعد كثيرًا من منزل بريدجرتون، جلست امرأة -لم تعد في ريعان الشباب، لكنها بالتأكيد ليست عجوزًا متغضنة- على مكتبها مع ريشة وقارورة حبر وسحبت قطعة من الورق.

مطت عنقها من جانب إلى آخر، ووضعت سن ريشتها على الورق وكتبت:

19 سبتمبر 1823 **جريدة المجتمع**

آه يـا عزيـزي القـارئ، لقـد نما إلى علم كاتبـة هـذا المقال...

ليدي ويسلداون

حاشية المؤلّفة

إنَ ردّ فعل أنطوني على وفاة والده المفاجئة هو ردّ فعل شديد الشيوع، ولا سيما بين الرجال. -وبدرجة أقل بكثير، تخوض النساء اللاتي تتوفى أمهاتهن في سنٍ مبكرة شيئًا مشابهًا- الرجال الذين يُتوفى آباؤهم في عمر مبكرة غالبًا ما يتملكهم يقين راسخ بأنهم سيلاقون نفس المصير. يدرك أولئك الرجال في العادة أن مخاوفهم غير عقلانية، بيد أنه يكاد يكون من المستحيل عليهم تجاوز تلك المخاوف حتى يبلغ الواحد منهم -ويتجاوز- السن التي توفي فيها والده.

ونظرًا إلى أن جميع قرائي تقريبًا هم حصريًا من النساء، ومشكلة أنطوني تعدّ -وفقًا للتعبير العصري- «مشكلة ذكورية»، اعتراني القلق من أنكن قد لا تقدرن على فهم مشكلته. بصفتي كاتبة رومانسية، فإنّي أجد نفسي أسير باستمرار على الخط الواهي بين أن أجعل أبطالي أسطوريين تمامًا، وبين أن أجعلهم واقعيين. أتمنى أن أكون قد أصبت التوازن مع أنطوني. من السهل أن نعبس في وجه الرواية ونصيح قائلين: «فلتدع عنك الحماقة وتتجاوز الأمر!»، لكن الحقيقة أن أغلب الرجال يجدون صعوبة شديدة في «تجاوز» الخسارة المفاجئة والمبكرة لأب محبوب.

سيلاحظ القراء حادُو الملاحظة أن لسعة النحلة التي قتلت إدموند بريدجرتون كانت في الواقع ثاني لدغة تلقاها في حياته. هذا دقيق من الناحية

الطبية؛ فالحساسية للسع النحل لا تعبر عن نفسها عمومًا حتى اللدغة الثانية. ونظرًا لأن أنطوني تعرض للدغة مرة واحدة فقط في حياته، فمن المستحيل معرفة ما إذا كان يعاني من الحساسية أم لا. وبصفتي مؤلفة هذه الرواية، فإنه يروق لي أن أعتقد أن لديّ سيطرة إبداعية معينة على الظروف الطبية لشخصياتي، لذلك فقد قررت أن أنطوني لا يعاني أي نوع من الحساسية، فضلًا عن أنه سيعيش حتى يبلغ 92 عامًا.

مع أطيب تمنياتي



عزيزي القارئ؛

هل تساءلت يومًا عما حدث لشخصياتك المفضلة بعد أن أغلقت الصفحة الأخيرة؟ هل رغبت قط في بعض الشذرات الإضافية من روايتك المفضلة؟ أنا فعلت، وإذا كانت أسئلة قرائي تشير لشيء، فإنها تشير إلى أنني لست الوحيدة التي أشعر بهذا. لذلك وبعد طلبات لا حصر لها من معجبي سلسلة بريدجرتون، قررتُ أن أجرب شيئًا مختلفًا قليلًا، وكتبتُ «خاتمة ثانية» لكل جزء من أجزاء السلسلة. إنها القصة التي تبدأ من حيث انتهت قصتنا.

في البداية، كانت الخواتيم الثانية لسلسلة بريدجرتون متاحة بصفة حصرية عبر الإنترنت؛ ثم نُشرت -مع رواية قصيرة عن فيوليت بريدجرتون- في مجموعة قصصية باسم The Bridgertons: Happy Ever After (الإخوة بريدجرتون: سعادة أبدية). والآن، ولأول مرة تنضم كل خاتمة ثانية للرواية التي تنتمي إليها. آمل أيها القارئ أن تستمتع برفقة أنطوني وكيت إذ يستكملان رحلتهما.

مع حبي..

Julia Q.



الفيكونت الذي أحبني
خاتمة ثانية

قبل يومين . . .

سارت كيت على العشب، تختلس النظر من فوق كتفها لتتأكد من أن زوجها لا يتبعها. علّمتها خمسة عشر عامًا من الزواج بضعة دروس، وكانت تعرف أنه ينوي مراقبتها في كل حركة.

لكنها كانت ذكية. وكانت عازمة. وكانت تعرف أن مقابل جنيه واحد، يمكن لخادم أنطوني أن يختلق أكثر كوارث الملابس إبهارًا. ربما يخبره بوجود بقايا من المربى على المكواة، أو ربما يعلن عن تفشّي الآفات في خزانة الملابس – عناكب، فئران، لا يهم في الحقيقة– كانت كيت سعيدة بترك التفاصيل للخادم ما دام سيبقي أنطوني مشتتًا بما يكفي ولفترة كافية لتتمكن من الهروب.

ضحكت كيت قائلة بنفس النبرة التي استخدمتها خلال تمثيل مسرحية ماكبث في حفل بريدجرتون الشهر الفائت:

- إنها لي. لي وحدي.

كان ابنها الأكبر هو من وزع أدوار المسرحية؛ وأعطاها دور الساحرة الأولى. وقد تظاهرت كيت بأنها لم تلاحظ عندما كافأه أنطوني بحصان جديد.

والآن سيدفع الثمن الآن. سوف يتلطخ قميصه بالبقع الوردية من مربى التوت، أما هي فـــــــ..

اتسعت ابتسامها حتى صارت أشبه بضحكة.

غنّت:

- إنها مِلكي مِلكي مِلكيييي.

وهي تفتح الباب المؤدي إلى الكوخ الخشبي مع المقطع الأخير، الذي تصادف أن يكون بنفس نغمة سيمفونية بيتهوفن الخامسة.

- مِلكي مِلكي مِلكي مِلكيييي.

لقد عقدت عزمها على الحصول عليها. إنها تخصّها. كانت لتلعقها. كانت مستعدّة للعقها لو أن هذا يعني أنها ستصبح ملكًا لها رسميًا بصورة ما. لم تكن تشتهي أكل الخشب بالطبع، لكن تلك لم تكن أداة تدمير عادية. لقد كانت...

مطرقة الموت.

تابعت وهي تنتقل إلى المقطع الصغير السريع الذي يلي النغمة الرتيبة المألوفة:

- ملكي ملكي ملكي ملكي ملكي ملكي ملكي ملكي ملكي ملكيييي.

بالكاد استطاعت إيجاد مساحة لنفسها عندما ألقت بطانية جانبًا. مؤكّد ستجد أدوات البولمول في الزاوية، كما كانت دائمًا، وفي غضون لحظة واحدة ستـ...

- أتبحثين عن هذه؟

التفتت كيت بسرعة. كان أنطوني يقف في المدخل، وقد اعتلت وجهه ابتسامة شيطانية بينما أخذ يدير مطرقة البولمول السوداء بين يديه.

وكان قميصه ناصع البياض لدرجة تسبب العمى.

- أنت... أنت...

ارتفع أحد حاجبيه بصورة تنذر بالخطر وهو يقول:

- لم تكوني بارعة قط في العثور على مفرداتك عندما تنزعجين.

- كيف استطعت... كيف تمكّنت...

مال نحوها وضيق عينيه وهو يقول:

- دفعت له خمسة جنيهات.

- أعطيت ميلتون خمسة جنيهات؟

ربّاه، كان هذا يعادل تقريبًا راتبه السنوي.

قال عابسًا:

- هذا أرخص نوعًا ما مقارنةً باستبدال كل قمصاني. مربى التوت. حقًا؟ ألم تفكري في التكلفة؟

حدقت كيت بتوقٍ إلى المطرقة.

قال أنطوني وهو يتنهد بسرور:

- اللعبة بعد ثلاثة أيام، وهأنذا فزتُ بالفعل.

لم تعارضه كيت. ربما يظن بقية أفراد آل بريدجرتون أن مباراة البولمول قد بدأت وانتهت في نهارٍ واحد، لكنها هي وأنطوني كانا أكثر حكمة من ذلك.

كانت تسبقه وتستولي على المطرقة لثلاث سنوات متتالية. ولتحلّ عليها اللعنة إن كان سيتغلب عليها هذه المرة.

قال أنطوني متهكّمًا:

- استسلمي الآن يا زوجتي العزيزة. اعترفي بالهزيمة، ولسوف نصبح جميعًا أكثر سعادة.

تنهدت كيت برفق، كما لو أنها أذعنت.

ضاقت عينا أنطوني.

لمست كيت عنق ثوبها بتأنٍ.

اتسعت عينا أنطوني.

قالت بصوت ناعم وحلو ويخطف الأنفاس:

- الجو حار هنا، ألا تعتقد ذلك؟

غمغم:

- أيتها اللعوب الصغيرة.

أزاحت القماش عن كتفيها. لم تكن ترتدي أي شيء تحته.

همس:

- لا أزرار؟

هزت رأسها. لم تكن حمقاء. فحتى أذكى الخطط قد ينتهي بها الأمر إلى الفشل. على المرء دائمًا أن يرتدي ملابس مناسبة من أجل ظروفٍ كهذه.

تمتم أنطوني:

- جميل.

ارتفعت عيناها إلى عينيه. لم يبدُ حريصًا للغاية، لكنه ما زال رابط الجأش إلى حد كبير، وخطر لها أنه يعرف بالضبط ما لا تستطيع هي مقاومته.

ابتسم. ثم مال إلى الأمام وقبلها وابتعد.

ورفع المطرقة في انتصار قائلًا:

- الوداع يا زوجتي العزيزة.

وخرج من الكوخ الخشبي، ثم برز برأسه من خلف الزاوية قائلًا:

- حاولي ألا تصابي بالبرد. لن يعجبك أن تفوتك المباراة، أليس كذلك؟

فكّرت كيت فيما بعد أنه كان محظوظًا، فلم يخطر في بالها أن تسحب إحدى كرات البولمول عندما كانت تبحث عن المجموعة. ولكن بعد إعادة تفكير، ربما كان رأسه أكثر صلابة من أن تصنع فيه انبعاجًا.

قبل يوم واحد

قرر أنطوني أن ثمة بضع لحظات لذيذة تمر بالمرء حينما يتفوق على نحوٍ مطلق وكامل على زوجته. هذا يعتمد على الزوجة بالطبع، لكن بما أنه اختار الزواج من امرأة ذات ذكاء وفطنة مميزين، فقد كان متأكدًا من أن لحظاته ألذ من معظم لحظات بقية البشر.

استمتع بالتفكير في ذلك أثناء احتساء الشاي في مكتبه، وتنهّد بسرور وهو يحدق إلى المطرقة السوداء التي تستقر على مكتبه مثل جائزة ثمينة. بدت رائعة، متلألئة في ضوء الصباح؛ أو على الأقل تتلألأ الأجزاء التي لم تتعرض للخدش والضرب منها على مدى عقود من اللعب العنيف.

لا يهم. أحب أنطوني كل انبعاجٍ فيها وخدش. ربما كان هذا نوعًا من الصبيانية، ربما حتى طفولية، لكنه كان يعشقها.

كان يعشق مجرّد وجودها في حوزته، لكنه لم يزل مولعًا بها. وعندما استطاع أن ينسى كيف انتزعها ببراعة من تحت أنف كيت، تذكر في الواقع أنها تذكره بشيء آخر...

اليوم الذي وقع فيه في الحب.

ليس كأنه قد أدرك ذلك في حينها. ولا كيت أدركت بحسب ما يعتقد، لكنه كان واثقًا أن يوم مباراة البولمول المخزية كان هو اليوم الذي قُدّر لهما فيه أن يكونا معًا.

جعلته يعلق مع المطرقة الوردية. أرسلت كرته إلى البحيرة.

ربّاه، يا لها من امرأة!

كانت أروع خمسة عشر عامًا في حياته.

ابتسم في رضا، ثم سقطت عيناه على المطرقة مرة أخرى. في كل عام يعيدون المباراة. جميع اللاعبين الأصليين –أنطوني وكيت وشقيقه كولين وشقيقته دافني وزوجها سايمون وأخت كيت إدوينا– يجتمعون لتأدية الواجب في أوبري هول كل ربيع ويأخذون أماكنهم في الملعب الذي يتغير باستمرار. البعض يوافق على الحضور بحماسة ويأتي البعض الآخر لمجرد التسلية، لكنهم يحضرون جميعًا، كل عام.

وفي هذا العام...

ضحك أنطوني في طرب. كانت المطرقة معه وليست مع كيت.

كانت الحياة ممتعة. ممتعة بشدة.

- كيـت!

رفعت كيت نظرها من كتابها.

- كيـت!

حاولت أن تقدّر بُعده عنها. بعد خمسة عشر عامًا من سماعه يجأر باسمها بنفس الطريقة، أصبحت بارعة جدًا في حساب الوقت بين الهدير الأول وظهور زوجها.

لم تكن عملية حسابية مباشرة كما قد تبدو. كان يجب أن تضع في الاعتبار موقعها، وما إذا كانت في الطابق العلوي أم السفلي، وما إذا كان يمكن رؤيتها من المدخل، إلخ، إلخ.

ثم يجب عليها أن تضيف الأطفال. أين موقعهم من المنزل؟ ربما في طريقه؟ إذن فسوف يبطئونه بالتأكيد، وربما حتى لدقيقة كاملة، و...

- أنت!

طرفت كيت بعينيها متفاجئة. كان أنطوني عند المدخل، يلهث في إجهاد ويحدق إليها بغلٍ لدرجة فاجأتها.

سألها:

- أين هي؟

حسن، ربما لم تكن متفاجئة بهذا القدر.

طرفت بعينيها في هدوء وقالت:

- أتود الجلوس؟ تبدو مرهقًا إلى حد ما.

- كيت...

قالت وهي تتنهد:

- لم تعد شابًا كما كنت.

بدأ صوته يعلو.

- كيت...

قالت بلطف:

- يمكنني أن أطلب لك الشاي.

هدر قائلًا:

- لقد كان موصدًا، باب مكتبي كان موصدًا.

تمتمت:

- حقًا؟

- ومفتاحه الوحيد معي.

- حقًا؟

اتسعت عيناه وهو يقول:

- ماذا فعلتِ؟

قلبت صفحة، على الرغم من أنها لم تكن تنظر إلى المكتوب وقالت:

- متى؟

- ماذا تعنين بمتى؟

- أعني...

توقفت، فلا يمكنها أن تفوت هذه اللحظة دون احتفالٍ داخلي لائق.

- متى؟ هذا الصباح؟ أم في الشهر الماضي؟

تطلب الأمر منه لحظة. ليس أكثر من ثانية أو اثنتين، لكنها كانت طويلة بما يكفي لتشاهد كيت تعبير وجهه ينتقل من الحيرة إلى الشك ثم ينتهي بالغضب.

كان مشهدًا مجيدًا. ساحرًا. لذيذًا. لدرجة كادت تضج معها بالضحك، لكن ذلك كان ليجلب عليها شهرًا من النكات المتعبة المزعجة، وقد أقنعته بالإقلاع عنها لتوها.

- هل صنعتِ نسخة من مفتاح مكتبي؟

قالت ناظرة إلى أظفار أصابعها:

- إنني زوجتك، يجب ألا تكون بيننا أسرار، أليس كذلك؟

- صنعتِ نسخة؟

- لو كنت مكاني لما أردتَ أن أخفي عنك أسرارًا، أليس كذلك؟

قبض بأصابعه على إطار الباب حتى ابيضت مفاصله وقال:

- كُفّي عن إظهار استمتاعك بذلك.

- آه، لكن ذلك يعدّ كذبًا، والكذب على الزوج خطيئة.

بدأت أصوات اختناق غريبة تنبعث من حلقه.

ابتسمت كيت قائلة:

- ألم أتعهد بالصدق في مرحلة ما؟

هدر قائلًا:

- بل تعهدتِ بالطاعة.

- طاعة؟ قطعًا لا.

- أين هي؟

هزت كتفيها.

- لن أقول.

- كيت!

قالت بنبرة موسيقية:

- لن أقول.

تقدم إلى الأمام متوعدًا وقال:

- أيتها المرأة...

ابتلعت كيت ريقها. كان هناك احتمال صغير –ضئيل جدًا في الواقع لكنه مع ذلك حقيقي جدًا– أن تكون قد تمادت قليلًا.

قال محذرًا:

- لسوف أقيدك إلى الفراش.

قالت في استسلام وهي تقيس المسافة إلى الباب.

- نعم، لكني قد لا أمانع ذلك كثيرًا.

اشتعلت عيناه، ليس بالرغبة –كان ما زال أغلب تركيزه منصبًا على مطرقة البولمول– ولكن خُيِّل إليها أنها رأت فيهما وميضًا من... الاهتمام.

غمغم وهو يتقدم إلى الأمام:

- تقولين إني لو قيّدتك ستحبين ذلك، هه؟

فهمت كيت قصده وشهقت قائلة:

- لن تجرؤ!

- أوه، بل سأجرؤ.

كان يهدف إلى تكرار ما فعلته به. سيقيّدها هناك ويتركها حتى يبحث عن المطرقة.

إلا لو كان لديها ما تقوله في هذا الشأن.

تجاوزت كيت ذراع مقعدها ثم أسرعت تختبئ خلفه. من الجيد دائمًا أن يكون لدى المرء حاجز مادي في مواقف كهذه.

قال ساخرًا وهو يتقدم نحوها:

- أوه، كيت.

قالت:

- إنها ملكي. كانت ملكي منذ خمسة عشر عامًا، وما زالت ملكي.

- كانت ملكي قبل أن تصير ملكك.

- لكنك تزوجتني!

- وهذا يجعلها ملكك؟

لم تقل شيئًا، فقط ثبتت عينيها في عينيه. كانت منقطعة الأنفاس، تلهث، مأخوذة بصخب اللحظة.

ثم قفز إلى الأمام بسرعة البرق، وبلغ ما وراء المقعد، وأمسك كتفها للحظة وجيزة قبل أن تتملص مبتعدة.

صرخت وهي تسرع إلى خلف الأريكة:

- لن تعثر عليها أبدًا.

حذرها قائلًا وهو يقوم بمناورة جانبية تضعه بينها وبين الباب:

- لا تعتقدي أن بإمكانك الهرب الآن.

أبصرت النافذة.

قال:

- السقوط من هذا الارتفاع سيقتلك.

جاء صوت من المدخل يقول:

- أوه، حبًا بالله!

التفت أنطوني وكيت. كان كولين شقيق أنطوني يقف هناك، ينظر إليهما بنوع من الاشمئزاز.

قال أنطوني باقتضاب:

- كولين، من الرائع أن أراك.

رفع كولين حاجبًا وهو يقول:

- أفترض أنك تبحث عن هذه.

شهقت كيت. كان يحمل المطرقة السوداء. قالت:

- كيف تمكنت...

داعب كولين النهاية الأسطوانية الحادة بشيء من الحب وقال:

- أظن، وهذا رأيي وحدي بالطبع، أنّي قد فُزت بالفعل.

يوم المباراة

قالت دافني شقيقة أنطوني:

- لست أفهم. لماذا يتسنّى لك أن تضع المسار؟

قال بطريقة قاطعة:

- لأنني مالك هذا المرج اللعين.

رفع يده ليحمي عينيه من الشمس وهو يتفقد عمله. لقد أبلى حسنًا هذه المرة، إن كان يحق له أن يثني على نفسه. كان المسار الذي صنعه شيطانيًا. عبقرية خالصة.

قال سايمون زوج دافني، ودوق هاستنجز:

- هل ثمة أمل في أن تمتنع عن الألفاظ النابية أمام السيدات؟

قال أنطوني متذمرًا:

- ليست سيدة، إنها أختي.

- هي زوجتي.

ابتسم أنطوني بسخرية وهو يقول:

- كانت أختي أولًا.

التفت سايمون إلى كيت، كانت تنقر على العشب بمطرقتها الخضراء التي أعلنت عن رضاها بها، وإن كان أنطوني يعرف الحقيقة.

سألها:

- كيف تحتملين العيش معه؟

هزت كتفيها قائلة:

- إنها موهبة لا يمتلكها إلا قليل.

تقدم كولين ممسكًا بالمطرقة السوداء مثل الكأس المقدسة، وسأل بتفاخر:

- هل نبدأ؟

فغر سايمون فمه مدهوشًا وهو يقول:

- مطرقة الموت؟

أكّد كولين:

- بفضل ذكائي الشديد.

قالت كيت متذمرة:

- لقد رشا الخادمة.

علّق أنطوني قائلًا:

- وأنت أيضا رشوتِ خادمي الخاص.

- وكذلك فعلت أنت!

قال سايمون غير موجه كلامه لأحد بعينه:

- لم أرشُ أحدًا.

ربتت دافني على ذراعه بتعطف قائلة:

- أنت لا تنتمي لهذه العائلة.

أجاب مشيرًا إلى كيت:

- ولا هي تنتمي لها.

فكرت دافني مليًا ثم قالت أخيرًا:

- إنها حالة شاذة.

قالت كيت محتجة:

- حالة شاذة؟

قالت دافني:

- إنه إطراء عظيم.

وتوقفت قليلًا ثم أضافت:

- في هذا السياق.

ثم التفتت إلى كولين متسائلة:

- كم الثمن؟

- كم ثمن ماذا؟

- كم دفعت للخادمة؟

هز كتفيه قائلًا:

- عشرة جنيهات.

صرخت دافني قائلة:

- عشرة جنيهات؟

قال أنطوني محتجًا:

- هل جننت؟

ذكرته كيت قائلة:

- لقد أعطيتَ الخادم خمسة جنيهات.

قال أنطوني متذمرًا:

- أتمنى ألا تكون واحدة من الخادمات الجيدات، لأنها ستستقيل بالتأكيد بحلول نهاية اليوم مع وجود هذا القدر من المال في جيبها.

قالت كيت بشيء من الحنق:

- كل الخادمات جيدات.

كررت دافني وهي تهز رأسها:

- عشرة جنيهات، لسوف أخبر زوجتك.

قال كولين بلا مبالاة:

- تفضّلي.

وأومأ تجاه التل المنحدر إلى ملعب البولمول مضيفًا:

- إنها هناك.

نظرت دافني في الاتجاه الذي أشار إليه قائلة:

- بينولبي هنا؟

وصاح أنطوني:

- بينولبي هنا؟ لماذا؟

أجاب كولين:

- إنها زوجتي.

- لم تحضر من قبل قط.

رد كولين:

- أرادت أن تشاهدني أفوز.

ومنح شقيقه ابتسامة عريضة سمجة. بالكاد قاوم أنطوني رغبته الملحة في خنقه وهو يقول:

- وكيف عرفت أنك ستفوز؟

لوح كولين بالمطرقة السوداء أمامه قائلًا:

- لقد فزتُ بالفعل.

قالت بينولبي وهي تسير ببطء تجاه الحشد:

- طاب يومكم جميعًا.

قال أنطوني محذرًا:

- الهتاف ممنوع.

طرفت بينولبي بعينيها في حيرة متسائلة:

- أستميحك عذرًا؟

تابَع -إذ كان على أحدهم التأكّد من نزاهة المباراة-:

- وممنوع، تحت أي ظرف من الظروف، الاقتراب من زوجك مسافة العشر خطوات.

نظرت بينولبي إلى كولين، وأومأت برأسها تسع مرات وهي تحسب الخطوات بينهما، ثم تراجعت خطوة للوراء.

قال أنطوني محذرًا:

- غير مسموح بالغش.

أضاف سايمون:

- على الأقل الأنواع الجديدة من الغش. أما تقنيات الغش المعمول بها سابقًا فلا بأس بها.

استفسرت بينولبي بهدوء:

- هل يمكنني التحدث مع زوجي أثناء اللعب؟

قالت ثلاثة أصوات قوية في جوقة مدوية:

- لا!

قال سايمون:

- ستلاحظين أنني لم أبدِ اعتراضًا.

قالت دافني وهي تحتك به في طريقها لتفقّد إحدى البوابات الصغيرة:

- ثق بي، أنتَ لا تنتمي لهذه العائلة.

تساءل كولين بحماس وهو يضيّق عينيه باتجاه المنزل:

- أين إدوينا؟

أجابت كيت:

- ستلحق بنا. كانت تنهي إفطارها.

- إنها تؤخر المباراة.

التفتت كيت إلى دافني قائلة:

- أختي لا تشاركنا إخلاصنا للعبة.

سألت دافني:

- هل تظن أننا جميعًا مجانين؟

- إلى حد كبير.

قالت دافني:

- حسن، لطفٌ منها أن تأتي كل عام.

صاح أنطوني:

- التقاليد تحتّم عليها ذلك.

كان يمسك بالمطرقة البرتقالية ويؤرجحها ليضرب كرة خيالية، مضيقًا عينيه وهو يتدرب على التصويب.

قال كولين:

- لم يكن يتدرب على المسار، أليس كذلك؟

سأله سايمون:

- كيف عساه يفعل؟ لقد أعدّه صباح اليوم. شاهدناه جميعًا.

تجاهله كولين والتفت إلى كيت قائلًا:

- هل مارس مؤخرًا أي نشاط يتضمن الاختفاء ليلًا؟

فغرت فاها قائلة:

- هل تحسب أنه كان يتسلل إلى الخارج ليلعب البولمول على ضوء القمر؟

قال كولين:

- لا أستبعد ذلك منه.

أجابت كيت:

- ولا أنا، لكني أؤكد لك أنه كان ينام في سريره.

قال كولين:

- المسألة ليست مسألة أسرّة، بل مسألة منافسة.

قال سايمون:

- لا يليق التحدث بمثل هذا أمام سيدة.

لكنه بدا مستمتعًا بوضوح.

ألقى أنطوني على كولين نظرة غاضبة، ثم حدّج سايمون بواحدة على سبيل الاحتياط. بدأ الحوار يزداد عبثًا، وقد مضى وقت طويل على موعد بدء المباراة. تساءل:

- أين إدوينا؟

أجابت كيت:

- كأني بها تنزل التل.

نظر لأعلى فرأى إدوينا باجويل، أخت كيت الصغرى، تتهادى على المنحدر. لم تهتم قط بالأنشطة الخارجية، واستطاع تخيلها بوضوح وهي تتنهد وتدير عينيها.

أعلنت دافني منتزعة إحدى المطارق المتبقية:

- الوردية لي هذا العام. أشعر أنني أمتلئ أنوثة ورقة.

ورمقت أخاها بنظرة جانبية مضيفة:

- على غرابة ذلك.

مد سايمون يده خلفها واختار المطرقة الصفراء قائلًا:

- الزرقاء لإدوينا بالطبع.

قالت كيت لبينولبي:

- تلعب إدوينا بالزرقاء دائمًا.

- لم؟

صمتت كيت قليلًا قبل أن تقول:

- لست أدري.

تساءلت بينولبي:

- ماذا عن البنفسجية؟

- أوه، إننا لا نستخدمها أبدًا.

- لم؟

صمتت كيت مرة أخرى، ثم أجابت:

- لست أدري.

تدخل أنطوني قائلًا

- إنها التقاليد.

أصرت بينولبي:

- إذن لماذا يغير بقيتكم الألوان كل عام؟

التفت أنطوني إلى أخيه قائلًا:

- هل هي كثيرة الأسئلة دومًا؟

- دومًا.

عاد ينظر إلى بينولبي مجددًا وقال:

- نحب أن تسير الأمور بهذه الطريقة.

نادت إدوينا بمرح وهي تقترب من بقية اللاعبين:

- أنا هنا! أوه، الزرقاء مجددًا. كم هذا لطيف.

التقطت مطرقتها ثم التفتت إلى أنطوني قائلة:

- هلّا بدأنا اللعب؟

أعطاها إيماءة من رأسه، ثم التفت إلى سايمون قائلًا:

- أنت الأول يا هاستنجز.

غمغم:

- كالعادة.

ثم أسقط كرته عند موضع البدء وقال محذرًا:

- ارجعوا خطوة للوراء.

على الرغم من عدم وجود أحد على مسافة كبيرة منه. أرجح مطرقته للخلف ثم للأمام بقوّة مصدرًا صوت قرقعة مهيبة. اندفعت الكرة تبحر بين العشب، في خطٍ مستقيم واضح، ثم استقرت على بعد ياردات من البوابة التالية.

هتفت بينولبي وهي تصفق يديها:

- أوه، أحسنت صنعًا!

قال أنطوني متذمرًا:

- قلت لا هتاف. ألا يستطيع أحد اتباع التعليمات في هذه الأيام؟

ردت بينولبي:

- حتى لسايمون؟ ظننت التعليمات تخصّ كولين وحده.

وضع أنطوني كرته على الأرض بعناية وهو يقول:

- الهتاف يشتتني.

علق كولين قائلًا:

- كما لو أن بقيتنا لا يشتتونك. اهتفي يا عزيزتي.

لكنها التزمت الصمت بينما صوَّب أنطوني الكرة. كانت ضربته أقوى من ضربة الدوق، وتدحرجت الكرة لمسافة أبعد.

قالت كيت:

- هممم، لم يحالفك الحظ هنا.

رمقها أنطوني في ارتياب.

- ماذا تعنين؟ كانت ضربة مذهلة.

- حسن، نعم، ولكن...

قال كولين آمرًا وهو يسير إلى موضع البدء:

- ابتعد عن طريقي.

ثبت أنطوني عينيه على زوجته قائلًا:

- ماذا تعنين؟

قالت باستخفاف:

- لا شيء، كل ما في الأمر أن الأرض موحلة قليلًا في هذه البقعة.

- موحلة؟

نظر أنطوني إلى كرته ثم إلى زوجته، ثم إلى الكرة مجددًا.

- لم تمطر لأيام.

- همهم، معكَ حق.

التفت مرة أخرى إلى زوجته. زوجته المثيرة للجنون، الشيطانية، والتي سوف تُسجن في أحد الأقبية عمّا قريب.

- كيف صارت الأرض موحلة؟

- حسن، ربما ليست موحلة...

ردد بصبرٍ أكبر بكثير مما تستحق:

- ليست موحلة.

- مبركة قد يكون الوصف الأكثر دقة.

عجز عن النطق.

قطّبت حاجبيها قبل أن تردف:

- بركية؟ ما الصفة من كلمة بركة؟

سار خطوة في اتجاهها. فاندفعت خلف دافني.

تساءلت دافني وهي تلتوي حول نفسها:

- ماذا يحدث؟

أخرجت كيت رأسها من خلفها وابتسمت بانتصار قائلة:

- أظنه سيقتلني.

تساءل سايمون:

- في وجود كل هؤلاء الشهود؟

تساءل أنطوني بغضب:

- كيف تشكلت بركة في منتصف أكثر ربيع أتذكره جفافًا؟

منحته كيت ابتسامة أخرى من ابتساماتها المزعجة وقالت:

- سكبت الشاي الخاص بي.

- بما يعادل بركة كاملة؟

هزت كتفيها قائلة:

- كنت أشعر بالبرد.

- البرد!

- والعطش أيضًا.

تدخل سايمون قائلًا:

- والخرق أيضًا على ما يبدو.

حدق إليه أنطوني بغضب.

قال سايمون:

- حسن، إن كنت تنوي قتلها، هل تمانع الانتظار حتى تبتعد زوجتي من بينكما؟

والتفت إلى كيت قائلًا:

- كيف عرفتِ أين يجب أن تضعي البركة؟

أجابت:

- إن أفعاله يسهل توقّعها بشدّة.

مط أنطوني أصابعه يحاكي حجم حلقها.

قالت مبتسمة في وجهه مباشرة:

- في كل عام تضع البوابة الأولى في نفس المكان، وفي كل مرة تضرب الكرة بنفس الطريقة تمامًا.

عاد كولين في هذه اللحظة وقال:

- دورك يا كيت.

اندفعت من وراء دافني وانطلقت نحو نقطة البدء، وصاحت بمرح:

- كل شيء مباح يا زوجي العزيز.

ثم انحنت إلى الأمام، وصوبت، وأطلقت الكرة الخضراء.

مباشرة إلى البركة.

تنهّد أنطوني بسعادة. ثمة عدالة في هذا العالم بالرغم من كل شيء.

بعد ثلاثين دقيقة كانت كيت تنتظر بجانب كرتها بالقرب من البوابة الثالثة.

قال كولين مارًا بها:

- أشفق على الوحل.

حدّجته بغضب.

مرت دافني بعدها بلحظة وأشارت إلى شعرها قائلة:

- لديك قليل من...

مسحت كيت صدغها بغضب فأضافت دافني:

- نعم، هنا. وإن كان هناك المزيد، حسنٌ... -تنحنحت- في كل مكان.

حدّقت كيت إليها بغضب.

صعد سايمون للانضمام إليهم. ربّاه، هل على الجميع المرور بالبوابة الثالثة في طريقهم إلى السادسة؟

قال في محاولة منه للمساعدة:

- ثمة قليل من الوحل...

أحاطت أصابع كيت مطرقتها بإحكام. كان رأسه على مسافة قريبة جدًا، جدًا.

أضاف:

- لكنه على الأقل مخلوط بالشاي.

سألت دافني:

- ما علاقة هذا بأي شيء؟

سمعته كيت يقول لدافني وهما يسيران معًا باتجاه البوابة الخامسة:

- لست أدري، لكني شعرت أن من واجبي أن أقول شيئًا.

عدّت كيت إلى عشرة في ذهنها، ثم أتى دور إدوينا في المرور بها بالطبع، وتبعتها بينولبي بثلاث خطوات. شكّلت السيدتان ما يشبه الفريق، حيث تؤدي إدوينا التسديدات وتضع بينولبي الاستراتيجية.

قالت إدوينا وهي تتنهد في شفقة:

- أوه، كيت.

زمجرت كيت قائلة:

- إيّاك والنُطق بها.

أشارت إدوينا:

- أنتِ من صنعت البركة مع ذلك.

سألتها كيت:

- أخت من أنت؟

منحتها إدوينا ابتسامة جانبية وقالت:

- الإخلاص الأخوي لا يمنع نزوعي للعب النظيف.

- إنها مباراة بولمول. لا شيء يُدعى لعبًا نظيفًا هنا.

قالت بينولبي:

- يبدو هذا صحيحًا.

قالت كيت محذرة:

- عشر خطوات.

أجابتها بينولبي:

- عشر خطوات من كولين، وليس منك. ولو أنّي أعتقد أنني سأحافظ على مسافة تعادل طول المطرقة بيني وبينك طوال الوقت.

تساءلت إدوينا:

- هلّا ذهبنا؟

والتفتت إلى كيت قائلة:

- لقد انتهينا توًا من البوابة الرابعة.

غمغمت كيت:

- وتكبّدتِ عناء قطع الطريق الطويل إلى هنا؟

احتجّت إدوينا:

- بدا من النُبل أن أزورك.

استدارت هي وبينولبي مبتعدتين، فلم تستطع كيت منع نفسها واندفعت تقول:

- أين أنطوني؟

استدارت إدوينا وبينولبي، وسألتها بينولبي:

- أتريدين حقًا أن تعرفي؟

أجبرت كيت نفسها على الإيماء.

أجابتها بينولبي:

- أخشى أنه عند البوابة الأخيرة.

قالت كيت:

- قبل أم بعد؟

- أستميحك عذرًا؟

كررت السؤال بنفاد صبر:

- هل هو قبل البوابة أم بعدها؟

وعندما لم تجبها بينولبي على الفور أضافت:

- هل مر بالبوابة اللعينة؟

طرفت بينولبي بعينيها في دهشة وقالت:

- لا. بقيت أمامه ضربتان أو ثلاث، حسبما أعتقد.

شاهدتهما كيت تغادران مضيّقة عينيها. لم تكن لتفوز؛ لم يعد ثمة فرصة لذلك الآن. ولكن ما دامت لا تستطيع الفوز، فيجب ألا يفوز أنطوني أيضًا. إنه لا يستحق أي مجد اليوم، ليس بعد أن تعثّر بها ودفعها إلى البركة الطينية.

أوه، لقد ادعى أنه حادث، لكن كيت وجدت من المثير للريبة بشدة أن تندفع كرته فجأة من البركة في نفس اللحظة التي تخطو فيها للأمام لتصل إلى كرتها. اضطرّت للقيام بقفزة صغيرة لتجنبها، وهنأت نفسها على نجاتها الوشيكة، ثم تعثر أنطوني بجوارها بزيفٍ واضح وقال: «ربّاه، هل أنت على ما يرام؟».

تأرجحت مطرقته معه لتصطدم بكاحلها. ولم تستطع كيت تجاوزها، وطارت ساقطة في الوحل.

ووجهها لأسفل.

وكان لدى أنطوني الوقاحة الكافية ليقدم لها منديلًا.

لسوف تقتله.

تقتله.

تقتله تقتله تقتله.

لكن قبلها ستحرص على ألا يفوز.

ابتسم أنطوني ابتسامة عريضة -وأخذ يصفّر حتى- وهو ينتظر دوره. كان ينتظر وقتًا طويلًا إلى حدٍ سخيف ليعود الدور إليه، مع تخلف كيت كثيرًا لدرجة أن أحدهم لا بد أن يعود لإخبارها كلما أتى دورها، ناهيك بإدوينا، التي لم تبدُ قط مستوعبة لميزة اللعب السريع. كان لعبها سيئًا بما يكفي خلال الأربعة عشر عامًا الماضية، حيث تتهادى في مشيتها وكأن لديها اليوم بأكمله، ولكن الآن صارت لديها بينولبي، التي لا تسمح لها بضرب الكرة دون تحليلاتها ونصائحها.

لكن هذه المرة لم يمانع أنطوني. كان في المقدمة، لدرجة أن أحدًا لا يمكنه اللحاق به. وليكون انتصاره أجمل؛ كانت كيت في المركز الأخير.

بعيدة لدرجة لا تستطيع معها أن تأمل في تجاوز أي أحد.

كاد هذا يعوّض حقيقة اختطاف كولين لمطرقة الموت.

التفت إلى البوابة الأخيرة. يحتاج إلى ضربة واحدة لوضع كرته في وضع الاستعداد، وضربة أخرى لدفعها من خلال البوابة. بعدها لا يحتاج سوى توجيهها إلى المركز الأخير وإنهاء اللعبة بنقرة واحدة.

لعبة أطفال.

ألقى نظرة من فوق كتفه. استطاع أن يرى دافني واقفة بجانب شجرة البلوط القديمة. كانت على قمة تل، لذا تمكنت من رؤية ما لم يستطع رؤيته بالأسفل.

نادى قائلًا:

- دور من؟

مدت عنقها تراقب الآخرين وهم يلعبون أسفل التل. ثم نظرت إليه قائلة:

- إنه دور كولين على ما أظن، مما يعني أن كيت هي التالية.

ابتسم عند سماعه ذلك.

لقد أعد المسار بطريقة مختلفة قليلًا هذا العام، جعله دائريًا إلى حد ما. يجب على اللاعبين اتباع خطٍ ملتوٍ، مما يعني أن المسافة بينه وبين كيت على

خط مستقيم كانت أقصر في الواقع من المسافة بينه وبين الآخرين. الحقّ أنه لا يحتاج سوى التحرك ما يقرب من عشر ياردات جنوبيًا، وسيكون قادرًا على مراقبتها وهي تتقدم نحو البوابة الرابعة.

أم أنها لم تتجاوز الثالثة بعد؟

في كلتا الحالتين، لن يفوّت مراقبتها.

لذا فقد هرول مع ابتسامة على وجهه. هل يناديها؟ سيزعجها الأمر أكثر إذا نادى.

لكن ذلك سيكون قاسيًا. ومن ناحية أخرى...

صوت اصطدام مطرقة بكُرة

انتبه أنطوني من تأملاته ونظر لأعلى في الوقت المناسب ليرى الكرة الخضراء تندفع في اتجاهه.

يا للهول.

أطلقت كيت ضحكة انتصار، ورفعت تنورتها وبدأت في الركض.

سألها أنطوني غاضبًا:

- ماذا تفعلين بحق الإله؟ البوابة الرابعة في هذا الاتجاه.

وأشار بإصبعه في الاتجاه الصحيح رغم علمه بأنها تعرف مكانها.

قالت بمكر:

- إنني ما زلت في الثالثة بعد، وقد يئست من الفوز على أي حال. الأمل مفقود في هذه المرحلة، ألا تعتقد ذلك؟

نظر أنطوني إليها، ثم نظر إلى كرته، مستقرة بسلام بالقرب من البوابة الأخيرة.

ثم نظر إليها مرة أخرى.

زمجر قائلًا:

- أوه لا.

ابتسمت ببطء.

بمكر.

كالساحرة.

قالت:

- راقبني.

وحينئذ ظهر كولين مندفعًا وقال:

- دورك يا أنطوني!

تساءل أنطوني:

- كيف حدث ذلك؟ لقد لعبت كيت توًّا، من المُفترض أن تليها دافني ثم إدوينا ثم سايمون قبل أن يحين دوري.

قال سايمون وهو يتقدم بخطًى واسعة:

- لقد لعبنا أدوارنا بسرعة شديدة. لا نريد تفويت ما تفعلانه بكل تأكيد.

تمتم وهو يشاهد البقية يقتربون:

- أوه، بحق إله السماوات.

ثم سار نحو كرته مضيقًا عينيه وهو يستعد لهدفه.

نادته بينولبي:

- احترس من جذر الشجرة!

صر أنطوني على أسنانه.

قالت بوجهٍ خالٍ من أي تعبير:

- لم يكن ذلك هتافًا. مؤكّد لا يُعدّ التحذير هتافًا...

زمجر أنطوني قائلًا:

- اخرسي.

قالت وشفتاها ترتعشان:

- إن جميعنا لدينا حقّ في هذه اللعبة.

استدار أنطوني صائحًا:

- كولين! إن كنت لا تود أن تجد نفسك أرملًا، فتفضل بإسكات زوجتك.

سار كولين تجاه بينولبي قائلًا وهو يقبلها على وجنتها:

- أحبك.

- وأنا...

انفجر أنطوني:

- توقفا!

وعندما استدارت جميع الأعين إليه أضاف:

- إنّي أحاول التركيز.

وثبت كيت مقتربة قليلًا.

- ابتعدي عني يا امرأة.

قالت:

- أريد فقط أن أرى، لم تُتَحْ لي فُرصة تُذكر لمتابعة أدواركم في هذه المباراة، بتخلفي بعيدًا هكذا طوال الوقت.

ضيق عينيه قائلًا:

- قد أكون مسؤولًا عن الطين، وأرجو أن تلاحظي تركيزي على كلمة قد، والتي لا تتضمن أي نوع من التأكيد من جانبي.

توقف قليلًا، متجاهلًا تمامًا بقية الحشد، الذين كانوا يحدقون إليه، ثم تابع:

- ومع ذلك، لا أرى كيف يكون وجودك في المركز الأخير مسؤوليتي.

قالت:

- جعل الطين يديّ زلقتين، لم أستطع إمساك المطرقة بطريقة صحيحة.

انقبضت عضلات وجه كولين وهو يقول:

- أخشى أنها حجة واهية يا كيت. أنا مضطر لمنح هذه النقطة لأنطوني، بقدر ما يؤلمني هذا.

قالت بعد أن رمقت كولين بنظرة ذابلة:

- حسن، ليس تخلّفي خطأ أحد غيري. لكن...

ولم تقل شيئًا بعدها.

تساءلت إدوينا أخيرًا:

- لكن ماذا؟

كان يمكن لكيت أن تكون ملكة بصولجانها وهي تقف هنالك، مغطاة بالكامل بالطين. استطردت قائلة بأسلوب ملكي:

- لكنّي لست مضطرة لأن أحب ذلك. وبما أن هذه مباراة بولمول، ونحن آل بريدجرتون، فلست مضطرة للعب بنزاهة.

هز أنطوني رأسه وانحنى مرة أخرى ليسدد هدفه.

قال كولين، كما يجدر بأبله مزعج مثله:

- إن حجّتها قوية هذه المرة. إن أحدًا لم يؤيّد الروح الرياضية في هذه اللعبة قط.

قال أنطوني متذمرًا:

- اصمت.

استطرد كولين:

- في الواقع، يمكن للمرء أن يجازف بقول أن...

- قلت اصمت.

- أن العكس هو الصحيح، وأن غياب الروح الرياضية...

- اخرس يا كولين.

- هو ما يحظى بالإشادة في الواقع...

قرر أنطوني الاستسلام وبدأ يؤرجح مطرقته. بهذا المعدل، سيظلون واقفين هنا حتى عيد الميلاد. لن يكف كولين عن الحديث أبدًا، ليس بينما يظن أن لديه فرصة في إثارة غضب شقيقه.

أجبر أنطوني نفسه ألا يسمع شيئًا سوى صوت الرياح. أو حاول ذلك على الأقل.

حدد هدفه.

سحب المطرقة إلى الخلف.

صوت اصطدام المطرقة بالكرة

لا تنطلقي بقوة، لا تنطلقي بقوة.

تدحرجت الكرة للأمام، ولسوء الحظ لم تذهب بعيدًا المسافة الكافية. لن يستطيع أن يجعلها تعبر البوابة الأخيرة في الدور التالي. على الأقل دون تدخل إلهي كافٍ لجعل الكرة تتفادى حجرًا بحجم قبضة اليد قبل أن تعود لمسارها ثانيةً.

قالت دافني:

- كولين، إنه دورك.

لكنه كان قد تراجع بالفعل إلى كرته. منحها نقرة عشوائية، ثم صاح:

- كيت!

خطت إلى الأمام، وطرفت بعينيها وهي تقيم وضع الأرض. كانت كرتها على بعد نحو قدم واحد من كرته. ومع ذلك، كان الحجر على الجانب الآخر، مما يعني أنها إذا حاولت تدميره، فلن تتمكن من إطلاق كرته بعيدًا بما يكفي؛ سيوقفها الحجر بكل تأكيد.

غمغم أنطوني:

- معضلة مثيرة.

دارت كيت حول الكرتين وقالت متأملة:

- ستكون لفتة رومانسية إن سمحت لك بالفوز.

قال ساخرًا:

- المسألة غير متعلّقة بسماحك.

قالت وهي تصوب:

- إجابة خاطئة.

ضيق أنطوني عينيه. ماذا تفعل؟

ضربت كيت كرتها بقوة. لم تصوّبها تجاه كرة أنطوني مباشرة بل صوبتها إلى الجانب الأيسر. اصطدمت كرتها بكرته، مما جعلها تندفع باتجاه اليمين. وبسبب زاوية التسديد، لم تستطع دفع الكرة لنفس المسافة التي كانت لتحققها بالضربة المباشرة، لكنها تمكنت من توجيهها إلى قمة التل.

نحو القمة.

نحو القمة تمامًا.

ثم إلى الأسفل.

أطلقت كيت صيحة فرح جديرة بساحة معركة.

قال أنطوني:

- ستدفعين الثمن.

كانت مشغولة للغاية بالقفز فرحة ولم تعره أي اهتمام.

سألته بينولبي:

- من تفترض أنه سيفوز الآن؟

قال أنطوني بهدوء:

- أتعرفين ماذا؟ لا يهمني.

ثم سار إلى الكرة الخضراء وحدد هدفه.

صاحت إدوينا:

- توقف، ليس دورك!

وأضافت بينلوبي:

- وليست كرتك.

غمغم:

- أهذا صحيح؟

ثم سدد، ضاربًا بمطرقته كرة كيت مرسلًا إياها لتحلّق عبر العشب، إلى أسفل المنحدر المسطح، ثم إلى البحيرة.

أطلقت كيت نفخة من الغضب العارم وقالت:

- لم تكن تلك روحًا رياضية منك!

منحها ابتسامة جنونية وقال:

- كل شيء مباح وما إلى ذلك يا زوجتي.

أجابت:

- أنت من سيخرجها.

- أنت من تحتاجين إلى الاستحمام.

أفلتت دافني ضحكة مكتومة، ثم قالت:

- أعتقد أنه دوري. هلا تابعنا؟

غادرت وسايمون وإدوينا وبينولبي في أعقابها.

صاحت دافني:

- كولين!

قال متذمرًا:

- أوه، حسن.

ثم تبعها.

نظرت كيت إلى زوجها، وبدأت شفتاها تختلجان. قالت وهي تخدش بقعة في أذنها كانت مليئة بالطين أكثر من غيرها:

- حسن، أفترض أنها نهاية المباراة بالنسبة إلينا.

- أتفق معك.

- أبليت حسنًا هذا العام.

أضاف مبتسمًا لها:

- وأنت كذلك، كانت البركة فكرة ملهمة.

قالت بلا أي تواضع:

- هكذا ظننت. حسنٌ، وبالنسبة إلى الطين...

غمغم:

- لم يكن عن عمد للدرجة التي تتخيلين.

قالت:

- كان حريًا بي أن أفعل المثل.

- نعم، أعرف.

قالت وهي تنظر إلى نفسها:

- أنا قذرة.

قال:

- البحيرة هناك.

- إنها باردة.

- حمامًا إذن؟

ابتسمت بإغراء وقالت:

- هل ستنضم لي؟

- بالتأكيد.

مد ذراعه وبدآ في العودة معًا إلى المنزل.

سألت كيت:

- هل علينا إخبارهم بانسحابنا؟

- لا.

- أنت تدرك أن كولين سيحاول سرقة المطرقة السوداء، صحيح؟

نظر إليها باهتمام.

- أتظنين أنه سيحاول إخراجها من أوبري هول؟

- ألا تظن ذلك؟

أجابها بحسم:

- بل أظن بشدة. علينا أن نوحد جهودنا.

- معك حق.

سارا لبضع ياردات أخرى، ثم قالت كيت:

- لكن بمجرد أن نستعيدها...

نظر إليها برعب وقال:

- أوه، حينها سيهتم كل منا بنفسه. مؤكّد لا تظنين...

قالت بسرعة:

- لا، بالطبع لا.

قال أنطوني بشيءٍ من الارتياح:

- اتفقنا إذن.

فأي متعة تلك التي ستأتيه من دون أن يهزم كيت؟

سارا بضع ثوانٍ أخرى، ثم قالت كيت:

- سأفوز في العام المقبل.

- أعرف أنك تظنين ذلك.

- كلا. سأفوز. لدي أفكار. استراتيجيات.

ضحك أنطوني، ثم انحنى يقبلها، ويقبل طينها وكل شيء. قال مبتسمًا:

- لدي أفكاري أنا الآخر. والعديد والعديد من الاستراتيجيات.

لعقت شفتيها قائلة:

- لم نعد نتحدث عن البولمول، أليس كذلك؟

هز رأسه.

لفت ذراعيها حوله، وشدت رأسه لأسفل نحوها. ثم في اللحظة التي سبقت تلامس شفاههما سمعها تتنهد قائلة:

- جيد.

جريدة المجتمع

صيف 1813

رحِّب معنا بعائلة بريدجرتون...

تعلمون أن عائلة بريدجرتون هي أوفر العائلات نسلًا دون منازع من بين عائلات الوسط الرفيع من المجتمع. وتُعد تلك المزية -التي بذل فيها الفيكونت الراحل وزوجته جهودهما- جديرة بالثناء، على الرغم من أن المرء يمكنه استشعار التفاهة في نظام اختيارهم لأسماء أطفالهم. ترون أن أنطوني وإلويز وبيندكت وجريجوري ودافني وفرانشيسكا وكولين وهياسنث -تسير وفق نظام معين يُعد بالطبع نافعًا في جميع الأمور، لكن المرء منَّا سيعتقد أن الآباء الأذكياء بإمكانهم التمييز بين أطفالهم دون الحاجة إلى ترتيب أسمائهم وفق حروف الهجاء-.

وقد قيل إن أعز الأهداف إلى قلب ليدي بريدجرتون هو أن ترى جميع أطفالها يعيشون حياةً زوجية سعيدة، ولكن في الحقيقة، يمكن للمرء أن يتساءل فحسب ما إذا كان هذا إنجازًا مستحيلًا أم لا. ثمانية أطفال؟ ثمانية أطفال يعيشون حياةً زوجية سعيدة؟ هذا أمرٌ يعجز العقل عن استيعابه.

ليدي ويسلداون



الدوق وأنا

الشخصيات: دافني بريدجرتون ودوق هاستنجز.

الحدث: مغازلةٌ زائفة.

المكان: لندن، بالطبع. فأي مكانٍ آخر يمكن للمرء فيه أن ينجح في أمرٍ كهذا؟

السبب: كلٌ منهما يمتلك أسبابه، ولم تتضمن أي من أسبابهما الوقوع في الحب...



13 أبريل 1814 جريدة المجتمع

الفيكونت الذي أحبّني

افتُتِح الموسم لعام 1814، ولسنا نستبشر فيه تغييرًا ملحوظًا عن سابقه لعام 1813. امتلأت طبقات المجتمع بالأمهات الطامحات، اللائي تنحصر أمانيهن في رؤية «بناتهن العزيزات» متزوّجات من «العزّاب المختارين». دارت حلقات النقاش بين الأمهات حول فيكونت بريدجرتون، وقد أجمعن على كونه أكثر العُزَّاب كفاءة. ولمَ لا؟ فلئن كان هذا المسكين يظهر دائمًا بشعرٍ منفوشٍ أشعث، فذلك لأنه لا يذهب إلى أي مكان إلا وتلاحقه أنظار فتاة ما، وتظل تطرف بعينيها تجاهه مرسلة نفحة من رياح الأعاصير. لعل الليدي الوحيدة التي لم تُبدِ اهتمامًا ببريدجرتون هي الآنسة كاترين شيفيلد، وفي الواقع، موقفها تجاه الفيكونت يميل من حينٍ لآخر إلى العدوانية.

لهذا السبب يا عزيزي القارئ، تشعر كاتبة هذا المقال بأن محاولة الجمع بين بريدجرتون والآنسة شيفيلد هي بالضبط ما سيُشعِل أجواء هذا الموسم الهادئ نوعًا ما.

ليدي ويسلداون

"كويـــن هـــي ملـــكة الروايـــات الرومانسية التاريخية".
- إنترتاينمنت ويكلي

"كوين.. ملكـــة الرومانســـية. لقد رسمت عائلة تفيض جاذبية وجمالًا، وخطّت مجتمعًا يفيض حياةً وسحرًا حتى إننا نود لو نستطيع الغوص داخل الصفحات والتعرّف بهم".
- راديو NPR

"جوليا كوين هي حقًّا جين أوستن عصرنا الحالي".
- جيل بارنيت

"كويـن حكّاءة مـــن الطـــراز الأول. قلمها خفيف وجريء، كما أنها بارعة في صنع شخصيات لا تُمحى".
- بابليشرز ويكلي

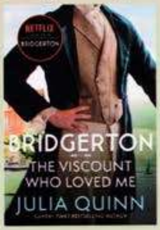
"روايـــة مبهـجـــة، زاخرة بالســحر والفكاهة والدهاء".
- مراجعات كيركوس



جوليا كوين
ولدت جوليا بوتنجر عام ١٩٧٠ في نيو إنجلاند. حملت الاسم جوليا بوتلر ومن بعده جوليا بوتنجر حتى عُرفت في الوسط الأدبي باسم جوليا كوين. درست تاريخ الفنون والأدب في جامعة هارفارد، ثم قررت أن تُصبح طبيبة. لكن شغفها بالروايات الرومانسية التاريخية التي وقعت تحديدًا في عصر الوصاية على العرش (١٨١١ - ١٨٢٠) جعلها تخطّ أولى رواياتها في أثناء دراستها عندما التحقت بكلية الطب جامعة يالي. نُشر أول أعمالها "Splendid" في عام ١٩٩٥، ثم توالت الأعمال منذ ذلك الحين لتنال كوين لقب "مؤلفة النيويورك تايمز الأكثر مبيعًا" للروايات الرومانسية التاريخية.

BRIDGERTON
الفيكونت الذي أحبّني

لكنّ كُتّاب أعمدة النميمة مُخطئون هذه المرة، فأنطوني بريدجرتون ليس فقط ينوي الزواج، بل إنه اختار زوجة بالفعل! ولا يحول بينه وبين عروسه المقبلة، سوى أختها الكبرى، كيت شيفيلد - المرأة الأكثر تطفلًا في قاعات الرقص بلندن قاطبةً. ورغم أن تلك المتآمرة الجريئة قد أفقدت أنطوني صوابه بإصرارها اللعين على منع الخطبة، فإنه كلما أغمض عينيه ليلًا، طاردته كيت في أحلامٍ لا تنفك تزداد جنونًا، أما كيت فتؤمن



خلافًا للاعتقاد الشائع، بأن المنحلّين أخلاقيًّا لا يصلحون أزواجًا وإن تابوا، والأنكى من ذلك أن أنطوني بريدجرتون هو الأكثر شرًّا بين جميع المخادعين. عزمت كيت على حماية أختها - غير أنها تخشى ضعفًا في قلبها.

تصميم الغلاف: محمود هشام

9 789776 972216

عصير الكتب

www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb